

دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

ناليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

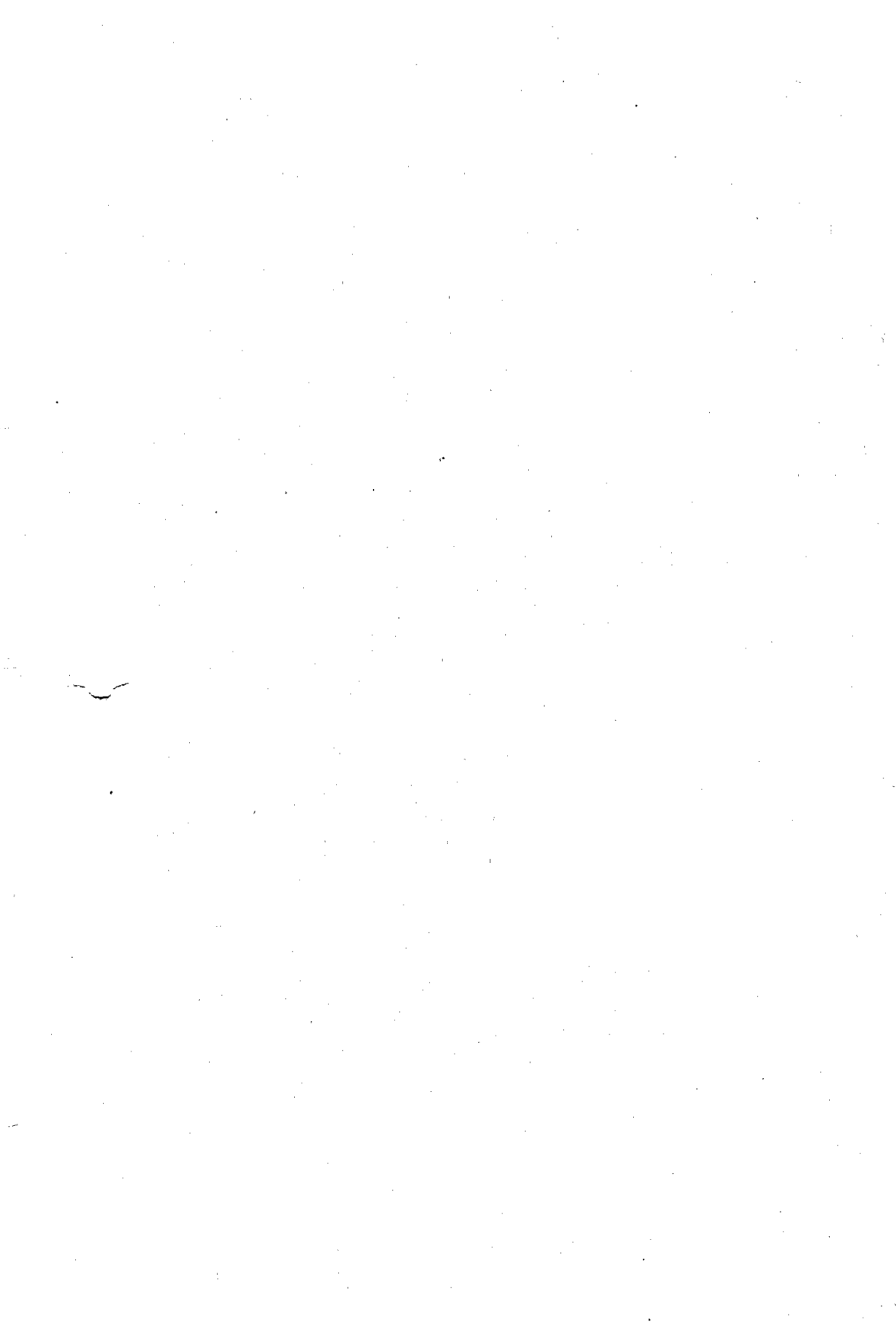
الجزء الثاني عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع

بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٦ هـ
م ١٩١٨



صنعة الأربعة

الجزء الثاني عشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

القسم الثاني

(مما يُكْتَبُ من الولايات عن الأبواب السلطانية - [ما يكتب لأ] رباب

الوظائف بالممالك الشامية)

وأعلم أنَّ نواب السلطنة في التولية على ضربين :

الضربُ الأولُ

(من لا تصدُر عنه منهم توليةٌ في عمل نيابته)

وهم نواب الديار المصرية : من النائب الكافل ، ونائب الإسكندرية ، ونائب الوجه البحري ، ونائب الوجه القبلي ، فليس لأحد منهم تصدُر في ولاية ولا عزل لنائب ، ولا كاشف ، ولا والي حرب . إنما النائب الكافل يكتب في بعض الأمور على القصاص ، والسلطان هو الذي يباشر الكتابة على الولايات بنفسه ، والنائب الكافل يكتب بالاعتماد على ما يكتب عليه السلطان ، كما تقدمت الإشارة إليه في موضعه .

الضرب الثاني

(من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته)

وهم نواب السلطنة بالممالك الشامية السبعة المقدم ذكرها : من النيابات الصغار،
والوظائف الديوانية، والوظائف الدينية، ووظائف مشايخ التصوف، والوظائف
العادية : كرياسة الطب ونحوها، ووظائف زعماء أهل الذمة : من رياسة اليهود،
وبطريكة النصارى، وغير ذلك .

فأما النيابات الصغار التي في أعمال النيابات العظام : فما كانت نيابته إمرة
عشرة فأكثر يولّى فيه النواب، وربما ولى فيه السلطان . وما كانت نيابته إمرة
تبلغانه فأكثر : يولّى فيه السلطان، وربما ولى فيه النواب . وما كانت نيابته
تقدمة ألف، فولايته مختصة بالسلطان دون النواب .

وأما الوظائف الديوانية، فما كان منها صغيرا ككتابة الدرّج وما في معناها،
فأكثر ما يولّيها النواب . وما كان منها جليلاً : ككتابة السرّ وما في معناها، ونظر
الجيش، ونظر المال، فتوليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطاً بين
الطرفين : ككتابة الدست ونحوها : ففي دمشق تارة يولّى فيها السلطان، وتارة يولّى
فيها النائب . وفيما دونها من النيابات غالب من يولّى فيها النواب، وقد يولّى فيها
السلطان .

وأما الوظائف الدينية، فما كان منها صغيراً : كالندريس الصغار، والخطّابات
بالجوامع الصغار، وأنظار المدارس والجوامع الصغار، ونحو ذلك، فإنه يولّى فيها

النواب ولا يولّى فيها السلطانُ إلا نادراً . وما كان منها جليلاً : كقضاء القضاة ، فإنّ توليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطاً بين الرتبين : كقضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، والحسبة ، ووكالة بيت المال ، ومشيخة الشيوخ ، ونحو ذلك : فتارةً يولّى فيها السلطان ، وتارةً يولّى فيها النّواب . إلا أنّ تولية السلطان فيها في النيابات الجّار كالشام أكثر ، وتولية النّواب فيها فيما دون ذلك أكثر .

وأما مشيخة الخوانق فقد يولّى فيها السلطان ، وقد يولّى فيها النّواب : إلا أن تولية السلطان في مشيخة الشيوخ بالشام أكثر ، وتولية النّواب في غير مشيخة الشيوخ بدمشق وفي غيرها من وظائف الصّوفية في غير دمشق أكثر .

وأما الوظائف العادية : كرياسة الطب ونحوها ، ففي جميع النيابات توليتها من النّواب أكثر ، وربما ولى فيها السلطان .

وأما وظائف زعماء أهل الذمة : كرياسة اليهود ، وبطركية النصارى ، فيستبد بها النّواب دون السلطان : لزيادة حقارتها في الوظيفة والبعد عن حضرة السلطان .

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب الممالك بالبلاد الشامية أنه كان بها سبع ممالك عظام استقرت سبع نيابات :

النيابة الأولى

(نيابة دمشق ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام)

وظائفها على نوعين :

النوع الأول

(ما هو بحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به من وظائفها
عن الأبواب السلطانية على أربعة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد في قطع الثلثين بـ«المقرّ العالی» مع الدعاء
بـ«عزّ الأنصار» : وهو نائب السلطنة بها)

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتبت به عن السلطان الملك العادل
«كُتِبَا» للأمير «سيف الدين غرلو العادلي» من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي جعل لسيف دولتنا على عاتق الملك الأعزّ نجاحاً ، وأدّخر لكفالة
مملكيتنا من الأولياء من تناسب وصفاه آجتهداً في مصالح الإسلام وجهاداً ، وعدق
أمور رعايانا بمن أيقظ لها سيفه وجفنه فامتلات عيونهم بما وهب وسلب من نومه
ونوم العدا رقّادا ، ورفع ألوية إحساننا على من زاد برفعها ظلّ عدله أنيساطا على
الرعية وأمتدادا ، ووطّد قواعد ممالكنا بمن أجلنا الفكر في حُسن اختياره أنتقاء
لمصالح الإسلام وأتقّادا ، وأدى لشكر نعم الله التي لا يؤدي شكر بعضها ولو أنّ
ما في الأرض من شجرة أقلام أو كان البحر مدادا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ عِزًّا مِمَّا عَلَى الْأَبْدِ مَنْصُورَهُ، وَمَقَاصِدَنَا عَلَى مِصَالِحِ
الْمُسْلِمِينَ مَقْصُورَهُ، وَأَرَاءَنَا تَفْوُضَ زَعَامَةِ الْحَيَوشِ إِلَى مَنْ تُصْبِحُ فِرْقُ الْأَعْدَاءِ
بِفِرْقِهِ مَغْزُورَةً وَمِمَالِكِهِمْ مَهَابَتَهُ مَحْضُورَهُ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تنشر دعوتها في الآفاق،
وزُهِبَ لإقامتها في ممالكنا سيفا يصل ما أمر الله بقطعه ويقطع إلا الأرزاق،
وزُهِبَ من ألدّها فيها بكل ولى لرعيه في القلوب ركض ولرايته في الجوانح خفق
ولأستته في الصدور إشراق؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من فؤض حُكْمًا
في أيامه إلى من اعتمد عليه، وأراف من استخلف على من بعد عنه من أمته من
يعلم أن صلاحهم في يديه، وألطف من عَدَقَ شيئًا من أمور أهل ملته بمن أعانه الله
وسدده في دفع عدوهم وصلاح ما يرفع من أحوالهم إليه؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين وُلُوا على الأمة فعدلوا، وأمروا بما جبله الله عليه من الرأفة والتعفة
والرحمة فامتثلوا، وعلموا أن الحق فيما نهج لهم من طرق طريقته المثلى فما مالوا عن
ذلك ولا عدلوا؛ صلاة لا تغرب شمسها، ولا يعزب أنسها، ولا تُعتبر أوقات إقامتها
إلا ويقصر عن يومها في الكثرة أمسها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى ما عملنا إليه ركائب الآراء المؤيَّده، وصرّفنا إليه أزمة
نجائب الأفكار المسدده؛ وأجلنا فيه طرف النظر الذي لا يشق في بلوغ الغاية غباره
ولا يدرك، وأحلنا الأمر فيه على التأييد الذي هو عمدتنا فيما يؤخذ من نواقب
الآراء وما يترك؛ وقدمنا فيه مهم الاستخارة الذي يتلوه التوفيق، وعلمنا أن اللد
أسباب الأهنداء إليه سلوك طريق النصيح لله ورسوله وللإسلام فسلكنا إليه من ذلك

الطريق ؛ وقصّرنا النية فيه على مصالح الأمة التي هي فرض العين بل عين الفرض ، وأطلقنا الارتداد فيه لتعين من نرجو له ممن عناهم الله بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ . وتدبنا له سيفا لم يزل في صدور الأعداء صدره وفي يد جبار السموات قائمه ، وأردنا لتقدمة الجيوش فيه زعيما طالما مل ضوء الصبح مما يغيره ومل سواد الليل مما يزاحمه ؛ وقدمنا له من نسا في حجر ولائنا ، وغدئ بلبان برنا وآلائنا ؛ وشهد الوقائع بين يدينا ، وخبرنا من سيرته التهوؤ في الرعايا بما كتب الله لهم من الرأفة والرحمة علينا - أمر نيابة ساطنتنا الشريفة بالملك الشامية التي نابت فيها مهابتنا ، عن الإقامة فيها ، وجعلتها عنايتنا ، من أشرف ممالكنا التي نخصها على البعد بدوام الملاحظة ونُصِفِها ؛ وهي واسطة عقد ممالكنا ، ومحط رحال طرُقنا إلى جهاد الأعداء ومسالكنا ، وهالة أهلة سرى القصد إلى لحظها في أديم الأرض مواقع سنابكنا ؛ ومواطن القربات التي نصت الأثار الصحيحة عليها ، ومضان العبادات التي طالما نصت ركائب العباد العباد إليها ؛ ومقام الأبدال الذين هم أهل دار المقامة ، ومستقر طائفة الدين الذين لا يزالون ظاهرين على أعدائهم لا يضرهم من خذلهم إلى يوم القيامة ؛ وفلك الثغور الذي تُشرق منه كواكب سعودها ، وتتصرف من نوبته إلى من جاورها من العدا خاطفات بروقها وقاصفات رعودها ؛ فكم ذى جنود أمها فهلك وما ملك ، وسلك إليها بجيوشه فزلت وتزلزلت قدمه حيث سلك ؛ ولجيشها البأس الذي وجود الأعداء به عدم ، والحدد الذي يعرفه أهل السياق و[ان] أنكرته أعناقهم «فما بالعهد من قدم» .

وأن نفوض [أمرها] إلى من ينشرها على الأمة لواء عدلنا ، ويُسْطَفِها بالرأفة والرحمة رداء فضلنا ، ويُنحِي بها سُنَن الإحسان التي مبدأ أيامها غايه من سلف من قبلنا ؛

ويقيم منار الملك من بأسه على أرفع عماد ، وينيم الرعايا من عدله في أوطأ مهاد ؛
ويكف أكف الظلم إلى ما يتجاسر إلى إعادة يده إليها عادٍ ومن عاد ، ويجرد إلى
العدا من خياله وخبيله سرايا تطرد عن موارد جفونهم بقوائمها الرقاد ؛ وتستعيد
عوارى أرواحهم من مستودعات أجسادهم فهي بحكم العارية غير مستقرّة
في الأجساد ، ويصون الرتب عن تطرق من يفسد أحوالها لعدم أهليته : فإنه ماسلك
أحد في أيامنا طرّق الفساد فساد ؛ ويعلم به أنا جردنا على العدا سيفًا يسبق إليهم
العدل ، ويزاحم على قبض نفوسهم الأجل ، وتخلّى بتقليده الدول ، ويتحقق بفتكه
أنه لا حاكم بيننا وبينهم إلا السيف الذي إن جار فيهم فقد عدل .

ولذلك لما كان المجلس العلى الفلانى : هو الذى اخترناه لذلك على علم ، وقلدناه
أمور الممالك : لما فيه من حدة بأس وآية حلم ؛ وعجمنّا عوده فكان لنا على الأولياء
فظًا على العدا ، وبلونا أوصافه فعامنا منه السداد الذى لا يضع به الندى في موضع
السيف ولا السيف في موضع الندى ، وعرضنا سداده على حسن اعتبارنا للاكفاء
فكان سميرنا (وحمل ، فزين معروضًا وراع مسددا) ؛ وهزناه فكان سيفًا ينصل
حده الخطب إذ أعضل ، وأعطينا أمر الجيوش فلم يختلف أحد في أنه أفضل
من الأفضل .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازل يصطفى من الأولياء كل كفاء كريم -
أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الشامية : تفويضًا يعلى قدره ، ويسط
في مصالح الملك والممالك أمره ؛ ويطلق في مصالح الدولة القاهرة سيفه وكلمه ،
ويدر على الأولياء إحساننا الذى إذا جرى الغيث أحجل دوائمه ديمه ؛ ويرفع بالعدل

مَنَارَ دَوَامِ مُلْكِكَ الَّذِي قَرَنَهُ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ بِجُودِنَا ، وَيُضِيفُ بِاسْتِرْفَاعِ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ
لِدَوْلَتِنَا مِنْ كُلِّ لِسَانٍ جُودَ اللَّيْلِ إِلَى جُنُودِنَا ، وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ نَظْرًا
عَامًا ، وَيُعْمَلُ فِي سِدَادِ نَفُورِهَا وَسِدَادِ أُمُورِهَا رَأْيًا ثَاقِبًا وَفِكْرًا تَامًا ، وَيَأْمُرُ النَّوَابِ
مِنْ سِدِّ خَلِّهَا بِمَا كَفَّيْتُهُ أُدْرِي بِهِ مِنْهُمْ ، وَيَنْبَهُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا عَلَى مَا ظَهَرَ لِفِكْرِهِ
الْمُصِيبِ وَخَفِيَ عَنْهُمْ ، وَيَلَاحِظُ أُمُورَ مَا بَعْدَ مِنَ الْبِلَادِ كَمَا لَحِظْتَهُ أُمُورًا مَادَانًا ،
وَيَنْظُرُ فِي تَفَاصِيلِ أُمُورِهَا : فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى السِّدَادِ فَلَيْسَ بِهَا عَنْ حُسْنِ نَظَرِهِ
غِيًّا ، وَيَسْلُكُ بِالرَّعَايَا سُنَنَ إِنْصَافِهِ الَّتِي وَكَلَّمْتَهُ مَعْرِفَتَنَا بِهِ إِلَيْهَا ، وَيُجَرِّبُهُمْ عَلَى عَوَائِدِ
الْإِحْسَانِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ خَلْقِهِ سَجِيَّةً وَزِدَانًا تُحَرِّضُهُ عَلَيْهَا .

وهو يعلم أن الله تعالى قد أقامنا من الجهاد في أعدائه بسنته وفرضه ، ومكَّن
لنا في الأرض : لإقامة دعوته وإعلاء كلمته وتطهير أرضه ؛ وعَضَدَنَا بِتَأْيِيدِهِ لِنُصْرَةِ
الْإِسْلَامِ ، وَأَمَدَّنَا مِنْ عُدَدِ نَصْرِهِ بِكُلِّ سَيْفٍ تَرَوَّعَ الْأَعْدَاءُ بِهِ الْيَقِظَةُ وَتَسْلُهُ
عَلَيْهِمُ الْأَحْلَامُ ، وَبَثَّ سَرَايَا جِيُوشِنَا بَرًّا وَبَحْرًا : فِيهِ إِمَّا سَوَارٍ فِي الْبَرِّ تَمْتَرُ
السَّحَابُ أَوْ جَوَارٍ مُنْشَأَتٌ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ، وَيَتَعَاهَدُ أَحْوَالَ الْجِيُوشِ الشَّامِيَةِ
كُلَّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ ، وَيُعِدُّهُمْ فِي غَدِهِ بِاعَادَةِ مَا أَعْتَبَرَهُ مِنْ عَرَضِهِمْ فِي أَمْسِهِ ؛ وَيُرْتَبِ
أَمْرَ كُلِّ إِقَامٍ وَحَالِهِ ، وَيَتَفَقَّدُ مَنْ يَبَاشِرُ بِالنَّقْدَةِ تَقَدُّمَهُ إِلَى الْأَطْرَافِ وَأَرْتِحَالِهِ ؛
وَيَأْمُرُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ بِالنَّاهِبِ لِلْعَرَضِ الَّذِي يَبَاشِرُهُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب به للأمر « جمال الدين أفوش
الأشرفي » في جمادى الأولى ، سنة إحدى عشرة وسبعائة ، من إنشاء الشيخ شهاب
الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله الذى جعل الدين فى أيماننا الزاهرة زاهياً بجماله ، سامياً بتقديم من إذا أَرَهَفَ فى الدَّبِّ عنه بسيفِ عزمه غَدَتِ الجنة تحت ظلاله ، حَالِيَاً بتفويض زعامة جيوشه إلى من لو فَاخَرَبَهُ البُدُورَ تَعَجَّبَتْ من نُقْصَانِهَا وَكَمَالِهِ ، عَالِيَاً بِيَايَلَةِ من تتوَلَّدُ معانى النصر والظفر بين الكَامِلَيْنِ : من رَوِيَهُ رَأْيُهُ وَآرْتَجَلَهُ ، رَاقِيَاً عَلَى هَامِ الكُفْرِ بعزائم من لا يزال تُصَبِّحُ مَهَابَتَهُ العِدَا بَطْلَانِعِ خَيْلِهِ وَتَبِيَّتُهُمْ بِطَوَارِقِ خِيَالِهِ ، نَامِيَاً بِإِسْنَادِ الحِكْمِ فيه إلى من يقطع إِنْصَافَهُ بين المَبْطَلِ وَرَجَائِهِ وَيَصِلُ العَدْلُ [منه] بين الحَقِّ وَبَيْنَ آمَالِهِ .

نحمده على نِعَمِهِ التى أَنَامَتِ الرِّعَايَا من مَعْدِلَتِنَا فى أَوْطَانِ مِهَادٍ ، وَأَدَامَتِ الدُّعَاةَ الصَّالِحَ لِأَيْمَانِنَا بِإِعْلَاءِ كَلِمَتِي العَدْلِ وَالجِهَادِ ، وَأَقَامَتِ الإِيَالَةَ فى أَسْفَى مَمَالِكِنَا بِنِّ هُوَ أَجْرَى مِنَ الغُيُوثِ ، وَأَجْرَأُ مِنَ اللُّيُوثِ ، فى مَصَالِحِ البِلَادِ وَالعِبَادِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال الألسن لإقامتها مديمة ، والضامر على إدامتها مقيمته ، والقلوب تعقد من كلمة إخلاصها وإخلاص كلمتها فى جيد الإيمان تميمه ، والتوحيد يظهر أنوارها فى الوجوه الوسيمة ، بأمن مطالع القلوب السليمة .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى جبَّله على خُلُقٍ عَظِيمٍ ، وجعله وإن تأخَّرَ عَصْرُهُ من مَقَامِ النبوَّةِ فى أعلى رُتَبِ التقدِيمِ ، وَمَنَّ عَلَى الأُمَّةِ بِإِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ من أَنفُسِهِمْ وَأَنَّهُ بِالْمُؤْمِنِينَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دُعُوا إلى طَاعَتِهِ وَأَجَابُوا ، وَحَكَّمُوا بِسُنَّتِهِ وَأَصَابُوا ، وَجَاهَدُوا المُعْرِضِينَ عَن مِلَّتِهِ حَتَّى رَجَعُوا إلى الهدى وَأَنَابُوا ؛ صَلَاةٌ لَا تَغِيْبُ أَنْوَاؤُهَا ، وَلَا يُفَارِقُ وَجوهَ أَهْلِهَا وَقُلُوبَهُمْ رُؤُؤُهَا وَإِرَاؤُهَا ؛ وَسَلْمٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وبعد، فإنه - لما أجزانا الله عليه من عوائد نصره، وأغرانا به من حصد الشرك وحصره، وفتحنا من بسطة ملك زينب بها أسارى البسيطة وأسرتها، ووهبتنا من فوائح فتوح علت على وجوه الكفر مساءتها وبدت على وجوه الإسلام مسرتها - لم نزل نُؤدّي شكر نعم الله بالإحسان إلى عباده، ونستريد منها بتفويض أمورهم إلى من يقوم في الذب عنهم مقام الجيش على أنفراده؛ فلا تقدم على الرأفة بجأق الله أمرا، ولا نحابي في بسط المعدلة عليهم زيادا ولا عمرا؛ ولا نعدل بهم عنن إذا ركب في موكب نيابتنا زانه وجمله، وإذا جلس على بساط عدلنا زاده وجمه؛ وإذا رسم بأمرنا أصغت السيوف إلى مراسمه، وإذا نظر بعين عنايتنا نغرا أهدى الشنب إلى مباسمه؛ وإذا رام في مصالح الإسلام أمرا قرب على رأيه بعيده، وإذا رمى في حماية الممالك عدوا سبق إلى مقاتله قبل السيوف وعيده؛ وإذا جرد جيشا إلى أعداء الإسلام جرت قبل اللقاء ذبول هزائمها، ورأت الفرار أمتع لها من صوارمها، وثلت مافي ككائنها من سهام ضعفت عن الطيران قوى قوادمها .

ولما كان الجناب العالی الغلاني هو معنى هذه الفرائد، وسر هذه الأوصاف التي للشرك منها مصائب هي عند الإسلام فوائد، وفارس هذه الخلبة، التي أحرز [قصب] سبقها، وكف هذه الرتبة، التي أخذها دون الأكفاء بحقها؛ لاناخذة في الحق لومة لائم، ولا يأخذ أمر الجهاد إلا بجده «وما ليل المحد بنائم» يسرى إلى قلوب الأعداء رعبه وهو في مكانه، وتؤدى مهابته في نكاية الكفر فرض الجهاد قبل إمكانه؛ ويشفع العدل في الرعايا بالإحسان إليهم، ويجمع بين إرهاب المعتدين وشدة الوطأة عليهم؛ ويقف في أحكامه مع الشريعة التي أعلى الله تعالى منارها، ويستضيء بأحكامها التي هي لا بصر النظار تغير انوارها .

وكانت المملكة الشامية المحروسة من الممالك الإسلامية بمنزلة القوة في ايمين ،
والواسطة في العقد الثمين ؛ والإدراك في الصدور ، والإشراق في البدور ؛ وبها الأرض
المقدسة ، والحصون التي هي على نكاية الأعداء مؤسسه ؛ ولها الجيوش التي ألفت
في الجهاد السرى ، وألفت لسيوفها في الجفون الكرى ؛ ومررت على مقاتل العدا
أستنها ، وصرفت في مسالك الحرب أعتنها ؛ وراعت ملوك أهل الكفر سمعة
أمرائها ، وحاطتها أمداد النصر في حروبها من بين يديها ومن وراءها ؛ وفيها من الأئمة
العلماء الأعيان من يعدل دم الشهداء مداد أعلامهم ، ومن الأتقياء الصلحاء من
لا تطيش دون مقاتل أهل الكفر مواقع سهامهم - أقتضت آراؤنا الشريفة أن تمتع
هذه الرتبة السنية بجهاها ، وأن نبغ هذه الدرجة السرية بمن حوى هذه الأوصاف
الفاخرة غاية آمالها ؛ ليصبح بها لواء عدلنا ، مرفوع الذواب ، ومنهل فضلنا ، مدفوع
الشواب ؛ وكلمة جهادنا ، نافذة في المشارق والمغرب ، وقبضة بأسنا ، آخذة من أعداء
الدين بالذرا والغوارب ، وطليعة كتابنا مؤتمة بمن توفن الطير أن فريقه إذا ما اتقى
الجمعان أول غالب .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت صوارمه للشرك قامعه ، ومراسمه لمصالح
الدين والدنيا جامعه - أن تفوض إليه تفويضا يرفع علمه ، ويمضي في مصالح
الإسلام سيفه وقلمه ؛ وينشر في آفاق الممالك الشامية عدله ، ويسط على رعايا
تلك الأقاليم المحروسة فضله وظله ؛ فيطلع في أفق المواكب هالة أهلها ، وطرار
حلتها ؛ وطاعة لوائها ، وواسطة عقود مقدمها وآرائها ؛ وزينة تسييرها ووقوفها ،
وحلية طلائعها وصفوفها ؛ ويجلس في مواطن الجلوس صادعا بالحق في حكمه ،
أمرا بإدامة التأييد للعدو في أيام سلمه ؛ معطيا منصب النيابة الشريفة حقه من
الجلاله ، موفيا رتبته المنيفة بما يجب لها من أهبة المهابة وكفاءة الكفاله ؛ ولا يزال

لمصالح الجيوش المنصورة ملاحظًا، وعلى إزاحة أعضادهم مُحَافِظًا؛ وإلى حركات عُدُو
الإسلام وسكَّاتِهِ مُتَطَلِّعًا، وإلى ما يتعين من إبطال مكايده متسرِّعًا؛ وليوَاطِن أحوالهم
بحسن الأطلاع مُحَقِّقًا، وجموعهم بين الاجتماع للقاءهم مُفَرِّقًا؛ فلا يُضْمِرُونَ مَكِيدَةً
إِلَّا وَعَلِمُهَا عنده قبل ظهورها لديهم، ولا يُسْرُونَ غارة إلا ورأيتنا خَيْلَهُ الْمُغِيرَةَ
أَسْبَقُ مِنْهَا إِلَيْهِمْ .

ولِيَكُنْ لِمَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مُعَايَا، ولأقْدَارِ أَرْبابِهِ مُغْلِيَا؛ ولرُتَبِ العُلَمَاءِ رَافِعَا،
ولأقْوَالِهِمْ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ سَامِعَا؛ وَلِدَوِي الْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ مُكْرِمَا، ولأهْلِ الْوَرَعِ
وَالصَّلَاحِ مُعْظَمًا؛ وَعَلَى يَدِ الظَّالِمِ ضَارِبَا، وَفِي آقْتِنَاءِ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ
رَاعِبَا؛ وَجَلِيلِ النَّظَرِ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ مُدِيمَا، وَبُحْسَنِ الْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْأَمْوَالِ مُعْمَلًا
رَأْيَا بِمَصَالِحِهَا عَلِيَا؛ وَجَلِهَاتِ الْبِرِّ بِجَلِيلِ الْعَنَاءِ وَالْإِعَانَةِ عَامِرَا، وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَجِبُ
أَعْتَادُهُ نَاهِيَا وَبِكُلِّ مَا يَتَعَيَّنُ فَعَلُهُ أَمْرَا . وَفِي كَمَالِ خِلَالِهِ، وَأَدَوَاتِ جَمَالِهِ، مَا يُغْنِي عَنْ
الْوَصَايَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى
اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ مِنْ خِصَائِصِ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَعَوَائِدِ سِيرَتِهِ الْحَدِيثَةِ وَالْقَدِيمَةِ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُسَدِّدُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب بها للأمر «سيف الدين تنكر
الناصرى» في ربيع الأول سنة أثنى عشرة وسبعائة، من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي، وهي :

الحمد لله مَفْوضِ أَسْنَى الْمَالِكِ فِي أَيَامِنَا الزَاهِرَةِ إِلَى مَنْ تَزَهُو بِتَقْلِيدِهِ، وَمُسَيِّدِ
قَوَاعِدِ أَسْمَى الْأَقَالِمِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ بِمَنْ يَعْلُو بِبَيَاتِهِ مَا يَلْقَى إِلَيْهِ مَعَاقِدُ مَقَالِيدِهِ؛

وَمُسَدِّدِ الآرَاءِ فِي تَصْرِيفِ أَعْتَةِ جِيوشِنَا الْمَنْصُورَةِ بِتَقْدِيمِ مَنْ تَعَدُّو سَيُوفَهُ مِنْ
عُنُقِ كُلِّ مُتَوَجِّعٍ مِنَ الْعِدَا قِلَادَةَ جَبِيدِهِ ، وَنَاشِرِ لَوَاءِ الْعَدْلِ فِي رَعَايَانَا وَإِنْ بَعُدُوا
بِمَنْ تُنِيمُ كَلًّا مِنْهُمْ فِي مَهْدِ الْأَمْنِ وَالِدَّعَةِ يَدِ مَهَابَتِهِ وَتَمْهِيدِهِ ، وَمُعَلِّي مَنَارِ الْجِهَادِ
فِي سَبِيلِهِ بَمَنْ إِذَا جَرَّدَ سَيْفَهُ فِي وَغَى تَهَلَّلَتْ نَوَاجِدُ أَفْوَاهِ الْمَنَائِمِ الضَّوَّاحِكِ بَيْنَ تَجْرِيهِهِ
وَتَجْرِيدِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي أَيَّدَتْ آرَاءَنَا بِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مُسْتَحِقَّتِهِ ، وَقَدَّتْ سَيْفَ
النَّصْرِ مِنْ أَوْلِيَائِنَا مَنْ يَأْخُذُهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ بِحَقِّهِ ، وَجَدَّدَتْ آلَاءَنَا لِمَنْ إِذَا جَارَتْ
الْحُتُوفُ سَيُوفَهُ إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَا فَاتَهَا وَفَاقَهَا بِمَزِيَّتِي كَمَا تَبَتْهُ وَسَبَقَهُ .

وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا تَرَالُ أَلَسْتُنَا تَرَفِعُ مَنَارَهَا ،
وَسَيُوفُنَا تَصَلِّي مِنْ جَحْدِهَا قَبْلُ نَارَهَا ، وَآرَأُونَا تَفْوِضُ مَصَالِحَ جَمَلَتِهَا إِلَى مَنْ إِذَا رَجَعَتْهُ
لِنُصْرَةٍ أَنَالَهَا وَإِذَا أَسْدَى مَعْدِلَةً أَنَارَهَا .

وَنُشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَيَّدَهُ اللَّهُ بِنُصْرِهِ ، وَجَعَلَهُ سَابِقَ مَنْ تَقَدَّمَ
مِنَ الرُّسُلِ عَلَى عَصْرِهِ ، وَآتَاهُ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا يَضِيقُ اللَّطْفُ عَنْ إِحْصَائِهِ وَمِنْ
الْمُعْجَزَاتِ مَا يَحْوُلُ الْحَصْرُ دُونَ حَصْرِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا
بِهُدَاهُ ، وَهَجَرُوا فِي طَاعَتِهِ مِنْ عَادَاهُ ، وَنَهَضُوا فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَاهِ إِلَى مِظَانِّ
الْجِهَادِ وَإِنْ بَعُدَ مَدَاهُ ؛ صَلَاةٌ يُسْفَعُهَا التَّسْلِيمُ ، وَنَبْتَنِي إِقَامَتَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا أَعْمَلْنَا فِي مَصَالِحِ الْفِكْرِ ، وَتَدَبَّرْنَا أَحْوَالَهُ بِكُلِّ رَأْيٍ يُسَدِّدُهُ
الْحَزْمُ الْمُرْوِيُّ وَيُؤَيِّدُهُ الْإِلْهَامُ الْمُبْتَكَّرُ ؛ وَقَدَّمْنَا فِيهِ الْأَسْتِخَارَةَ عَلَى مَا جَزَمَ الْيَقِينُ بِأَنَّ
الْخَيْرَةَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي أَعْتَادِهِ ، وَتَمَسَّكْنَا فِيهِ بِجَبَلِ التَّوْفِيقِ الَّذِي مَازَالَ تَنْتَكِفُلُ

لنا في كُلِّ أمرٍ بِسَدَادِهِ وفي كُلِّ ثَغْرِ بِسَدَادِهِ - أمرُ الممالك الشامية التي هي وَاسِطَةٌ عَقْدِ الممالك، ومُجْتَمَعُ ما يُفَضَى إلى مواطنِ النَّصْر من المسالك؛ ومَرْكَزُ فَلَكَ الأقاليمِ الذي تَنْتَظِمُ عليه بَرُوجُ ثَغُورِها، ونُقْطَةُ دائِرَةِ الحُصُونِ التي منها ما دَتْها وعلَيا مَدَارُ أُمُورِها؛ وَغِيلُ لُيُوثِ الحربِ التي كَمَّ أَنْشَبَتْ أَظْفارَ أَسِنَّتِها في طُورَةِ ظَفَرٍ، ومَواطِنُ فُرْسَانِ الوَعَى التي كَمَّ أَسْفَرَ عن إِطلاقِ أَعْنَتِها إلى غاياتِ النَّصْرِ وَجْهَ سَفَرٍ؛ وأن نَزادَ لِكَفَالَةِ أُمُورِها، وَكِفايَةِ جُمُهورِها، وَحِمايَةِ مَعاقلِها المَصُونَةِ وَثُغُورِها؛ وَزَعامَةِ جُيُوشِها، وإِرْغامِ طارِقِ أطرافِها من أعداءِ الدينِ وَثَلَّ عُرُوشِها، مَنْ جَرَدَ الدينُ فَكان سَيفًا على أعدائِهِ، وَأَنْتَقاهُ حُسْنُ نَظَرِنا لِلْمُساوِمِ فَكان التَّوْفِيقُ الإِلهِيُّ مُتَوَلَّى جَميلِ أَنْتَقادِهِ وَأَنْتَقائِهِ؛ وَعَجْمًا عُودَ أوصافِهِ فوجدناه قَويًّا في دِينِهِ، مُمَكِّنًا في طاعته بِإِخْلاصِ تَقَواهِ وَصِحَّةِ يَقِينِهِ؛ مَتيقِظًا لمُصالِحِ الإِسْلامِ والمُساوِمِ في حَالتِ حَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ، أَحْداً عِنا نَ الحَزْمِ يَسُرُّ يَسْرَهِ وَسِنا نَ العَزْمِ يَمِينُ يَمِينِهِ؛ وَأَقِفًا مع الحَقِّ لِدائِهِ، مَقْدَمًا مَسائِقَ الجِهادِ على سائرِ ما رَبه وَلَدائِهِ؛ ما ضِيًّا كَسِيفِهِ إِلاَّ أَنَّهُ [لا] يَألِفُ كالسيفِ الجُفُونِ، راضِيًّا في رَاحةِ الآخِرَةِ بِمُناعِبِ الدُّنيا ومُصاعِبِها فلا يَرعى في مَواطِنِ الجِهادِ إِذا حَلَّها أَكْثافُ الهُويِّنا ولا رَوضِ المَهدُونِ؛ ما نَعًا حَمَى الإِسْلامَ لا "حَمَى الوَقْبِي" بِضَرْبٍ، يُفَرِّقُ بين أسبابِ الحِياةِ و"يُؤَلِّفُ بين أَشْئائِ المُنُونِ" .

ولما كان فلان هو الذي تشوفت هذه الرتبة إلى أن تتجمل به مواكبها، وتتكلم به مراتبها، وتتظم على دسسته هالة أمرائها كما تنتظم على هالة بدر السماء كواكبها؛ فإذا طلع في أفق موكب أعشت الأعداء جلالته، وأعدت الأولياء بسالته؛ وسرى إلى قلوب أهل الكفر رعبه، وفعل فيهم سامه ما يفعل من غيره حربيه؛ وإذا جلس على بساط عدل خرس الباطل، وأنجز ما في ذمته الماطل؛ وتكلم الحق بميل فيه، وتبرأ الباطل حتى ممن يسره ويخفيه؛ وإن نظر في مصالح البلاد أعان الغيث على

رَبِّهَا بِرَفْقِهِ ، وَأَعَادَ رَوْنَقَ عِمَارَتِهَا بِكَفِّ أَكُفِّ الظُّلْمِ وَوَصُولِ كُلِّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْعَلَ فُنُونَ أَفْنَانِهِ بِمَنْ إِيَابَتِهِ دَانِيَةَ الْقُطُوفِ ، وَأَنْ نُصَيِّرَ جَنَّتَهَا تَحْتَ ظِلَالِ سَيْفِهِ : فَإِنْ «الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» .

فَلذَلِكَ رَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ زَمَنُ عَصْرِهِ ، مُؤَرِّخًا بِالْفَتْوحِ ، وَسَيْفُ نَصْرِهِ ، عَلَى مَنْ كَفَرَ دَعْوَةَ نُوحٍ - أَنْ تَقْوُضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْحُرُوسِ : تَقْوِيضًا يُحْسِنُ بِهِ الْمَنَابَ فِي تِلْكَ الْمَمَالِكِ عَنَّا ، وَيَنْشُرُ فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا يَلْقَاهُ مِنَّا ؛ وَيُلْبِسُهَا مِنْ حُلَلِ الْمَهَابَةِ مَا يُضَاعِفُ بِهِ أَمْنَ سَرْمِيهَا ، وَتُصْبِحُ بِهِ السُّيُوفُ الْحَجْرَدَةُ أَحْفَظَ لَهَا مِنْ قُرْبِهَا ؛ وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ مَوَاقِبِ الْجَلِيلَةِ طُلُوعَ الشَّمْسِ الَّتِي يَعْمُ نَفْعُهَا ، وَيُعْشَى النُّوَاطِرَ لَمَعُهَا ؛ وَيَجْلِسُ فِي دَسْتِ نِيَابَتِنَا حَاكِمًا فِيهَا بِأَمْرِنَا ، جَازِمًا بِحُكْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ حَلِيَّةُ سِرِّنَا وَجَهْرُنَا ؛ نَاشِرًا مِنَ مَهَابَةِ الْمَلِكِ مَا تَرْجِفُ لَهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْعِدَا ، وَتُصْبِحُهُمْ بِهِ سَرَايَا رُغْبِهِ عَلَى بَعْدِ الْمَدَى ؛ مُنْزِمًا مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِمُضَاعَفَةِ إِعْدَادِ الْقُوَّةِ ، وَإِدَامَةِ النَّاهِبِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ بِسَمْعَتِهِ بِلَادُ أَهْلِ الْكُفْرِ مَغْرُورَةً ؛ مُطَّلِعًا عَلَى أَحْوَالِ الْعِدَا بِلُطْفِ مَقَاصِدِهِ ، وَنِكَايَةِ مَكَايِدِهِ ، وَحُسْنِ مَصَادِرِهِ فِي التَّنْذِيرِ وَمَوَارِدِهِ ؛ فَلَا يَبْرُمُونَ أَمْرًا إِلَّا وَقَدْ سَبَقَهُمُ إِلَى نَقْضِ مَبْرَمِهِ ، وَلَا يَقْدَمُونَ رِجْلًا إِلَّا وَقَدْ أَخْرَجَهَا بَوْتَبَاتِ إِقْدَامِهِ وَثَبَاتِ قَدَمِهِ . وَيُعْظَمُ مَنَارَ الشَّرِيفِ بِتَكْرِيمِ حُكْمِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ أَحْكَامِهِ ؛ وَيَرْفَعُ أَقْدَارَ حَمَلَةِ الْعِلْمِ بِتَرْفِيهِ أَسْرَارِهِمْ ، وَتَسْهِيلِ مَآرِيهِمْ وَأَوْطَارِهِمْ ؛ وَلِيُعَمِّمَ الرِّعَايَا بَعْدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ ، وَيَسْتَرْفِعَ لَنَا أَدْعِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصُّلَحَاءِ بِإِسْعَادِهِ وَإِسْعَافِهِ . وَفِي خُصَائِصِ أَوْصَافِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَتَبَجَّيَاهُ الَّتِي هِيَ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مُسْتَدِيمَةٌ ؛ مَا يُغْنِي عَنِ تَشَدُّدِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَاللَّهِ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ جَعَلَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب به للأ مير «يلبغا الكامل» بعد نيابته بحبّ وحمّاة، من إنشاء المقرّ الشهابيّ بن فضل الله، وهي :

الحمد لله مُجْرِي الأقدار، برفعة الأقدار، ومُثْرِي آمالٍ مَنْ حَسَنَتْ له في خدمتنا الآثار، بمواهب العطايا والإيثار، ومُثْرِي عُروسِ نِعَمِ أوليائنا التي رَعَى عَهْدَهَا عِهَادُ سُحْبِ جُودِنَا الغزار؛ جَاعِلِ أَصْفِيَاءِ مَمْلَكَتِنَا الشريفة كُلِّ حِينٍ في آزدياد، وما نَجِ الخَلصِينَ في خدمتنا مَزِيدَ الإسعاف والإسعاد، وفاقح أبواب التأييد بسيوف أنصارنا التي لا تَهْجَعُ في الأعمّاد .

نحمده على مواهب نَصْرِهِ، ونشكّره على إدراك المأرب من جوده الذي يَعِجْزُ لسانُ القَلَمِ عن حَصْرِهِ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تؤيد قائلها في موافقه، وتجمع له من خير الدنيا بين تالده وطأرفه؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هدى الله به هذه الأمة من الضلال، وفضّل به المجاهدين حيث جعل الجنة تحت ما لسيوفهم من ظلال . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا انفصام لعروتها ولا انفصال، ولا انقضاء لأسبابها ولا زوال؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد، فإن أولى من أنتدب لحفظ ممالك الإسلام، وأئمن على صونها بعزمه الذي لا يسأم ولا يسام؛ وأُسند إليه من أمور الرعايا بأجلّ الممالك ما يقضى بمزيد التكريم، وأعتمد على صيانتته وديانته لما شهد الاختبار بأنه أهل للتقديم؛ وجرّبت الدول مخالصته، وتحقق آهتامه الذي بلغه من العزّ غايته؛ وأثنت على حسن سيرته وسيرته سوابق خدمه، وشكّر آهتامه في المخالصة التي أعربت عن عزمه؛ ففاق أشباها وأنظارا، وكفلّ الممالك الشريفة الحليّة والحمويّة فأيدها أعوانا وأنصارا؛

وبسط فيها من العدل والإنصاف ما أعلی له شأنًا ورفع له مقدارًا ، وسلك فيها
مسلكًا شرف أسماء وشرف أبصارا .

ولما كان المقر الكريم (إلى آخره) هو صاحب هذه المناقب ، وفارس هذه
المقائب ، ونير هذه الكواكب ، كم أهبج النفوس بماله من عزيم مشكور ، وكرم
مأنور ، ووصف بالجميل موقور .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازال لسيف أوليائه مرهفًا ، ولا برح لأخصائه
مسعدًا ومسعفًا - أن تفوض إلى المشار إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ،
على أجمل عوائد من تقدمه في ذلك وأكل قواعده . فليتناول هذا التقليد الشريف
بيد لم يزل لها في الولاء الباع المديد الطويل ، ويتلق هذا الإحسان بالشكر الذي هو
بدوام النعمة خير كفيلا ، ويضاعف ما هو عليه من اهتمام لم يزل منه مألوفًا ، وأعتام
إذا لاقى غيره مهمًا واحدًا لاقى هو ألوفًا ، ويمعن النظر في مصالح هذه المملكة
الشامية المحروسة ، ويعتمد من حسن تديره ما تغدور ربوعها بحسن ملاحظته
عامرة مانوسة . وهو يعلم أن العدل من شيم دولتنا الشريفة ، وسجية أيامنا التي هي على
هام الجوزاء منيفه ، فليسلك سننه ، ويتبع فرضه وسننه ، ويعلم أن عدل سنة خير
من عبادة ستين سنه ، ولينشر على الرعايا ملائسه الحسنه ، ويعظم الشرع الشريف
وحكامه ، ويعين الإقطاعات لمن يستحقها من الأيتام أو يوجب الاستحقاق
إكرامه ، والله تعالى يجعل السعد خلفه وأمامه ، ويؤيده تأييدًا يبلغه مراده من
النصر ومرامه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام :

الحمد لله الذي طَهَرَ الشَّامَ وَقَدَّسَهُ ، وَصَانَهُ وَحَرَسَهُ ، وجعل لسلطاننا فيه قواعدَ
بالنَّصْرِ مُؤَسَّسَهُ ، وَأَنْوَاراً لِلْهُدَى مُقْتَبَسَهُ ، وَكَفَلَهُ بِنِ إِذَا صَفَّ لَهُ الْعُدُوَّ أَفْتَرَسَهُ ،
وَأَذَلَّهُ وَأَرْكَسَهُ ، وَأَرْغَمَ مَعْطَسَهُ ، وَقَطَفَ بَسِيفِهِ أَرْؤُسَهُ ، وَمَنْ يُعْطَى النَّصْرَ إِذَا أَمْتَطَى
فَرَسَهُ ، وَمَنْ كَرَّمَ اللهُ نَفْسَهُ ، وَكَثَّرَ أُنْسَهُ ، وَعَطَّرَ نَفْسَهُ ، وَمَنْ يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ
وَيَبْلِغُ السَّائِلَ مُلْتَمَسَهُ ، وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبَ الْعِفَافِ وَالتَّقَى فَكَانَ خَيْرَ ثَوْبٍ لَيْسَهُ .

نجمه على أَصْلِ جُودٍ غَرَسَهُ ، وَعَارِضِ سَوْءٍ حَبَسَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَزَالَتِ الشَّرْكَ وَحَمَّتْ نَجْسَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ مَجْدَ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
الَّذِي أَنْبَعَ اللهُ مِنْ أَصَابِعِهِ عَيْنًا مُنْبَجِسَهُ ، وَأَخْضَرَ الْعُودَ الْيَابِسَ لَمَّا لَمَسَهُ ، وَأَضْعَفَ
الْوَسَاوِسَ الْمُخْتَلَسَهُ ، وَأَنْتَرَعَ الْحَقَّ مِنْ بَحْسِهِ ، وَجَاهَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَمَّا وُلِدَ
فَمَا نَحَسَهُ ، وَنَوَّرَ الْقَلْبَ الَّذِي خِيمَ عَلَيْهِ الضَّلَالُ وَطَمَسَهُ ، وَكَانَ الشَّرْكَ قَدْ أَنْبَتَ
فِي الْأَرْضِ فَطَوَاهُ دِينُهُ وَكَبَسَهُ ، وَجَاهَهُ وَدَرَسَهُ ، وَجَاءَ بِالْقُرْآنِ فَطُوبَى لِمَنْ تَلَاهُ
وَدَرَسَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه ما أَوْجَحَ اللهُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَغَمَسَهُ ، وَمَيَّزَ بِنِصْفِ الْعَدَدِ مِنْ
الثَّلَاثِ سُدُسَهُ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد ، فَإِنَّ الشَّامَ هُوَ عِقْدُ النَّظَامِ ، وَأَجَلُ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَمَعْدِنُ النَّصْرِ
الَّذِي بَرُوقُهُ شَمَامٌ ، وَمُسْتَقَرُّ الْبَرَكَاتِ الْوَسَامِ ، وَعَسْكَرُهُ أَفْضَلُ عَسْكَرٍ فِي حَسَنِ
الْإِعْتِرَاءِ وَالْإِعْتِرَامِ ، لَا يَرْهَبُونَ الْحِمَامَ ، وَيَخْضُونَ لِحُجِّ الْمُنُونِ بِالْحُسَامِ ؛ وَنِيَابَةُ
السلطنة الشريفة به من أَجَلِّ النِّيَابَاتِ مَقْدَارًا ، وَأَكْرَمِهَا آثَارًا ، وَأَعَزَّهَا أَنْصَارًا ؛

إذ هو تلقاء أو امرنا الشريفة المنطوية عليها أسرار البريد، ومن عنده نتفرع المهمات
 للقريب والبعيد، وعنه يصدر البريد، وإليه يرد بكل ثناء جديد، ومنه يأتي
 إلى مسامعنا الشريفة بما نريد، فلا يحل دار سعادتها إلا من هو منصور سعيد،
 وذو رأي سديد، وحزم حديد، وقد اخترنا لها بحمد الله كفاها المعيد.

ولما كان فلان هو الضاري على العدا، وألغيت المتوالي الندى، والهمام الذي
 جرد سيف عزمه أبدا فلا يرى مغمدا، وأتصف بحسن الصفات فما ساد سدى؛
 قد تجلت الممالك بأرائه ورآياته، وثباته وثباته، وروض تديره وطيب نباته،
 وحسن آتماده في خدمة ملكنا الشريف ومهوماته؛ إن ذكرت الموالاتة الصادقة
 كان راوي مسندها، وحاوي جيدها، والآوي إلى ظلها المديد وطيب موردها؛
 وإن ذكرت الشجاعة كان زعيم كتابها، ومظهر عجائبها، وليث مضاربيها، ومجرد
 قواضيهما، وفارس جنائبيها، ومطلب أطلابها ومنجح مطالبها، ومجلى غياهمها -
 أقتضى حسن الرأي الشريف أن يعقد عليه لواء الاحتشام، في الشام؛ وأن يخص
 بالبركات، المخصصة من الدركات.

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام
 المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، وأن يكون داخلا في نيابته الشريفة ما هو
 مضاف إلى الشام المحروس: من ممالك وقلاع، ومدن وضياح، وتغور ومواني،
 وسواحل في أقاص وأداني؛ تفويضا أسقت درره، وأشرقت غره، وتليت
 آياته وسوره.

فليهد بالعدل أكناف البلاد، ولينظر بعين الرعاية والسداد؛ وليتشر لواء
 الإنصاف، لتكون الأمة تحت ظله الصافي وإليه الحق مضاف. وليد الأرزاق

من الأخلاف ، وليأمر بإقامة الحدود على شارب السُّلَاف ، وعلى السارقين بالقطع من خِلاف ؛ وليستترهف عزائم العساكر المنصورة في القتال والجهاد ، وليأخذهم بحسن الاستعداد ، وليعرف للأمراء منازلهم : فإنهم أركان وأعضاء ، وأنصار وأجناد ، وأولياء دولتنا الشريفة المأحون للفساد ، ومن نتجمل بهم المواقب وتنفطر بهم للعدا الأجداد ؛ والله الله في الشَّرْع الشريف وإقامة مناره ، وتنفيذ كلمة أحكامه وإزالة أعداره ؛ والتقوى فهي أفضل شعاره ، وقرة أبصاره ؛ والوصايا فمنه يُشْرِقُ هلالها إلى أن يتم في إبداره ، ويتكلم بأنواره ، وهو غني عن إكثاره .
نخذ تقليدنا هذا باليمين ، وألبس من هذا التفويض الملبس الأسنى الثمين ؛ وأخبار البريد المنصور فلا تقطعها عنا ، فمنه إلينا ترد أخبار البريد وإليه ترد المهمات منا ، والله تعالى يخوله كل يوم من إحساننا في الزيادة والحسن ؛ وانلخط الشريف أعلاه .

الطبقة الثانية

(من يكتب له تقليد شريف في قطع النصف بـ «المجلس العالى»

وهو الوزير من أرباب السيوف ، وهو بالملكة الشامية

على حد الوزير بالديار المصرية)

وهذه نسخة مرسوم من ذلك :

الحمد لله مُسَدِّ سَهامِ الأختيار ، ومُسَيِّرِ الأولياء إلى منازل العُلَيا مَسِيرِ الأهلَّةِ إلى منازل الإبدار ؛ الذى جَدَدَ نِعْمًا ، وعددَ كَرَمًا ، وعلمَ مَوَاقِعَ الأضرار ، إلى مَوَاقِعِ الأوزار ، فأرسل إليها من تستهل آراؤه ديمًا .

نحمده حمدا كثيرا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبًا ولا وزيرًا ؛ ونصلى على سيدنا محمد الذى عمر الله به البلاد تعميرا ، وأحسن بالعدل

تقريرا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ظاهروه بالسيوف والأقلام كاتباً
وأميراً ، صلاةً لا ينقطع توالياً ، ولا تزال الآفاق نَتْنَا قَلْهَا وتَسْتَهْدِيهَا .

وبعد ، فإنَّ أولى من عَظُم شأنه ، وكرَم مكانه ، وثبت إماكنه ، وأُنبت في منابت
الرماح قلمه الذى هو ترجمانه ، وبُسِطَتْ في تشييد الممالك يده وأُطلق لِسَانُه - من
كان علامة العلم ، وغداً بالنشاط في كِبَرِهِ قِيَّ السَّنَّ كَهَلِ الحِلْمِ ؛ الذى فاق جلالته
وتَسَبَّأ ، وأسْتَعْلَى هِمَّةً وأدباً ، وعُرف بالديانة التى طار صيتها فى الآفاق شرقاً
ومغرباً ، والهِمَّةِ التى سواء عليها أَحْمَلت قلماً أم أنتضت قُضْباً .

ولما كنت أيتها المجلس الفلانى - أدام الله تأييدك ، وتسديدك وتمهيدك ؛
وكبت حَسُودَكَ ، وضاعف صُعُودَكَ - أنت المعنى بهذه المآثر ، المنضدة عليك
هذه الجواهر ، الداللة على مناقبك هذه المفانح ؛ الذى وجدناك على الانتقاد تزيد
أستخلاصاً ، وتعدو على السبك خلاصاً .

فلذلك نخرج الأمر الشريف أن تُوزَّر ، ونُجْمَى موارد آرائك لتُسْتَغزَّر ؛ ويكون
لك الحكم فى المملكة الشامية عموماً ، وتُتَصَرَّف فى معاملاتها مجهولاً ومعلومياً ؛ على
أكل قواعد الوزراء وأئمتها ، وأجملها وأعمتها ؛ متصراً فى الكثير والقليل ، والحقير
والجليل ؛ تغزل وتوتل من شيت ، وتكنفى وتستنكنفى من أرتضيت . ونحن نوصيك
بالرفق الذى هو أخلق ، والعدل الذى تُسْتَدِرُّ به سُحْبُ الأموال وتُسْتَعْدَق ؛ والحق
فإن كل القضايا به تتعلق ، ويمن السياسة فإن الرياسة بها تكمل وتُعدَّق ؛ وإياك
والغرض الذى هو يهوى بصاحبه ، ويرديه فى عواقبه ؛ وأتق الله الذى لا تتم
الصلحات إلا بتقواه ، وأحذر أن تكون مع من ضلَّ سبيله وأتبع هواه ؛ والله تعالى
يُجِجُ رجاءك ويوضح منهجك ، ويعلى درجك ، ويلقنك إذا خاصت وأختصمت
مُحْجَجَك ؛ إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثالثة

(من يُكْتَبُ له مرسومٌ شريفٌ ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يُكْتَبُ له في قطع النصف وهو نائب قلعة دمشق)

إن كان مقدّم ألف كما كان أولاً ، كتب له بـ «المجلس العالی» . أو طبلخاناه كما هو الآن ، كتب له بـ «السامی» بغير ياء . وبالجملة فإنه يكتب له مفتحا بـ «الحمد لله» .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دمشق المحروسة ، من إنشاء المقر الشهابي ابن فضل الله رحمه الله ، وهي :

الحمد لله مشرف القلاع ، ومصرف رجالها في الامتناع ، ومعرف من جادها أن الشمس عالية الارتفاع .

نحمده حمداً يسف الأسماع ، ويشرف الإجماع ، وتخلق في صعوده الملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجوها لما بقي من قلاع الكفر الاقتلاع ، واستعادة ما قرّم معهم من قري وضاع من ضياع ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي حمى به درة الإسلام من الارتضاع ، وصان به حوزة الحق أن تضاع ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائماً ما أسبل لليل ذيل وأمتد للشمس شعاع ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن للخصون حواضركم للبلاد ، وحواضن تضم بقاياها ضم الأمهات للأولاد ؛ ومعاقل يرجع إليها إذا نابت النوب الشداد ، ومعاقد يعتصم من منعها بجبال ويمسك بأطواد ؛ وقلعة دمشق المحروسة هي التي تفتخر بقايا القلاع بالاتصال

بَسْبِهَا ، وَالتَّمَسُّكُ فِي الشَّدَائِدِ بِذَيْلِ حَسْبِهَا ؛ لَا يَهْتَدِي فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ إِلَّا بِمَنَارِهَا ،
وَلَا يَقْتَدِي فِي التَّسْلِيمِ وَالْإِمْتِنَاعِ إِلَّا بِأَنَارِهَا ، وَلَا يُسْتَقَى إِلَّا بِمَا يَفِيضُ عَلَى السُّحْبِ
مِنْ فَيْضِ أَمْطَارِهَا ؛ قَدْ تَرَجَّلَتْ لِتَبَارِزِ ، وَتَقَدَّمتْ لِتَنَاهِزِ ، وَدَلَّتْ بِقَوَاهِهَا فَمَا
أَحْتَجَبَتْ مِنْ سُجُوفِ الْجَبَلِ بِجِجَابٍ وَلَا أَحْتَجَزَتْ مِنَ الْغَمَامِ بِحَاجِزٍ ؛ بَلْ أَلْقَتْ إِلَى
قَرَارِ الْمَاءِ حَمْلَهَا ، وَأَثَبَتْ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رَجْلَهَا ؛ وَكَشَفَتْ لِلْحَرْبِ الْعَوَانَ
قِنَاعَهَا ، وَأَشَعَلَتْ أُنْيُنَهَا مِنَ الذَّهَبِ شُعَاعَهَا ، وَأَشْغَلَتْ أُنْيُنَهَا الْبُرُوقَ أَنْ تَطَاوَلَ
بَاعَهَا ، أَوْ تَحَاوَلَ أَرْتِفَاعَهَا ؛ قَدْ جَاوَرَتْ قَبْتَهَا الزَّرْفَاءُ أَخْتَهَا السَّمَاءَ ، وَجَاوَزَتْ بُرُوجَهَا
مِنْطَقَةَ الْبُرُوجِ اعْتِلَاءً ؛ وَهِيَ مَعْقِلُ الْإِسْلَامِ يَوْمَ فَرَعِهِمْ ، وَأَمْنٌ قُلُوبِهِمْ أَعَاذَهَا
اللَّهُ مِنْ جَزَعِهِمْ ؛ وَقَدْ نَزَلَ الْعُدُوُّ عَلَيْهَا وَنَازَلَهَا زَمَانًا يُجْمَعُ عَلَيْهِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ،
وَأَقْدَمُوا وَتَقَدَّمُوا وَهُمْ مُتَأَخَّرُونَ ؛ وَطَاوَلُوهَا فَكَانَتْ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ ، وَنَكَالًا لِمَا
خَلَقَهُمْ وَمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ ؛ وَثَبَّتَ اللَّهُ بِهَا أَفْدَامَ بَقِيَّةِ الْقَلَاعِ ، وَقَوَّى بِعَزَائِمِهَا إِنْدَامَ مَنْ فِيهَا
عَلَى الْإِمْتِنَاعِ ؛ وَقَلْعَةَ الْجَبَلِ الْحَرُوسَةَ وَإِيَّاهَا كَالْأَخْتَيْنِ ، وَهِيَ لَهَا ثَانِيَةٌ أَثْنَيْنِ ؛
وَكَانَتْهُمَا لِكُرْسَى مُلْكَا الشَّرِيفِ مَنْزِلٌ سَعِيدٌ ، وَمَتَنَزَّهُ يَوْمُ صَفِيحِ الْأَفْلَاكِ لَوْ تَرَاعَى
إِلَيْهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

فَلَمَّا رَسَمْنَا بِتَقْلِ مِنْ كَانَ فِي النِّيَابَةِ الشَّرِيفَةِ بِهَا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ،
وَقَدَّمَاهُ أَمَامَهَا كَمَا يَهْتَرِي قَادِمَةَ الرِّيحِ السَّنَانِ ؛ وَأَتَّخَذْنَا مِنْ بُرُوقِ عَزَائِمِهِ لِبَعْضِ
تُعُورِهَا الضَّاحِكَةِ شَدْبَا ، وَمِنْ هَمِيمَةِ الْمُتَّصِلَةِ الْمَدِيدِ بِهَا مَا تَمُدُّ مِنْهَا إِلَى سَمَائِهَا سَبَابًا -
أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُوَلِّ فِي أَمْرِهَا الْمُهْمَ ، وَبَرَّهَا الَّذِي بِهِ مَصَالِحُ كَثِيرٍ مِنْ
مَمَالِكَا الشَّرِيفَةِ تَمَّ ؛ وَوَحَلَّى مَشَارِفَهَا بِمَنْ تَضَاحِكُ الْبُرُوقِ سَيُوفُهُ فِي لَيْلٍ كُلِّ نَقْعٍ
مُدْلَمَةٍ ، وَنَجَّى حَمَاهَا بِرَجْلِ تَمْنَعٍ مَهَابَتِهِ حَتَّى عَنْ تَقْلِ الْأَسْنَةِ (؟) طَارِقِ الطَّيْفِ
أَنْ يُلِمَّ ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا تَرْتَعِزُ لَهُ دُرًّا ، وَلَا يُنَاخُ لِإِدَارَةِ سَيْلِهِ فِي دُرًّا ، وَلَا يَقْدِرُ مَعَهُ

الأسدُ أن يبيتَ حولَ غايِهِ مُصِحِرًا ، ولا الطيرُ أن يُحلقَ إليه إلا ما يحبُّ بجناحِهِ على الثرى ، ولا أدبَحَتْ إليه زُمُرُ الكواكبِ إلا تقاعستْ فلا تَسْتَطِيعُ السرى .

وكان فلانٌ هو حامِي هذا الحِمَى ، ومَانِع ما يَحُلُو في الثغور من مَوَارِدِ اللَّيْلِ ، وغَيُورَ الحِمَى فلا تَبْرُزُ له إلا من عَقَائِلِ المَعَاقِلِ قاصراتُ الطَّرْفِ كَالدَّمَى ، وحَافِظَ ما أَسْتُوذِعَ من مَصُونٍ ، وأَسْتُجِيعَ من حُصُونٍ ، وأَسْتَجْهَرَ من مَوَارِدِ تَرِدُهَا من زَرَدِ الدروعِ عيونٍ ، ويفرِّقُ منها المِجَانِيقَ سَحَابٍ مُمِطِرَةٌ بالمُنُونِ ؛ فَصَمَّ رأينا الشريفُ على آخِيَارِهِ لِيُوقِلَ صَهْوَةَ هذا الجوادِ ، وَيُوفِّي ما يَجبُ لهذِهِ العَقِيلَةَ من مَرْتَمِقِ لِحْظٍ ومَرْتَمِي فؤادٍ ، ويبحثُ من الشغفِ بها عن أملٍ أملٍ أو مرادٍ مرادٍ ، ويُعْجَبُ من عَقيلَتِهَا المصنونة أن أبراجها تَتَبَرَّجُ وما لِنُعْمَاها إِنْعامٌ ولا لِسَعَادِهَا إِسعادٌ .

فرسم بالأمر الشريف العالی المَوْلَوِيَّ ، السُّلْطَانِيَّ ، المَلِكِيَّ ، الفلانيَّ - أعلاه الله وشرقه ، وأدام في الأرضِ وَمَنْ عَلَيْهَا تَصَرُّفَهُ - أن تفوض إليه النيابة بقَلْعَةِ دِمَشْقِ المحروسة : على عادة من تَقَدَّمَهُ وَقَاعِدَتِهِ ، ومُقَارَبَتِهِ ومُبَاعَدَتِهِ ، وَتَحْيِيهِ ومُساعدَتِهِ ؛ وكل ما جرت به العوائدُ في رجائِها ورجالِها ، وما لها وما لها ؛ وهذه نيابةٌ شريفةٌ ، وسَخَابَةٌ مُطِيفَةٌ ؛ ونعمةٌ تُقَابِلُ بَرَايَتِهَا ، وتُكْتَمُ نَوَاحِيهَا بِإِذَاعَتِهَا ؛ وتَقْوِي اللهُ حَلِيَةَ عَنقِهَا ، وحِلَّةَ أَفْقِهَا ، ومَجْرَى المَجْرَةِ إِجْلالًا في طُرُقِهَا .

فعليك بحفظها لَيْلاً ونهاراً ، وَتَفَقُّدِ أحوالِ مَنْ فيها سِرًّا وجِهَارًا ؛ وَفَتْحِ بابِهَا وغَلْقِهَا مع الشمسِ ، وَتَصَفُّحِ ما بها من لِبْسٍ ، وَتَتَبُّعِ أسبابِهَا كما في النفسِ ؛ وَالتَّصَدِّيِّ مِلْلازِمَةَ الخِدمةِ الشريفةِ في أبوابِنا العالِيَةِ بِبابِهَا ، والأخْذِ في أدواتِ حِفْظِهَا بِجامعِ أطرافِها دون التمسكِ بأهدابِها ؛ وَالتَّجَسُّسِ على مَنْ يَلُمُّ فيها جَفَنَهُ بَكَرَى وما أثقله منامًا ،

والإزام كُلِّ واحدٍ بما يلزمه من الوظائف في ليله ونهاره ، وإدلاجه وابتكاره ،
ومن عليه في هذا المعقل إشراف من شرفاته أو تسور على أسواره ، وإظهار الرَّجْحِ
والصَّيْتِ والسَّمْعَةِ بِالْأَهْتَامِ في كُلِّ لَيْلَةٍ بِزَفَافِ عُرُوسِهَا ، وَضَرْبِ الْحَرَسِ لِنَوَاقِيسِهَا ،
وَالإِعْلَانِ لَصَبَاحِ الْخَيْرِ لَنَا في صُبْحَاتِهَا وَالدَّعَاءِ الصَّالِحِ في تَغْلِيصِهَا ، وَصِيَانَةِ مَا فِيهَا مِنْ
حَوَاصِلِ ، أَوْ يَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ وَاصِلٍ ؛ وَمَا فِيهَا مِنْ ذَخَائِرٍ ، وَمَا فِي خَزَائِنِهَا الْعَالِيَةِ مِنْ
مَدَدِ الْبَحْرِ الرَّائِحِ ؛ وَمَا تَشْتَمَلُ عَلَيْهِ دَارُ الضَّرْبِ مِنْ أَمْوَالٍ تُضْرَبُ لِلْهَبَاتِ بِرَسْمِنَا ،
وَأَمْوَالِ النَّاسِ [التي] حُمِلَتْ إِلَيْهَا لِنُشْرِفَ تَقْوِدُهَا بِاسْمِنَا ؛ وَخَزَائِنِ السِّلَاحِ الْمَنْصُورَةِ
وَمَا يُسْتَكْتَرُ فِيهَا مِنْ عَدَدٍ ، وَمَا يُسْتَغْزَرُ مِنْ مَدَدٍ ، وَالْمَجَانِيقِ الَّتِي تَحْطَرُّ مِنْهَا كُلُّ
خَطَّارَةٍ كَالْفَنِيْقِ ، وَتَصْعَدُ وَمَرْمَاهَا إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا تَحْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ
فِي مَكَانٍ سَخِيْقٍ ؛ سَائِلَةَ عَقَارِهَا ، آفِلَةَ بِالْأَعْمَارِ كَوَاكِبِهَا ، وَالْحُدُوجِ وَالْقِسِيِّ
وَالرَّايَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سِلَاحٍ ، أَوْ دُرُوعٍ تَرُدُّ السَّهْمَ عَلَى أَعْقَابِهَا وَتَحْنِي قَامَاتِ
الْعَوَالِيِ وَتُضَيِّقُ صُدُورَ الصَّفَاحِ . وَالْبَحْرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الْمَحْرُوسَةِ
مِنْ نَجْمِ آفَاقِهَا ، وَغُيُومِ إِرْعَادِهَا وَإِبْرَاقِهَا ، وَدِيَمِهَا إِذَا أُسْبِلَتِ الْمَسَالِمَةُ ذُبُوبَهَا وَأَعْوَانِهَا
إِذَا شَمَرَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا . وَبَقِيَّةُ الْمُسْتَخْدَمِينَ وَأَرْبَابِ الصَّنَائِعِ الَّذِينَ هُمْ عِمَارَةُ
أَوْطَانِهَا ، وَأَمَارَةُ الْعِنَايَةِ بِهَا مِنْ سُلْطَانِهَا ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ مَذْخُورٌ لِمَنْفَعِ الْإِسْلَامِ ،
وَمَا رِيَسَ السَّهْمُ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يُرْمَى وَلَا طَبِيعَ السَّيْفِ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ بَارِقَةٍ يُسَامُ ؛
فَاحْفَظْ لِأَوْقَاتِهَا تِلْكَ الْمَوَادِّ الْمَذْخُورَةَ ، وَالْحِظْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ فَإِنَّهُمْ ظَهَرُ الْعَسَاكِرِ
الْمَنْصُورَةِ ؛ وَخُذْ بَقُلُوبِهِمْ وَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ ، وَاجْمَعْ عَلَى طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ
مُتَّفَرِّقَهُمْ وَأَكْرِمْ فَرِيْقَهُمْ ؛ وَمَنْهُمْ الْمَالِيكُ السُّلْطَانِيَّةُ وَهُمْ إِخْوَانُكَ فِي وِلَايَتِنَا ، وَالَّذِينَ
تَشْرِكُهُمْ فِي الْآلِيَانِ ؛ وَبِالْبَعْغِ فِي حِفْظِ الْمُعْتَقَلِينَ فِي سُجُونِهَا ، وَلَفْظِ الْمُعْتَقِدِينَ خِلَافًا
فِي مَكْنُونِهَا ؛ وَنَحْنُ نُعِيدُهَا بِاللَّهِ إِنْ نَقُولُ : تَفَقَّدَهَا بِالْتَرْمِيمِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَلِكِنَّا نَأْمُرُكَ

أن نتعهد بها نتعهد من الزين الملاح ؛ ولك من معاودة من في ذلك الإقليم ،
من لك برأيه طريق مستقيم ؛ ومن تراجع في أشكل عليك من الأمور ، وتجد به
في طاعتنا الشريفة نورا على نور ، وأتبع مرآتنا المطاعة فهي شفاء لك في الصدور ؛
والوصايا كثيرة ، والله تعالى يجعلك على بصيره ، ويتولأك بما فيه حسن السيره ،
وصلاح السيره ؛ والاعتماد



وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دمشق المحروسة ، كتبت بها الحسام
الدين «لاجين الإبراهيمي» من إنشاء الشريف شهاب الدين ، رحمه الله ، وهي :
الحمد لله الذي صان الحصون بانتضاء الحسام ، وزان الملك بارتضاء ذوى
اليقظة من الأولياء والأهتام ، وأبان سبيل السعادة لمن أحسن بفروض الطاعة
وأجمل القيام .

نحمده على أن جعل نعمنا لأصفيائنا وأفرة الأقسام ، ونشكره على أن أقبل عليهم
بأوجه إقبالنا الوسام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لعقود
إخلاصها آتتظام ، ولسعود آختصاصها آلتنام ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي منحه الإجلال والإعظام ، ومدحه بالإفضال والإكرام ، ورجحه بمزايا الفضل
على جميع الأنام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بدور التمام ، ورضى عن أصحابه
الذين لهم صدق الاعترام ، صلاة ورضوانا لها تجديد ومزيد وتأييد ودوام ؛ وسلم
تسايما كثيرا .

وبعد : فإن آلاءنا لا تزال تختار الأكفاء ، وآراءنا لا تبرح تمنح ذوى المناصحة
الإصفاء ، ونعائنا نديم للملايس إجلالها على أولى الخدم الإفاضة والإضفاء ، وتقى
بوعود جودها لمن أدام لمناهج المخالصة الأفتاء .

ولما كان فلان هو الذى عُرفَ له في مهماتنا خِدمَ سالفه ، وألقت منه همّةٌ
عليه خصته بكل عارفه ، وحوّلتاه نعمنا الواكفه ، وأهلناه لاستحفاظ الحصون
فساعده توفّر التوفيق وساعفه ، ونقلناه في الممالك فسار سيرة حميدة أقتضت لمواهبنا
لديه المضاعفه - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن نرفع محله بأعز القلاع ، ونطّلعَه
بأفنى سعدها أيمن إطلاع ، ونندبه لضبطها فيحسن له فيها الاستقرار ويحمد منها له
الاستيداع .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت صدقاته تُحقق الأطماع ، وهباته تُفيض
ملايسها التي ليس لها أنتراع - أن يستقر في نيابة قلعة دمشق

فليأمر النيابة بالقلعة المذكورة بأذلا الاجتهاد ، مؤاصلا للعزم والسداد ، عاملا
بالحزم في كل إصدار وإيراد ، كافلا منها بحسن الاعتماد ؛ حافظا حواصلها من
الضياع ، مقررا أحوالها على أجهل الأوضاع ؛ وليأخذ رجالها بالالتفاف على الخدمة
والاجتماع ، وليحرضهم على المبادرة إلى المراسيم والإسراع ؛ وليطالع من أمورها
بما يتعين عليه لأبوابنا العالية فيه المطالعة ويحب لعلومنا الشريفة عليه الأطلاع ،
وليراجع كافل الممالك الشامية بما جعلنا لآرائه فيه الإرجاع ؛ وليكن له إلى إشارته
إصغاء واستماع ، وإلى سبيل هديه آفتناء وتباع ؛ وليقف عند ما يتقدم به إليه
فبذلك يحصل له الرشد والانتفاع ، والله تعالى يحدد عليه سوايغ نعمنا التي جادت
بأجناس وأنواع ؛ ويجرد في نصرتنا حسامه الذى من بأسه الأعداء ترهب وترتاع ،
ويديم له ولجميع الأولياء من صدقات دولتنا الشريفة الإمتاع ؛ والخط الشريف
أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية نائب قلعة أوردها في "التعريف" :

وعليه بحفظ هذه القلعة التي رُفَّت إليه عقيلتها المُنَمَّعة ، وجايت عليه سافرة ودوتها
 السماء بالسحب مُنَمَّعة ؛ وسُئمت إليه مَقَاتِيحُهَا ، وخواتيم الثريا أفعال ، وأوقدت له
 مَصَايِحُهَا ، وفتائل البروق لا تُسبُّ لِقَفَال . فليبدأ بجماعة ما دعت الحاجة إليه من
 تجسيد أبنيتها ، وتشديد أقيبتها ؛ وشد عقودها ، وعد ما لا يحصى [في الذخائر] من ^(١)
 نقودها ؛ [وتنبه أعين رجالها والكواكب قد همت برقودها] ، ^(٢) والأخذ بقلوب من
 فيها ، وتدارك بقية ذماتهم وتلافيها ؛ وجمعهم على الطاعة ، وبذر الإحسان فيهم
 إذا عرف أرضاً تركوا فيها الزراعة ، والتأدي لهم : فرب رجال تجزى عن عدة سنين
 في ساعه ؛ وتخصين هذا الحصن المنيع بما يدخر في حواصله ، ويستمد بجماعة البلاد
 المختصة به من وأصله ؛ وما يكون به من الجانيق التي لا ترقى عقاربها ، ولا توقي
 منها أقاربها ؛ ولا ترد لها مضارب ، ولا يكف من زباني زبانياتها كل ضارب ؛
 ولا يخطئ سهمها ، ولا يخفى بين النجوم نجمها ؛ ولا يعرف ما في صندوقها [المقل] ،
 من البلاء المرسل ، ولا ما في نخبها المشمر الساق من النشاط الذي لا يكسل ؛
 وغيرها من الرايات التي في غيرها لا تسد ، ولسوى خيرها لا تعقد ، وما يرمى فيها
 من السهام التي تشق قلب الصخر ، وتبكي حنساء كل فاقدة على صخر ؛ وكذلك قسي
 اليد التي لا يدبها ولا قبل ، وكنايب السهام التي كم أصبح رجل وبه منها مثل
 الجبل ؛ وما يضان من اللبوس ، ^(٣) ويعد للنعيم والبوس ؛ وما يمد من الستائر التي

(١) الذي في "التعريف" «وقناديل» .

(٢) الزيادة من "التعريف" (ص ٩٥) .

(٣) في "التعريف" «من العدد والعدد واللبوس» .

هي أسوارُ الأسوار ، ولِعَاصِمِ عَقَائِلِ المَعَاقِلِ مِنْهَا حَلِي سِوَى كُلِّ سِوَارٍ ؛ وَهِيَ الَّتِي
تُلَاثُ لُثْمَهَا عَلَى مَبَاسِمِ الشَّرَفَاتِ ، وَتُضْرَبُ حُجْبَهَا عَلَى أَعَالِي الغُرَفَاتِ ؛ وَسِوَى هَذَا
مِمَّا تَعْتَصِمُ بِهِ شِوَاخِ القِلَالِ ، وَيَتَّبِعُونَ بِهِ مَقَاعِدَ اللِّقَاتِ ؛ فَكُلُّ هَذَا حَصْلُهُ وَحَصْنُهُ ،
وَأَحْسَبُهُ وَحَسَنَهُ ؛ وَأَعَدَّ مِنْهُ فِي الأَمْنِ لِأَوْقَاتِ الشَّدَائِدِ ، وَأَجْرَ فِيهِ عَلَى شَأُونِ تَقَدُّمِ
وَزِدِّ فِي العَوَائِدِ ؛ وَهَكَذَا مَا يَدْتَحِرُّ مِنْ عُدَدِ أَرْبَابِ الصَّنَائِعِ ، وَمَدَدِ التَّحْصِينِ المَعْرُوفِ
بِكَثْرَةِ التَّجَارِبِ فِي الوَقَائِعِ ، وَالْأَزْوَادِ وَالْأَقْوَاتِ ، وَمَا لَا يُزَالُ يُفَكِّرُ فِي تَحْصِيلِهِ لِأَجْلِ
بَعْضِ الأَوْقَاتِ ؛ وَكُنْ مِنْ هَذَا مُسْتَكْتَبًا ، وَلِهَ عَلَى مَا سِوَاهِ مُؤَثِّرًا ؛ حَتَّى لَا تَزَالَ
رِجَالُكَ مُطْمَئِنَّةً الخَوَاطِرِ ، طَيِّبَةً القُلُوبِ مَا عَلَيْهَا إِلَّا السَّحْبُ المَوَاطِرِ ؛ وَأَعْمَلْ بِعَادَةِ
القِلَاعِ فِي خَلْقِ أَبْوَابِ هَذِهِ القَلْعَةِ وَفَتْحِهَا ، وَتَفَقُّدِ مُتَجَدِّدَاتِ أَحْوَالِهَا فِي مَسَاءِ كُلِّ
لَيْلَةٍ وَصُبْحِهَا ؛ وَإِقَامَةِ الحَرَسِ ، وَإِدَامَةِ العَسَسِ ، وَالْحِدَارِ مَنْ لَعَلَّهُ يَكُونُ قَدْ تَسَوَّرَ
أَوْ أَخْتَلَسَ ؛ وَتَعَرَّفَ أَخْبَارَ مَنْ جَاوَرَكَ مِنَ الأَعْدَاءِ حَتَّى لَا تَزَالَ عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَلَا
تَبْرَحَ تُعَدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ مَصِيرَهُ ؛ وَأَقِمِ نُوبَ الحَمَامِ الَّتِي قَدْ لَا تَجِدُ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ سِوَاهِ
رَسُولًا ، وَلَا تَجِدُ غَيْرَهُ مَخْبِرًا وَلَا سِوَاهِ مُسْئِلًا ؛ وَطَالِعِ أَبْوَابَنَا العَالِيَةَ بِالأَخْبَارِ ، وَسَارِعْ
إِلَى مَا يَرِدُ عَلَيْكَ مِنْهَا مِنْ أِبْتِدَاءٍ وَجَوَابٍ ؛ وَصَبِّ فِكْرَكَ كُلَّهُ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا تَتَضَمَّنُهُ
من الصواب .

المرتبة الثانية

(من المراسيم التي تكتب بحاضرة دمشق لأرباب السيوف -

ما يكتب في قطع الثلث ، وفيها وظيفتان)

الأولى - شُدُّ الدواوينِ بِدِمَشْقَ . وَصَاحِبُهَا يُتَخَذُ فِيهَا يَتَخَذُ فِيهَا شَادَ

الدواوين بالديار المصرية ، وقد تقدّم .

وهذه نسخة مرسوم شريف بشتد الدواوين بدمشق :

الحمد لله الذي أرهف لمصالح دولتنا القاهرة من الأولياء ، سيفا ماضيا ، وجرّد
لمهمات خدمتنا الشريفة من الأصفياء ، عضبا يغدو الملك عن تصرفه الجميل راضيا ،
وجتد السعود في أيامنا الزاهرة لمن لا تحتاج هممه في عمارة البلاد المحروسة
مقاضيا .

نحمده على نعمه التي تستغرق المحامد ، وتستوجب الشكر المستأنف على الحامد ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مجاهد لأعدائها ، مجاهر لإعلائها ؛
ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدرا ، وأوهم في الرتبة مكانة وإن كان
آخرهم عصرا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بما أمروا ، وعمروا الدين
قبل الدنيا فلم تتمكن الأيام من [نقض] ما عمروا ؛ صلاة يتأرجح شرها ، ويتبلّج
شورها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من عدى به من مهماتنا الشريفة أعمها نفعاً ، وأحسنها في عمارة
البلاد وقعا ، وأكثرها لخزائن الأموال تحصيلاً وجمعا ، وأجمعها لمصالح الأعمال ،
وأضبطها لحواصل الممالك التي إذا أعد منها جبالا تلا عليها لسان الإنفاق :
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) من زانت عزمه نزاهته ، وكّلت قوته في الحق خبرته
ونباهته ؛ وكان من أولياء دولتنا المعدّين لشد أركانها ، وإشادة بُنيانها ؛ والنهوض
بمصالحتها المتنوعة ، ونشر كلمة عدلها التي تغدو بالأدعية الصالحة مبسوطاً وبالأنثية
العاطرة ممتزوجة .

ولما كان فلان هو الذي أشير إلى محاسنه ، ونبه على إبريز فضله المظهر من
معادنه ؛ مع صرامة تحيف اللبوث ، ونزاهة تبين على عمارة البلاد الغيوث ؛ وخبرة
بإظهار المصالح الخفية وفيه ، وبإبراز معادن الأموال من وجوهها الجلية مليه ؛

وَمَعْرِفَةِ تَعْمُ الْبِلَادَ بَيْنَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَتَجْعَلُ مَثَلًا مَا يُودَعُ فِيهَا بِالْبُرْكَاتِ وَالنِّسَاءِ مَثَلًا
حَبَّةً أَتَتْ سَبْعَ سَنَائِلٍ فِي كُلِّ سُدْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةً - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيذَةَ أَنْ نُنْبِئَهُ
عَلَى حَسَنِ اعْتِنَانِنَا بِأَمْرِهِ ، وَاعْتِمَادِنَا بِمَا قَدَّمَهُ مِنْ أَسْبَابِ إِسْنَاءِ رُبَّتِهِ وَرَفْعَةِ قَدْرِهِ ؛
فَلذَلِكَ رَسْمٌ - زَادَ اللَّهُ فِي عِلَالَتِهِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ

فَلْيَبْشُرْ ذَلِكُمْ مُظْهِرًا مِنْ مَصَالِحِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَا كَانَ فِي ضَمِيرِ كِفَايَتِهِ مَكْنُونًا ،
مُبْرَزًا مِنْ تَثْمِيرِ الْأَمْوَالِ وَتَعْمِيرِ الْأَعْمَالِ مَا يَحْقُقُ بِهِ : مِنْ خِصْبِ الْبِلَادِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ
تَعَالَى مَا كَانَ مَظْنُونًا ؛ مُوَالِيًا إِلَى الْخِزَانِ الْمَعْمُورَةِ مِنْ حُمُولِ تَدْبِيرِهِ مَا يُنْسِي بِهِ طَائِرُ
تَصْرِفِهِ مِيونًا ، وَسَبَبُ تَوْقِفِهِ مَا مَوْنَا . وَلِيَكُنِ النَّظَرُ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ هُوَ الْمِهْمُ الْمَقْدَمُ
لِدَيْهِ ، وَالْأَمْرَ الَّذِي يَتَعَيَّنُ تَوْفُرُ أَهْتَامِهِ عَلَيْهِ ، فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ أَجْمَادًا يَظْهَرُ أَثَرُهُ ،
وَيُجْتَنَى أَسْمُهُ ، وَيُجَمَدُ وَرْدُهُ وَصَدْرُهُ ؛ وَتَتَفَرَّغُ عَنْهُ أَنْوَاعُ الْمَصَالِحِ ، وَتَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ
أَسْبَابُ الْمَدَاحِ ؛ وَمِلَاكُ ذَلِكَ بَسْطُ الْمَعْدِلَةِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ لِلْبِلَادِ مِنْ أَنْ تُمَطَّرَ أَرْبَعِينَ
يَوْمًا ، وَاعْتِمَادُ الرِّفْقِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَهُ الْبَأْسُ قَوْمًا ، وَلَا يُجِيبُ عَلَى فَاعِلِهِ مَعَ الْحَزْمِ
لَوْمًا ، وَلَا يَطْرُدُ عَمَّنْ أَنْزَمَهُ الْعَدْلُ فِي مِهَادِ الدَّعَةِ نَوْمًا ؛ وَلْيُصْرِفْ إِلَى اسْتِجْلَابِ
الْأَمْوَالِ وَمُوَالَاةِ حَمَلِهَا هِمَّةً نَاهِضَةً ، وَعِزْمَةً إِلَى مَاقْرَبٍ وَنَائِيٍّ مِنَ الْمَصَالِحِ رَاكِضَةً ،
وَقُوَّةً بِأَسْبَابِ الْحَزْمِ آخِذَةً وَعَلَى أَعْتِنَةِ التَّدْبِيرِ قَابِضَةً ؛ وَفِيهَا خَبْرَانُهُ مِنْ عِزَائِمِهِ
الْمَشْكُورَةِ ، وَسِيرَتِهِ الَّتِي مَا بَرَحَتْ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ مَشْهُورَةً ؛ مَا يُكْتَفَى بِهِ
عَنِ الْوَصَايَا الْمُوَكَّدَةِ ، وَيُوثَقُ بِهِ فِيمَا عُدِقَ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسَدَّدَةِ ؛ لَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ
تَعَالَى أَوْلَى الْوَصَايَا وَأَوْلَاهَا ، وَأَحَقُّ مَا تَأْتَتْ عَلَيْهِ تَفَاصِيلُهَا وَجَمَلُهَا ؛ فَلْيَقْدَمْ تَقْوَى اللَّهِ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلْهَا الْعُمْدَةَ فِيمَا اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَيْهِ ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ
تَعَالَى أَعْلَاهُ .

الوظيفة الثانية - شد المهّمات . وصاحبها يتحدّث فيما يُطلب للأبواب السلطانية من المستعملات وغيرها . وقد ذكر في "التثقيف" أنّ عادته أن يكون مقدّم ألف .

وهذه نسخة توقيع بشد المهّمات بدمشق ، وهي :

الحمد لله الذي شدّ عمراً المصالح من الأولياء بكل ذي أيدٍ، وكلّ من هو في المهّمات أبطش بعمرٍ من زيد ، ومن له تدبيرٌ كم أغنى باقتناصه لشوارد الأمور عن حباله صيد .

(١) [وبعد] فإن أحق من استخلص لاستخلاص الأموال ، واختير لصونها من الاختلال وحفظها من الاختلال ، وأهل قلمه وكلمه : هذا للتمثيل وهذا للامثال ؛ وفوض إليه التصرف في الترغيب والترهيب ، والاجتهاد في التمييز والتحرير والتوفير إذ كل مجتهد مُصيب - من أشهر بأنه ذو حزم لا يني ، وعزمٍ عن المصالح لا يئني ، واحتفال بالأحوال التي منها نكر لمن يئني وشكر لمن يئني ؛ وله نباهة يدرك بها كل إبهام وكل إبهام ، ويطلع [بها] على فلتات السنة الأفلام ، ويفهم بها مقاصد كل من هو من الحنة في كل وإديهم ، ولا يخفى عليه جرائر الجرائد ولا مخازي المخازيم ؛ وفيه رحمة كم أصبح بها وهو الأني ، ولم يأت قساوة يكون بها هو المُنبت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبق ؛ وكم ساس الأمور ودبرها فأحسن فيها السياسة وأجمل التدبير ، واستخرج [الشيء الكثير] بالتخويف اليسير ؛ حتى جمع حسن تدبير وأسترعا ، وصنع حسناً وأحسن صنعا .

(١) زدنا هذه اللفظة للزومها واستقامة الكلام بها . فتنبه .

ولما كان فلان هو لهذا الأمر الحليل المُستَرعى، وأسمه في أول مدارج التنويه والتنويل خير مُستدعى؛ وفيه من جميل الأوصاف ما يرضى حسن الاقتراح وقد خبر أمور الكتبة، وقد علم من أحوالهم ما هو أحرى لهم بالتجربه؛ وعرف خفايا المعاملات معرفة تامه، وأحاط بجزئيات الجهات وكلياتها إحاطة خاصة وعمه - أقتضى حسن الرأي المنيف، أن رسم بالأمر الشريف - لا يرح يسد عضد كل مهم من الأولياء بأنى كل عزم، ويجعل له سلطاناً لا يكل مصلحة إلى حزم ذى حزم - أن يفوض إليه شد المهام بالشام المحروس .

فليضبط الأمور ضبطاً مستوعباً، وليتصب لذلك انتصاباً مترتباً؛ وليحترز منفداً ومصرفاً، ومسرعا ومستوقفاً؛ ومتى ظهر حق يتمسك به تمسك الغريم، ولا يُحاب فيه ذأ بأس قوى ولا ذأ منهج إلى المنع والدفع غير قويم؛ وما من جهة إلا ولها شروط صوب الصواب، ولا يعتمد على غير الحق منجبا عن ترويح الكتاب؛ وتكن الجمول مسيره، والمتخرجات متوفره؛ وجهات الخاص مقرره؛ إذ الضمان لا ينتظر لهم نظرة إلى ميسره؛ فإنهم سوس المعاملات، وكواسر الجهات؛ ومنهم يحفظ أو يضاع، وبهم يترقى أو ينحط الأرتفاع؛ وجهات المقطعين الواجب له أن يجعل عليها واقية باقيه، وتحم لهم حتى لا يتناول إلى ذروتها امتداد الأيدي المختزلة ولا خطا العدوان الراقية؛ وليصرف وجهه بحفظه إلى مراقبة من في باب الشد من مقدمين ومن رسل يأكلون أموال الناس بالباطل، ويبيعون الآجل بالعاجل؛ ويخيفون العام والخاص، وكل منهم يروم الغناء وهو رقاص .

هذه زبدة من الوصايا مقنعه، وعزومات غنية عن تكثير في القول أو توسعه؛ والله تعالى يكون له ويعينه، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني

(من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع ما يكتب
فيها توافيع ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالی بالياء» مفتتحا بـ «الحمد لله»)

وبذلك يكتب للقضاة الأربعة بحاضرة دمشق .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بدمشق المحروسة ، كُتِبَ به لفاضل
القضاة «بهاء الدين أبي البقاء السبكي» وهي :

الحمد لله الذي أقر أحكام الشرع الشريف ، في أيامنا الزاهرة على أكمل القواعد ،
وأمر مدار الحكم المنيّف ، في دولتنا القاهرة على أجمل العوائد ؛ وأمضى فضّل
القضاء في ممالك الشامية بيد إمام غيّت فضائله عن الشواهد ، وأتمته الأئمة
لأقتباس الفوائد ؛ وعدت أحكام الملة منه مجاهر في الحق مجاهد ، مسدد في الدين
سهم آجتهاد رمي به شاكلة الصواب عن أثبت يد وأشد ساعد .

نحمده على نعمه التي حلت مناصب الدين في ممالك الشريفة بأكفائها ، وعلت
رتب العلم في دولتنا القاهرة باستقرار من جعلته فضائله غاية اختيارها ونهاية
أصطفائها ، ودلت على اعتنائنا بتنفيذ أحكام من أتعبت سيرته الجميلة من سهد
في اتباعها وجهد في اقتنائها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
لا تزال أعلامنا بها تتصّر ، وأيامنا على الجهاد لتكون كالتبها هي العليا تقتصر ،
وأقلامنا لنشر دعوتها في الآفاق تسهب ولا توجز وتطنب ولا تختصر ؛ ونشهد أن
مجد عبده ورسوله أشرف من قضت أمته بالحق فعدلت ، وتلقّت عنه أحكام ملته

فَفَاقَتْ بِذَلِكَ الْأُمَّمَ وَفَضَلَتْ ، وَحَكَمَتْ بِمَا أَرَاهَا اللَّهُ مِنْ شِرْعَتِهِ فَمَا مَالَتْ عَنْ سُنَنِهِ الْقَوِيمِ وَلَا عَدَلَتْ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّهِ فَسَلِمُوا ، وَعَمَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ بِمَا عَلِمُوا ، وَبَدَّلُوا النُّفُوسَ فِي طَاعَتِهِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا أَلْمُوا ؛ صَلَاةٌ تُؤَدِّي بِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الْمُفْتَرَضِ ، وَنُزْغَمُ بِإِقَامَتِهَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وبعد ، فإن أولى من تتقل في رتبته السنية ، ووطدت له بمصر والشام قواعد سيرته السريه ؛ وأطلقت جيد البراعة في إمضاء حكمه في الملكتين مثاني أعنتها ، وأنطقت صعاد البراعة في إعلاء بهائه فيما [السنه] أسنتها ؛ وأردنا أن نرده إلى أعز الممالك علينا لنقر عينا ، وقصدنا أن نعيده إلى رتبته بها لنوفي باستعادته دينها ؛ وأخترنا أن نجدد لهذه الوظيفة سالف عهده ، وأن نريه اعتناء بأمر منصبه الذي لم يله مثله من الأئمة من بعده ؛ وعلمنا أن الديار المصرية قد آخضت بفضائله زمنا طويلا ، وأن البلاد الشاميه قد ألفت من أحكامه ما لم ترد به بدلا - من ظهرت فضائله ظهور نعتيه ، وتهدت فوائده رنائق الآفاق : من علماء زمانه وأئمة وقته ، وعلمت أوصاف الصدور الأوي من علمه وورعه وسمته ؛ ونشرت الأيام من علومه ما لم يطو بل تطوى إليه المراحل ، ونقلت الأقاليم من فنونه ما يروى فيروى به السمع الطامى ويخصب به الفكر الماحل ؛ وألفت الأقاليم من حكمه ما غدت به بين مسرور بإشراقه ، ومروع بفراقه ، فمن أفضيه مسنده ، وأحكام مؤيده ؛ وأقوال منزهة عن الهوى ، وأحوال صادرة عن زهاده محكمة القواعد ونزاهة مجتمعة القوى ؛ وإصايه دالة على ما وراءها من علم وورع ، وإجابة في الحق تحيا بها السنن وتموت البدع ، وشدة في الدين تصدع في كل حكم بالحق وإن صدع ؛ وعذلي لا يستلان

جَانِبِهِ، وَحَزْمٌ لَا يُسْتَرَلُّ صَاحِبُهُ، وَلَا يُسْتَنْزَلُ رَأْيُهُ؛ وَقُوَّةٌ فِي الْحَقِّ تَمْنَعُ الْمُبْطِلَ مِنَ
 الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ، وَلِيْنٌ فِي اللَّهِ يُفْسِحُ لِلْحَقِّ مَجَالَ الْقَوْلِ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ وَمَجَالِسٌ غَدَّتْ بِالْعِلْمِ
 طَيِّبَةَ الْأَرْجِ، وَفَضَائِلٌ يُحَدِّثُ فِيهَا عَنْ مَوَادِّ فِكْرِهِ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجٍ؛ وَبَدَائِعَ
 تُضْرَبُ إِلَى أَسْتِمَاعِهَا أُجَادُ الْإِبِلِ، وَبَدَائِعَ تَهْرَمُ الْأَيَّامُ وَعُمُرُ شَبَابِهَا مُقْتَبِلٌ .

ولما كان المجلس العاشر - أدام الله نعمته - هو الذي ورد على أبوابنا العالية ونور
 ولأته يسعى بين يديه، وصدر الآن عنها وحل الآئنا تضافو عليه؛ وأقام في خدمتنا
 الشريفة معدوداً في أكرم من بها قطن، وعاد إلى الشام مجموعاً له بين مضاعفة النعم
 والعود إلى الوطن . وهو الذي تحتال به المناقب، وتختار فضله العواقب؛ ويشرق
 قلبه بالفتاوى إشراق النهار، وتغدق منافعُه إغداق الشحب بالأمطار، وتحدث
 الطلبة به إحداق الكمامة بالتمر والهالات بالأقمار؛ وهو شافى عي كل شافى،
 ودواء ألم كل ألمعي؛ طالما جانب جنبه المضاجع سهاداً، وقطع الليل ثم استمده
 لمد فتاويه مداداً؛ وجمع بين المذهبين نظراً وتقليداً، والمذهبين من القولين قديماً
 وجديداً؛ وسلك جميع الطرق إلى مذهب إمامه، وملاك حسنها فأسفر له كل وجه
 تغطي من أوراق الكتب بلثامه؛ وانفتحت بفهمه للتصانيف أبواب شغلت
 «القفال» أفعالها، ونفحت [له] نفحات ما «للاوردى» مثالها، ومنحت حلالاً يفخر
 «الغزالي» إذا نسج على منواله سر بالها؛ فلو أدركه «الرافعي» لشرح «الوجيز» من
 لفظه، وأملأ أحكام المذاهب من حفظه؛ وصدر المسائل بأقواله، وأعد لكل
 سؤال وارد حجة من بحثه وبرهاناً من جداله؛ فله في العلم المرتقى الذي لا يدرك،
 والمنتهى الذي لا ينزع في فقرده ولا يشرك، والغاية التي أحرزها دون غيره فلولا
 المشقة لم تترك؛ وهو الذي ما زال بهذه الرتبة ملياً، وبما عُدق بذمته من أحكامها

وَفِيَا، وَبِكُلِّ مَا يُرِضِي الْخَلِيقَةَ عَنْهُ مِنْ أَحْوَالِهَا فَأَمَّا وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا، وَبِأَعْبَائِهَا مُسْتَقِلًّا مِنْ حِينَ مَنَحَهُ اللَّهُ الْعِلْمَ نَاشِئًا وَأَتَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَمَا بَرِحَ تَدْعُوهُ التَّقْوَى فَيُجِيبُهَا، وَيَتْرِكُ مَا لَا يُرِيبُ نَفْسَهُ تَنْزِيهَا عَمَّا يُرِيبُهَا، فَكَمْ جَحْرٌ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ مِنْ عَلَيْهِ عَيُونًا، وَغَرَسَ بِهَا مِنْ أَفْنَانِ فَضْلِهِ فَنُونًا، وَكَانَ لَهَا خَيْرٌ جَارٍ تَرَكَ لَهَا مَسَاوَاهَا، وَأَكْرَمَ نَزِيلٍ نَوَى بِالْوَصُولِ إِلَيْهَا مَصْلَحَةَ دِينِهِ فَلَمْ يُضَعِّعِ اللَّهُ لَهُ نَيْتَهُ الَّتِي نَوَّاهَا، وَأَلْفَ قَوَاعِدَ أَهْلِهَا وَعَوَائِدَهُمْ، وَعَرَفَ بِحُسْنِ أَطْلَاعِهِ مَا جَبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَائِبَهُمْ وَشَاهِدَهُمْ، وَعَدُوَّهُ مِنَ النِّعَمِ الْمُقْبِلَةِ عَلَيْهِمْ، وَأَقْتَدَوْا فِي مَحَبَّتِهِ بِالَّذِينَ تَبَعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ؛ ثُمَّ تَدَمَّ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَا كَانَ قُدُومُهُ إِلَّا عَلَيْنَا، وَوَفَدَ إِلَيْهَا بِحُسْنِ مَوَدَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ اللَّتَيْنِ مَا وَفَدَ بِهِمَا إِلَّا إِلَيْنَا؛ فَوَأَيْنَا مِنْهُ إِمَامًا لَا يُحْكَمُ فِي تَوَلِيَّتِهِ الْحُكْمَ بِالْهَوَى، وَلَا يُنَوَى فِي تَقْلِيدِهِ الْقَضَاءَ غَيْرَ مَصْلَحَةِ الْمَسَالِمِينَ « وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى »؛ وَهُوَ - بِمَجْدِ اللَّهِ - لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِ هَذَا الْمَنْصِبِ خَيْرِيًّا، وَبِعَوَائِدِ هَذِهِ الرِّتْبَةِ بَصِيرًا، وَبِإِجْرَائِهَا عَلَى أَكْمَلِ السَّنَنِ وَأَوْضَحِ السَّنَنِ جَدِيرًا، وَبِإِمَاءِ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يُحَقِّقُ إِيجَادَ الْحَقِّ فِيهِ لِلْأُمَّةِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾؛ مَعَ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ فَضَائِلُهُ مِنَ الْوُقُوفِ مَعَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَالتَّحَلَّى بِالْوَرَعِ الْمُتَيْنِ، وَالتَّخَلَّى لِلْعِبَادَةِ الَّتِي أَصْبَحَ مِنْ أَنْصَفِهَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْأَشْرَفِيِّ النَّاصِرِيِّ - لِأَزَالِ عِلْمِ الْعِلْمِ فِي أَيَّامِهِ مَرْفُوعًا، وَأَلْمُ الْجَهْلِ بِمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ دَوْلَتَهُ مِنَ الْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ مَدْفُوعًا - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ قَضَاءَ الْقَضَاءِ الشَّافِعِيَّةِ، وَنَظَرَ الْأَوْقَافِ بِدِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَعْمَالِهَا بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَمَا هُوَ مُضَافٌ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالتَّدَارِيسِ وَالتَّصَدِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ .

فَلْيَقَابِلْ هَذَا التَّقْلِيدَ السَّعِيدَ بِيَدِ زَيْدٍ فِي الْحَقِّ تَمَكُّنًا، وَعَلَى الْخَيْرِ تَمَرُّنًا، وَفِي الْعَدْلِ
 أَنْبَسَاطُهَا، وَفِي أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِحَسَنِ الْمَعَاظِدَةِ عَلَى الْحَقِّ قُوَّتًا وَأَحْتِيَاطُهَا، وَيَمِضُ
 عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ سِيرَتِهِ الَّتِي زَانَ الْعِلْمُ أَوْصَافَهَا، وَزَانَ الْوَرَعُ أَتْصَافَهَا، وَحَلَّى الْعَدْلُ
 مَفَاحِرَهَا، وَأَحْيَا التَّقَى مَا ثَرَهَا، وَتَنَاقَلَتْ رِفَاقُ الْآفَاقِ أَحْكَامَهَا، وَأَسْتَصَحَبَتْ مِنْ
 هُدَايَا هُدَايَا مَا تُنْحِفُ بِهِ حُكْمَهَا، وَفِيمَا نُعِتَ مِنْ مَحَاسِنِهِ مَا يُبْنِي عَنِ الْوَصَايَا الْمَجْدَدَةَ،
 وَالْإِشَارَاتِ الْمُرَدَّدَةَ؛ لَكِنِ الذِّكْرَى بِتَقْوَى اللَّهِ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ، وَتَجْمَعُ
 مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْدِينِ؛ فَلْيَجْعَلْهَا خُلُقَهُ مَا اسْتَطَاعَ، وَلْيَرَحُكْهَا هُوَ الْحُكْمُ الْمَتَّبِعَ
 وَأَمْرَهَا هُوَ الْأَمْرُ الْمَطَاعَ؛ وَالْإِعْتَادَ رَابِعَ عَشَرَ الْمَحْرَمِ سَنَةَ
 خَمْسَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ .

قُلْتُ : وَلَمْ أَتَّفِ عَلَى تَفْوِيضِ لِقَاضٍ مِنْ كِتَابَةِ مَنْ تَقَدَّمَ سِوَى تَفْوِيضِ وَاحِدٍ،
 مِنْ إِنْشَاءِ الْمُقَرَّ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ، كَتَبَهُ لِقَاضِي الْقَضَاةِ «شَهَابِ الدِّينِ بْنِ الْمَجْدِ
 عَبْدِ اللَّهِ» بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ، عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ . وَهَذِهِ نَسِخَتُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِشَرَائِعِهِ، وَالتَّنَسُّكِ بِذَرَائِعِهِ، وَالتَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ بِتَأْيِيدِ أَحْكَامِ
 شَارِعِهِ، وَالتَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى دِينٍ يُقَطَّعُ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ أَعْنَاقُ مَطَامِعِهِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَأْخُذُ مِنَ الْخَيْرِ بِجَمَاعِهِ، وَيُضَاهِي الْغَامَ فِي عَمُومِ مَنَافِعِهِ، وَيُيَاهِي
 السِّيفَ بِقَلَمِ الشَّرْعِ فِي قَهْرِ دَاصِيهِ وَحِمَايَةِ طَائِعِهِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
 لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُوَدِّي لِلْإِيمَانِ أَمَانَةً وَدَائِعِهِ، وَتَهْدِي إِلَى صِيَانَةِ مَشَارِعِهِ، وَتَقِيمُ
 مِنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّ شَهَابٍ تُقْسِمُ الْأَنْوَارُ بِلُؤَامِعِهِ، وَتُقْسِمُ الْأَبْصَارُ بِبَدَائِعِهِ، وَتَجُولُ
 الْفِتَاوَى فِي صَدْرِهِ الْفَسِيحِ وَتَجُولُ فِي سُورَاتِهِ، وَتُرْهِفُ مِنْهُمْ لِلْحُكْمِ الْعَزِيزِ كُلِّ قَلَمٍ
 يَدُلُّ السَّمَمَ عَلَى مَوَاقِعِهِ، وَيُنْبِئُهُ الرِّيحُ مِنْ مَقَاتِلِ الْأَعْدَاءِ عَلَى مَوَاضِعِهِ، وَيَسْتَرِي

نعمته إلى الأعداء بصواعقه وإلى الأولياء بهوامعه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذى أسعد الأمة بطاعته ، وأصعد الأئمة فى مطالعه ، وأسعف الملة بما
أبقى الله فيها من حسن صنائعه ويمن طلائعه ، ومن شريعته التى آمن حبلمها الممدود
من جذب قاطعه ، وكفى شر قاطعه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة [تتوالى
إليه توالى] العذب إلى منابعه ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الله لما أقامنا لحماية شرعه الشريف أن يستباح حماه ، أو يباح لأحد
من حكامه أن يركب هواه ، أو يتعدى حدوده فى سخطه أو رضاه ، أو يحدث فى أمره
ما ليس منه إلا أن يكون ردا على سواه - [جعلنا] نُجدا على إقامة مناره أن يطمس ،
وإدامة مباره أن يقلع منارها أو يخس ، استدامة لتأديس حكامه ، وتأيد أحكامه ،
لأنه سخائب أنواء يعم الربيع ربوعها ، ومشكاة أنوار يكائر الصباح لموعها ، وأفوابق
وقاق تقيم به الأمة ضروعها ، وشجرة مباركة إسلامية زكت أصولها وتمت فروعها ،
شكرا لله على ما خصنا به : من تحصين ممالك الإسلام ، و تحسين مسالك دار السلام ،
لنمنع الحن أن تسام ، وبروق الفن أن تسام ، ووجوه الفتوى أن تترين إلا بشامة
الشام ، غبطة بأن الله جعل للإسلام منها ما هو خير وأبقى ، وأشرف وأبقى ، وأعظم
بلدٍ نشعب بالمذاهب طرقا ، وتود الحجر لو وقمت بها على الشريعة نسقا . تتراحم
فى مركزها الأعلام ، وتتصافر دلى الجهاد فى الله بالجلاد والجدال تارة بالسيوف
وتارة بالأفلام . ودمشق حرمها الله هى أم ذلك الإقليم ، ومدده الذى يخنو على
مشارعها حنو الوالدة على القظيم ، وتنتب بها فوائد لا تأمن معها الغوانى حتى
تلمس «جانب العقد العظيم» ، وهى دار العلم ، ومدار الحكم ، وموطن علماء تعاقب

فيها كواكبهم ، وَتَتَنَابَوُ سَخَائِهِمْ ؛ وَتَتَنَاهَى إِلَى حَكْمِهَا الْعَزِيزُ الشُّكُورِيُّ ، وَتَتَفَصَّلُ بِحُكْمِ حَاكِمِهَا الدَّعْوِيُّ ، وَيَمْتَدُّ جَنَاحُ طَيْلَسَانِهِ عَلَى رَضْوِيِّ ، وَيُحَاقُّ الْبَرَقُ وَرَاءَ فَهْمِهِ وَلَا يَبْلُغُ غَايَتَهُ الْقُصْوِيُّ ؛ وَيَطْوُلُ قَلَمُهُ عَلَى السَّيْفِ الْمُسَهَّرِ ، وَيُرْفِرِفُ سِجَّاهُ عَلَى الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ ؛ كَمْ حَلَّتْ فِي صُدُورِهِ صُدُورٌ ، وَكَمْ طَلَعَتْ مِنْهُمْ شُمُوسٌ وَبُدُورٌ ، وَكَمْ حُدَّتْ مِنْهُمْ أُمُورٌ عَاقِبَةٌ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ؛ كَمْ آدَاءُ دَرَسٍ بِهِمْ ذِكْرٌ ، وَكَمْ آدَبُ نَفْسٍ شُكْرٌ ؛ كَمْ بِهِمْ مَجْدٌ رَسَّخَ ، وَجَدَّ مِلَّةٌ مَمْلَأَةٌ نَسَخَ ؛ كَمْ أَفْضِيَّةٌ لَهُمْ بِالْحَقِّ وَصَلَّتْ ، وَقَضِيَّةٌ لِلْحَقِّ فَصَلَّتْ ، وَمَهْنَةٌ مِنْ غَلَبِهِمُ الْآلِاقِ حَصَلَتْ ؛ كَمْ سِجْلٌ صَاحِبُ هَذَا الْمَنْصِبِ حَامِلٌ عَلَيْهِ الْمَنْشُورُ ، وَمَصْبَاحٌ دِيمِهِ الْحَافِلَةُ عَلَى مِزْرَ الدُّهُورِ ؛ بِشَرَفِ مُدْرَسِ عِلْمٍ يُطْلَعُ مِنْ مَحْرَابِهِ ، وَنَسَاكُ حِلْمٍ يَبْدُو بَدْرُهُ التَّمَامُ خَلْفَ سَجَابِهِ ؛ وَمَجْلِسُ إِفَادَةٍ ، أَعْقَدُ عَلَيْهِ فِيهِ الْإِجْمَاعُ ، وَمَحْفَلُ سَادَةٍ ، كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَةٌ عَقْدِ الْإِجْتِمَاعِ .

[ولما] تزلزلت قدم منابره ، وأنتهك حجاب ضمائره ؛ وأسترته الشيطان بكيدة المتين ، وأضله على علمه المبين ؛ وسبق القلم الشرعي ، بما هو كائن ، ومضى الحكم القطعي ، بما هو من تصرفه بائن - تردد الاختيار الشريف فيمن تحلى جيده بتقليدها ، وتوهل يراعه لتسليم مقاليدها ؛ وصوبنا صواب النظر فيها مضرا وشاما ، وأستشرفنا أعلاما ، وتيقنا لأقوى ما يكون [لها] قواما ؛ وأبتكرنا أنه لا يصلح إلا من كان لحلة المجد طرازا ، ويزيد العمل إليه آعتراء والعلم به آعترازا ؛ إلى أن أجمع رأينا العالی على من لا ينكر ذو قدم ولا قدم ولا قلم ، أنه السابق ؛ ولا يجحد رب علم ولا عمل ولا علم ، أنه الباسق . ولا يسك أن من فوائده يستمد المطر ومن توقد ذهنه يقدح زناد البارق ، ولا يرتاب البحر أن فوائده ما يطوق العنق ويسنف الأذن ويتوج المقارق ؛ ولا يمارى في فضله الذي لو طلب له مثيل لم يصب ، ولو ادعى الكوكب السارى أنه له شبيهه لمسه النصب ، أو تلتقت أعناق القنا إلى قلمه لا يقنت أنها كل على القصب ؛

وهو الذى أفتى عُمره فى تحصيل العلم اشتغالا ، وجدّ فى الطلّب لصالح العمل وإن
تعالى ؛ وبقي فقيه قوم ما جدّ منهم مثله ما جد ، ولا جادت يد كريم منهم تمتد بما
هو جائد ؛ ودرج أقرانه إلى الله وخلى دونهم شرعا لا يردّ واردا ، وخافّ بعدهم
سهماً فى الكفاة وإحدا .

وكان المجلس العالى - أدام الله تأييده - هو الذى تحتلّ به المناقب ، وتختار
فضائله العواقب ؛ وشرف بقلمه الفتاوى إشراف النهار ، وتغدق منافعها إغداق
السحب بالأمطار ، وتحدّق به الطلبة إحداق الحكمة بالثمر والهالات بالأقمار ؛
وهو شافى عى كل شافى ، ودواء ألم كل المعى ؛ طالما جانب جنبه المضاجع
سهادا ، وقطع الليل ثم استمده لمدد فتاويه مدادا ؛ وجمع بين المذهبين نظرا وتقليدا ،
والمذهبين من القولين قديما وجديدا ؛ وسلك جميع الطرق إلى مذهب إمامه ،
وملك حسانها فأسفرله [كل] وجه تغطى من أوراق الكتب بلثامه ؛ وانفتحت
[بفهمه] للتصانيف أبواب شغلت « القفال » أفعالها ، ونفحت له نفاتح
ما « لكوردى » مثلها ، وسفحت ديم غزار يسقى « المزنى » سجالها ، ومنحت حلا
يفخر « الغزالي » إذا نسج على منواله سر بالها .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال يجتدّد ملايس فضله ، ويقلد كل عمل لصالح
أهله - أن يفوض إليه قضاء الشافعية بدمشق المحروسة وأعمالها وجنودها
وضواحيها ، وسائر الممالك الشامية المضافة إليها والمنسوبة لها والمحسوبة فيها ؛ يولى
ذلك ولاية صحيحة شرعية ؛ على عادة من تقدمه وقاعدته المرعية ؛ مع ما هو مضاف
إلى من كان قبله من تدريس المدارس ، تقويضا لا ينافسه فيه منافس ، ولا يجالسه
فى درسه إلا من ارتضى من النجوم ان يجالس ؛ وأذنا له أن يستنيب عنه من

لا يَجْبُلُ عند الله ولا عِنْدَنَا بِاسْتِنَابَتِهِ ، ولا يُدَاخِلُهُ ظَنٌّ في خَلَاصِ ذِمَّتِهِ بِإِنَابَتِهِ إِلَى الله في نِيَابَتِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ يَتَفَقَدُ أَعْمَالَهُمْ ، وَيَتَصَفَّحُ أَحْوَالَهُمْ : فَمَنْ تَقَلَّ إِلَيْهِ نِقَاتُهُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِي مُسْتَقِيمٍ أَقْرَبَهُ ، وَإِلَّا صَرَفَهُ ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ إِلَى عَمَلِهِ كَرَهُ ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ بِحُجَّةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَحُجَّةِ الله عَلَيْهِ قَائِمُهُ ، وَعَلَيْهِ إِنْ قَصَرَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فِي أُمُورِهِ تَعُودُ الْأَلِيْمَةُ ؛ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّا مَا كُنَّا نَعْرِفُكَ عِيَانًا ، وَإِنَّمَا وَصِفْتُمْ لَنَا حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ وَسَمِعْتُمْ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّكَ تَرَانَا ؛ فَشَيْدٌ لِمَنْ شَيْدَ لَكَ شُكْرُهُمْ أَرْكَانًا ، وَأَعْلَى ذِكْرُهُمْ لِمَجْدِكَ بِنِيَانَا ، وَجَعَلَ لَكَ قَدْرَهُمُ الْجَمِيلُ مِنَّا سُلْطَانًا ؛ وَأَقِيمْ بِحُسْنِ سُلُوكِكَ عَلَى مَا قَالُوا فِيكَ بُرْهَانًا ؛ وَأَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ مَعْرُوفِهِمْ وَجَازِيَهُمْ عَنِ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِالْحَسَنَاتِ إِحْسَانًا .

وَنَحْنُ نُوصِيكَ بِوَصَايَا تَشْهَدُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْكَ بِبَلَاغِهَا ، وَيَعْتَرِضُ مِنْهَا فِي الْخُلُوقِ شَيْخًا : فَأَيُّ الرِّجَالِ يَقْدِرُ عَلَى مَسَاغِهَا ؛ فَإِنْ قُمْتَ بِهَا كَأَنَّ لَنَا وَلَكَ فِي الْأَجْرِ أَشْتَرَاكٌ ، وَإِنْ أَضَعْتَ حَقُوقَهَا فَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّا أَخْرَجْنَا هَذِهِ الْأَمَانَةَ مِنْ عُنُقِنَا وَقَلَدْنَاكَ ، وَاللهُ وَمَلَائِكَتُهُ بَيْنَا وَبَيْنَكَ شُهُودٌ عَلَى مَا أَوْلَيْنَاكَ وَمَا وَلَّيْنَاكَ ؛ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ ، وَالْعَمَلِ بِمَا تَعَلَّمَهُ سِوَاءَ رِضَى فُلَانٍ أَوْ سَخِطِ فُلَانٍ ؛ وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ عُمُومُ الْمَصَالِحِ ، وَإِمْضَاءِ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ ؛ وَإِقَامَةِ حُدُودِ اللهِ وَلَا تَتَعَدَّ حُدُودَهُ ، وَقَمْعِ الْبِدْعِ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ لَا لِإِنَارَةِ فِتْنَةٍ مَقْصُودَةٍ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ مِنَ الْأُمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ تَسْرَعِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، وَتَطَلُّعِهِ إِلَى مَطَالِبِ سَقَطِ دُونِهَا فِي مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ؛ فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ نَتَّبِعَ فِي هَذَا النَّحْوِ سُبُلَهُ ، أَوْ «تَنَّهُ» عَنِ خُلُقِي وَتَنَاتِي مِثْلَهُ» .

والصدقات الحكيمة على مادة المساكين ، وجادة الشاكرين ؛ ففرقها على أهلها ،
وأجمع لك الحسنات عند الله بتبديد شملها ؛ ولا تبقى منها بقية تبقى معرضة لأكلها ،
فلو أراد واقفوها - رحيمهم الله - أنها تبقى مخزونة ، لما سمحوا ببذلها ؛ وبقية الأوقاف
شارف في أمورها ، وشارك الواقفين - رحيمهم الله - في أجورها ؛ وخص الأسارى -
أحسن الله خلاصهم - بما يصل به إحسانك إليهم ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال
التي كانت عليهم .

والأيتام - جبرهم الله - : منهم الطفل والمميز والمراهق ومن لم يملك رشدَه ، أو من
يحتاج أن يبلغ في جواز التصرف أشده ؛ وكل هؤلاء فيهم من لا يعلم من يضره من
ينفعه ، ولكن الله يعزفه وفي أعماله يرفعه ؛ فاجتهد أن تكون فيهم أبا براء ، وأن
تتخذ فيهم عند الله أجرا ، وأن تعامل في نيك بمثل ماعاملتهم إذا آتيت إلى الدار
الأخرى ، وأحفظ أموالهم أن تنهكها أجرة العيال ، وترجع في قراضها إلى ما يحجف
برءوس الأموال ؛ ومثل أعمالك [المعروضة] على الله في صفائفها المعروضة ، وأحذر
من المعاملة لهم إلا بفائدة ظاهرة وردن مقبوضة .

والجهات الدينية هي بضاعة حفظك ، ووداعة لحظك ، فلا تول كل جهة إلا من
هو جامع لشرطها ، قائم بموازن قسطها .

والشهود هم شهداء الحق ، وأمناء الخلق ؛ وعلى شهاداتهم تبقى الأحكام ، فإياك
والبناء على غير أساس ثابت فإنه سريع الانهدام ؛ ومنهم من يشهد في قيمة المثل
ويتعين أن يكون من أهل البلد الأمثل ، لأنه لا يعرف القيمة إلا من هو ذو وسعة
ممول ؛ ومنهم من أذن له في العقود فامنع منهم من تسهل بسبب من الأسباب ، وما
تمهل إشفاقا لأختلاط الأنسال والأنساب ؛ يقبل بالتعريف ما يخلو من الموانع

الشرعية من كان، ولا يُحسِن في تزويجه يُمسك إمساكاً بمعروفٍ ولا يسرحُ تسريحاً
 بإحسان؛ وهؤلاء مفاسدُهم أكثرُ من أن تُحصى، والبلاءُ بهم أكبرُ من أن يُستقصر
 أو يُستقصى؛ فاعتبرِ أحوالهم اعتباراً جليلاً، وفكرِ في استدراكِ فإرطِهم فكراً ملياً؛
 ومن لم يكن له من العلمِ والدينِ ما يوضحُ له المشتبهات، فإياك وتَرَكة فُربٍ معتقِدٍ^(١) أنه
 يظاً وظاً حلالاً وقد أوقعه هَذَا ومثله في وطءِ الشُّبهات؛ ومنهم من يعمدُ إلى
 التحليل، ويرتكبُ منه محذوراً غيرَ قليل؛ وهو بعينه نكاحُ المتعة الذي كان آخرَ
 الأمرين من رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّهْيُ عنه، وقام أميرُ المؤمنين عُمَرُ
 ابنُ الخطابِ رضى اللهُ عنه مُحذراً منه؛ فاحسِمِ هذه المادَّةَ الرديَّةَ التي تُؤلمُ عضواً
 فيسرى إلى سائرِ الأعضاء الملهما، ويبقى في كثيرٍ من الذراريِّ المولودة من هذه الأنكحة
 الفاسدة ثلماًها.

والرُّسلُ والوكلاءُ يجلسُ الحكمُ العزيزُ ومن يلمزُك في الصَّدَقَاتِ، وما نزل في أمورٍ
 ما يريدون بها تقييدَ حكمك بل ما يقضون به الأوقات؛ فلا تدعُ من تريد منهم
 إلا كلَّ مشكورٍ الطريق، مشهورِ القصة بين الخصوم بطلبِ التوفيق.

والمكاتبُ هي سهامك النَّافِذه، وأحكامك المؤاخذه؛ فسددْ مرَامِها، ولا
 تُردفها ماعرض عليك من الأحكام حتى لا يسرع الدخول فيها؛ والمحاضرُ هي محل
 التقوى، فاجتهد فيها اجتهاداً لا تدرُّ معه ولا تُتْبِئ.

وأما قضايا المتحاكين إليك في شكوايهم، والمتحاكين في دَعَاويهم، فانتِ بهم
 خبير، ولهم نافذٌ بصير؛ فإذا أتوك لتكشِفَ بحكمهم لأوآءهم، فاحكم بينهم بما أراك اللهُ
 ولا تتبعْ أهواءهم؛ وقد فَهَكَ اللهُ في دينه، وأوردك من مواردِ يقينته، ماجمله لك

(١) في الاصل: منفعة وهو خطأ.

أُورًا، وَجَلَّاهَ لَكَ سُهُورًا ؛ وَأَقَامَهُ عَلَيْكَ سُورًا ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مِنْهُ أُمُورًا ،
فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَرُدَّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِجْمَاعِ
أَصْحَابِهِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَعِنْدَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ تَجْعَلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ سُورَى ؛ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابٌ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الْقُضَاةِ ، فَأَعْمَلَ بِمَقْتَضَاهُ ،
وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آرْتَضَاكَ لَخَلْقِهِ فَاَعْمَلْ عَلَى رِضَاهُ .

وَالْأُمَّةُ الْعُلَمَاءُ هُمْ إِخْوَانُكَ فِي الدِّينِ ، وَأَعْوَانُكَ عَلَى رَدِّعِ الْمُبْتَدِعِينَ ، وَلِسَانُكَ
فِي الْحَفْلِ وَجَنَاحُكَ إِذَا جَلَسُوا ذَاتَ الشِّمَالِ وَذَاتَ الْيَمِينِ ؛ فَتَزَلُّمُ مَنَازِلِهِمُ الَّتِي أَحْلَاهُمُ
اللَّهُ فِي شُرَفَاتِهَا ، وَبَوَاهُمُ رَفِيعُ غُرْفَاتِهَا ، وَتَأَلَّفُ خَوَاطِرَهُمْ فَإِنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى كَثِيرٍ
مِنَ الْأُمُورِ فِي صَفَاءِ مُصَافَاتِهَا .

وَمَنْ نَسِبَ إِلَى خِرْقَةِ الْفَقْرِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُقْرَبُونَ ، وَأَحْبَابُوهُ
الْأَقْرَبُونَ ، فَعَظُمَ حَيَاتُهُمْ ، وَجَانِبَ مَحَابَاتِهِمْ ، فَمَا مِنْهُمْ وَإِنْ آخَتْ لِقَاتُ أحوالهم إِلَّا مِنْ
هُوَ عَلَى هُدًى مُبِينٍ ، وَأَحْرِصْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ حَبِيبًا يَمَلَأُ قُلُوبَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ
مِنَ قُلُوبِ قَوْمٍ آخَرِينَ .

وَأَنْتَصِبْ لِلدَّرُوسِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ بِهَا عَلَى وَافِدِ الطَّلِبَةِ فَإِنَّ الْكِرْمَ لَا يَمْحَقُهُ الْإِهْتِمَاسُ ،
وَالْمِصْبَاحَ لَا يَفْنِي مُقْلَهُ كَثْرَةُ الْإِقْتِبَاسِ ، وَالغَامَ لَا يَنْقُصُهُ تَوَالِي الْمَطَرِ وَلَا يَزِيدُهُ طُولُ
الْإِحْتِبَاسِ ، وَالْبَحْرَ لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ لَا يَخْلُوعُنِ الْوُرَادِ فِي عَدَدِ الْأَنْفَاسِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِنَّمَا هَذِهِ نُبْدَةٌ جَامِعَةٌ ، وَبَارِقَةٌ لَامِعَةٌ ؛ وَمَنْكَ يُسْتَفَادُ بَسَاطَةِ
الْقَوْلِ ، وَأَنْبَسَاطِ الطَّوْلِ ؛ وَلِهَذَا يُكْتَفَى بِمَا فِيكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِيكَ ، وَيُحْصِي
حِسَابَ أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ لِيُوفِيَكَ ؛ حَتَّى تَجِدَّ فَلَا يَتَخَلَّفُ بِكَ السَّيْرُ ، وَتُسْتَعَدَّ لِيُحْتَمَّ لَكَ
بِحَاطَةِ الْخَيْرِ ، وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ .

(١) فِي الْأَصْلِ « حَلَا مَلَا فِي قُلُوبِهِمْ » فَتَأْمَلْ .



قلت : وهذه نسخة توقيع بقضاء، أنشأته بدمشق للقاضي «شرف الدين مسعود»

وهي :

الحمد لله الذي شيد أحكام الشريعة الشريف وزاد حكمته في أيامنا شرفا، ورفع منار العلم على كل منار وبوأ أهله من جنات إحساننا عرفا، وأباح دم من ألد فيه عنادا أو وجه إليه طعنا، وأوجب الانقياد إليه بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ؛ وألهم الصواب في اختيار من لم يزل لهذه الرتبة معدا. ومن رجالها معدودا ، وصرف وجه إقبالنا إلى من آرتضيناه للسامين حاكما فأصبح بنظرنا مسعودا .

نحمده حمد من أعتنى بالقيام بشرائع الإسلام وتعظيم شعائره ، ونصح للرعية فيمن ولآه عليهم وأعطى منصب الشرع حقه بتقديم أكابره . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يقضى لصاحبها بالنجاة من النار ، ويسجل لقاتلها بالثبوت في ديوان الأبرار ؛ وأن محمدا عبده ورسوله الذي شرط الإيمان بالرضا بحكمه وأوجب طاعته أمرا ونهيا واستجابة وتحكما ، فقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نحن بسيرهم مهتدون ، وبآثارهم مقتدون ، وعلى آله وصحبه الغر الكرام الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ؛ صلاة لا يختلف في فضلها آثنان ، ولا يتنازع في قبولها خصمان ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فلما كانت مرتبة الشرع الشريف هي أعلى المراتب ، ومنصب حكمته في الورى أرفع المناصب ؛ إليه تنتهى المخاصمات في فصلها ثم لاتعدوه ، ويحكم فيه على

الخصم فيدعن لِحِكْمِهِ ثم لا يَسْنُوهُ ؛ بل يتفرق الخَصْمَانِ وكُلُّ منهما بما قُضِيَ له
وعَلَيْهِ رَاضٍ ، ويقولُ المْتَمَرْدُ الجَائِرُ لِحَاكِمِهِ : قد رَضِيتُ بِحُكْمِكَ فاقْضِ فِي مَا أَنْتَ
قَاضٍ ؛ وَنَاهِيكَ بِرُتْبَةٍ كَانَ النَبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المتصدى للقيام بواجبها ،
والخلفاء الراشدون - رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِم - محافظين على أَدَاءِ رَوَاتِبِهَا ؛ ثم أَخْتَصَّ
بها العلماء الذين هم وَرَثَةُ الأنبياء من الخليفة ، وَأَسْتَأْثَرُوا بها دون غيرهم من سائر
الناس فهم أهلها على الحقيقة ؛ إذ لا يُؤَهَّلُ لهذه الرتبة إلا من أَرْتَقَى إلى درجات
الكمال ، وَأَتَصَفَّ بأَحْسَنِ الأوصافِ وَأَحْتَوَى على أَنَمِّسِ الخصال ؛ وَتَضَلَّعَ من العلم
الشريف بما يُرْوِيهِ ، وفاق في العقل والنقل بما يبحنه ويرويه .

ولما كان المجلس الفلاني : هو عين هذه القِلَادَةِ وَوَأَسِطَةَ عِقْدِهَا ؛ وَقُطْبَ
دَائِرَتِهَا وَمِلَاكَ حَلَّتِهَا وَعَقْدِهَا ؛ إذ هو «شَرِيحُ» الزمان ذكرا ، و«أَبُو حَامِدٍ» سِيرَةٌ
و«أَبُو الطَّيِّبِ» نَشْرًا ؛ لِأَجْرَمِ الأَبْسْتَةِ أَيَامُنَا الزَاهِرَةِ من الحُكْمِ ثَوْبًا جَدِيدًا ، وَأَفَاضَ
عليه إِنْعَامُنَا نِحْلَةً نَعَقِبُهَا - إن شاء الله تعالى - مزيدا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت الشريعة المَطْهَّرَةُ بمناصرتِه في أعزِّ صَوَانٍ ،
وَحُكْمُهَا بِمَعَاذَتِهِ في أعلى درجة وَأَرْفَعِ مَكَانٍ - أن يفوض إليه

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة مثله لمثلها ، وَلْيَعْمَلْ بما يعلمه من أحكامها فهو ابن
بِحَدَّتِهَا والخبيرُ بمسالكِ وَعَرِيَّهَا وَسَهْلِهَا ؛ فهو الحَاكِمُ الذي لا يُسَاوَى ، والإمامُ الذي
يقتدى به في الأحكام والفتاوى ؛ فعليه بالتأني في الأحكام ، وَالتَّثَبُّتِ فيما يصدر عنه
من التَّقْضِ والإبرام ؛ وَلْيَسْتَظِرَّ في الأمر قبل الحكم المرَّةَ ثم الأخرى ، وَيُكْرِّرِ النَّظَرَ
في ذلك ولو أقام شهرا ؛ وَيَرْاجِعْ أهلَ العلم فيما وقف عليه وَيُسَاوِرْهُمْ فما ندم من
أستشاره ، وَيَقْدِمِ أَسْتِخَارَةَ اللهُ تعالى في سائر أموره فما خَابَ من أَسْتَخَارَ ؛ وَلْيَسُدِّرْ

مع الحق كيف دار ، ويتبع الصواب أتي توجهه ويقتني أثره حيث سار ؛ وإذا ظهر له الحق قضى به ولو على آئنه وأبيه ، وأعزَّ أصدقائه وأخصَّ ذويه ؛ غير مفترق في فصل القضاء بين القوى والضعيف ، والوضيع والشريف ؛ ولا مُميز في تنفيذ الحكم بين الغني والفقير ، والشوقه والأمير ؛ وليسو بين الخصوم حتى في تقسيم النظر إليهم ، كما في موقف الحكم وسماع الدعوى وردَّ الأجوبة فيما لهم وعليهم ؛ وليس تخلف من الثواب من حسنت لديه سيرته ، ومُحَدت عنده طريقتَه ؛ ويوص كلاً منهم بما نوصيه به ويبلغ في تأكيد وصيته ، ويستحضر السر في قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكَلِّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . ويُعِين النظر في أمر الشهود الذين تترتب على شهادتهم أمور الدنيا والفروج والأموال ، ويتفقد أمرهم في كل وقت ولا يغفل عنهم في حال من الأحوال ؛ ويحملهم من الطرائق على أحسن وجهها ، وأحقتهم بإمعان النظر شهود القيمة والعائز ، الذين يقطع بقولهم في أملاك الأيتام والأوقاف مما تنفر عنه القلوب وتنبو عنه الضمائر .

والوكلاء والمتصرفون فهم قوم فضَّل عنهم الشر فباعوه ، وأسْتَحْفِظُوا الْوَدَّ فلم يرعوا حقه وأضاعوه ؛ فهم آفة أبواب القضاة بلا نزاع ، كيف وهم الضَّبَاعُ الضَّهَابِيَّةُ وَالذَّنَابُ الْجِيَاعُ . وما تحت نظره من أوقاف المدارس والأسرى والصدقات ، وغيرها مما يقصد به واقفوه وجه البر وسبيل القربات ؛ يُحَسِّنُ النظر في وجوه مصارفها ، مع حفظ أجوالها الذي هو أغنياً مراد واقفها .

وأهل العلم أبناء جنسه الذين فيهم نساء ومنهم نجم ، وجنوده الذين يقصدونه بالتقوى فيما قضى وحكم ؛ فليوفر لهم الإحسان ، ويصنع معهم من المعروف ما يبقى ذكره على ممر الأزمان ؛ ومثله لا يحتاج إلى كثرة الوصايا ، وثوقاً بما عنده من العلم

بِالأحكامِ والمَعْرِفَةِ بالقضايا ؛ لِكِنَّ عليه بتقوى الله ومراقبته يكن له مما يتبوءه
ظهيراً ، وَيَسْتَرُشِدُهُ في سائرِ أمورِهِ يجعلُ له من لَدُنْهُ هادِياً ونَصِيراً ؛ والله تعالى
يبلغُ واثِقَ أَمَلِهِ من كَرَمِنَا مَرَامَا ، وَيُوَطِّئُ له المِهَادَ بِنَيْلِهِ حَسُنْتَ مُسْتَقْتَرَا وَمُقَامَا .
إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية بالشام ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي تَعَمَّده الله برحمته ، وهي :

الحمد لله جاعل المذاهب الشرعية في أيماننا الشريفة زاهيةً بأركانها الأربعة ،
مستقرةً على النظام الذي غدت به قواعد الحجّة محكمةً ومواقع الرحمة متسعةً ، فإذا خلا
رُكْنٌ من مُباشرةِ أَقْسَانَا من تكون القلوب على أولوياته مجتمعه ، وانتقينا له من الأتقياء
من تغدو به الأمة حيث كانت مُتَفِعَةً ، وأستدعينا إليه من تغدو الأدعية الصالحة
لنا بتفويض الحكم إليه مُرْتَفِعَةً ؛ الَّذِي خَصَّ مذهب « إمام دار الهجرة »
بكل إمام هجر في التبخر فيه دواعي السكون وبواعث الدعة ، وجعل منصب حُكْمِهِ
بن كلِّ معلوم الدين نوره فإذا حكم غدت الأفضية لحكمه منقذةً وإذا قضى أصححت
الأحكام لأفضيته متبعة .

نحمده على نعمة التي جعلت مهمّ الشرع الشريف لدينا كالأستفهام الذي له
صدر الكلام ، وبمناجاة النية المقدمة حتى [على] تكبيرة الإحرام ؛ ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة أثبت الإخلاص حُكْمَهَا ، وأحكم الإيمان علمَهَا ،
وأبقى اليقين على صفحات الوجوه والوجود وسمها المُشْرِقَ وأسمها ؛ ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله الذي أخذ الله ميثاق النبيين في الإقرار بفضله ، وأرسله (بالهدى)

وَيَنِ الْحَقَّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)؛ وَخَصَّهُ بِالْكَتَابِ الَّذِي أَنْحَسَ الْأُمَّمَ عَنْ مُجَارَاتِهِ
 فَلَوْ (اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقِرْعَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)؛ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ وَسُنَّتِهِ، وَأَوْصَحُوا شَرْعَهُ الشَّرِيفَ لِمَنْ تَلَقَّاهُ
 بَعْدَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ أُمَّتِهِ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ بِقَاعِ الْإِيمَانِ لِأَحْكَامِهَا مِنْبَتُهُ، وَأَنْوَاءُ الْإِيْقَانِ
 لِأَوْامِهَا مُقْلَتِهِ^(١)؛ وَسَلِمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لما كانت الأحكام الشرعية تتوقف على ملاحظة قضاء قضائياتها
 في غالب الأمور، وتستند إلى مراجعة أصول حكامها في أكثر مصالح الجمهور،
 لم يكن بد من مراعاة أصولها التي إنما تنوب الفروع عنها، وتدبر أحوال أحكام
 حكامها التي تنشأ أفضية النواب منها؛ ولذلك لما أصبح منصب قضاء القضاة على
 مذهب الإمام «مالك بن أنس» رضى الله عنه بالشام المحروس لضعف مباشره
 المتمد، في حكم الحالى، وتعطل بعجزه المتمد، مما أُلِفَ به قديما حال حكمه
 الحالى؛ وتمادى ذلك إلى أن ترقى الناس منه إلى درجة اليقين؛ وتناهى الحكم فيه
 إلى أن يعين أن يرتاد من يتعين لثله من الأئمة المتقين؛ لئلا يخلو هذا المذهب من
 قاضى قضاء يقيم مناره، ويديم أنواره، ويرفع شعاره، ويحيى ماثر إمامه وأناره،
 ويؤمن كمال أفته أن يعاود سراره؛ وكان المجلس السامى، القاضوى، الفخرى،
 هو الذى لا يعدوه الأرتياد، ولا يقف دونه الانتقاء والانتقاد، ولا تتجاوز الإصابة
 فى الاجتهاد: لما عليه من علم جعله مخطوبا للناس، وعميل تركه مظلوما للراتب
 التى لا تدعن لكل طالب؛ وثقى أعاده مرتقيا لكل أفتى لا يصلح له كل شارق،
 وورع فتح له أبواب التلقى بالاستدعاء وإن لم تفتح لكل طارق؛ وقد هجر الكرا
 فى تحصيل مذهب «إمام دار الهجرة» إلى أن وصل إلى ما وصل، وأنفق مدة

(١) الأوام شدة العطش ومقلته مهلكة .

عُمره في آقتناء فوائده إلى أن حصل من الثروة بها على ما حصل ؛ فسارت فتاويه في الآفاق ، وممت بركات فوائده التي أنفقها على الطلبة فزكت على الإنفاق - أقتضت آراؤنا الشريفة أن تُبقي نغز هذا المنصب الجليل بفخره ، وأن نُخص هذا المذهب النبيل بذخره ؛ وأن نُحلي جيده بمن نقلنا إلى وشام الوسام ما كان من حُسن شنب العلم مختصاً بتغره .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال لأحكام الشرع مقيماً ، وللنظر الشريف في عموم مصالح الإسلام وخصوصها مديماً ؛ أن يفوض إليه لما تقدم من تعيينه لذلك ، وتبين من أنه لحكم الأولوية بهذه الرتبة في مذهب الإمام مالك مالك .

فليل هذه الوظيفة حاجباً بما أراه الله من مذهبه ، مراعيًا في مباشرتها حق الله في الحكم بين عباده وحق منصبه ؛ مجتهداً فيما تبرأ به الذمة من الوقوف مع حكم الله في حالتي رضاه وغضبه ، وأيقناً في صفة القضاء على ما نص فيه من شروطه وأوضاع من قواعده وشرح من آدبه ؛ مُمضياً حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقتضيه رأي إمامه ، متوجاً الحكم بنصوصه المجمع دليماً من أئمة مذهبه في نقض كل أمر وإبرامه ؛ جارياً في ذلك على قواعد أحكام هذا المذهب الذي كان مشرقاً في ذلك الأفق بجمله وزينه ، وأيقناً في ذلك جميعه مع رضا الله تعالى فإنه في كل ما يأتي ويدر بعينه ؛ والله تعالى يسدده في قوله وعمله ، ويبلغه من رضا نهاية سوله وغاية أماله ؛ بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة ، كُتب بها للقاضي علاء الدين «منجى التنوخي» وهي :

الحمد لله الذي رفع بلاء الدين قضاء قضائه، وأوضح الهدى في القيام في توليتهم بمفترضاته، وأعلى منار الشرع بما أوقفهم عليه من أحكامه ووقفهم له من مرضاته .

نحمده حمدا نستعيد من بركاته، ونستعيد به أن نضل في ضوء مشكاته، ونستعين عليه رب كل حكم يمدنا قلبه بسكونه وقلمه بحركاته، ويثبت من جميل محضره لدينا ما يرفع مس شكاته؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستودع إخلاصها في قلوب تقاته، وتفوض أحكامها إلى تقاته، ويحج سرحها من أبطال الحلال والحلال بكل مستأق إلى ملاقاته؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من حكم بما أنزل الله من آياته، وجاهد في الله برأيه ورآياته، وشرع من الدين ما يجي المتمسك به من غواياته؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أقام شرعه منهم بركاته، وجعل حكمهم دائم النفوذ أبدا بأقلام علمائه وسيوف حماته؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فنصب الحكم الذي به تفصل الأمور، وتفرج له الصدور؛ وتتسدد أقلام حكمائه ساهما، ونفيض غمما؛ وتعلم منه الأسود زئيرا، ويطول السيف صليلا والريح صريرا؛ وتنصب بين يدي حكمائه الأقدام، وتتنصف على أحكامه الخصام^(١)؛ وتتكس الرؤوس لهيبته إطرافا، وتغض المقل فتأثير جفونا ولا تقلب أحدافا؛ ويجري بتصرفه قلم القضاء، ويجاري مرهفه البروق فقرله بالمضاء؛ وقد سيد الله مبانيه في مالكا الشريفة مضرا وشاما على أربعة أركان، وجمع في قضائه الأئمة الأربعة لتكمل بهم فصول الزمان؛ ومذهب الإمام أبي عبد الله «أحمد بن حنبل» رضى الله عنه هو بالسنة النبوية الطراز المذهب، وطريقة

(١) الخصام جمع خصم كبحر وجمار. انظر المصباح .

السلف الصالح في كُلِّ مَذْهَبٍ ، وقد تَجَنَّبَ من سَلَفٍ من علمائه التَّأْوِيلَ في كَثِيرٍ ،
وَوَقَّفَ مع الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكُلِّ مِنْهُمَا هو المصباح المنير .

وكانت دِمَشْقُ المحروسَةُ هي مَدَارَ قُطْبِهِمْ ، وَمَطْلَعُ شُمُوسِهِمْ وَنُجُومِهِمْ وَشُهُبِهِمْ ؛
وأهلها كثيراً ما يحتاجون إلى حاكم هذا المذهب في غالب عقد كل بيع وإيجار ،
ومزارعة في غلالٍ ومُسَاقَاةٍ في ثَمَارٍ ، ومُصَالِحَةٍ في جَوَائِحِ سَمَاوِيَّةٍ لا ضَرَرَ فيها
ولا ضَرَارٍ ، وتُرْوِيجُ كُلِّ مَمْلُوكٍ أذِنَ له سَيِّدُهُ بِحُرَّةٍ كَرِيمَةٍ ، وأَشْرَاطٍ في عَقْدٍ بأن
تكون الأَمْرَأَةُ في بلدِها مُقِيمَةٍ ؛ وَفَسْخِ إنْ غاب زوجها ولم يترك لها نفقةً ولا
أَطَّقَ سَرَاحَهَا ، وَيَبِيعُ أَوْقَافٍ دَائِرَةٌ لا يَجِدُ أَرَبَابَ الوَقْفِ نَفْعًا بها ولا يستطيعون
إِصْلَاحَهَا .

فلما آسَتْنا اللهُ بِمَنْ كان قد تَجَلَّى هذا المَنْصِبُ الشَّرِيفُ بِشَرَفِهِ ، وَتَجَلَّى مِنْهُ
بَبَقِيَّةِ سَلَفِهِ ؛ حصلَ الفِكرُ الشَّرِيفُ فيمَنْ نَقَلَدَهُ هذه الأَمَانَةَ في عُنُقِهِ ، وَنَهَيْتُ هذا
المنصبَ بَطْلُوعِ هلالِهِ في أَفُقِهِ ؛ إلى أن تَرَجَّحَ في آرائنا العالِيَةِ المُرَجِّحُ المُرْجِي ، وَتَعَيَّنَ
واحدًا لِمَا أَتَبَلَّى النَّاسُ بِالْقَضَاءِ كان المُنَجِّى ابنَ المُنَجِّى ؛ طالما تَطَرَّزَتْ له الفَتَاوَى
بِالأَقْلَامِ ، وَأَلْتَفَّتْ به حَلَقَةُ إِمَامٍ ، وخافَ في ظَلَبِ العِلْمِ من مُضَايِقَةِ اللَّيَالِي فما نام
- أَقْتَضَى حُسْنَ الرَأْيِ الشَّرِيفِ أن يَفُوضَ إليه قَضَاءَ القَضَاةِ بِالشَّامِ المحروسَةِ على
مذهب الإمام الرباني «أحمد بن حنبل» الشيباني ، رضى الله عنه .

فليَحْكَمْ في ذلك بما أَرَادَ اللهُ من عِلْمِهِ ، وَأَتَاهُ من حُكْمِهِ ؛ وَبَيْنَهُ له من سُبُلِ
الهُدَى ، وَعَيْنَهُ لبصيرته من سُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي مَنَ حَدَّ عنها فقد جار
وَاعْتَدَى ؛ وَلِيَنْظُرَ في أُمُورِ مَذْهَبِهِ وَيَعْمَلَ بِكُلِّ ما صَحَّ نَقْلُهُ عن إمامه ، وَأَصْحَابِهِ
من كان منهم في زَمَانِهِ ومن تَخَلَّفَ عن أَيَّامِهِ ؛ وقد كان - رحمه الله - إِمَامَ حَقِّ

(١)
 نَهَضَ وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَقَامَ نَوْبَةَ الْحِنَةِ وَقَامَ «سَيِّدُ تَيْمٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 نَوْبَةَ الرَّدِّهِ ، وَلَمْ تَهَبَّ بِهِ زُعَايُحُ «الْمَرِّيَّيْنِ» وَقَدِ هَبَّتْ مَرِيَسَا ، وَلَا «أَبْنُ أَبِي دُوَادٍ»
 وَقَدْ جَمَعَ كُلُّ دَوْدٍ وَسَاقَ لَهُ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ عَيْسَا ؛ وَلَا نَكَتْ عَهْدَ مَا قَدَّمَ إِلَيْهِ «الْمَامُونُ»
 فِي وَصِيَّةِ أَخِيهِ مِنَ الْمَوَاتِقِ ، وَلَا رَوَعَهُ صَوْتُ «الْمَعْتَصِمِ» وَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ
 وَلَا سَيْفُ «الْوَاتِقِ» ؛ فَلْيَقِفْ عَلَى أَثَرِهِ ، وَلْيَقِفْ بِمُسْنَدِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرِهِ ؛
 وَلْيَقْبِضْ بِمُقَرَّدَاتِهِ وَمَا آخْتَارَهُ أَصْحَابُهُ الْأَخْيَارَ ، وَلْيَقْلُدْهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَلَفْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛
 وَلْيَحْتَرِزْ لِدِينِهِ فِي بَيْعِ مَا دَخَلَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَصَرَفِ تَمَنِّهِ فِي مِثْلِهِ ، وَالْأَسْتِبْدَالَ بِمَا فِيهِ
 الْمَصْلَحَةُ لِأَهْلِيهِ ؛ وَالْفَسِيخَ عَلَى مَنْ غَابَ مَسَدَّةً يَسُوغُ فِي مِثْلِهَا الْفَسِيخُ وَتَرَكَ زَوْجَةً
 لَمْ يَتْرِكْ لَهَا نَفَقَةَ ، وَخَلَّاهَا وَهِيَ مَعَ بَقَائِهَا فِي زَوْجِيَّتِهِ كَالْمُعَلَّقَةِ ، وَإِطْلَاقِ سَرَاحِهَا
 لَتَتَرَوَّجَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْفَسِيخِ بِشُرُوطِهِ الَّتِي يَبْقَى حُكْمُهَا بِهِ حَكْمَ الْمُطْلَقَةِ ؛ وَفِيهَا يَمْنَعُ مُضَارَّةَ
 الْحَارِ ، وَمَا تَفَرَّعَ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» . وَأَمْرٍ وَقِفِ
 الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ وَإِنْ رَأَى سِوَى أَهْلِ مَذْهَبِهِ ، وَطَلَعَتْ بِهِ أَهْلَةً عَلِمَاءَ لَوْلَاهُمْ
 لَمَّا جَلَّ الزَّمَانُ جُنْحَ غَيْبِهِ . وَكَذَلِكَ الْجَوَاحِجُ الَّتِي يَخْفَفُ بِهَا عَنِ الضَّعْفَاءِ وَإِنْ كَانَ
 لَا يَرَى بِهَا الْإِلْزَامَ ، وَلَا تَجْرِي إِلَّا جَرَى الْمَصَالِحَةِ دَلِيلَ الْإِلْتِمَامِ . وَكَذَلِكَ الْمَعَامَلَةُ الَّتِي
 لَوْلَا الرُّخْصَةُ عِنْدَهُمْ فِيهَا لَمَّا أَكَلُ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا الْحَرَامَ الْمُحْضَ ، وَلَا أَخَذَ قِسْمَ
 الْغَلَالِ وَالْمُعَامَلُ هُوَ الَّذِي يَزْرَعُ الْبَذْرَ وَيَحْرُثُ الْأَرْضَ ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ [مَحِيطُ]
 بِمُقَرَّدَاتِهِ الَّتِي هِيَ لِلرَّفِيقِ جَامِعَةٌ ، وَلِلرَّعَايَا فِي أَكْثَرِ مَعَالِيهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ نَافِعَةٌ ، وَإِذَا
 أَسْتَقَرَّتِ الْأَصُولُ كَانَتْ الْفُرُوعُ لَهَا تَابِعَةً ؛ وَالخَطَّ الشَّرِيفَ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ تَعَالَى .

(١) سيد تيم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

المرتبة الثانية^(١)

(من تواريخ الوظائف الدينية بدمشق ، ما يكتب في قطع الثلث مفتحا
ب«الحمد لله» إن علت رتبة المتولى أو ب«أما بعد حمد الله»
إن انحطت رتبته عن ذلك ب«المجلس السامى» وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى — قضاء العسكر . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ،
كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثانية — إفتاء دار العدل بدمشق . وبها أربعة : من كل مذهب
واحد ، كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثالثة — الحسبة .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة الشريفة :

الحمد لله مجدد النعم في دولتنا الشريفة لمن ضفت عليه ملائمتها ، ومضاعف
الدين في أيامنا الزاهرة لمن سمته به نقائمتها ، ومولى الآلاء لمن بسق غرسها لديه
فزهت بجاله ثمراتها وزكت مغارسها .

نحمده على نعمه التي تؤنس بالشكر أو أنيسها ، وتؤسس على التقوى بحجالسها ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة آستضاء بنور الإيمان قلبسها ،
وأجتنى ثمر الهدى غارسها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من أنشركت به
معالم التوحيد فعمر دارسها ، وأشرق دأمسها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
قلوبهم مشاهد الذكر والسنتهم مدارسها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

(١) في الأصل الطبقة الثانية .

وبعد ، فإنَّ أَوْلَى من أَمْضَى له ما كان به أَمْرَ ورُسْم ، وجُدِّد له من المَنَاصِبِ
الدِّينية ما عُرِف به من قَبْلُ ووُسْم ، وأُثبتَ لترقيهِ ما حتم له به من المراتب السنية
بمقتضى الاستحقاق وحِكْم - من رَقَّتْ أو أَمْرنا له حُلَّةٌ مَنصِبٍ يَجِدُّدها الإحسان ،
وأَمْرَتْ له مَراسِمنا بوظيفة تُؤكِّد عَوَارِفنا الحِسان ، وَأَتَمَّتْ [له] نِعْمنا مَنصِباً أَعَدَّ له
من كِمالِ الأَهليَّةِ أَكْمَل ما يُعدهُ لذلك الإنسانُ .

ولما كان فلان هو الذى تحلَّى من إِحساننا بما يأمن [معه] سعيد رتبته [من] العَطَل ،
وَأَسَمَ من بَرِّنا وَاَمْتِناننا بما هو فى حِكمِ المُستقرِّ له وإن أَلوى به الذَّهْرُ ومَطَل -
أَفَضَى إِحساننا أَنْ يُجَدِّدَ له مَوَاقِعَ النِّعم ، وَنُسَيْدَ من رِجائِهِ مَوَاضِعَ ما شِمَلَهُ من البرِّ
والكَرَم ، وَنَرَى من عَدَقِ بنا رِجاءَ أَمَلِهِ أَنَّنا نَتَعاهَدُ سُقيا أَمالِ الأَوْلِياءِ والخدم .

فلذلك رسم ... - لا زال بِهِ شامِلاً ، وبَدَّرَهُ فى أَفْقِ الإحسانِ كَامِلاً - أن يُفَوِّضَ إِليه
نَظرَ الحِسابَةِ وَيَسْتَمِرَّ فى ذلك على حِكمِ التَّوَقُّعِ الشَّريفِ الذى بيده : لِمَا سَبَقَ من
أَخيارِهِ لذلك وَأَصْطَفائِهِ ، وَأَدخارِهِ لِهَذَا المَنصِبِ من كُفاةِ أَعْيانِهِ وَأَعْيانِ أَكْفائِهِ ؛
وَلِمَا نَحَلَّ [به] من رِياسَةِ زانته عُقودُها ، وَتَكَلَّلَ له من أَصالةِ صَفَّتْ عليه حَبِرها
وَسَمَّتْ به بَرودُها ؛ وَتَجَمَّلَ به من نِزاهَةِ أَشْرقتْ فى أَفْقِ صُعودِها إِلى الرِّتبةِ الجَليلةِ
سُعودُها ، وَأَتَصَفَّ به من كِمالِ مَعْرِفَةٍ مُجَزَّتْ له به من مَطالِبِ المَناصِبِ وَعُعودُها .

فَلْيُباشِرْ ذلك مُعطيًّا هَذِهِ الوظيفَةَ من حُسْنِ النَّظَرِ حَقَّها ، مُحَقِّقاً بِجَميلِ تَصَرُّفه
تَقَدُّمَ أَوْلِيائِهِ وَسَبْقُها ؛ وَليَكُنْ لَأَمْرِ الأَقْواتِ مَلاحِظاً ، وَعَلَى مَنعِ ذَوِي الغَدْرِ
من الأَحْتِكارِ المُضَيِّقِ على الضُّعفاءِ مُحافِظاً ؛ وَعَلَى الغِشِّ فى الأَقْواتِ مُؤدِّباً ؛ وإِجراءِ
المُوازِينِ على حِكمِ القِسْطِ مُرتِّباً ؛ وَلن يَرَفِعَ الأَسعارَ لِغَيرِ سَبَبٍ رادِعاً ، وَلن لا يَزَعُه
الكلامُ من المُطَفِّينَ بِالتَّأديبِ وَأَزاعاً ؛ وَليقِمَ الأَشياءَ مُحَرِّراً ، وَلقانونِ الجُودَةِ

فِي الْمَزْرُوعِ وَالْمَوْزُونِ مُقَرَّرًا؛ وَلِدَوِي الْهَيْثَاتِ بِلِزُومِ شَرَائِطِ الْمَرْوَةِ أَخِذًا، وَعَلَى تَرْكِ الْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ لِعَامَةِ النَّاسِ مُوَآخِذًا؛ وَلِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ مُقَدَّمًا، وَبِمَا يُخَلِّصُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ مَا تَقَعُ بِهِ الْمَعَامَلَاتُ بَيْنَ النَّاسِ مُقَوِّمًا؛ وَفِي خَصَائِصِ نَفْسِهِ مَا يُغْنِيهِ عَنِ تَأْكِيدِ الْوَصَايَا، وَتَكَرُّرِ الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ الْمَزَايَا؛ فَلِيَجْعَلَهَا شِعَارَ نَفْسِهِ، وَنَجَى أُنْسِهِ، وَمُسَدَّدَ أَحْوَالِهِ الَّتِي تَطْهَرُ بِهَا مِنْ يَوْمِهِ عَلَى أَمْسِهِ؛ وَالخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ، حُجَّةً بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بنظر الحسبة الشريفة، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله، مضافا إلى نظر أوقاف الملوك، وهي :

الحمد لله مُبْتَدِئٍ مِنْ أَحْتَسَبَ، وَمُجِيبِ الْمُنِيبِ فِيمَا آكْتَسَبَ .

نحمده حمدا رسب الأدب صرب الطرب^(١)، (؟) ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ظاهرة الحسب، طاهرة النسب؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل من أتتدى وأنتدب، وأدب أمته فأحسن الأدب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يكتتم أجراها فيكتب، ويستتم بها كل صلاح [ويغتم بها كل فلاح]؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن الحسبة الشريفة هي قانون جواد الأوضاع، ومضمون مواد الإجماع، تجمع إلى الشريعة الشريفة سياسة يهبط جدها، ويرهف حدها؛ وتحشى الرعايا سطوات مباشرها، وتتنحى عما تصببه سيول بوادرها؛ وأصحابها الآلة التي هي أخت السيف في التأثير، ولكل منهما سطوة تخاف لافرق بينهما إلا ما بين

(١) كذا في غير نسخة بالاهمال ولم تهتد الى تثقيفه .

التَّائِبِثِ والتَّذَكِيرِ؛ وله التَّصَرُّفُ المُلْتَقِ، والتَّعَرُّفُ الَّذِي يَفْتَحُ مِنَ الحَوَائِثِ عَلَيَّ
أَرْبَابِهَا كُلَّ بَابٍ مُعْتَقٍ؛ ولرُّكُوبِهِ فِي المَدِينَةِ زِينَةٌ يَحْشَرُهَا النَّاسُ صُحْيًا، وَرَهْبَةً
يَغْدُو بِهَا كُلَّ أَمِينٍ لَشَانِهِ مُصْلِحًا؛ وإليه الرُّجُوعُ فِي كُلِّ تَقْوِيمٍ، وَهُوَ المَرْجُوعُ فِي كُلِّ
أَمْرٍ عَظِيمٍ؛ وَهِيَ بِدِمَشْقٍ - حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى - مِنْ أَجْلِ المَنَاصِبِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ [عَو] لِيهَا
بِيَدِ مُتَوَلِّيِّهَا وَتُؤَمَّلُ مَنَازِلُ البُدُورِ، وَإِنَّ رَبَّهَا تَرْجِعُ إِلَى تَصْرِيفِهِ أَزِمَةَ الأُمُورِ،
وَيَنْتَجِعُ سَحَابَهُ المَهْطَلَّ عَمَامَةً الجُمُهورِ؛ وَتَحِيًّا بِهِ سُنَّةٌ عَمْرِيَّةٌ لَوْلَاهَا لَصَافَتْ رِحَابُ
المَعَامِلَاتِ، وَضَاعَتْ بِالعِشِّ المَعَايِشُ المَتَدَاخِلَاتِ؛ وَظَهَرَ العَبْنُ فِي غَالِبِ مَا يُشْرَى
وَيُبَاعُ، وَانْتَشَرَ التَّطْفِيفُ [الَّذِي] يُزِيلُ رَاجِحَةَ المِيزَانِ وَتَوَازُرَاعَ؛ وَلَكَمْ نَابَ بِحُسْنِ
تَدْيِيرِهِ عَنِ العَمَامِ، وَنَظَرَ فِي الدَّقِيقِ وَالجَلِيلِ لِلخَاصِّ وَالعَامِ؛ طَالَمَا أَنْحَطَّ بِهِ سِعْرٌ
غَلَا أَنْ يَقُومَ، وَوُجِدَ مِنَ الأَقْوَاتِ صِنْفٌ لَا يُوجَدُ لَوْ بُدِلَ مِنَ الشَّمْسِ دِينَارٌ
وَالبَدْرِ دِرْهَمٌ .

وَكَانَ المَجْلِسُ السَّامِيُّ، القَضَائِيُّ، الأَجَلِيُّ، الكَبِيرِيُّ، الصَّدْرِيُّ، الرَّئِيسِيُّ،
العَالِمِيُّ، الكَافِيُّ، الفَاضِلِيُّ، الأَوْحَدِيُّ، الأَمِيرِيُّ، المَاجِدِيُّ، الأَصِيلِيُّ،
العِمَادِيُّ؛ مَجْدُ الإِسْلَامِ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ، بَهَاءُ الأَنَامِ، جَمَالُ الصُّدُورِ، نَجْمُ الأَعْيَانِ،
خَالِصَةُ الدَّوْلَةِ، صَفْوَةُ المُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ : أَدَامَ اللهُ عُلُوهَ، هُوَ الَّذِي رَبَّنَهُ السِّيَادَةَ
عَلَى وَسَادِهَا، وَوَلَّيْتَهُ السَّعَادَةَ إِلَى مُرَادِهَا؛ وَبَنَتِ العَلِيَاءُ قَوَاعِدَهَا عَلَى عِمَادِهِ،
وَبَنَتِ المَرَاتِبُ أَعْنَاقَهَا مُتَشَوِّفَةً إِلَى حُسْنِ اعْتِمَادِهِ؛ وَبَاشَرَ الجَامِعُ المَعْمُورُ خِصُوصًا
وَالأَوْقَافُ الشَّامِيَّةُ عَمُومًا فَعَمَرَهَا، وَكَثُرَ أَعْدَادُهَا وَأَمَّى مِنْ بَرَكَاتِ نَظَرِهِ مَتَحَصَلَاتِهَا
وَمُثَمَّرَهَا؛ وَشِيدَ فِي كُلِّ مِنْهَا مَوَاطِنَ عِبَادَتِهِ، وَمُتَمَّتْ حَلَقَةٌ وَمَدَارٌ سُبْحَةٍ وَمَقَرَّشٌ سَبَّحَاتِهِ،
وَأَبَى اللهُ أَنْ يُقَاسَ بِهِ أَحَدٌ وَالجَامِعُ الفَارُوقُ وَاللَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَ وَزِيَادَهُ؛
فَأَوْجِبَ لَهُ جَمِيلٌ نَظَرْنَا أَنْ نُضَاعَفَ لَهُ الأَجْرُ فِي كُلِّ عَمَلٍ إِلَيْهِ يَنْتَسِبُ، وَنَزِيدَهُ

فِي رِزْقِهِ سَعَةً : مِنْ حَيْثُ يُحْتَسَبُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُقْلَدَ مِنْ أُمُورِ الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ حُكْمُهَا الْمُنْصَرَفُ ، وَحُكْمُهَا الْمَعْرُوفُ ؛ وَيُقَامُ فِيهَا بِهَدْيٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ فِي تَقْرِيرِ أُمُورِهَا عَلَى أَثْبَتِ الْقَوَاعِدِ ، وَتَقْدِيرِ مَصَالِحِهَا عَلَى أَجْمَلِ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَوَائِدُ ؛ وَيُطَهَّرُ أَقْوَاتُهَا مِنَ الدَّنَسِ فِيمَا يَحْضُرُ عَلَى الْمَوَائِدِ ، وَإِخَافَةَ الْأَعْنَاقِ مِنْ مُضَارَبَةِ الَّتِي تَقْطَعُ مَا غَفَا السَّيْفُ عَنْهُ مِنْ مَنَاطِ الْقَلَائِدِ .

فُرِسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي - لَا زَالَتْ بِمَرَّاسِيهِ تُتَلَقَى كُلُّ رَبِّهِ ، وَتُتَوَقَّ الدُّنْيَا مِنْ يَوْمِ بِالْحِسْبَةِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ النَّظْرُ عَلَى الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِدِمَشْقَ وَمَا مَعَهَا مِنَ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ الْمُضَافَةِ إِلَيْهَا ، بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ ، الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتِ : مُضَافًا إِلَى مَا هُوَ بِيَدِهِ : مِنْ نَظَرِ الْأَوْقَافِ الْمَبْرُورَةِ بِالشَّامِ ، وَأَوْقَافِ الْمُلُوكِ . خَلَا نَظَرَ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ بِحُكْمِ إِفْرَادِهِ لِمَنْ عَيْنُ لَهُ ، تَفْوِيضًا يَضُمُّهُ إِلَى رَبَائِبِ كَنْفِهِ ، وَيُعْمَهُ بِمَوَاهِبِ شَرَفِهِ ، وَيُجِلُّهُ فِي أَعْلَى عُزْرِفِهِ ، وَيُجْلِيهِ بِمَا يَحْسُدُ الدُّرَّ مَارِمِيٍّ مِنْ صَدَفِهِ .

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَحْوَالِكَ ، وَأَتَّقِ مَنْ يُجْمَعُ عَلَيْهِ مِنَ النَّوَابِ فِي أَعْمَالِكَ ، وَأَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَمِنْكَ الْمُنْكَرُ لَا يُعْرَفُ وَالْمَعْرُوفُ مِنْكَ لَا يُنْكَرُ ؛ وَأَعْتَبِرْ أَحْوَالَ أَرْبَابِ الْمَعَاشِ أَعْتِبَارًا يُصْلِحُ لِلنَّاسِ أَقْوَاتَهُمْ ، وَيُرْعِدُ أَوْقَاتَهُمْ ؛ وَلَا تَدْعُ صَاحِبَ سَاعَةٍ يَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَكَاسِبِ ، وَلَا صَاحِبَ مَعِيشَةٍ [يَقْدَمُ] عَلَى تَحُلُّلِ خَلِيلٍ فِي الْمَائِكِلِ وَالْمَشَارِبِ ؛ وَأَقْصِدِ التَّسْوِيَةَ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ سِوَاهُ فِيهِ الْبَائِعُ وَالْمَشْتَرِي ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الرَّخِيسِ وَالثَمِينِ ؛ وَأَقِمِ الْمَوَازِينَ بِالْقِسْطِ حَتَّى لَا تَنْتَمِكَنَّ كِفَاتُهَا أَنْ تَنْحَامِلَ وَلَا تَنْحَمَلَ ، وَلَا يَسْتَطِيعَ قَلْبُهَا أَنْ يَمِيلَ مَعَ مَنْ يَتَمَوَّلُ ، وَلَا يَقْدِرُ لِسَانُهَا أَنْ يَكْتُمَ الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُنْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ؛ وَأَجْعَلْ لَكَ عَلَى

أَهْلُ الْمَبَايِعَاتِ حَفِظَةٌ لِتَطَّلَ أَعْمَالُهُمْ لَكَ تُنْسَخَ . وَتَفَقَّدَ الْأَسْوَاقَ مِمَّا يَتَوَلَّدُ فِيهَا
 مِنَ الْمَفَاسِدِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رَبُّمَا بَاصٌ فِي الْأَسْوَاقِ وَقَرَّخٌ . وَأَرَبَابُ الصَّنَائِعِ فِيهِمْ مِنْ
 يَدْلَسُ ، وَقَهَاءُ الْمَكَاتِبِ مِنْهُمْ مَنْ لِعَرِضِهِ يُدَنِّسُ ؛ وَالْقَصَاصُ غَالِبُهُمْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ
 فِي قَصَصِهِ ، وَأَهْلُ النَّجَامَةِ كَمَ مِنْهُمْ مَنْ لِعِبَ مَرَّةً بَعْقَلُ أَمْرًا وَأَمَاتَ رَجُلًا
 بَعْضُهُمْ ، وَآخَرُونَ مِمَّنْ تَضَلُّ بِهِمُ الْعُقُولُ ، وَتَطَّلُ حَايِرَةٌ فِيهِمُ النُّقُولُ ؛ وَكثِيرٌ مِمَّنْ
 سَوَى هَؤُلَاءِ يَدُكُ مَبْسُوطَةٌ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْكَامُكَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ ؛
 فَقَوْمٌ مِنْهُمْ مَنْ مَالٌ ، وَقَلْدٌ مَالِكًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا رَأَاهُ مِنَ الْمَعَاقِبَةِ تَارَةً بَيْنَهُكَ الْجَسَدُ
 وَتَارَةً بِإِفْسَادِ الْمَالِ ؛ فَرُبَّمَا أَطْنَى الْغِنَى وَالْمَصْبَاحُ فَرُبَّمَا قَطَّبَ (١)

وَمَنْ مِنْ لَا يَسْتَقِيمُ حَتَّى يُؤَدَّبَ ، وَمَنْ لَا يَلْمُ عَلَى شَعَثٍ وَأَيُّ الرَّجَالِ الْمُهْدَبِ ؛ وَفِيكَ
 مِنَ الْأَلْمَعِيَةِ نُورٌ بَاهِرٌ ، وَكَوْكَبٌ زَاهِرٌ ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ تُلْقِيَ الْوَصَايَا أَقْلَامَهَا أَيُّهَا
 يَكْفُلُكَ ، وَلَا تَنْبَهَكَ عَلَى زِينَةِ الْعَفَافِ فِيهَا وَهُوَ حُلُّكَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ أَعْمَالَكَ ،
 وَيُوفِّرُ مِنَ التَّقْوَى زَادَكَ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ
 بِمَقْتَضَاهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الرابعة — وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال ، من إنشاء القاضي تاج الدين الباربنباري ،
 للقاضي نجم الدين أبي الطيب .

الحمد لله الذي جعل الطيبات للطيبين ، وهدى بالنجم المنير السبيل المؤمنين ، وعددق
 بأئمة الدين مصالح المسلمين ، وآتانا بتقويضنا إليه ، وتوكلنا عليه ، شرفاً في الشأن وقوة
 في اليقين .

نحمده على أن أعان بحيره وهو خير معين ، ونشكره على أن بصرنا في الإرادات ،
بالملائكة المقترين ، ونصّرنا في الولايات ، بالقوى الأمين ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة أنوارها في القلب مشرقة على الصفحات والحين ،
وأذكارها على اللسان جعلت الإنسان من صالح المؤمنين ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً
عبدُه ورسولُه هادي المهتدين ، وموضح شرعة الإحسان للحسين ، و« أبو الطيب »
و « أبو القاسم » كنى بأولاده المُطهرين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم
من كان من السابقين الأولين ، ومنهم من كان مهيباً للكافرين ، ومنهم من تزوج
بأبنتي الرسول ولم يتفق ذلك لغيره في سالف السنين ، ومنهم من كان الخير ملء
يديه : فشمول البركة بشماله وذو الفقار في اليمين ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فأكرم النفويض ما صادف محلاً ، وأبرك الولايات ما وجد قدراً معلّى ،
وأحسن الإحسان ما أصبح به الحال محلى ، وأسنى الأنجم ما أشرق في مطلعها وتجلّى ،
وأحق [الولاية] بإعلاء منصبه من أقبلت عليه وجوه الإقبال حين تولى ؛ وأولى
[الولايات] بإجمال النظر وإمعانه ، في تشييد شأنه ، وتمكين مكانته ومكانه ، وحفظ
حوزته من سائر أركانها - وكالة بيت المال المعمور التي بها تُصان الأرض المقدسة ،
ومنها تُستبصر الآراء الرئيسة ؛ وبها يؤمن الاستيلاء على المحال والأبنية من كل جائر ،
وبها تُزاد قيم المبيعات مما هو لبنت المال ما بين عامر ودائر ؛ وإلى متولّيها تأتي
الرغبات ممن يتناع أرضاً ، وبه تُمضى المصالح وتُقضى ، وبه يظهر التمييز في الثمن
الأرضي ؛ وهي في الشام نعيمة المقدار ، كريمة الآثار ؛ مرضية الربح في كل أرض
بينت المصالح في كل بناء دائرة بالنجح في كل دار ؛ فلا يشيم برقها ، ويتوج فرقها ،
ويوقها حقها ، إلا من له علم وتبصره ، وعرفان أوضح الطريق وأظهره ، وحسن
رأى فيما آثره وآثره ، وصدارة ورد بها مهمل الكرام البرره .

وكان فلان هو ذو السؤدد العريق ، والباسق في الدّوح الوريق ، والمنسب إلى
 أعزّ فريق ، والطيب أصلاً وفرعاً على التحقيق ، والإمام في علومه التي أصلت
 التفريع ووصلت التفريق ، والموفق فيما يأتي ويذر والله ولي التوفيق ؛ قد أشرق
 بدمشق نجمه نورا ، وأبتسم البرق الشامي به سرورا ، وتصدر بحافلها فشرح صدورا ،
 وأبنتى له سؤودا وجعل مكارم الأخلاق عليه سورا ؛ تلقى بمحصره المسائل فتلقى منه
 ولياً مرشدا ، وتذكر لديه المباحث فتحجده على ذهنه المتوقد هدى ، وإذا اضطرب
 قول مشكل سكن بإباتته وهدا ، إن تأول أصاب في تأويله ، وإن نظر في مصلحة
 كان رأيه في السداد موافقا لقلبه ، وقد استخرنا الله تعالى - وهو نعم الوكيل -
 في توكيله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليات هذا المنصب المنصب وبلى بركته من بابه ، وليخيم في فسيح رحابه ، ولينعم
 بجناته في جنابه ، وليحرر ما يباع من أملاك بيت المال بشروطه ولوازمه المستورة
 في كتابه ، وليردع من استولى على أرض باغتصابه ، فليس لعرق ظالم حق ؛ وهو
 إما بناء بإنشائه وإما غراس بإنشائه ؛ وما يرتجع إلى بيت المال المعمور من أرض
 وعقار ، وروضات ذات غراس وأنهار ، وقرى وما يضاف إلى ذلك من آثار ؛ فليحرر
 مجموعها ، وليسلك في ذلك الطريقة المشروعة . وليشفق إشفاق المتقين الماهدين
 لما لهم ، ولينصح لنا وللساميين فهو وكيل بيت ما لهم . ومن مات ولا وارث له من
 عصبية أو كلاله ، فإن لبيت المال أرضه وداره وماله .

وقد وكلنا إليك هذا التقليد وقد ناك هذه الوكالة ، والدك - رحمه الله - كانت
 مقوضة إليه قديما فلذلك أحيينا بك تلك الأصالة .

وَأَعْلَمَ - أَعَزَّكَ اللهُ - أَنَّ الْوَصَايَا إِنْ طَالَتْ فَقَدْ طَابَ سَبْحُهَا ، وَإِنْ أَوْحِزَتْ
فَقَدْ كَفَى لِمَعْنَاهَا وَلِحُجَّتِهَا ؛ وَعَلَى الْأَمْرَيْنِ فَقَدْ أَنَارَهَا هُنَا بِالتَّوْفِيقِ صَبْحُهَا ، وَحَسَنَ
بِالتَّصْدِيقِ شَرْحُهَا ، وَأَطْرَبَ مِنْ حَمَامٍ أَقْلَامُهَا صَدْحُهَا ، وَالتَّقْوَى فِيهِ أَوْلَى
وَأَخْرَجَهَا وَخْتَمَهَا وَفَتَحَهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْقِي بِكَ كُلَّ قَضِيَّةٍ [ذَوَى] صَبْحُهَا ؛ وَالْخَيْرُ
يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع شريف بوكالة بيت المال بالشام أيضا :

الحمد لله كافي من توكل عليه ، ومحسن مال من فوض أمره إليه ، ومجمل مآب من
قدم رجاءنا عند الهجرة إلى أبوابنا بين يديه ، ومقرعين من أسهر في آسطار عوارفنا
بكال الأدوات ناظره .

نحمده على نعمه التي جعلت سعي من أم كرمنا ، مشكورا ، وسعد من قصد حرمنا ،
مشهورا ، وإقبال من أقبل إلى أبوابنا العالية محققا يتقلب في نعمنا محبوبا ، ويتقلب
إلى أهله مسرورا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نعتضد فيها
بالإخلاص ونعتصم ، ونتمسك في الدنيا والآخرة بعروتها ، التي لا تنفصم ، ونوكل في إقامة
دعوتها ، سيوفنا التي لا تزال هي وأعناق جاحديها تختصم ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
الذي أضاءت شريعته ، فلم تحف على ذي نظر ، وأنارت ملته ، فأبصرها القلب قبل
البصر ، وعمت دعوته ، فاستوى في وجوب إجابتها البشر ، وأختصت أمته ، بعلماء
يبصرون من في طرفه عمى ويظهرون حق من في باعه قصر ؛ صلى الله عليه وعلى
آله الذين عملوا بما علموا ، وعدلوا فيما حكموا ، وحفظوا بالحق بيوت أموال الأمة

(١) القضة الرطبة من النبات وذوى يس والصبح في الأصل خروج العقود من كمامه .

فَأَشْرَكَ أَهْلَ الْمِلَّةِ فِيمَا غَنَمُوا؛ صَلَاةً تَوَكَّلَ الْإِحْلَاصُ بِإِقَامَتِهَا ، وَتَكَفَّلَ الْإِيمَانُ بِإِدَامَتِهَا ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد : فإنَّ أَهْمَ مَا صُرِفَتْ إِلَيْهِ الْهِمَمُ ، وَأَعَمَّ مَا نُوْجِبُ فِي آخْتِيَارِ الْأَكْفَاءِ لَهُ بَرَاءَةُ الدِّمِّ ؛ وَأَخْصَّ مَا آتَّخَذْنَا الْأَسْتِخَارَةَ فِيهِ دَلِيلًا ، وَأَحَقَّ مَا أَقْنَأْنَا عِنَّا فِيهِ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَّةِ وَكَيْلَا ، لَا يَدْعُ حَقًّا لِلْأُمَّةِ مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا - أَمْرُ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ جِهَادِهِمْ ، وَجَادَةٌ جِلَادِهِمْ ؛ وَسَبَبُ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وَطَرِيقُ إِخْلَاصِهِمْ فِي طَاعَتِهِمْ ؛ وَسِدَادُ نُفُوسِهِمْ ، وَصَلَاحُ جُمْهُورِهِمْ ؛ وَجَمَاعُ مَا فِيهِ إِتْقَانُ أَحْوَالِهِمْ وَأَسْتِثْقَارُ أُمُورِهِمْ ؛ وَمَنْ آكَدَ مَصَالِحَهُ وَأَهْمَهَا ، وَأَخْصَّ قَوَاعِيدَهُ وَأَعْمَهَا ، وَأَكَلَ سَبَابَ وَقُورِهِ وَأَتَمَّهَا ؛ الْوَكَاةُ الَّتِي تَصُونُ حَقُوقَهُ أَنْ تُضَاعَ ، وَتَمْنَعُ خَوَاصَّهُ أَنْ تُسَاعَ ؛ وَتُحْسِنُ عَنِ الْأُمَّةِ فِي حِفْظِ أَمْوَالِهَا الْمَنَابِ ، وَتَتَوَلَّى لِكُلِّ مَنِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُمُ الدَّعْوَى وَالْجَوَابَ ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ تَنْزَلْ تَخْيِيرًا لَهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُلَمَاءِ مِنْ زَانَ الْوَرَعِ سَبْجَايَاهُ ، وَكَلَّ الْعِلْمُ مَزَايَاهُ ؛ وَأَنْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى كَمَالِهِ ، وَقَصُرَتْ الْأَطْلَاعُ عَنِ التَّحَلِّيِّ بِجَمَالِ عِلْمِهِ : وَهَلْ يُبَارَى مِنْ كَانَ عِلْمُهُ مِنْ جَمَالِهِ .

ولما كان المجلس السامى ، الشىخى ، الفلافى ، هو الذى ظهرت فضاءه وعلومه ، ودل على بلوغ الغاية منطوق تعته ومفهومه ؛ وحل علمه بالورع الذى هو كمال الدين على الحقيقة ، وسلك طريقة أبيه فى التفرّد بالفضائل فكان بحكم الإرث من غير خلافٍ صاحب تلك الطريقة ؛ مع نسب لنسب مامرّ حلاله ، وتوقى ما ورثه من أبيه عن كلاله ؛ وثبات فى ثبوت الحقّ لاستيفرزه الأغراض ، وأناة فى قبول الحكم لا تحيل جواهره الأعراض ؛ ووقوف مع الحقّ لا يبعده إلى ما [لا] يجب ، وبسطة فى العلم بها يقبل ما يقبل ويحتب ما يحتب ؛ وتحقّق تجرى الدعاوى الشرعية على محجته ، وإنصاف لا يضر خصمه معه كونه ألحن منه بحجته ؛ مع وفادة إلى

أبوأبنا العالفة تقاضت له كرمنا الجلم ، وفصلنا الذى حصّ وعم - آقتضت آراؤنا الشرففة أن يرجع إلى وطنه مشمؤولا بالنعم ، محصوفا من هذه الرتبة بالغاية التى يكبو دونها جواد الهمم ؛ منصوفا على رفعة قدره التى جاءت هذه الوظيفة على قدر ، مداوما [لشكر أبوأبنا] ^(١) على اختياره لها بعد إمعان الاختيار وإنعام النظر .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه وكالة بيت المال المعمور بالشام المحروس .

فليرق هذه الرتبة التى هى من أجل مايرتقى ، ويتلق هذه الوكالة التى مدار أمرها على التقى وهو خير مايتقى ، ويباشر هذه الوظيفة التى مناط حكمها فى الورى الذى لا تستخف صاحبه الأهواء ولا تستفره الرقى ؛ ولينهض بأعبائها مستقلا بمصالحها ؛ متصديا لمجالس حكمها العزيز لتحرير حقوق بيت المال وتحقيقها ، متلقيا مايرد من أمر الدعاوى الشرعية التى يبت مثلها فى وجهه بطريقها ؛ منقبا عن دوافع ما يثبت له وعليه ، محسنا عن بيت المال الوكالة فيما جره الإرث الشرعى إليه ؛ مستظها فى المعاقدة بما جرت به العادة من وجوه الاحتراز ، مجانبا جانب الخيف فى الأخذ والعطاء بأبواب الرخص وأسباب الجواز ؛ منجبا فى تشدده عن طريق الظلم الذى من تحلى به كان عاطلا ، سالكا فى أموره جادة العدل فإنه سيان من ترك حقه وأخذ باطلا ؛ مجتهدا فى تحقيق ما وصح من الحقوق الشرعية وكمن ، متتبعا ما عالت الأيام فى إخفائه فإن الحق لا يضيع بقدم العهد ولا يبطل بطول الزمن .

وفى أوصافه الحسنه ، وسجاياه التى غدت بها أقلام أيامنا لسنه ، وعلومه التى أسرت إليها أفكاره والعيون وسنه ، ما يعنى عن وصايا يطلق عنان البراعة فى تحديدها ، أو قضايا ينطق لسان البراعة فى توكيدها ؛ ملاكها تقوى الله وهى سجية نفسه ،

(١) فى الأصل « مداوما لها على الخ » .

وَنَجِيَّةٌ أَنْسِهِ، وَحِلْيَةٌ خِلَالِهِ الْمَعْرُوفَةُ فِي يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ؛ فَلْيَقْدِّمَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَيَقِفْ
عِنْدَ رِضَا اللَّهِ فِيهَا لِأَرْضَا زَيْدٍ وَلَا عَمْرُوبٍ؛ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ :

[الوظيفة الخامسة - الخطابه (١) .

وهذه نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأمويّ، كُتِبَ بها لزيّن الدّين الفارقيّ،
من إنشاء الشيخ شهاب الدّين محمود الحلبيّ :

الحمد لله رافع الدّين أوتوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ، وَجَاعِلِ أَرْجَاءِ الْمَنَارِ بِفَضَائِلِ أُمَّةِ الْأُمَّةِ
أَرْجَاتٍ، وَشَارِحِ الصُّدُورِ بِذِكْرِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ الْمَوَاعِظِ حَرَجَاتٍ؛ الَّذِي
زَانَ الدّينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِمَنْ سَلَّمَتْ لَهُ فِيهِ الْإِمَامَةَ، وَصَانَ الْعِلْمَ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُتَقِينَ
بِمَنْ أَحْصَبَ لَهُ جَائِحُ الْفَضْلِ يُصَرِّفُ كَيْفَ شَاءَ زِمَامَهُ؛ وَوَطَدَ ذِرْوَةَ الْمُنْتَبِرِ الْكَرِيمِ
لِمَنْ يَحْفَظُ فِي هِدَايَةِ الْأُمَّةِ حَقَّهَ وَيَرَعَى فِي الْبِدَايَةِ بِنَفْسِهِ زِمَامَهُ، وَوَطَأَ صَدْرَ
الْمِحْرَابِ الْمُنِيرِ لِمَنْ إِذَا أَمَّ الْأُمَّةَ أَرَتْهُ خَشْيَةَ اللَّهِ أَنْ وَجَهَ اللَّهُ الْكَرِيمِ أَمَامَهُ .

تَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَحَنَا مِنْ صَوْنِ صَهَوَاتِ الْمَنَارِ إِلَّا عَنْ فُرْسَانِهَا، وَحِفْظِ دَرَجَاتِ
الْعِلْمِ إِلَّا عَمَّنْ يَنْظُرُ بِأَنْسَانِ السُّنَّةِ وَيَنْطِقُ بِإِسَانِهَا . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لِأَشْرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ لَا تَزَالُ أَفْوَاهُ الْحَايِرِ، تُثَبِّتُ طُرُوسَهَا، وَأَنْوَاءُ الْمَنَارِ، تُثَبِّتُ غُرُوسَهَا،
وَأَلْسِنَةُ الْإِخْلَاصِ تُتْلَى عَلَى الْمَسَامِعِ مِنْ صُحُفِ الضَّمَائِرِ دُرُوسَهَا . وَنَشْهَدُ أَنْ مَجْدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَّفَتِ الْمَنَارِ أَوْلًا بِرُفِيَّةِ إِلَيْهَا، وَأَحْرًا بِذِكْرِ أَسْمِهِ الْكَرِيمِ عَلَيْهَا؛ فَهِيَ
الرُّتْبَةُ الَّتِي يَزِيدُ تَبَصُّرَةً عَلَى مَمَرِ الدُّهُورِ بِقَاوُهَا، وَالدَّرَجَةُ الَّتِي يَطُولُ إِلَّا عَلَى وَرَثَةِ
عَلَيْهِ آرْتِقَاوُهَا؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ فَذَكَرُوها،

(١) أضفنا هذه الزيادة لأقتضاء الكلام لها .

(٢) أي ذلّ واققاد بعد صعوبة .

وَبَصَّرَهُمْ بِالْآءِ اللَّهِ فَشَكَرُوهَا ؛ وَعَرَّفَهُمْ بِمَوَاقِعِ وَحْدَانِيَّتِهِ بِجَادِلُوا بَسُنَّتَهُ وَأَسْنَتَهُ الَّذِينَ
 أَنْكَرُوهَا ، صَلَاةً لَا تَبْرُحُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَزَالُ ذِكْرُهَا مُغَيِّرًا فِي الْأَفَاقِ
 وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لما كانت الخطابة من أشهر شعائر الإسلام ، وأظهر شعار ملة سيدنا
 محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شرعها الله تعالى لإذكار خلقه بنعمه ، وتحذير عباده
 من تقمه ، وإعلام برتبته بما أعد لمن أطاعه في دار كرامته من أنواع كرمه ؛ وجعلها
 من وظائف الأمة العاتمة ، ومن قواعد وراثته النبوة التامة ؛ يقف المتلبس بها موقف
 الإبلاغ عن الله لعباده ، ويقوم الناھض بقرضها مقام المؤدى عن رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - إلى أمته عن مراد الله ورسوله دون مراده ، ويقيمها
 في فروض الكفايات على سنن سبيله ^(١) ، ويستنزل بها مواد الرحمة إذا ضن الغيث
 على الأرض بوبله ؛ وكان المسجد الجامع بدمشق المحروسة هو الذى سارت بذكره
 الأمثال ، وقيل هذا من أفراد الدهر التى وضعت على غير مثال ؛ قد تعين أن نرتاد
 له بحكم خلوه من الأئمة من هو مثله فرد الأفاق ، وواحد العصر عند الإطلاق ؛
 وإمام علماء زمانه غير مدافع عن ذلك ، وعلامته أئمة أوانه الذى يضىء بنور
 فتاويه ليل الشك الحالك ؛ وناصر السنة الذى تدب علومه عنها ، وحاوى ذخائر
 الفضائل التى تنمى على كثرة إنفاقه على الطلبة منها ؛ وشيخ الدنيا الذى يعقد على
 فضله بالختاصر ، ورحلة الأقطار الذى غدت نسبته إلى أنواع العلوم زاكية
 الأحساب طاهرة الأوصار ؛ وزاهد الوقت الذى زان العلم بالعمل ، وناسك الدهر
 الذى صان الورع بامتداد الفضائل وقصر الأمل ؛ والعايد الذى أصبح محجة

(١) فى الأصل "نبية" .

العَارِفِ وَقُدُورَةَ السَّالِكِ ، وَالصَّادِعُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يُبَالِي مِنْ أَعْصَبَ إِذَا رَضِيَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ بِذَلِكَ .

ولما كان فلانٌ هو الذي خَطَبْتَهُ لِهَذِهِ الْخَطَابَةِ لِعُلُومِهِ الَّتِي لَا تُسَامَى وَلَا تُسَامَ ،
وَعَيْنَتَهُ لِهَذِهِ الْإِمَامَةِ فَضَائِلُهُ الَّتِي حَسَنَتْ بِهَا وَجُوهُ الْعِلْمِ الْوَسَامِ ، حَتَّى كَانَتْهَا فِي فِيمَ
الزَّمَنِ أَبْتِسَامَ ؛ وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا كَالَّذِي صَدَّ عَنْهَا الْخُطَابَ ، وَسَدَّ دُونَهَا أَبْوَابَ
الْخُطَابِ ، وَقِيلَ : هَذَا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ أَوْلَى بِهَذَا الْمِنْبَرِ وَأَحْرَى بِهَذَا الْمِحْرَابِ -
أَقْبَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُحَلِّيَ أَعْطَافَ هَذَا الْمِنْبَرِ بِفَضْلِهِ الَّذِي يُعِيدُ عَوْدَةَ رَطِييَا ،
وَيُضَمِّحُ طَيْبًا مِنْهُ مَا ضَمَّ خَطِييَا ؛ وَأَنْ نَصَدِّرَ بِهَذَا الْمِحْرَابِ مَنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَدَى الْأُمَّةِ
مُنَاجٍ لِرَبِّهِ ، وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .

فلذلك رُسِمَ - لا زال يُوَلَّى الرَّتَبَ الْحَسَانَ ، وَيَجْرِي بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ
الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ الْخَطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ بِجَمَاعِ دِمَشْقِ الْمَحْرُوسِ عَلَى
عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ .

فَلْيَرَقْ هَذِهِ الرَّتَبَةَ الَّتِي أَمَّطَاهُ اللَّهُ ذِرْوَتَهَا ، وَأَعْطَاهُ الْفَضْلَ صَهْوَتَهَا ؛ وَعَيْنَهُ تَفَرَّدَهُ
بِالْفَضَائِلِ لِإِذْكَارِ الْأُمَّةِ عَلَيْهَا ، وَرَجَّحَهُ لَهَا أَنْعَادُ الْإِجْمَاعِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَادَتْ
لِلشُّوقِ أَنْ تَسْعَى إِلَيْهِ لَوْ لَمْ يَسْعَ إِلَيْهَا ؛ حَتَّى تَحْتَالَ مِنْهُ بِإِمَامٍ لَا تَعْدُو مَوَاعِظَهُ حَبَاتِ
الْقُلُوبِ ، لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ مِثْلِهَا ، وَلَا تَدْعُ خُطْبَهُ أَثَرًا لِلذُّنُوبِ ، لِأَنَّهَا تُوَكَّلُ مَاءَ الْعِيُونِ
بِعَسَلِهَا ؛ وَلَا تُتَبَقَّى نَصَائِحُهُ لِلدُّنْيَا عِنْدَ الْمُغْتَرِّبِهَا قَدْرًا ؛ لِأَنَّهَا تَبْصُرُهُ بِخِدَاعِهَا ، وَلَا تَتْرَكَ
بَلَاغَتَهُ لِلْقَصْرِ عَنِ التَّوْبَةِ عُدْرًا ؛ فَإِنَّهَا تُحَدِّدُهُ مِنْ سُرْعَةِ زَوَالِ الْحَيَاةِ وَأَنْقِطَاعِهَا ؛ وَلَا
تَجْعَلُ فَوَائِدَهُ لَدَوِي النَّجْدَةِ وَالْبَأْسَ التَّفَاتَا إِلَى أَهْلِ وَلَا وِلْدٍ لِأَنَّهَا تَبْشُرُهُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ

لمن نخرج في سبيله، ولا تُمكن زواجه من نشر الظلم أن يمد إليه يداً لأنها تُخبره بما في الإقدام على ذلك من إغصاب الله ورسوله .

فَلْيُطَلِّ - مع قِصْرِ الخُطْبَةِ - لِلظَّالِمِ مَجَالَ زَجْرِهِ ، وَلِيُطَبِّ قَلْبَ العالمِ العاملِ بوصف ما أعدَّ اللهُ له من أجْرِهِ ؛ وَلِيَجْعَلَ خُطْبَهُ كُلَّ وَقْتٍ مَقْصُودَةً عَلَى حِكْمِهِ ، مَقْصُودَةً فِي وُضُوحِ المقاصدِ بين من ينهضُ بِسرعةٍ إدراكاً أو يقعدُ به ببطءٍ فهمه ؛ بغيرِ الكلامِ مادلاً ببلاغتهِ وإن قلَّ ، وَإِذَا كَانَ قِصْرُ خُطْبَةِ الرجلِ وطولُ صَلَاتِهِ مَثْنَةً مِنْ فَهْمِهِ فَمَا قِصَرَ مِنْ حَافِظٍ عَلَى حُكْمِ السُّنَّةِ فِيهِمَا وَلَا أَخَلَّ .



[وهذه] نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأمويّ، كُتِبَ به للقاضي «تقيّ الدين السبكي» .

الحمد لله الذي جعل دَرَجَاتِ العلماءِ آخِذَةً فِي مَزِيدِ الرِّقِيِّ، وَخَصَّ بِرَفِيعِ الدرجاتِ مِنَ الأئمةِ الأعلامِ كُلِّ تَقِيٍّ، وَأَلْقَى مَقَالِيدَ الإِمَامَةِ لِمَنْ يَصُونُ نَفْسَهُ النَّفِيسَةَ بِالْوَرَعِ وَبِتَقِيٍّ، وَأَعَادَ إِلَى مَعَارِجِ الجلالِ، مَنْ لَمْ يَزَلْ يَخْتَارُ حَمِيدَ الجلالِ، وَيَنْتَقِيٍّ، وَأَسَدَلَّ جِلْبَابَ السُّؤْدِدِ عَلَى مَنْ أَعَدَّ لِلصَّلَاةِ وَالصَّلَاتِ مِنْ قَلْبِهِ وَتَوْبِهِ كُلَّ طَاهِرٍ تَقِيٍّ .

نحمده على أن أعلیٰ علم الشّرع الشّريف وأقامه، وجعل كلمة التقوى بأقية في أهل العلم إلى يوم القيامة؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عدل قید^(١) الفضل بالشكر وأدامه، وأيد النعمة بمزيد الحمد فلا غمروا أن جمع بين الإمامة

(١) في الأصل «شهادة عدل فيها قيد الخ» وضبط على لفظة «فيها» .

وَالرَّعَامَةَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى اللَّهُ بِهِ عَقِيْرَةَ مُرْتَلِّ الْأَذَانِ
وَمُسْدِرِجِ الْإِقَامَةِ ، وَأَعْلَى بِرَكَّتِهِ قِيَمَةَ مَنْ تَمَسَّكَ بِسَبِيْلِ الْهُدَى وَلَا زَمَّ طَرِيْقَ
الْإِسْتِقَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَقَدُوا عُھُودَ هَذَا الدِّينِ وَحَفِظُوا نِظَامَهُ ،
وَعَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَامَنَهُمْ إِلَّا مَنْ أَقْتَدَى بِطَرِيْقِهِ فَاهْتَدَى إِلَى طَرِيْقِ الْكِرَامَةِ ، صَلَاةً
لَا تَزَالُ بَرَكَاتُهَا تُؤَيِّدُ عَقْدَ الْيَقِيْنِ وَتُدِيْمُ ذِمَامَهُ ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ شِيْمِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيْفَةِ أَنْ تَرْفَعَ كُلَّ عَالِي الْمِقْدَارِ مَكَانًا عَلِيًّا ،
وَتَجْعَلَ لَهُ مِنْ أَسْمِهِ وَصِفَتِهِ قَوْلًا مَسْمُوعًا وَفِعْلًا مَرْضِيًّا ، وَتُوَطِّدَ لَهُ رُتَبَ الْمَعَالِي
وَتَزِيْدَ قَدْرَهُ فِيهَا رُقِيًّا ، وَتَكْسُوهُمْ مِنْ جِلْبَابِ السُّؤْدُدِ مِطْرَفًا مَبَارَكًا وَطِيًّا ، وَتُطَلِّقَ
لِسَانَ إِمَامِهِ بِالْمَوَاعِظِ الَّتِي إِذَا تَعَقَّلَهَا أُولُو الْأَلْبَابِ خَرُّوا لِبَطَاعَةِ رَبِّهِمْ سُجَّدًا وَبُكْيًا .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِيُّ هُوَ الَّذِي أَعَزَّ أَحْكَامَ الشَّرِيْعَةِ الشَّرِيْفَةِ وَشَادَهَا ،
وَأَبْدَى مِنْ أَلْفَاظِهِ الْمَبَارَكَةِ الْمَوَاعِظَ الرَّبَّانِيَّةَ وَأَعَادَهَا ، وَأَذَاعَ فِيهَا أَسْرَارَ الْيَقِيْنِ
وَزَادَهَا ، وَأَصْلَحَ فِسَادَهَا ، وَقَوِّمَ مُنَادَهَا ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُومِ أَشْتَاتَا ،
وَأَحْيَا مِنْ مَعَالِمِ التَّقِيِّ رُفَاتَا ، وَأَوْصَحَ مِنْ صِفَاتِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِهَدْيِهِ وَسَمِيْتِهِ هَدْيًا
وَسِمَاتَا ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ الشَّرِيْفَ الصَّالِحِيَّ الْعَامَدِيَّ



قُلْتُ : وَهَذِهِ نَسْخَةٌ تَوْقِيْعٌ بِخَطَابَتِهِ أَيْضًا ، أَنْشَأْتُهُ لِلشَّيْخِ « شِهَابِ الدِّينِ
أَبْنِ حَاجِي » :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَ شِهَابَ الْفَضَائِلِ فِي سَمَاءِ مَعَالِيهَا ، وَزَيَّنَ صَوَاتِ الْمَنَابِرِ بَيْنَ
قَرَّتِ عِيُونُهَا مِنْ وِلَايَتِهِ الْمَبَارَكَةِ بِتَوَالِيهَا ، وَجَمَّلَ أَعْوَادَهَا بِأَجَلِّ حَبْرٍ لَوْ سَتَّطَبِعَ فَوْقَ

قدرتها لَسَعَتْ إِلَيْهِ وَفَارَقَتْ - نَحْرًا لِلْعَادَةِ - مَبَانِيهَا، وَشَرَفَ دَرَجَهَا بِأَكْمَلِ عَالِمِ
مَا وَضَعَ بَأْسَافِهَا قَدَمًا إِلَّا وَحَسَدَتْهَا عَلَى السَّبْقِ إِلَى مَسِّ قَدَمِهِ أَعَالِيهَا .

نحمده على أنْ خَصَّ مَصَاقِعَ الْخُطْبَاءِ مِنْ فَضْلِ اللِّسَنِ بِالْبَاحِ الْمَدِيدِ، وَقَصَرَ الْجَامِعَ
الْأُمَوِيَّ عَلَى أَنْبُلِغِ خَطِيبِ يَسِيبٍ فِي تَطَلُّبِ مِثْلِهِ الْوَلِيدِ، وَأَفْرَدَ فَرِيدَ الدَّهْرِ بِاعْتِبَارِ
الْإِسْتِحْقَاقِ بُرِّيِّ دَرَجِ مِثْرِهِ السَّعِيدِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً تَحْقِيقُ عَلَى مَوَازِينِ الصُّفُوفِ أَعْلَامُهَا ، وَتَوَقَّرَ مِنْ تَذْكَيرِ آلاءِ اللَّهِ تَعَالَى
أَقْسَامُهَا ، وَلَا تُقَصِّرُ عَنْ تَبْلِغِ الْمَوَاعِظِ حَبَاتِ الْقُلُوبِ أَفْهَامُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيِّ نَبَةِ الْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ مِنْ سِنَانِهَا، وَأَيَّقُظُ الْخَوَاطِرَ النَّائِمَةَ
مِنْ سُبَاتِهَا ، وَأَحْيَا رَمِيمَ الْأَفْنِدَةِ بِقَوَارِعِ الْمَوَاعِظِ بَعْدَ مَمَاتِهَا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَلَا مَقَامُهُمْ ، فَفَاتَتْ أَعْقَابَهُمُ الرَّؤُوسُ ، وَرُفِعَتْ فِي الْمَجَامِعِ رُءُوسُهُمْ ،
فَكَانَتْ مَنْزِلَتُهُمْ مَنْزِلَةَ الرَّئِيسِ مِنَ الْمَرْءِوسِ ؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ،
وَلَا يَبْرَحُ مُفْتَرِقُ الْمَنَابِرِ بِاخْتِرَاقِ الْآفَاقِ لِاجْتِمَاعِهَا مَوْرِدًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوْلَى مَا صُرِفَتْ الْعِنَايَةُ إِلَيْهِ ، وَوَقَعَ الْاِقْتِصَارُ مِنْ أَمْرِ الْمُهَمَّاتِ عَلَيْهِ -
أَمْرُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي أُقِيمَ بِهَا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ رَسْمُهُ ، وَبُيُوتِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ؛ لِاسْمِ الْجَوَامِعِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ الْمُلُوكِ مِنَ الرَّعِيَّةِ ،
وَأَمَائِلِ الْأَعْيَانِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْبَرِيَّةِ ؛ وَمَنْ أَعْظَمَهَا خَطَرًا، وَأَبْيَنَهَا فِي الْحَاسِنِ أَثَرًا،
وَأَسِيرَهَا فِي الْآفَاقِ النَّائِيَةِ خَبَرًا ؛ بَعْدَ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُسَدُّ الرِّجَالَ إِلَيْهَا ، وَيَعْوَلُ
فِي قَصْدِ الزِّيَارَةِ عَلَيْهَا - جَامِعُ دِمَشْقَ الَّذِي رَسَتْ فِي الْفَخْرِ قَوَاعِدُهُ، وَقَامَتْ عَلَى مَمَرِ
الْأَيَّامِ شَوَاهِدُهُ ؛ وَقَاوِمِ الْجَمِّ الْغَنِيِّ مِنَ الْجَوَامِعِ وَاحِدُهُ ؛ وَلَمْ تَزَلِ الْمُلُوكُ تَصْرِفُ الْعِنَايَةَ
إِلَى إِقَامَةِ شِعَائِرِ وَطَائِفِهِ ، وَتَقْتَصِرُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ فَنٍّ عَلَى رِئِيسِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَعَارِفِهِ ؛

فما شغرت به وظيفته إلا آخاروا لها الأعلى والأرفع، ولا وقع التردد فيها بين اثنين إلا تقيّلوا منهما الأعلم والأورع؛ خصوصاً وظيفة الخطابة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم للقيام بها متصدياً، وعلم الخلفاء مقام شرفها بعد فباشرها بأنفسهم تأسياً .

ولما كان المجلس العالى، القاضوى، الشيخى، الكبيرى، العالى، الفاضلى، الأوحدى، الأشجلى، الرئيسى، المفوهى، البليغى، الفريدى، المفيدى، النجيدى، القدوى، الحجى، المحققى، الورعى، الخاشعى، الناسكى، الإمامى، العلامى، الأئبلى، العريقى، الأصيلى، الحاكى، الخطيبى، الشهابى: جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العاملين، أوحد الفضلاء المفيدين، قدوة البلغاء المجتهدين، حجة الأمة، عمدة محدثين، نخر المدرسين، مفتى المسلمين، معز السنة، قاصع البدعة، مؤيد الملة، شمس الشريعة، حجة المتكلمين، لسان المناظرين، بركة الدولة، خطيب الخطباء، مذكر القلوب، منبه الخواطر، قدوة الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين «أبو العباس أحمد» أدام الله تعالى نعمته: هو الذى خطبته هذه الخطابة لنفسها، وعلمت أنه الكفاء الكامل فنسيت به فى يومها ما كان من مصابيح الخطباء فى أمسها؛ إذ هو الإمام، الذى لا تُسمى علومه ولا تُسام، والعلامة الذى لا تُدرك مداركه ولا تُرام؛ والحبر الذى تُعقد على فضله الخناصر، والعالم الذى يعترف بالقصور عن مجاراة جواده المناظر؛ والحافظ الذى قاوم علماء زمانه بلا منازع، وعلامة أئمة أوانه من غير مدافع؛ وناصر السنة الذى يذب بعلمه عنها، وجامع أشتات الفنون التى يقتبس أمائل العلماء منها، وزاهد الوقت الذى زان العلم بالعمل، وناسك الدهر الذى قصر عن مبلغ مداه الأمل؛ ورحلة الأفطار الذى تُشد إليه الرحال، وعالم الآفاق الذى لم يسمح الدهر له بمثال - أقتضى

حسن الرأى الشريف أن ترفعَه من المنابر على أعلى درجتها ، وتقطع ببراہينه من دلائل الإلباس المُلبَّسة داحص حجبها ؛ وتقدمه على غيره ممن رام إبرام الباطل فنقض ، وحاول رفع نفسه بغير أداة الرفع خفض .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى ، المعزى - لا زال يرفع لأهل العلم راسا ، ويحقق لذوى الجهل من بلوغ المراتب السنية ياسا - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه خطابة الجامع المذكور بانفراده ، على أتم القواعد وأكملها ، وأحسن العوائد وأجملها .

فليرق منهبه الذى عاقب فيه رايحه الطالع أعزل غيره الغارب ، ولتبتوا ذروة سنامه الأرفع من غير شريك له ولا حاجب ؛ وليقصد بمواعظه حبات القلوب ، ويرشق شهاب قراطيسها المانعة فإنها الغرض المطلوب ؛ وليأت من زواجر وعظه بما يذهب مذهب الأمثال السائره ، ويريسلها من صميم قلبه العامر فإن الوعظ لا يظهر أثره إلا من القلوب العامره ؛ ويقابل كل قوم من التذكير بما يناسب أحوالهم على أكل سنن ، ويخص كلاً من أزمان السنة بما يوافق ذلك الزمن ؛ والوصايا كثيرة وإما تهذيب العلم يُعنى عنها ، وتأديب الشريعة يُكفى مع القدر اليسير منها ؛ وتقوى الله تعالى ملاك الأمور وعندة منها القدر الكافى ، والحاصل الوافى ؛ والله تعالى يرقيه إلى أرفع الدرى ، ويرفع على الجوزاء مجلسه العالى : « وإنا لَنرجو فوق ذلك مظهرا » .



الوظيفة السادسة — التداريس الجبار بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الريمانية ، كُتِبَ به لقاضي القضاة «عماد الدين الطرسوسي» الحنفي ، عوضا عن جلال الدين الرازي . كُتِبَ بسؤال بعض كُتَّاب الإنشاء ، وهي :

الحمد لله الذي جعل عماد الدين عليا ، وأحكم مباني من حكم فلم يدع عصيا ،
وقضى في سابق قضائه لإمضاء قضائه أن لا يبقى عتيا .

نحمده على ما وهب به من أوقات الذكر بكرة وعشيا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنبه بالعلم بوحدانيته من كان غيبا ، وتكثرت لمقاتل سيوف العلماء من كان غويا ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي كان عند ربه رضىا ، وعلى ذبه عما شرع من الدين مرضيا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال فضل قديمها مثل حديثها مرويا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلما كانت رتب العلم هي التي يتنافس عليها ، ويتطاول إلى التنقل إليها ، ويختار منها ما كسب مباشرة المتقدم ملابس الجلال ، وأن له أن ينتقل إليه البدر بعد الهلال ، وكانت المدرسة الريمانية بمحروسة دمشق هي ريجانه المجالس ، وروضة العلم الزاكية المغارس ، وبحر الفوائد الذي يخرج الفرائد ، ومسرح العلماء الذي قد آن أن يظفر به منهم من الألف زائد .

ولما توفى من آلت إليه ، وعالت مسألتها إلا عليه ، وكان ممن قد ولي الأحكام استقلالا ، وكان لبصر الدنيا جلاء وللدين جلالا ؛ لم تكن إلا لمن ينسى به ذلك

الذاهب ، وينسب إليه علمٌ مذهبه كله وإن كان لا يقتصر به على بعض المذاهب ؛ ويعرف من هو وإن لم يصرح باسمه ، ويعرف من هو وإن لم يذكر بعلاء قدره العليّ وعلمه ؛ ولا يمتري أنه خلف «أبا حنيفة» فيمن خلف ، وحصل على مثل ما حصل عليه القاضي «أبو يوسف» وذهب ذلك في السلف الأول مع من سلف ؛ وأعلم بجذاله أن «محمد بن الحسن» ليس من أقران أبي الحسن ، وأن «زفر» لم يرزق طيب أنفاسه في براعة اللسن ؛ وأن «الطحاوي» ما طحا به «قلب إلى الحسان طروب» و «القاضي خان» لديه منه الأثوب ؛ وتلقب «شمس الأئمة» لما طلع علم أنه قد حان من شمس النهار غروب ، و «الرازي» لما جاء تيقن أنه يروزه عن علم الجيوب ، و «المرغيناني» مس ولم يرغ له في مطلوب ؛ و «الثلجي» ما برد لطالب غله ، و «الخبازي» لم يوجد عنده لطعام فضله ، و «الهندواني» ما أجدى في جلال الحدال ولا هنر نصله ؛ ولم يزل يُشار إليه والتقليد الشريف له بالحكم المطابق بما تضمنه من محاسن أوصافه شاهد ، ودست الحكم على علي كيوان شائد ؛ ومدارس العلم تُسر من حبه ، ما حنيت عليه من محاريبها الأضالع ، ومجالس القضاء تُظهر بقره ، ما لم يكن تداني إليه المواضع .

وكان الجناح الكريم ، العلي ، القضاي ، الأجلي ، الإمامي ، الصدرى ، العالمى ، العالمى ، العالمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الأوحدي ، المفيدى ، الورعى ، الحاكى ، العمادى ؛ ضياء الإسلام ، شرف الأنام ، صدر الشام ، أمير الإمام ، سيد العلماء والحكام ؛ رئيس الأصحاب ، معز السنة ، مؤيد الملة ، جلال الأئمة ؛ حكم الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبو الحسن على بن الطرسوسى الحنفى ، قاضى

(١) كذا في الأصل ولعله من زيادة قلم النسخ .
 (٢) بروزه يسأله ويختبره . يريد يسأله عن علم الجيوب الفلكية .
 (٣) من أرغ له فى كذا . أطاعه فيه .

القُضَاةَ بِالنَّامِ - نشر ملاءة مذهبه ، وحلّى بجلوسه للحكم طرْفِي النَّهَارِ إِضَاعَةً مُفَضِّضَةً
وتوسيع مذهبه ؛ طَالَمَا سَاسَ الرَّعِيَّةَ بِحُكْمِهِ ، وَسَادَ نَظْرَاهُ فِي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ
بِعِلْمِهِ وَحِكْمِهِ ؛ وَسَارَ مِثْلُ فَضْلِهِ فِي الْأَقْطَارِ وَضَوْءُ الشَّمْسِ مَرْدُّ شُعَاعِهِ ، فَطَالَ إِلَى
السَّمَاءِ وَقَصُرَ الْأَقْفُ الْمَمْتَدُّ عَلَى طَوْلِ بَاعِهِ ، وَفَاضَ فَيْضُ الْغِيَامِ وَمَا آكَلَ الْبَحْرُ بِكَيْلِهِ
وَلَا صَارَ مِثْلَ صَاعِهِ ؛ وَعَرِضَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لغيره أَنْ يُجِبِيَ
رِيحَانَتَهَا ، وَلَا أَنْ تُوَدَى إِلَى يَدِ سِوَاهُ فَيُودِعَ أَمَاتَهَا ؛ فَأَثَرَهَا عَلَى أَنَّهُ تَرَكَ الْمَدْرَسَةَ
الْمُقَدِّمِيَّةَ الْمُتَقَدِّمَ لَهُ دَرْسُهَا ، الْمُعْظَمَ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ غَرَسَهَا ؛ لِيُوسِّعَ بِهَا عَلَى الطَّالِبِ
مَذْهَبَهُ ، وَيَفْرُغَ لَهَا سَاعَةً مِنْ أَوْقَاتِهِ الْمُتَنَبِّهَةِ ، وَيَهَبَ [لَهَا] مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ
فِي يَدِهِ مَالُو شَاءَ مَا وَهَبَهُ .

فَرَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُقَرِّبُ الْآمَادَ ، وَيَرْضَى الْقَوْمَ وَأَقْضَاهُمْ عَلَى
وَأَثْبَتَهُمْ طَوْدًا الْعِمَادَ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ تَدْرِيسُ الْمَدْرَسَةِ الرَّيْحَانِيَّةِ الْمَعِينَةَ أَعْلَاهُ ، عَلَى
عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهُ وَقَاعِدَتِهِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ ؛ بِحُكْمِ تَرْكِهِ لِلْمُقَدِّمَةِ لِيَهَبَ عَلَيْهِ رَوْحَهَا
وَتَهَبَ لَهُ السَّعَادَةَ رِيحَهَا ؛ وَلَهَا مِنَ الْبُشْرَى بَعْلَمِهِ مَا تَمِيسُ بِهِ رِيحَانَةُ رِيحِهَا سُورًا ،
وَتَمِيدُ وَقَدْ أَكْنَتُ جَبَلًا مِنَ الْعِلْمِ وَقُورًا ؛ وَتَمْتَدُّ وَقَدْ نَاحَتْ فِي مِسْكَةِ اللَّيْلِ عَيْرًا ،
وَفِي أُخْوَانَةِ الصَّبَاحِ كَافُورًا ؛ وَمَا نُوصِي مِثْلَهُ - أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَهُ - بِوَصِيَّةٍ إِلَّا وَهُوَ
يَعْلَمُهَا ، وَيُلْقِنُهَا مِنْ حِفْظِهِ وَيَعَامُّهَا ؛ وَمَنْ فَضَّلَ قَضَائِهِ تَوَخُّدُ الْأَدَابِ ، وَتَنْفَعُ سِهَامُ
الْآرَاءِ وَالْآرَابِ . وَتَقْوَى اللَّهِ بِهَا بَاطِنُهُ مَعْمُورٌ ، وَكُلُّ أَحَدٍ بِهَا مَأْمُورٌ ؛ وَمَا نُذَكِّرُهُ
بِهَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهَا ، وَالتَّمَسُّكِ بِأَمْرِهَا . وَالْفَقَهَاءُ وَالْمُتَفَقِّهَةُ هُمْ جُنْدُهُ ،
وَبِهِمْ يَجِدُّ جِدَّهُ ، [فليجعلهم له في المشكلات عدَّة ، وليصرف في] الإحسان إليهم
جُهدَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُهُ عَلَى مَا وَلِيَ ، وَيُعِينُهُ لِكُلِّ عِلْيَاءٍ لَا يَصْلَحُ أَنْ يُحْلَاهَا إِلَّا عَلَى .
وسبيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِهِ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .



الوظيفة السابعة — التصدير بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع أنشأته لقاضى القضاة «بدر الدين محمد» ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، وولده جلال الدين محمد، بإعادة تصديرين كانا باسمهما، بالجامع الأموى بدمشق : أحدهما أنتقل إليهما عن سلفيهما، والثانى بزول، ونرح عنهما عند استيلاء «تم» نائب الشام على الشام فى سنة اثنتين وثمانمائة، ثم أعيد إليهما فى شوال من السنة المذكورة، فى قطع الثلث، وهى :

الحمد لله الذى جعل بدر الدين فى أيامنا الزاهرة متواصل رتب الكمال، مترددا فى فلك المعالى بأكرم مساع بين بهاء وجمال، منزها عن شوائب النقص فى جميع حالاته : فإما مرتقب الظهور فى سريره، أو متمم بالتمام فى إبداره، أو أخذ فى الأزدباد وهو هلال .

نحمده على أن أفر الحقوق فى أهلها، وأنترع من الأيدى الغاصبة ما اقتطعته الأيام الجائرة بجهلها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسمى قائمها من شوائب التكدير، وتصور منتحلها من عوارض الإصدار إذا ورد أصفى مناهل التصدير، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي أقتفت أمته أناره وأتبعته سنه، وأكرم رسول دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الحق وأعلام الهدى، وحماة الدين وكفاة الردى؛ صلاة يبقى على مدى الأيام حكمها، ولا يتدرس على ممر الليالى رسمها، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رعى له الحقوق القديمه، وحفظت له مساعيه الكريمة، وحللت عليه النعم التى حق لها أن تكون بأهلها مقبمه، من كرم أصلا وطاب

فَرَعَا ، وَزَكَا مَنبَعًا وَعَدُّبَ تَبَعًا ، وَوَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى فَضْلِهِ الْمَتَوَاتِرِ فَأَعْدَقَ الْحُكْمُ
بِتَفْضِيلِهِ قَطْعًا ، وَمِنْ إِذَا تَكَلَّمَ فَاقَ بِفَضْلِهِ نَثْرَ اللَّالِي ، وَإِذَا قُدِرَ قَدْرَهُ أَمْحَطَّتْ عَنْ
بُلُوغِ غَايَتِهِ الْمَعَالِي ، وَإِذَا طَلَعَ بَدْرُهُ الْمِضْيُءُ مِنْ أَفْقِ مَجْلِسِهِ الْمَوْرُوثِ عَنْ أَبِيهِ وَأَعْمَامِهِ
قَالَ : لَيْتَ أَشْيَاخِي شَهَدُوا هَذَا الْمَجْلِسَ الْعَالِي ؛ وَمَنْ إِذَا جَلَسَ بِمَحَلَّتِهِ الْبَيْتَةِ غَشِيَتْهُ
مِنْ الْهَيْبَةِ جَلَالُهُ ، وَإِذَا أَطَافَتْ بِهِ هَالَةُ الطَّلَبَةِ وَالْمُسْتَفِيدِينَ قِيلَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْبَدْرَ
فِي هَذِهِ الْهَالَةِ ! ، وَمَنْ تَنَبَّهَ طَلَبْتَهُ عَلَى أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ بِالْإِتْمَاءِ إِلَيْهِ ، وَتَشَمَّخُ نُفُوسِ
تَلَامِذْتِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَصَدَّرِينَ بِالْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَمَنْ إِذَا أَقَامَ بِمِصْرَ طَلَعَ بِالشَّامِ
بَدْرُهُ ، وَلَوْ أَقَامَ بِالشَّامِ بَقِيَ بِمِصْرَ عَلَى الدَّوَامِ ذِكْرُهُ .

وكان المجلس العالی ، القاضوی ، الکبیری ، العالی ، العالی ، الأفضلی ،
الأکملی ، الأوحدی ، البلیغی ، الفریدی ، المفیدی ، النجیدی ، القدوی ،
الحجی ، المحققی ، الإمامی ، الأصیلی ، البدری ، جمال الإسلام والمسلمین ، شرف
العلماء العالمین ، أَوحدُ الفضلاء المفیدین ، قُدوةُ البلغاء ، حُجَّةُ الأدب ، عُمدةُ
المحدِّثین ، نَفَرُ المدرِّسین ، مُفتی الفرق ، أَوحدُ الأئمة ، زینُ الأمة ، خالصةُ الملوك
والسلاطین ، ولیُّ أميرِ المؤمنین ، أبو عبد الله ، محمد ابن المجلس العالی ، القاضوی ،
الکبیری ، المرحومی ، البهائی ، أبي البقاء الشافعی ، السبکی ، ضاعف الله تعالی
نعمتَه : هو عينُ أعيان الزمان ، والمحدثُ بفضله على ممرِّ اللیالی وليس الخبرُ كالعیان ؛
ما ولیُّ منصبًا من المناصب الدینیة إلا كان له أهلا ، ولا أراد الأنصراف من
مجلسِ علمٍ إلا قال له مهلا ؛ ولا استبدل به في وظيفة إلا نُسبَ مُستبدلُه إلى
الحیف ، ولا صُرفَ عن ولايته إلا قال استحقاقه : كيف ساع ذلك لمتعاطيه
فكيف وكيف .

وكان ولده المجلس السامى، القضاى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى،
 البارعى، الأصيلى، العريقى، الجلالى، ضياء الإسلام، نحر الأنام، زين الصدور،
 جمال الأعيان، نجلى الأفاضل، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، خالصة
 أمير المؤمنين، أبو محمد بلغ الله تعالى فيه [عارفيه] غاية الأمل، وأقر به
 عين الزمان كما أقر به عين أبيه وقد فعل؛ قد أرضع لبان العلم وربى فى حجره، ونشأ
 فى بئته ودرج من وكزه؛ وكل له سؤدد الطرفين: أباً وأماً، وحصل على شرف
 الحتدين: خالاً وعمماً؛ لم يقع عليه بصر متبصر إلا قال: نعم الولد، ولا تأمله صحيح
 النظر إلا قال: هذا الشبل من ذاك الأسد؛ ولا رمى والده إلى غاية إلا أدرکها،
 ولا أحاط به منطقة طلبسة إلا هنزها للبحث وحرکها؛ ولا أقتفى أثر أبيه وجده
 فى مهيج فضيل إلا قال قائله: أكرم بها من ذرية ما أبرکها ! .

وأنفق أن خرج عنهما ما كان باسمهما من وظيفتى التصدير بالجامع الأموى
 المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة: المتقلة إحداهما إليهما عن سلفيهما
 الصالح قداما، والضايرة الأخرى إليهما بطريق شرعى معتبر وضعا وثابت حكما -
 اقتضى حسن الرأى الشريف أن يحفظ لهما سالف الخدمه، ويرعى لهما قديم الولاء
 فالعبرة فى التقديم عند الملوك بالقدمه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال لذوى البيوت حافظا، وعلى الإحسان
 لأهل العلم الشريف على ممر الزمان محافظا - أن يعاد ذلك إليهما، ويوالى مزيد
 الإحسان عليهما؛ فليتلقياً ذلك بالقبول، ويدسطا بالقول الستهما فمن شمله إنعامنا
 الشريف حق له أن يقول ويكول؛ وملاك أمرهما التقوى فهى خير زاد، والوصايا

وإن كَثُرَتْ فعنهما تؤخذ ومنهما تُستَفَادُ؛ واللهُ تعالى يُقرُّ لهما بهذا الأستقرار عينا،
ويُنْجِجُ خَوَاطِرَهُمَا بهذه الولاية إيهاج من وجد ضلته فقال : (هذه بضاعتنا ردت
إلينا) . والأعتماد في ذلك على الخطِّ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه، مُجَّةً بمقتضاه؛
إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثامنة — النظر .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيمارستان النورى، كُتِبَ بها لمن لقبه «شهابُ الدين»

وهى :

رِسْمَ ... - لا زال يُطَلِّعُ في سماء المناصب السنية من ذوى الاصلالة والكنفاية
شهابا، ويوزع المستحقين بجهات الرشكة إذ اختار لهم من أهل النهضة من ارتدى
العفاف جلبابا، ويودع صحائف الأيام ذكره الحميل حين أحيا قربات الملوك
السالفين بانتخاب من يحدد لهم بحسن المباشرة ثوبا - أن يجمل « مجلس الأمير »
فلان : أعزّه الله تعالى فيما هو بيده من نظر البيمارستان النورى بدمشق المحروسة ،
على حكم التوقيع الكريم والولاية الشرعية اللذين بيده، وأستقراره في ذلك بمقتضاهما
أستقرارا يسط في هذا المنصب يده ولسانه، ويظهر شهاب عدله الذى يجرى من
الجور شيطانه؛ ويبرز من مباشرته ما عرف جوهره بحسن الانتقاء وإبرزه بحسن
الانتقاد ، ومن تأثيره ما تبلغ به النفس المراد بأوسع مراد ؛ ويهدى من تديره ،
ما يندج تميز الوقف وتميره .

فليأشر ذلك على عادة مباشرته الحسنه ، ويسلك فيها ما عهد من طريقته
المستحسنه ؛ محصلا من المفردات ما يصر فيها مستحقها وقت الحاجة إليها، متبرا

على حُسن مُعالجة المَضْرُور الذى لا تَقْدِرُ يده من العجزِ عليها ؛ مواصلاً فَمَلَّ الخَيْرِ
بأستمرار صدقات الواقف يُشَارِكُه فى الأجرِ والثواب ، مُسْتَجِيباً له من الدعاء ولنا
بمُشاركتِه فى الأمرِ بالعملِ بسُنَّتِه إلى يومِ المآبِ ، ضابطاً أموال هذه الجهة بتحرير
الأصول والمطلق والحِسَابِ والحُسَابِ ؛ متقدماً إلى الخُدَامِ والقوَمَةِ بحسن الخِدْمَةِ
للعاجزِ والضعيفِ ، مُؤَكِّدا عليهم فى أخذِهِم بالقولِ اللينِ دُونَ الكلامِ العنيفِ ؛
مُزَيِّماً لهم بِجودَةِ الخِدْمَةِ لَيْلاً ونهاراً ، مُؤَاخِداً لهم بما يُجِلُّونَ به من ذلك إهمالاً
وإفصاراً ؛ مُتَقَدِّماً إلى أربابِ وظائفِ المعالجةِ بِبَدْلِ النَّصِيحَةِ ، وأستدراكِ الأدواءِ
المُسْقِمةِ بِإتقانِ الأدويةِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَلِيَتَفَقَّدَ الأحوالِ بِنَفْسِهِ : لِيَعْلَمَ أَهْلُ المَكَانِ
أَنَّ وِرَاءَهُم من يقابلهم على التَّقْصِيرِ ، وَلِيَبْدُلَ فى ذلك جُهْدَهُ فَإِنَّ الأَجْتِهَادَ القَائِلَ
يُؤَثِّرُ الخَيْرَ الكَثِيرَ . والوصايا كَثِيرَةٌ وعنده من التَّأدُّبِ العِلْمِ وحُسنِ المُباشرةِ ما فيه
كِفَايَةٌ ، وفى أخلاقِه من جَمِيلِ المآثِرِ وما حازَه فى البِدَايَةِ ما يَنْفَعُه فى النِّهَايَةِ ؛ وَلِئِنْ
تَقَوَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هِىَ السَّبَبُ الأَقْوَى ، والمَنْهَلُ الذى مَن وَرَدَهُ يَرَوَى ؛ فليَجْعَلْهَا
لَه ذَخِيرَةً لِيَوْمِ المَعَادِ ، وَمَعْقِلاً عند الخُطُوبِ الشَّدَادِ ، وَاللهُ تَعَالَى يُبَلِّغُه من التوفيقِ
الأَمَلِ والمُرَادِ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! ، والأَعْتَادُ إن شاء اللهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث

(من تواقيع أرباب الوظائف بحاضرة دمشق - تواقيع أرباب
الوظائف الديوانية ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالى» وهى على ضريين)

الضرب الأول^(١)

(تواقيع الوزارة بالمملكة الشامية على ما استقر عليه الحال)

فقد ذكر فى " التعريف " أنه يكتب بالشام للصاحب [عز] الدين أبى يعلى
« حمزة بن القلانسى » رحمه الله بـ «الجناح العالى» لحلالة قدره ، وساقية خدمه ،
وعناية من كتب له بذلك . لكنه لم يبين مقدار قطع الورق لذلك . ولا يخفى أنه
كتب به فى قطع الثلثين ، على القاعدة فى أنه يكتب للجناح فى قطع الثلثين . وقد ذكر
بعد ذلك أن الذى استقر عليه الحال أنه يكتب للوزير بالشام « المجلس العالى »
بالدعاء ، كما كتب للصاحب أمين الدين أمين الملك .

[وفيه وظائف :

الوظيفة الأولى - ولاية تدبير الممالك الشامية]^(٢)

وهذه نسخة توقيع للصاحب « أمين الملك » المذكور بتدبير الممالك الشامية
والخوائص الشريفة والأوقاف المبرورة ، من إنشاء الصلاح الصفدى ، وهى :

(١) لم يذكر الثانى .

(٢) بياض بالأصل والتصحيح من " التعريف " (ص ٧٥) .

(٣) زدنا ما بين القوسين لأقتضاء المقام وتتم الكلام .

الحمد لله الذى جعل وَلِيَّ أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةَ، أَمِينًا، وَأَحَلَّهُ مِنْ ضَمَائِرِنَا الطَّاهِرَةَ، مَكَانًا
أَيُّمَا تَوَجَّهَ وَجَدَهُ مَكِينًا، وَخَصَّهُ بِالْإِخْلَاصِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةَ، فَهُوَ يَقِينًا يَقِينًا، وَعَضُدٌ
بِتَدْيِيرِهِ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ فَكَانَ عَلَى نَيْلِ الْأَمَلِ الذِّى لَا يَمِينُ يَمِينًا، وَزَيْنٌ بِهِ آفَاقُ
الْمَعَالِي فَمَا دَجَا أَمْرُهُ إِلَّا كَانَ فِكْرُهُ فِيهِ صَحِيحًا مُبِينًا، وَجَمَلٌ بِهِ الرُّتَبُ الْفَائِزَةُ فَكَمْ قَلْدٌ
جِيدَهَا عِقْدًا نَفِيسًا وَرَضَعَتْ تَاجَهَا دُرًّا ثَمِينًا، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا يَتَوَلَّاهُ فَهُوَ الْأَسَدُ الْأَسَدُ
الذِّى آتَخَذَ الْأَقْلَامَ عَرِينًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي حَصَّنَتْنَا بِوَلِيِّ نَجَمَلْ بِهِ الدُّوَلُ، وَتَعْنَى الْمَمَالِكُ بِتَدْيِيرِهِ عَنِ
الْأَنْصَارِ وَالْحَوْلِ، وَنَحْسُدُ أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةَ [عَلَيْهِ] أَيَّامٌ مِنْ مَضَى الدُّوَلِ الْأَوَّلِ .
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ نَسْتَمَطِّرُ بِهَا صَوْبَ الصَّوَابِ،
وَنَزْفُلُ مِنْهَا فِي تَوْبِ التَّوَابِ، وَنَعْتَدُّ بِرِهَا وَاصِلًا لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَالْمَأْبِ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَرَسُولُهُ الذِّى لَمْ يَكُنْ عَلَى الْغَيْبِ بَصِينًا، وَحَبِيبُهُ الذِّى فَضَّلَ
الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ، وَنَجِيَّهُ الذِّى أَسْرَى بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
حُجَّةً عَلَى الْمُلْحِدِينَ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ صَحَّبُوا وَوَزَرُوا، وَأَيَّدُوا
حِزْبَهُ وَنَصَرُوا، وَعَدَلُوا فِيمَا نَهَوْا وَأَمَرُوا، صَلَاةً تَكُونُ لَهُمْ هُدًى إِذَا حَشَرُوا،
وَتَضْوَعُ لَهُمْ عَرَفُهُمْ فِي الْعُرْفِ وَتُطِيبُ نَشْرَهُمْ إِذَا نُشِرُوا؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدَ، فَإِنَّ أَشْرَفَ الْكَوَاكِبِ أَبْعَدُهَا دَارًا، وَأَجْلَهَا سُرًى وَأَقْلَهَا سِرَارًا،
وَأَعْلَاهَا مَنَارًا؛ وَأَطْيَبَ الْجَنَّاتِ جَنَابًا مَا طَابَ أَرْجَا وَمَنَارًا، وَبُخْرٍ خَلَالَهُ كُلُّ نَهْرٍ
«يَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَدَارَى»، وَرَمَحَتْ مَعَاطِفَ غُصُونِهِ سُلَافَ النَّسِيمِ قَرَأَهَا
سُكَارَى، وَمَدَّتْ ظِلَالَ الْغُصُونِ فَتَخَالَ أَنَّهُمَا عَلَى وَجَنَاتِ الْأَنْهَارِ تَدْبُ عِدَارًا .

وكانت دِمَشْقُ المحروسَةُ لها هَذِهِ الصِّفَاتُ ، وعلى صَفَاهَا تَهَبُ سَمَاتٌ دَهْدَه
السَّمَاتُ ، لم يَتَّصِفْ غَيْرُهَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، ولا أَتَّفَقَ أَوْلُوا الأَبَابِ إِلاَّ على مَحَاسِنِهَا
أُخْتَلِفَ ، فهى البُقْعَةُ التى يَطْرَبُ لأَوْصَافِ جَمَاهَا الجَمَادِ ، والبَلَدُ الذى ذَهَبَ بَعْضُ
المُفَسِّرِينَ إلى أَنَّهَا إِرْمُ ذَاتُ العِمَادِ ، وهى فى الدُّنْيَا أُمُودُجُ الجَنَّةِ التى وَعَدَ المُتَّقُونَ ،
ومِثَالُ النِّعَمِ لِلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ، وهى زَهْرَةٌ مُلْكَمَا ، وَدُرَّةٌ سِلْكِيَا ، وقد خَلَّتْ
هَذِهِ المِدَّةُ مَن يُرَاعَى تَدْبِيرُهَا وَيَجِى حَوَزَتَهَا وَيُحَاشِيهَا مِنَ التَّدْمِيرِ وَمِثْلًا خَرَائِمَهَا
خَيْرًا يُجِى ، إِذَا مَلَأْنَا سَاحَتَهَا خَيْلًا وَرَجَالًا - تَمِينُ أَنْ نَتَدَبَّ لَهَا مِنْ جَرَبِنَاهُ بَعْدًا
وَقُرْبًا ، وهَزْزَنَاهُ مَثَقَفًا وَسَلْبَنَاهُ عَضْبًا ، وَخَبَانَاهُ فى خَرَائِمِ فَكْرِنَا فَكَانَ أَشْرَفُ . أَيَدْرُسُ
وَأَعَزُّ مَا يُجِى ، كَمْ نَهَى فى الأَيَّامِ وَأَمْرٌ ، وَكَمْ شَدَّ أَرْرًا لَمَّا وَزَرَ ، وَكَمْ غَنَيْتَ بِهِ أَيَّامُنَا
عَنِ الشَّمْسِ وَآيَالِينَا عَنِ القَمَرِ ، وَكَمْ رَفَعْنَا رَايَةَ مُجِدِّ تَلْقَاهَا عَرَابُهُ فَضْلُهُ بِيَمِينِ الظَّفَرِ ،
وَكَمْ عَلَا دُرًّا رُتِبَ تَعَزُّ على الكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ فَضْلًا عَمَّن يَتَنَقَّلُ فى المَبَاشِرَاتِ مِنَ
البَشَرِ ، وَكَمْ كَانَتِ الأَمْوَالُ جُمَادَى وَأَعَادَهَا رَبِيعًا غَرَدَ بِهِ طَائِرُ الإِقْبَالِ وَصَفَرَ .

(١) و [لما] كان [الصاحب أمين الملك] هو معنى هذه الإشارة، وشمس هذه الهالة
وبدر هذه الدار، نزل من العلياء فى الصميم، ونحونا بأقلامه التى هى سمر الرياح كما
نحرت بقوسها تميم، وحفظت الأموال فى دقاته التى يوشىها فأوت إلى الكهف
والرقم، وقال لسان قلبه : (اجعلنى على خرائن الأرض إلى حفيظ عليم) وعم
الزمان أن يجي بمثله « إن الزمان بمثله لعقيم » وتبته به أروام فبانوا وبأدوا، وقام
منهم عباد العباد فلما قام عبد الله كأدوا - أردنا أن تنال الشام فضله كما نالته مصر
فما تساهم فيه سواهما، ولا يقول لسان الملك لغيره :

حَلَّتْ بِهِدَا حَلَّةٌ ثُمَّ حَلَّةٌ * بِهِدَا فَطَابَ الوَادِيَانِ كِلَاهُمَا

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه تدبير الممالك الشريفة، ونظر الخواص الشريفة والأوقاف المبرورة على عادة من تقدمه في ذلك .

فليتنق هذه الولاية بالعزيز الذي نعمه، والحزم الذي شأهنا، وشهدته، والتدبير الذي يعترف الصواب له ولا يجهده؛ حتى يثمر الأموال في أوراق الحساب، وتزيد نموها وسماؤها فتفوق الأمواج في البحار وتفوت القطر من السحاب؛ مع رفق يكون في شدته، ولين يزيد مضاء حدته، وعدل يصون مهلة مدته؛ والسدل يعمر، والغدر يدور، ولا يثمر؛ بحيث إن الحقوق تصل إلى أربابها، والمعالم تطلع بدور بدورها كاملة كل هلال على أصحابها؛ والرؤوم لا تزداد على الطافة في بابها، والرعايا يحنون ثمر العدل في أيامه متساها؛ وإذا أنعمنا على بعض أوليائنا ينحل فلا يكدر وردها بأن تؤخر، وإذا استدعينا لأوباننا بهم فليكن الإسراع إليه يجلب البرق المنالق في السحاب المسخر؛ فما أردناك إلا لأنك سهم خرج من كمانه، وشهم لا ينهى إلى الباطل عيانه وعيانه؛ فاشكر هذه النعمة على ما منحها، وشف الاستماع بمدائحها؛ متحققا أن في الثقل، بلوغ العز والامل، وأنه لو كان في شرف الماوى بلوغ منى «لم تبرج الشمس يوماً دارة الحمل»؛ فاستصحب الفرح والجدل، بدل الفكر والجدل .

الوظيفة الثانية — كتابة السر بالشام .

ويعبر عنها بصحابة ديوان الإنشاء الشريف بدمشق . وشأنه هناك شأن كاتب السر بالأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بصحابة ديوان الإنشاء بالشام، كتبت بها لفتح الدين بن الشهيد، من إنشاء القاضي ناصر الدين بن النشائي، في مستهل ذي القعدة سنة أربع وستين وسبعمائة، وهي :

الحمد لله مجزِلِ المَنِّ والمَنِّحِ ، ومُرْسِلِ سَحَابِ العَطَاءِ السَّمْحِ ، ومُعْمِلِ فِكْرِنَا الشَّرِيفِ
 فِي آتِحَابِ مَنْ أَوْرَى زَنْدَ الحَايِرِ بِالقَدْحِ ، ومُدْتَلِ السَّرِيِّينَ الأَفْضَلَ مِنْ صَدْرِ إِلَى
 صَدْرِ بِحِمِّي يَصُونُ لَهُ السَّرْحَ ، وَيُعْنِي مَشْهُورَ الأَفَاطِهَ عَنِ الشَّرْحِ ؛ ومَجْمَلِ بِنَاءِ الدِّينِ ،
 بِمَا سَكَنَ بِهِ مِنْ صَمِيمِ الفَضْلِ المِيِّينَ ، وَمَا أَقْتَرَنَ بِأَبْوَابِهِ مِنْ حَرَكَةِ الفَتْحِ .

نحمده على نِعَمِ عَاطِرَةِ النِّعَمِ ، ونشكره على مَنَنِ عَالِيَةِ السَّفْحِ . ونشهدُ أَنَّ لا إِلَهَ
 إِلا اللهُ وحده لا شريك له شهادة تُجَبِّي قَائِلُهَا مِنْ حَرِّ الجَحِيمِ وَتَقِيهِ شَرَّ شَرِّ ذَلِكَ
 اللِّغَمِ ، وَتَحْطُبُ بِهَا أَلْسِنَةُ الأَقْلَامِ عَلَى مَنَارِ الأَنَامِلِ فُتُنِشِي عِنْدَهَا مِنْ مُطْرَبَاتِ
 الوُرْقِ عَلَى غُصُونِ الأَوْرَاقِ هَدِيدِ الصَّدْحِ . ونشهدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَلَغَ
 الرِّسَالَةَ وَادَى الأَمَانَةَ وَعَامَلَ الأُمَّةَ بالنُّصْحِ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ التَّرْحَ وَأَمِنَهُ اللهُ عَلَى أَسْرَارِ
 وَحْيِهِ فَكَانَ أَشْرَفَ أَمِينٍ خَصَّه اللهُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ بِالمُدْحِ ، وَجَعَلَهُ أَعْظَمَ مِنْ أَمْرٍ
 بِالمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ المُنْكَرِ فَلَمْ تَأْخُذْهُ فِي اللهِ لَوْمَةٌ لَأِيمٍ مِّنْ حَا وَمَنْ لَمْ يَلْحَ ؛ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الوَفَاءِ وَالصَّفَاءِ وَالصَّفَاحِ وَالصَّفْحِ ، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللهِ
 حَقَّ جِهَادِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالكَدِّ وَالكَدْحِ ؛ وَرَفَعُوا أَعْلَامَهُمُ المُظَلَّلَةَ ، وَنَصَبُوا
 أَقْلَامَهُمُ المَعْدَلَةَ ، فَكَمْ لَهِمْ فِي المُشْرِكِينَ مِنْ جِرَاحٍ لَا تَعْرِفُ الجِرْحُ ؛ وَذَادُوا عَنِ حَوْزَةِ
 الدِّينِ ، بِإِرَاقَةِ دَمِ الكُفَّارِ المُتَمَرِّدِينَ ، فَحُسْنُ مِنْهُمُ الذَّبُّ وَالدَّبْحُ ؛ وَكَانُوا فُرْسَانَ
 الكَلَامِ ، وَأُسُودَ الإِقْدَامِ ، الَّذِينَ طَالَمَا خَسَّاتُ بِهِمُ كِلَابُ الشَّرِكِ فَلَمْ تُطِيقِ التَّبَعُ ؛
 صَلَاةً دَائِمَةً بِاقِيَةِ الصَّرْحِ ، مَا أَقْتَرَنَ النِّظْرُ بِاللَّحْ ، وَمَا هَطَلَ السَّحَابُ بِالسَّحْ ؛ وَسَلِّمَ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلِي مَنْ خَطَبَتِ المَنَاصِبُ العَلِيَّةَ ، مُحَاسِنَةَ الجَلِيلَةِ الجَلِيلَةِ ، وَرَغِبَتِ
 المَرَاتِبُ الَّتِي هِيَ بِاخْتِيارِ حَرِيهِ ، فِي جَمِيلِ حَالَتِهِ الَّتِي هِيَ بِعُقُودِ المَفَاخِرِ حَالِيَةً ، وَسَجَّتِ

سَحَابُ الإِقْبَالِ الوَائِلِيَّةُ ، ذُبُولُ فَضَائِلِهِ الفَاضِيَّةُ ، وَكَتَسَبَ العُلُومَ الفَرَعِيَّةَ وَالْأَصْلِيَّةَ ،
 مِنْ مَجَامِيحِ فُنُونِهِ الَّتِي تُعْرَبُ عَنْ أَنْوَاعِ الفَوَائِدِ الجُمْلِيَّةِ وَالتَّفْصِيلِيَّةِ - مِنْ شَهَدَتِ المَقَاحِرُ
 بَأَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الشَّهِيدَ لَهَا وَابْنَ الشَّهِيدِ ، وَحَمِدَتِ المَآثِرَ الَّتِي هُوَ الشَّهِيرُ بِهَا فَمَا عَلَيْهَا
 فِي جَمِيلِ الأَدْوَاتِ مِنْ مَزِيدٍ ، وَتَشَيَّدَتِ مَبَانِي مَعَالِيهِ الَّتِي أَقْرَنَ بِأَبِ خَيْرِهَا مِنْهُ
 بِالْفَتْحِ المُبِينِ ، وَتَمَهَّدَتِ مَعَانِي أَمَالِيهِ بِالتَّخِيلِ اللَّطِيفِ وَاللَّفْظِ المَتِينِ ؛ وَتَعَدَّدَتِ
 أَوْصَافَ شَيْمِهِ فَهِيَ لِمَحَاسِنِ الدَّهْرِ تَزِيدُ وَتَزِينُ ، وَغَدَا مِنْ الكَاتِبِينَ الكِرَامِ وَالكِرَامِ
 الكَاتِبِينَ ؛ الَّذِينَ تَضَحُّ بِأَطْلَاعِهِمْ مَرَايِدُ المَقَاصِدِ وَتَبِينُ . طَالَمَا آتَسَّقَ عَقْدُ نَظْمِهِ
 المَتِينِ ، وَبَسَقَ غُصْنُ قَلَمِهِ المِثْمَرَ بِالدِّينِ ، وَأَضَافَ إِلَى أَدَبِ الكُتَّابِ حِلْيَةَ العُلَمَاءِ
 المُتَقِينَ ، وَارْتَقَبَ أَفْعَالَ الجَمِيلِ الَّتِي آسْتَوْجِبُ بِهَا حُسْنَ التَّرَقُّيِّ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ
 المُتَقِينَ ، وَقَدَّ أَجَادَ الطُّرُوسِ جَوَاهِرَ الفَاطِظَةِ الَّتِي تَفُوقُ الجَوْهَرَ عَنْ يَمِينِ ؛ فَهِيَ
 بِبُضَارِ خَطِّهِ مَصُوعَةٌ أَهْبَجَ صِيَاغَهُ ، وَفِي طَرِيقِ الإِنْشَاءِ سَالِكَةٌ نَهْجَ البَلَاغَةِ ، وَكَذَا
 يَحَارُ الفَضَائِلُ وَارِدَةٌ مَنَاهِلِهَا المُسَاغَةَ ؛ كَمْ أَعْرَبَ كَلِمَةُ الطَّيِّبِ ، عَنْ سَخِّ سَحَابِ الصَّوَابِ
 الصَّيِّبِ ؛ وَكَمْ أَعْنَى فِي المِهْمَاتِ بِكُتْبِهِ ، عَنْ جَبِشِ الكِتَابِ وَقُضْبِهِ ؛ وَكَمْ هَزَّأَتْ
 صَحَائِفُهُ بِالصَّفَاحِ ، وَكَمْ أَعْنَتْ رَاشِقَاتِ فِكْرِهِ الثَّابِتَةَ العِلْمَ عَنْ سَهْوِ السَّهْمِ الرَّايْحِ ؛ وَكَمْ
 تَسَاجَرَتْ أَقْلَامُهُ البِيضُ الفِعَالِ هِيَ وَسُمُرُ الرَّمَاحِ فَكَانَ نَصْرُهَا الأَلَايْحُ ، وَكَمْ تَعَارَضَ نَشْرُ
 وَصْفِهِ وَشَدَا الطَّيِّبِ فَالْفَى الزَّمَانُ تَنَاءَهُ هُوَ الفَاحِجُ ، وَكَمْ أَشْتَمَلَ عَلَى أَنْوَاعِ مِنَ النَّفَاسَةِ
 فَاسْتَوْجَبَ مِمَّا مَنَّا يَقْضَى لَهُ بِأَجْرِلِ المُنَى وَالمَنَائِحِ .

ولما كان المجلس العالی ، القاضوی ، الأجلی ، الكیبری ، العالی ، الفاضلی ،
 الکاملی ، الأوحدی ، الأیبری ، الرئیسی ، البیغی ، المفیدی ، المجدی ، الأصیلی ،
 العریقی ، العایدی ، الزاهدی ، المؤمنی ، الفتیحی ؛ بحال الملوك والسلاطين ، ولی

أمير المؤمنين ، محمد بن الشهيد؛ أدام الله نعمته : هو الذي أعرب القلم عن صفاته ، وأطرب المسامع ما آداه اليراع عن أدواته ؛ ورام البنان أن يستوعب بيان شكره فلم يدرك شأوغاياته ، وتسارعت بدائع البدائه من أفكاره فسأقت جريان يراعه في أبياته ؛ وراقت أماليه ، لناقلي أفاظه ومعانيه ، فشكر السمع والفهم بها هبات هباته ؛ فأدابه مشهوره ، وعلومه مذكوره ؛ وتخليه بمذاهب الصوفية أرتاضت به نفسه الخيرة الخيره ، وإخلاصه في عبادة الله تعالى حسنت به منه السيرة والسريه ؛ وصيانتة للأسرار الشريفة أستحق بها إسناد أمرها إليه ، وإيداع غوامضها لديه ، والتعويل في حفظها وفي لفظه للفظها عليه - آقتضى حسن الرأي الشريف أن نجتية لما تحققتنا منه من ذلك ، ونخصه بصحابة ديوان الإنشاء الشريف في أجل الممالك ، ونجعل قدمه ثابتة الرسوخ ، والصعود في مشيخة الشيوخ ، ليسلك فيها أحسن المسالك .

فذلك رسم بالأمر الشريف ^(١) الأشرفي ، الناصري - لازال لأبوابه الشريفة فتح في الخير يقدمه النصر ، ولسعابه منح ما يعرف مدد أمداده القصر - أن تفوض إليه صحابة ديوان الإنشاء الشريف ، ومشيخة الشيوخ بالشام المحروس ، على عادة من تقدمه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت .

فليأشر ذلك بوافر عفافه ، ووافي إنصافه ؛ ومشهور أمانته ، ومشكور صيانتته ؛ كما للأسرار ، كتاباً للبار ، ليكون من الأبرار ؛ عالماً مصالح الأنام بإرشاد رأيه وصوابه ضابطاً أحوال ديوانه ، متحرراً في كثير الأمور وقليلها : فإن الكتاب يظهر من عنوانه ؛ محرراً لما يمني معتبراً لما يكتب ، مجملاً للطالعات الكريمة بفكره المتسرع

(١) بياض بالأصل ولعله "العالي" .

وتصوره الأرتب ، حافظاً أزيمة ما يصدر من مثال وما يرد في المهمات الشريفة
فهو أدرى وأدرب بما على ذلك يترتب ، محافظاً كعادته على دينه ، لازماً لصديق
يقينه ، حافظاً لأهل الخير جناحه ، مانحاً لهم نجاحه ، معاملاً للفقراء بكرم نفس بالله
غنيه ، ملاحظاً لأحوالهم بالقول والفعل والعمل والنية ، محترماً لكبيرهم ، حانياً على
صغيرهم ، مفكراً فيما يعود نفعه عليهم ، راجحاً في الباطن والظاهر إليهم ، معنياً لهم
بالاشتغال بالعبادة ، مسلماً لهم الطريق إلى الله فإنها الطريق الحادّة ، مستجلباً
لذواتهم الصالحة ، مستفيداً من متاجر بركاتهم الرابحة . والوصايا كثيرة ومن نور
إفادته تقتبس ، ومن مشهور مادته تلمس ، وملاكها التقوى وهي أول كل أمر
وآخره ، وبملازمها تتم له مفاعله ، والله تعالى يحرسه في السر والنجوى ، ويظهر
بارشاده للعاني والبيان كل نجوى ، بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بكتابة السر بالشام ، كتبت به للقاضي « شرف الدين
عبد الوهاب » بن فضل الله ، عند ما رسم بنقله من القاهرة إلى دمشق ،
في ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبعائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين « محمود
الحلبي » وهي :

الحمد لله الذي خصّ دولتنا الشريفة برعاية الدم ، وحفظ ما أسلف الأولياء
من الطاعات والخدم ، وإدامة ما أسدته إلى خدم آيائنا الزاهرة من الآلاء والنعم ،
وإفاضة حلل أعينها ، التي هي أحب إلى من شرف بولائها ، من حمر النعم ، وأبقى
عوارفها على من لم يزل معروفاً في صون أسرارها بسعة الصدر وفي تدمير مصالحها
بصحة الرأي وفي تنفيذ مراسمها بطاعة اللسان والقلم .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي مَا اسْتَهَلَّتْ عَلَى وَلِيِّي فَاقْلَعْ عَنْهُ غَمَامُهَا ، وَلَا اسْتَقَرَّتْ بِيَدِ صَنِيعِي
فَانْتُرِعَ مِنْ يَدِهِ حَيْثُ تَصَرَّفَ زِمَامُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً لَا تَزَالُ نَعْتَمُّ بِجِبَالِهَا الْمَتِينِ ، وَيَتَلَقَّى عَرَابَهُ إِخْلَاصِنَا رَايَةَ فَضَائِلِهَا بِالْيَمِينِ ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَكْرَمُ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَّمِ ، بِالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ كَرَّمْتَ أَنْسَابَهُمْ ، وَأَضَاعْتَ لَهُمْ وُجُوهَهُمْ وَأَحْسَابَهُمْ ؛
فَرَفَلُوا فِي حُلَلٍ مَا أَكْتَسَبُوهُ مِنْ سُنَّتِهِ ، وَأَكْتَسَبُوهُ مِنْ سُنَّتِهِ ، فَحَسُنَ مِنْهَا أَكْتِسَابُهُمْ
وَأَكْتِسَابُهُمْ ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغَيَّرًا فِي الْأَفَاقِ
وَمُنْجِدًا ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ حَوَلْتِهِ مَكَارِمُنَا الْإِقَامَةَ حَيْثُ يَهْوَى مِنْ وَطَنِهِ ، وَبَوَاتِهِ نِعْمَنَا
الْجَمْعَ بَيْنَ ذِمَامِ رَبَّنَا وَبَيْنَ مَا فَارَقَهُ مِنْ سَكْنِهِ ؛ وَمَلَكَتْهُ عَوَاطِفُنَا ، زِمَامَ التَّصَرُّفِ
حَيْثُمَا أَمَكُنْ مِنْ خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ ، وَعَرَفْتَهُ عَوَارِفُنَا ، أَنَّ مَكَانَتَهُ عِنْدَنَا عَلَى حَالِهَا حَيْثُ
أَدَّى مَا عُدِقَ بِهِ مِنْ وَظِيفِهِ - مَنْ لَمْ يَزَلْ قَلَمُهُ لِسَانَ مَرَّاسِمِنَا ، وَعِنَانٌ مَا تُجْرِيهِ
فِي الْأَفَاقِ مِنْ سَوَابِقِ مَكَارِمِنَا ، وَتَرْجُمَانِ أَوَامِرِنَا ، وَخَطِيبِ الْآئِنَا الَّتِي غَدَّتْ بِهَا
أَعْطَافُ التَّقَالِيدِ مِنْ جُمْلَةِ مَنَابِرِنَا .

ولمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي : هُوَ الَّذِي لَمْ يَبْرَحْ صَدْرُهُ خِزَانَةَ أَسْرَارِنَا ، وَفِكَرُهُ كَنَانَةً
إِعْلَانِنَا فِي الْمَصَالِحِ وَإِسْرَارِنَا ، وَخَاطِرُهُ مِرَاةَ آرَائِنَا ، وَيَرَاعُهُ مِشْكَاتَةَ مَا يُشْرِقُ : مِنْ أَنْوَارِ
تَدْيِيرِنَا ، أَوْ يَبْرِقُ : مِنْ أَنْوَاءِ الْآئِنَا ؛ يَنْطِقُ قَلَمُهُ فِي الْأَقَالِيمِ عَنِ الْإِسْنَةِ أَوَامِرِنَا الْمُطَاعَةِ ،
وَيَنْفُذُ كَلِمَهُ عَنِ مَرَّاسِمِنَا فِي دِيْوَانِ الْإِنْسَاءِ بِمَا تُقَابِلُهُ أَقْلَامُ الْجَمَاعَةِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ؛
وَكَانَتْ سِنَّتُهُ قَدْ عَلَتْ فِي خِدْمَتِنَا إِلَى أَنْ رَأَيْنَا تَوْفِيرَ خَاطِرِهِ عَلَى الْبَرَكَاتِ ، عَنْ كَثِيرٍ
مِمَّا يَتَّبِعُ رِكَابَنَا الشَّرِيفَ مِنْ لَوَازِمِ الْحَرَكَاتِ ؛ وَأَنَّ نَعْفِيَهُ مِمَّا يُلْزِمُ الْإِقَامَةَ بِأَبْوَابِنَا

الشريفة من كثرة المثل بين يدينا، وأن تقتصر به على أخف الوظيفتين إذ لا فرق في رتبة السريين ما يصدر عنا أو ما يرد إلينا .

فوسم بالأمر الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى، الفلانى، أن يكون فلان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بمعلومه الشاهد له به الديوان المعمور بالأبواب العلية، عوضاً عن أخيه المجلس السامى، القضائى، المحيوى « يحيى بن فضل الله » ويستمر أخوه القاضى « محيى الدين » المذكور مع جملة الكُتاب بديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور .

فليأشرف هذه الرتبة التى تأملت به قواعدها وعن تقريره وتحريه أخذ كل من كان بأنواعها وأوضاعها علياً، فإنه لم يخرج عن أخيه شياً وصل إليه، ولا فوض له إلا ما هو بحكم عموم الأولوية والأولية فى يديه، وأما ما يتعلق بذلك من وصايا تبسط، وقواعد تُشترط، فإنها منه استفادها من رفقها، وعنه ارتوى بها ورواها من تعلمها، ونحن نعلم من ذلك ما لا يحتاج إلى أن يزداد فيه يقيناً، ولا أن يزيد به ذكره معرفةً وتمكيناً، والاعتماد

قلت : ومن غريب ما وقع : أنه كتب للقر الشهابى بن فضل الله بكتابة السر بالشام، حين وليها بعد انفصاله من الديار المصرية توقيع مفتوح بـ «أما بعد حمد الله» من إنشاء المولى « تاج الدين بن الباربارى » وكأنه إنما كتب بذلك عند تغير الساطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » عليه، على ما هو مذكور فى الكلام على كُتاب السر فى مقدمة الكتاب .

وهذه نسخة توقيع بكتابة السرباشام المحروس :

أما بعد حمد الله منقل الشهب في أحب مطالعها ، ومعلي الأقدار بتصرف
الأقدار ورافعها ، ومبهج النفوس بمعادها إلى أوطانها ومواضعها ، ومضى مشيئته
في خليقته بالخيرة فيما يشاء لطالعها ، والشهادة له بالوحدانية الآخذة من القلوب
بجامعها ، والصلاة على سيدنا محمد الذي بصر الأمة بهديها ومنافعها ، وصان شرعته
الشريفة تلو الملل بنسخ شرائعها ، وعلى آله وصحبه الذين استودعوا أسرار الملة
خفظوا نفيس ودائعها - فإن ممالحنا الشريفة هي سواء لدينا في التعظيم ، وأولياء
دولنا الشريفة يتنقلون فيها في منازل التكريم ، وعندنا من « فضل الله » رعاية للعهد
القديم ، وتأكيده لأسباب التديم ، فلا غضاضة لمن نزلناه من أبوانا إليها ، ولا وهن
يطراً على علو المراتب ويعتريها ، حيث صدقاتنا دائمه ، ونفور إقبالنا باسمه ،
ومراسمتنا لمساعدة الأقدار في الأيام حاكمه ، و« الشهاب » لو لم يسرفي سمائه ، لما
أهتدي الناظرون بضياته ، والذرة لو مكثت في صدفيها ، لما حظيت في العقود
بشرفها .

وكان المجلس العالي ، القضاي ، الشمابي ، قد أقام في خدمتنا الشريفة بالأبواب
العالية حافظاً للأسرار ، قائماً بما يحب ونختار ، ثم لما أخذ حظله من القرب من
أيدينا الشريفة : رأينا أن عوده إلى أوطانه ، وأدله من تمام إيمانه ؛ وأن مرجعه
إلى محله ، من نعم الله عليه وفضله ؛ وما سار إلا والإقبال يزوده ، والاستقبال به
وأهل بيته يسعده ويضعده .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن ينقل إلى كتابة الإنشاء الشريف بدمشق
المحروسة ، وأن يكون متحدتاً عن والده ، على ما كان عليه بالديار المصرية ، وليقرر له
من المعلوم كذا وكذا .

فَلَيْسَ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَلَيْسَتْ تَقَرُّ فِي مَوْطِنِ إِقَامَتِهِ ، قَرِيرَ الْعَيْنِ ، مَمْلُوءَ الْيَدَيْنِ ،
 مَسْرُورًا بِرَفْعِ الْحَلِّ فِي الْمَمْلَكَتَيْنِ ؛ وَلَيْكُنْ لَوْلَادِهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَضُدًا ،
 وَلِيُصْبِحَ لَهُ فِي مَهْمَاتِنَا الشَّرِيفَةِ سَاعِدًا وَيَدًا ، وَلِيُضِجَ بِهِ الْيَوْمَ بَرًّا لِيَجِدَ رِضَا اللَّهِ
 غَدًا ؛ فَإِنَّ وَالِدَهُ بَرَكَةُ الْمَالِكِ ، وَلَهُ قَدِيمُ هِجْرَةٍ ، وَسَالِفُ خِدْمَةٍ ، وَحَسَنُ طَوِيَّةٍ ،
 فَحَنُّ نِعَاةٍ لَدَيْكَ ، وَالْمُهَمَّاتُ الشَّرِيفَةُ يُتَلَقَّاهَا بِنَفْسِهِ ، وَلِيُصَدِّرَ فُصُولَ الْمَطَالَعَةِ
 مُدْبِجَةً عَلَى عَادَتِهِ فِي تَدْبِيحِ طَرِيسِهِ ؛ وَلَيْسَتَ عِنَ اللَّهِ فَهُوَ وَلِيُّ الْإِعَانَةِ ، وَلِيَعْتَمِدَ
 عَلَى الرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ فَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ؛ وَمَا بَعْدَ عَنَا ، مَنْ كَانَ بَعِيدًا
 بِالصُّورَةِ قَرِيبًا بِالْمَعْنَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ مَنًّا مَنًّا ؛ وَالخَطَّ الشَّرِيفَ أَعْلَاهُ حُجَّةً فِيهِ ؛
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثالثة - نظر الجيوش بالشام .

وَشَأْنُ صَاحِبِهَا كِتَابَةُ الْمُرَبَّعَاتِ الَّتِي تُنْشَأُ مِنَ الشَّامِ ، وَتَنْزِيلُ الْمُنَاشِيرِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي
 تَصْدُرُ إِلَيْهِ .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك ، كُتِبَ بِهِ «لموسى بن عبد الوهاب» من
 إِنْشَاءِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ شَهَابِ الدِّينِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ إِحْسَانَنَا عَائِدًا بِصَلَاتِهِ ، وَفَضْلَنَا يَجْمَعُ شَمْلَ الْإِسْعَادِ بَعْدَ
 شَتَاتِهِ ، وَعَوَاطِفُنَا تُنَبِّهُ جَفْنَ الْإِقْبَالِ مِنْ إِغْفَائِهِ وَسِنَاتِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ نَصَرَ بِنَا جَيْشَ الْإِسْلَامِ فِي أَرْجَاءِ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ وَجِهَاتِهِ ، وَجَعَلَ
 الْبَرَكَةَ وَالْيَمْنَ بِأَمْرِنَا فِي حَالَتِي مَحْوِهِ وَإِثْبَاتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
 شَهَادَةً زَادَتْ فِي جَزَاءِ الْمُخْلِصِ وَحَسَنَاتِهِ ، وَأَضْحَتْ نُورًا يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ
 وَإِلَى جَنَّتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ وَاضِحَ آيَاتِهِ ،

وَأَصْبَحَ النَّشْرَ عَاقِبًا مِنْ نَشْرِ رَايَاتِهِ ؛ وَمَحَا الْفِتْرَةَ بِهَيْدِيهِ وَسَرَّ سَرَائِرَ أَوْلِيَايَاهُ وَأَسْمَدَ قُلُوبَ عُدَايَاهُ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا تَأْرَجُ النَّسِيمُ فِي هَبَاتِهِ ، وَأَبْهَجَ الْعَطَاءَ بِجَزِيلِ هَبَاتِهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وبعدُ ، فَإِنَّ مِنَ النَّعِيمِ مَا إِذَا عَادَتْ أَقْرَبَتِ الْعُيُونُ ، وَحَقَّقَتِ الْآمَالَ وَالطَّنُونُ ؛ وَرَفَعَتِ الْأَقْدَارَ وَإِنْ لَمْ يَزَلْ رَفِيعًا مَحَلُّهَا ، وَجَمَعَتِ الْمَسَارَّ الْمُمْتَدَّ عَلَى الْأَفْنِدَةِ ظِلُّهَا ؛ وَعَمَرَتِ رُبُوعَ الْإِحْسَانِ ، وَعَمَّرَتِ بِمَنَائِحِهَا الْحِسَانَ ؛ كَهَيْدَةِ النَّعْمَةِ الَّتِي تَلَقَّتْ الْإِقْبَالَ مِنْ حَافِلِ عَمَامِهِ ، وَجَمَعَتِ شَمْلَ التَّقْدِيمِ مَشْفُوعًا بِإِكْرَامِهِ ؛ وَأَعَادَتْ سَمَاءَ التَّكْرِيمِ هَادِيَةً بِقَطْبِهَا ، مُشْرِقَةً الْأَرْجَاءَ بِنُورِ رَبِّهَا ؛ وَسَفَرَّتْ بُدُورُهَا بَيْنَ هُوِ أَوْلَى بِاجْتِلَائِهَا ، وَتَهَيَّأَتْ رَبُّهَا لِمَنْ هُوَ جَدِيرٌ بِاعْتِلَائِهَا ؛ وَحَقِيقٌ بَأَنَّ تَعُودَ الْمَوَاهِبِ بَعْدَ فِتْرَتِهَا ، وَأَنْ تُقْبَلَ عَلَيْهِ وَجُوهُ الْمَنَائِحِ بَعْدَ لَفْتِهَا ؛ لِتُصْبِحَ كَوَاكِبُ الْإِسْعَادِ كَأَنَّهَا مَا أَفَلَتْ ، وَعَطَايَا التَّخْوِيلِ كَأَنَّهَا مَا أَتَقَلَّتْ ؛ وَيُعُودَ عَلَيْهِ الْيَوْمُ كَأَمْسِهِ ، وَيَرْجِعُ أَفُقُ الْعَوَارِفِ الْحِسَامِ مُشْرِقًا بِبَدْرِ الْاجْتِبَاءِ وَشَمْسِهِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي حَسُنَتْ فِي الْخِدْمِ الشَّرِيفَةِ آثَارُهُ ، وَحَمِدَ إِيرَادَهُ فِي الْمُهَيَّمَاتِ الشَّرِيفَةِ وَإِصْدَارَهُ ؛ وَشَكَرَهُ شَامُهُ وَمِصْرُهُ ، وَسَمَا فِي كُلِّ جِهَةٍ حَلَّهَا مَحَلُّهُ وَقَدْرُهُ ؛ وَتَحَقَّقَتْ مِنْهُ رَأْسَةُ قَضَتْ لَهُ بِإِبْدَاءِ النَّعْمِ وَإِعَادَتِهَا ، وَأَنْ تَجْرِيَ لَهُ الدَّوْلَةُ مِنَ الْإِكْرَامِ عَلَى أَجْمَلِ عَادَتِهَا ؛ وَأَنْ تُرْعَى لَهُ حُقُوقُ أَلْفِهَا حَدِيثًا وَقَدِيمًا ، وَتُنَشَرَ عَلَيْهِ ظِلَالُ الْفَضْلِ حَتَّى لَا يَفْقِدَ مِنْهَا عَلَى طُولِ الْمَدَى تَكْرِيمًا .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ... لا زال ... أن يستقر ... تجديداً لملايس سَعْدُهُ ، وَتَأَكِيدُ الْقَوَاعِدَ بِمَجْدِهِ ، وَتُرْدِدُهُ لِلْفَضْلِ الَّذِي حَلَا مِنْهُلُ وَرِدِهِ ؛ وَرِعَايَةً يَخْدَمُهُ الَّتِي أَكْبَتْ عَلَيْهَا السِّيُوفُ وَالْأَقْلَامُ ، وَشَكَرَتْ تَأْيِيرَهَا جُنُودُنَا - نَصَرَهَا اللَّهُ

تعالى - بِمِصْرَ وَالشَّامِ ، وَلَمَّا لَهُ مِنْ حُسْنِ سَمِيَّةٍ زَادَهُ وَقَارُهُ ، وَأَصْلُ صَالِحٍ طَابَتْ مِنْهُ ثِمَارُهُ .

فَلَيْسَتْ قَرَّتْ فِي هَذِهِ الْوُضُفَةِ الْمُبَارَكَةِ : عَالِمًا أَنْ لِسَانَ الْقَلَمِ أَمْسَكَ عَنِ الْوَصَايَا لِأَنَّ خَبْرَ هَذِهِ الْوُضُفَةِ فَرَعًا وَأَصْلًا ، وَأَلْفَتْ مِنْهُ نَاطِرًا عَلَا قَدْرًا وَكُرْمًا مَحْدًا وَفَصْلًا ، وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَدْرَى بِسُلُوكِ مَنْهَا جِهَاتِ الْقَوِيمِ ، وَأَدْرَبُ بِاقْتِنَاءِ سَنَنِهَا الْمُسْتَقِيمِ ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب التواقيع الديوانية بدمشق - من يكتب له في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء مفتتحا بـ «الحمد لله» إن علت رتبته وإلا بـ «أما بعد» ، وتشتمل على وظائف)

منها - نظير الخزانة العلية ، وشأنها هناك نظير الخزانة الكبرى بالديار المصرية في القديم ، ونظير خزانة الخصاص الآن .
وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة العلية :

أما بعد حمد الله على نعمه التي خصت المناصب السنية في أيامنا الزاهرة بكل كرم كريم ، وجعلت على خزائن الأرض من أولياء دولتنا القاهرة كل حفيظ عليم ، وأفاضت ظل إنعامنا على من إذا أنعم النظر في حق ذوى البيوت القديمة كان أحق بالتقديم ، والصلاة على سيدنا محمد أفضل من حباه بفضله العميم ، وأجتهاه لهداية خلقه إلى السنن القويم ، وجعل سلامة الصلاة المقبولة من التقص مقرونة بالصلاة عليه والتسليم - فإن أولى من ربحه نخدمتنا الاختيار ، وقدمه في دولتنا الاختبار ،

وَأَخْلَصَهُ حَسَنُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ رُتَبَةَ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِ ، وَأَعْدَقَ لَهُ سَحَابُ بَرْنَا صَوَّبَ إِحْسَانٍ فَلَمْ يُصِبْهُ طَلُّ بَلِّ وَبَلِّ - مِنْ حَمْدِ سَيْرِهِ وَسِيرِهِ ، وَشُكْرِ فِي طَاعَتِنَا وَرَدُّهُ وَصَدْرُهُ ؛ وَزَانَ الْأَصَالَةَ بِالنَّبَاهَةِ ، وَالرَّاسَةَ بِالْوَجَاهَةِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِالزَّاهَةِ ؛ وَجَمَعَ بَيْنَ الصَّلْفِ وَالْأَطْلَاعِ ، وَالتَّضَلُّعِ مِنَ الْعِفَّةِ وَالْأَضْطِلَاعِ ، وَالصِّفَاتِ الَّتِي لَوْ تَحَيَّرَهَا لِنَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهَا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ .

ولما كان نَظْرُ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ رُتَبَةً لَا يَرْتَقِي إِلَيْهَا مِنَ الْأَكْفَاءِ إِلَّا مَنْ وَمَنْ ، وَلَا يُقَدِّمُ لَهَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا مَنْ تَعَيَّنَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَصْرِ وَفَضْلَاءِ الزَّمَنِ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي عَيْنَهُ لَهَا أَرْتِيَادُ الْأَكْفَاءِ ، وَأَصْطُفِي هُوَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ ، وَتَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِ مَحَاسِنِهِ مَا لَا يَرْوَعُ تَمَامُ بَدْرِهِ وَظُهُورُهُ بِالنَّقْصِ وَالْأَخْفَاءِ .

فَلذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرَ الْخِزَانَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَلْيَبِأْ شَرِّ ذَلِكَ مَبَاشِرَةً مِنْ يَحْقُقُ فِي كِفَايَتِهِ وَفَضِيلَتِهِ التَّامِيلَ ، وَيُظْهِرُ حَسَنَ نَظَرِهِ الَّذِي هُوَ كَالنَّهَارِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ؛ وَلِيَجْرِيَ عَلَى جَمِيلِ عَادَتِهِ فِي النَّهْوِ فِي خِدْمَتِنَا بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ ، وَيُضَاعِفِ اجْتِهَادَهُ الَّذِي بَمَثَلِهِ جُعِلَ مِنْ اخْتِيَارِ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الرُّتَبَةَ مَالُ الْأَمْوَالِ ، وَذَخَائِرُ الْإِسْلَامِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْحَيُوشِ وَمَوَارِدُ الْإِفْضَالِ ؛ فَلْيُعْمَلْ فِي مَصَالِحِهَا فَكْرَهُ وَدَأْبَهُ ، وَإِذَا كَانَ حَسَنُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ قَدْ جَعَلَهُ الْمُؤْتَمِنَ عَلَيْهَا : ﴿ فَلَئِمُّدُّ الَّذِي أَوْثَمِنَ أَمَانَتَهُ وَلِتَبْقَى اللَّهُ رَبَّهُ ﴾ . وَفِي سِيرَتِهِ الَّتِي عُرِّفَتْ ، وَصِفَاتِهِ الَّتِي إِنْ وَصِفَتْ فَمَا انْصَفَتْ ؛ مَا يُعْنَى عَنْ تَفَاصِيلِ الْوَصَايَا وَجَمَلِهَا ، وَإِعَادَةَ مَزَايَا التَّأَكِيدِ : قَوْلُهَا وَعَمَلِهَا ؛ لَكِنْ مَلَكَهَا الصِّبَانَةُ الَّتِي هُوَ بِهَا مَوْصُوفٌ ، وَالتَّقْوَى الَّتِي هُوَ بِهَا مَعْرُوفٌ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .

ومنها - صحابة ديوان النظر، و صحابة ديوان الجيش ونحو ذلك من الوظائف
الديوانية بدمشق .

قلت : هذا إن كتب من الابواب الثمريفة السلطانية ، وإلا فالغالب كتابة
ذلك عن نائب السلطنة بدمشق .

الصنف الرابع

(من الوظائف بدمشق وظائف المتصوفة ومشايخ الخواتق ،
وفيهما مرتبتان)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتتحا بـ «الحمد لله» .
وبذلك يكتب لشيخ الشيوخ بالشام ، وهو شيخ الخانقاه
الصلاحية ، المسماة بالشميصاتية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، وهى :

الحمد لله الذى اختار لعامة بيوته اولياء يحبونه ويحبهم ، وأصفياء حَفَّهُم بِرَحْمَتِهِ
فاجتهدوا فى طاعته فازداد قُرْبَهُمْ ، وأتقياء زهدوا فى الدنيا وأبدلوا الفانى بالباقى
وطاب فى مورد الصفاء شربهم .

نحمده حمد من جعل حبَّ الله دثاره ، وملأ لى التقوى شعاره ، ونشكره والشكر
لمزيد النعم أماره ، وللقلوب الدائرة عماره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة مخلص فى التوحيد ، ينبؤ بها جنان الخلد ويخلص من سماع قول جهنم :

هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَسْرَى بِهِ إِلَى حَضْرَةِ
 أَنَسِ، وَحَظِيْرَةِ قُدْسِهِ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ الْأُمَّةَ
 بِشَيْءٍ وَقَرَفَى صَدْرَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَلَّتْ وَاقِعُهُ سَارِيَةَ عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ ؛
 صَلَاةً لَا تَرَالُ الْأَرْضَ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغَيَّرًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلَّمَ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ عُوْمِلَ بِالتَّقْدِيمِ ، وَأَجْدَرُ مَنْ يُحْصَى بِالتَّكْرِيمِ ؛ مَنْ كَانَ
 قَدْرُهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ عَظِيمًا ، وَذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ قَدِيمًا ؛ وَتَجْرِيدُهُ عَنِ
 الدُّنْيَا مَشْهُورًا ، وَسَعِيُّهُ عَلَى قَدَمِ الطَّاعَةِ مَشْكُورًا ؛ وَشُهُودُهُ لِمَقَامِ الْكَمَالِ مُسْتَجَلِبًا ،
 وَأَسْتَجْلَاؤُهُ لِمَوَادِّ الْأَنْسِ مُسْتَمْلِيًا ؛ فَهُوَ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْجَلِيلَةِ سَرِيُّ الْمِقْدَارِ ، مَعْرُوفُ
 الصِّفَةِ فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَنَاقِبِ الْأَبْرَارِ ، وَالمُتَقَدِّمُ مِنَ الْإِمَامَةِ فِي مَجْمَعِ الْأَخْيَارِ .

ولما كَانَ المَجْلِسُ السَّامِيُّ ، الشَّيْخِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْأَوْحَدِيُّ ،
 الرَّاهِدِيُّ ، الْوَرَعِيُّ ، الْأَصْبَلِيُّ ، الْفَلَانِيُّ ؛ جَلَالَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَشَرَفِ الصُّلَحَاءِ
 فِي الْعَالَمِينَ ، شَيْخُ الشُّيُوخِ ، قُدْوَةُ السَّالِكِينَ ، مُعْتَقَدُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ ، أَعَادَ اللهُ
 تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ : هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَالْمَحْظُوظُ بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ - أَفْتَضَى
 حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يُحْصَى فِي الدُّنْيَا بِالتَّعْظِيمِ ، وَيُمَيَّزَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالتَّكْرِيمِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ لَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّيْلِ جَيْشٌ لَا تَطِيشُ
 سِهَامَهُ ، وَمِنْ فُرْسَانِ الْحَارِيبِ مَدَدٌ لَا تَزُلُّ فِي مُلَاقَاةِ الرَّجَالِ أَقْدَامُهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ
 فِي كَذَا .

فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِالشُّرُورِ ، وَلِيَتَأْتَلْ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ بِحَمْدِ اللهِ الشُّكُورِ ؛ وَلِيُؤَاطِبْ
 عَلَى وَظِيْفَةِ الدُّعَاءِ بِدَوَامِ أَيْمَانِ الزَّاهِرِهِ ، وَلِيَسْتَمْطِرَ جَزِيلَ الْفَضْلِ مِنْ سَحَابِ جُودِنَا

المَاطَرَه؛ وَبِئْسَ يَدَه فِي عَمَلِ الْمَصَالِحِ، وَبِئْسَ تَمَرٌّ عَلَى السَّعْيِ الْحَسَنِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛
فَإِنَّ هَذِهِ الْبُقْعَةَ مَأْوَى الْقَادِمِ وَالْقَاطِنِ، وَتَسْمُو عَلَى أَمْثَالِهَا مِنَ الْمَوَاطِنِ؛ وَبِئْسَ
لِأَسْرَارِهِمْ مَوْقَرًا، وَلِأَقْوَاتِهِمْ الْمَعِينَةَ عَلَى الطَّاعَةِ مُيسِّرًا؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ خَلْوَاتِهِ
مَعْمُورَةً، وَأَفْعَالَهُ مَبْرُورَةً؛ وَالْإِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ .

قُلْتُ : هَذَا إِنْ وَلِيَهَا شَيْخٌ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ، عَلَى عَادَةِ الْخَوَاطِقِ . وَقَدْ بَلِيهَا
كَاتِبُ السَّرِّ بِالشَّامِ، فَيُكْتَبُ تَقْلِيدُهُ بِكِتَابَةِ السَّرِّ فِي قَطْعِ النِّصْفِ «بِالْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ» عَلَى
عَادَةِ كُتَّابِ السَّرِّ، وَيُشَارُ فِي تَقْلِيدِهِ إِلَى بَعْضِ الْأَلْفَاظِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ، وَيُضَافُ
إِلَى أَلْقَابِ كِتَابَةِ السَّرِّ بَعْضُ أَلْقَابِ الصُّوفِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لِهَذَا الْمَقَامِ . عَلَى أَنَّهُ رُبَّمَا
كُتِبَ بِوَلَايَتِهَا عَنْ نَائِبِ السُّلْطَنَةِ بِالشَّامِ لِكَاتِبِ السَّرِّ أَوْ غَيْرِهِ .

المرتبة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة مفتتحاً بـ«رسم»)

وهذه نسخة تُوَقِّعُ مِنْ ذَلِكَ، وَهِيَ :

رُسمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ أَوْامِرُهُ تُجَلُّ الْقُرْبَاتِ مَحَلَّهَا، وَمَرَّاسِمُهُ تُسْنِدُ
الرُّتَبَ الدِّينِيَّةَ لِمَنْ إِذَا خُصُّوا بِمَوَاقِعِهَا كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا - أَنْ يُرْتَّبَ فُلَانٌ
فِي كَذَا : إِذْ هُوَ أَوْلَى مِنْ خُصِّ بِمَوَاطِنِ الْعِبَادَةِ، وَنَصَّ بِتَرْفِيهِ الْأَسْرَارَ عَلَى التَّحَلِّيِ
بِإِفَاضَةِ الْإِفَادَةِ؛ وَوَقَّرَ كَدَّهُ عَلَى اجْتِنَاءِ وَجْهِهِ الْمَعَارِفِ مِنْ أَفْقِ الْمَرَاقِبَةِ، وَجَمَعَ
خَاطِرَهُ لِاجْتِنَاءِ ثَمَرَةِ الْأُنْسِ مِنْ أَفْئَانِ الطَّاعَاتِ النَّابِتَةِ فِي رِيَاضِ الْمَحَاسَبَةِ؛ مَعَ تَمَسُّكِهِ
بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي [خَلَصَ] مَعْرِفَتَهُ مِنَ الشَّوَابِ، وَأَحْيَا الدُّجَى مِنْ أَقْبَاتِلِ شَيْبَةِ

ظلامه إلى أن تَسِيَّبَ منه الدَّوَابُّ ؛ وَنَفَعٍ مَتَعَدًّا إِلَى كُلِّ طَالِبٍ فَضْلٍ وَمَلْتَمَسٍ ،
وَدِينٍ بَاهِرٍ مِنْ مَصْبَاحِ مَشْكَاتِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِكُلِّ بَاغِي نُورٍ وَمُقْتَنِسٍ .

فَلَيْسَتْ قَرَّ شَيْخًا بِالْمَكَانِ الْفُلَانِيَّ : لِتَعَمَّرَ أَرْجَاؤُهُ بِتَهْجِدِهِ ، وَتُسْرِقَ خُلُوعَاتُهُ بِتَعْبِيدِهِ ؛
وَتَعُدُّبَ مَوَارِدِهِ بِأُورَادِهِ ، وَتُطَلِّعَ مَجَالِسَهُ بِمُجُومِ مَعْرِفَتِهِ الْبَازِغَةِ مِنْ أَفْقِ إِيرَادِهِ ؛ [وَالْتَعَدُّوْ
هَذِهِ الْبُقْعَةَ رَوْضَةَ أَفْكَارٍ ، وَقِبْلَةَ أَذْكَارٍ ؛ وَمَرَاقِي دَعَاوَاتٍ ، وَمَرَافِي بَرَكَاتٍ ،
تُسْتَنْزِلُ بَيْنَ صَلَوَاتٍ مَقْبُولَةٍ وَخَلَوَاتٍ ؛ وَلِتَتَدَاوَى الْمَعْلُومَ الْمُسْتَقَرَّ لَهُ تَرْفِيهَا لِسِرِّهِ ،
وَتَنْزِيهَا لِفِكْرِهِ ؛ وَإِعَانَةً عَلَى الْإِنْقِطَاعِ بِهَذِهِ الْبُقْعَةِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِهِ أَسْبَابُ السَّعَادَةِ
فِي أَرْجَائِهَا ، وَتُخَصِّصُهَا لَهَا مِنْهُ بِإِمَامٍ تُقِيُّ لَوْ كَانَ لِبُقْعَةٍ أَنْ تُجَنِّبِي بَرَكَتَهُ لَكَانَ مُنْتَهَى
رَجَائِهَا ؛ وَلِيُرْفَعَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِأَيَّامِنَا الْمُبَارَكَةِ مَا لَا تَرَالُ مَوَاطِنُ الْقَبُولِ لِنَفْحَاتِهِ
الْمُتَرَقِّبَةِ مُتَلَقِّيهِ ، وَمَا لَا تَبْرَحُ النُّفُوسُ لِحَشِيئَتِهِ الْمَانِعَةِ مُتَوَقِّبِهِ ، وَالْإِعْتِدَادُ عَلَى الْخَطِّ
الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .

قُلْتُ : هَذَا إِنْ كُتِبَ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَإِلَّا فَالْغَالِبُ كِتَابَةُ ذَلِكَ عَنِ
نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِالشَّامِ .

النوع الثاني

(من وظائف دِمَشْقَ مَاهُو خَارِجَ عَنِ حَاضِرَتِهَا)

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ : أَنَّ لِدِمَشْقَ أَرْبَعَ صَفَقَاتٍ ، وَهِيَ : الْغَرْبِيَّةُ ،
وَالشَّرْقِيَّةُ ، وَالْقِبْلِيَّةُ ، وَالشَّمَالِيَّةُ .

فَأَمَّا الصَّفَقَةُ الْغَرْبِيَّةُ : وَهِيَ الْمَعْبَرُ عَنْهَا بِالسَّاحِلِيَّةِ وَالْجَلْبِيَّةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِيهَا ، فَفِيهَا
مِنْ وُظَائِفِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ عَدَّةٌ وَوُظَائِفُ ، وَتَوَلَّى فِيهَا الْأَبْوَابُ السُّلْطَانِيَّةِ .

منها - نيابة القدس . وقد تقدم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة يليها جندي ، ثم استقرت نيابة طبخانا ، في سنة سبع وسبعين وسبعائة ، وأن العادة جرت أن يُضاف إليها نظر الحرمين : حرم الخليل عليه السلام ، وحرم القدس . والذي يكتب له مرسوم في قطع الثلث بـ «السامح» بالياء .

ومنها - نيابة قلعة الصبيبة . وقد تقدم أنها من أجل الفلاح وأمنعها ، وأنه كان يليها نائب مفرد من أجناد الحلقة أو مقدميها عن نائب دمشق ، ثم أضيفت إلى وإلى بانياس . ثم استقرت في سنة أربع عشرة وثمانمائة في الدولة الناصرية « فرج » نيابة .

ومنها - نيابة قلعة عجلون . وقد تقدم أنها على صغرها حصن حصين ، مبنية على جبل عوف ، بناها أسامة بن مقيد ، أحد أمراء السلطان صلاح الدين « يوسف ابن أيوب » في سلطنة العادل أبي بكر ، وأنه كان مكانها رهب اسمه عجلون ، فسميت به . ثم استقرت في الدولة الناصرية « فرج » في سنة أربع عشرة وثمانمائة إمرة طبخانا .

وقد تقدم أول هذا القسم ما يكتب للمتقدمين ، وما يكتب للطبخانا ، وما يكتب للعشرات .

أما أرباب الوظائف الدينية .

فمنها - مشيخة الخاقية الصلاحية بالقدس . وتوقيعها يكتب في قطع الثلث مفتتحا بـ «الحمد لله» .

(١) في تقويم البلدان ص ٢٢٨ . أن جبل عوف كان أهله عصاة فبنى عليهم أسامة حصن عجلون وهو معقل حصين مشرف على النور .

ومنها - خطابة القدس ، وتوقيعها كذلك .

ومنها - مشيخة حرم الخليل ، وتوقيعها في العادة يكتب مفتتحا بـ «رسم» .

وأما الصَّفقة القليلية ، فالتي يوثق بها من الأبواب السلطانية نيابة صرَّخد . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المملكة الشامية أنه قد يجعل فيها من يقرب من رتب السلطنة ، وحينئذ : فإن وليها مقدّم ألف ، كان مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن وليها أمير طبخاناه ، كان مرسومه في قطع النصف أيضا ، بـ «السامى» بالياء .

وأما الصَّفقة الشرقية فالنيابات بها على طبقتين :

الطبقة الأولى

(ما يكتب به مرسوم شريف في قطع النصف ، وهو ما يليه مقدّم ألف
أو طبخاناه ، وفيها نيابات)

النيابة الأولى - نيابة حمص .

وقد تقدّم أنها كانت نيابة جليلة ، كان يليها في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» مقدّم ألف ، وأنه ذكر في «التتيف» أنها صارت الآن طبخاناه . وحينئذ : فإن كان بها مقدّم ألف ، كان مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن كان طبخاناه ، كان مرسومه في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بنيابة السلطنة بمحمص :

الحمد لله مقدر كل أجل إلى حين ، ومقرر أمور الممالك في عباده الصالحين ؛ الذى جعل بنا أوليائنا من الرابحين ، وحفظ ما أسترعانا من أمور عباده بولاية الناصحين .

نعمده على اختيار لا يصل إليه قدح القادحين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون بها في غمرات الحروب على السوابح ساجدين ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أكرم المائحين ، وأعظم الفائحين ، وأشرف من ولى الأعمال الكفاة الوفاة المكافحين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأحبابه صلاة لا تزال فيها الحفظه على أعمالنا مماسين ومصابحين ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن مراسمنا الشريفة وإن تأخر وقتها إلى أجل معدود ، وأمد ممدود ؛ ومضت أيام وليال ولها باب مسدود ، وعمل سببه غير مشدود - فإننا كالسيف يتلاهي ثم إذا صمم لا يرجع ، وكالغمام تمتدئ مدد مدته ثم يجود فلا يقبلع ؛ ولم نزل منذ فوض الله أمور بلادنا إلينا ، وصرف أمور جمهور عباده بيدينا ؛ نرى أن نحمي غاباتها بأشد الأوسود ، ونرمي غاياتها بمن هو لأمر قاتل يسود ؛ ونحوظ جنباتها بمن لا يستريح حرمه إلا الوفود ، ونحط ركائب رعاياها منه على من هو المقصود ؛ وننيب إلى ما يترجح من مصالحهم لدينا ، ونستنيب لمن يترجى الحسنى إذا عرضت متجددات أمورهم علينا ؛ وإذا انفرد بحكم لا يظن إلا أنه بسمع من أذنيننا ، ومرأى من عينينا ؛ لأن ثواب الممالك الشريفة فروع عدلنا الشريف ونحن أصلها ، وأسباب إحسان بأوامرنا المطاعة قطعها ووصلها .

وكانت حمص المحروسة من أكبر الممالك القديمة ، والمسدن العظيمة ؛ تغرق الأقاليم في مدها ، وتمتد عساكرها فتعد حماة حماة من جندها ؛ وهى من الشام المحروس في مانتى موآكبه ، ومجر عوآليه ومجرى سواقيه وجمع كتابيه ؛ طالما كان بها الحرب سجالاً ، وطالما سابت بها الرجال أجالا ؛ وكان لنا بها في الحرب يومان عوضنا الله أذناهما بما حفظت المعارك ، وضاعت الأرض بدماء القتلى ففاض إلوا

السَّمَاءَ مَا أَلْتَقَىٰ بِالشَّفَقِ مِنْ [تلك المسالك] ^(١)، وَأَتَّصَلَتْ بِالْبَرِّ وَالبَحْرِ مِنْ جَانِبَيْهَا ؛
وَأَتَّصَفَتْ بِأَنَّهَا مَهَبُ الرِّيحِ ، وَمَرْكَزُ الرَّمَاحِ ؛ لِمَا يَهْبُ لَنَا مِنْ بُشْرَى النِّصْرِ وَيَخْفِقُ
مِنْ عَصَائِبِنَا المَنْصُورَةِ عَلَيْهَا .

فَلَمَّا تَطَاوَلَ الأَمَدُ عَلَى حُلُوهَا مِّنْ يُّنُوبٍ عَنِ السَّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ فِي أَحْكَامِهَا ،
وَيُثُوبِ إِلَى تَسْهِيدِ مَرَامِي سِهَامِهَا ؛ لَمْ تَزَلْ أَرَاؤُنَا العَالِيَةَ تُجُولُ فِيمَنْ يَصْلُحُ أَنْ
يُقَدِّمَ قَدَمَهُ إِلَى رُتْبَتِهَا العَالِيَةِ ، وَيُجَرِّدَ مِنْهَا عِزَّ أُمَّه المَشْرِيفِيَّةِ ؛ وَيَجْمَعُ بِهَا عَلَى طَاعَتِنَا
الشَّرِيفَةِ مِنْ فِيهَا مِنَ العَسَاكِرِ المَنْصُورَةِ ، وَالقَبَائِلِ المَشْهُورَةِ ، وَالطَّوَائِفِ المَذْكَورَةِ ،
وَيَسْطُرُ بِسَاطِ العَدْلِ فِي كَافَّةِ جُنُودِهَا وَرِعَايَاهَا فَإِنَّهَا بِهَؤُلَاءِ مَحْرُوسَةٌ وَبِهَؤُلَاءِ
مَعْمُورَةٌ - فَرَأَيْنَا أَنَّ أَوْلَى مِنْ حَكْمٍ فِي عَاصِيهَا وَالمُطِيعِ ، وَاتَّخَذَ لِسُورِيَا السُّورَ المُنِيعِ ؛
مَنْ هُوَ المَوْثُوقُ بِمَا أَمْضَتِ السِّيُوفُ مِنْ هِمَمِهِ ، وَأَرْضَتِ التَّجَارِبُ مِنْ سَوَائِقِ
خِدْمِهِ ؛ وَطَارَتِ سُمْعَةٌ شُكْرِهِ فِي الآفَاقِ ، وَطَابَتْ أَثْنَيْتُهُ بِغَفَاتٍ بِمَا يُعْرِفُ مِنْ
الطَّرِبِ لِإِسْحَاقِ ؛ وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَتْ لَهُ فِي عَيْنَتَابِ ، نِيَابَةٌ كَمْ أَصَابَهُ فِيهَا رَجُلٌ بِالعَيْنِ
ثُمَّ إِنَّهُ مِنَ العَيْنِ تَابَ ؛ وَقَامَ بَيْنَ أَيْدِي كِفْلَاءِ مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ حَاجِبًا ، وَفَهَمَ مِنْ
أَحْكَامِهِمُ الَّتِي تَلَفَّوْهَا مِنَّا مَا أَصْبَحَ لَهَا صَاحِبًا ؛ فَمَا لِلنِّيَابَةِ إِحْكَامُ أَحْكَامِ إِلَّا وَهُوَ
بِهِ عَالِمٌ ، وَلَا تَوَلِيَّةُ حُكْمٍ إِلَّا وَقَدْ اسْتَحَقَّهَا لِقُرْبِ مَا يَبِينُ الحَاجِبِ وَالحَاكِمِ .

وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ المُرْتَضَى لِلْبَيْسِ هَذِهِ المَقَاحِرِ ، وَالمُنْتَظَرُ الَّذِي كَمْ تَرَكَ الأَوَّلُ فِيهِ
لِلْآخِرِ - فَاقْتَضَتْ مَرَّاسِمِنَا المَطَاعَةَ أَنْ يَرَانَ جَيِّدُهُ بِهَذَا التَّقْلِيدِ ، وَتُلْقَى إِلَيْهِ المَقَالِيدُ ؛
وَيُمَدِّدُ هَذِهِ الرُّتْبَةَ لِنَلْقِيهِ ، وَتَخَضَعُ عُنُقُ هَذِهِ المَرْتَبَةِ لِتَرْقِيهِ ؛ وَتَحْوَلُ إِلَيْهِ هَذِهِ النِّعْمَةُ

(١) بياض بالأصل .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلى معني الخلفاء المشهور .

التي ألحقت قدره بالأكفاء، وأهلت هممه للاكتفاء؛ وشرفت مكانه بما أجمعت
عليه آراؤنا الشريفة له من الأصطفاء، وأحسنت به الظن لما رأت نيته الجميلة
ممثلة من خاطره في مرآة الصفاء.

فُرِسِمَ بالأمر الشريف - لا زال مرفوعاً به كل علم، ممنوعاً به حتى كل حرم -
أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة لمحض المحروسة وأعمالها؛ وجنودها وعمالها،
وعساكرها وعشائرها؛ وعامرها وغامرها، وأولها وآخرها؛ ودانيتها وقاصيتها؛ وكل
ما في حدودها الأربعة، وداخل في جهاتها المنعّه؛ على أكل ماجرت به عوائد من
تقدمه، واستقرت عليه القواعد المتقدمة.

فاتق الله في أمورك، وأجعل الشرع الشريف مشكاة نورك، وعظم حكمته،
وتقد أحكامه، فهم أمنع سورك. وأعدل فهو قرار خواطير جمهورك، وتيقظ
لسداد سداد تغورك، وأرفق لتطابق به نطق نطاق شكورك. وأقيم الحدود فإنها
زيادة في أجورك. وأما العساكر المنصورة، فشمّل بهم في خدمتنا الشريفة موابك،
وكل بعزائمهم مزاربك؛ ولا تستخدم منهم إلا من يسرك أن تراه في يوم العرض،
وتعقد هودى جياته السماء بالأرض؛ وأحيم أطراف بلادك من عادية الرجال،
وأحفظ جانبيها من تحطيف الغارات فسر قيامها [لا يدفعه] غير احتيال؛ وأهتم بالجهاد
تحت صنابقتنا المنصورة لأعداء الله متى أجمعوا، وضررهم بأنياب أسنتك فأنت
صاحب العصا وهي تتلقف ما صنعوا؛ وعمر بلادها بملاحظتك الجميلة، ونم أمورها
فهى قوام الجنود وهم إلى الثقة في النصير الوسيله؛ وسارع إلى ما ترد به مراسمتنا
الشريفة عليك لتهديك إلى صراط مستقيم؛ وعجل البريد فإنك تعلم به ما لست بعلم؛

وَبَقِيَّةُ الْوَصَايَا لِأَحَاجَةِ إِلَيْهَا مَا تَعْرِفُهُ مِنْ قَدِيمٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُتَمَتِّعُ بِكُلِّ خَلْقٍ كَرِيمٍ ؛
وَالخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ

النِّيَابَةُ الثَّانِيَّةُ — نِيَابَةُ الرَّحْبَةِ .

وهذه نسخةٌ بِنْيَابَتِهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَدَّنَا بِنَصْرِهِ ، وَشَمِلَ بِجُودِ سُلْطَانِنَا أَهْلَ عَصْرِهِ ؛ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودِ أَوْطَانِهِ
مَتَّصِلٌ بِأَوَّلِ عِرَاقِهِ ، وَآخِرِهَا بِأَحْرِمِ مِصْرِهِ ، وَفَرَّقَ بِنِيَاهِهِ الْأَعْدَاءَ فِي حَوَاصِلِ الطَّيْرِ بَيْنَ
حِصْنِهِ وَخَصْرِهِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَقُومُ بِشُكْرِهِ ، وَيَحَافِظُ عَلَيَّ حُسْنَ ذِكْرِهِ ، وَيُسْتَعَاذُ بِهِ إِلَّا مَا يَدْمُرُ
عَلَى الْعِدَا مِنْ عَوَاقِبِ مَكْرِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُرْغِمُ
مَنْ جَادَلَهُ بِكُفْرِهِ ، وَتُمَرِّقُهُ بَيْنَ كُلِّ نَابِ سَيْفٍ وَظُفْرِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ أَرْسَلَهُ مُقِيمًا لِأَمْرِهِ ، وَمُدِيمًا فِي الْجِهَادِ لِأَعْمَالِ بَيْضِهِ وَسُمْرِهِ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ حَمَلَةَ سِرِّهِ ، وَثَقَلَةَ هَدْيِهِ بِأَسْرِهِ ؛ صَلَاةً بَاقِيَةً فِي الْوُجُودِ بَقَاءَ
دَهْرِهِ ، رَاقِيَةً أَرْتَقَاءَ زُهْرِهِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الثُّغُورَ بِسَيِّدَاتِهَا ، وَالْبُحُورَ بِأَمْدَادِهَا ، وَالنُّجُورَ لَا تَحْتَلِي بِأَحْسَنَ مِنْ
حَايَةِ نِجَادِهَا ؛ وَالْمَمَالِكَ الْحُرُوسَةَ لَا تُحْرَسُ إِلَّا بِشُهْبِ نُحْرَصَانِهَا ، وَلَا تُسْقَى بِأَنْقَعِ
مَا تُطْلَعُ مِنَ الدَّمَاءِ سَحْبِ فُرْسَانِهَا ؛ وَالْفُرَاتَ لَا تُنْحَى مَوَارِدُهَا إِلَّا بِأَمْشَالِ سَيُوفِهَا
الْقَوَاضِبِ ، وَلَا تَمْتَعُ مَخَاوِضُهَا إِلَّا بِدِيمِ خَاضِبِهَا ، وَالْحِصُونُ لَا يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْجَنِيْقِ
غَضْبَانٍ إِلَّا بِوَسَالِ مُغَاضِبِهَا ، وَالْقَلَاعَ لَا تَتَطَّلَعُ عِيُونُ دِيَادِبِهَا إِلَّا مِنَ مَاءِ الْكَرَى

في جُفونه نَاصِب ، والمعاقِل لا تَسْمَحُ بعَقَائِلِهَا إلا لمن هو على خِطْبَتِهَا مُوَاطِب ؛
 وكانت الرَّحْبَةُ - حَرَمُهَا اللهُ تَعَالَى - هِيَ أَوْسَعُ مَكَانٍ رِحَابًا ، وَأَدْنَى إِلَى مَطَرٍ سَحَابًا ؛
 وَأَوْثَقُ مَا عَاقَقَ عَلَى الْبِلَادِ بَابًا ، وَأَقْرَبُ مَا سَمِعَ حُرَّاسُهَا فِي السَّمَاءِ دُعَاءَ مُجَابَا ؛
 قَدْ مَلَيْتَ سَمَائُهَا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُبُهًا ، وَمَدَّتْ كَوَاكِبَ الدُّلُو واستَقَّتْ مِنَ الْغَمَامِ
 قُلُوبًا ؛ وَعَدَّتْ مَا وَرَاءَ الْحَجْرَةِ فُعِمِيَّتْ دُونَهَا الْمَسَالِكِ ، وَحُسِبَتْ لِمَلِكٍ وَنُسِبَتْ إِلَى
 مَالِكٍ ؛ وَمَالِكٌ - لَا أَعْنِي إِلَّا أَبْنَ طَوْقٍ - خَازِنُهَا ، وَمَنْزِلُ أَمْنٍ وَفِي غَابِ الْأَسَدِ
 مَسَاكِنُهَا ؛ قَدْ وَقَفَتْ لِبَغْدَادَ فِي فَيْمِ الْمَضِيْقِ ، وَهَمَّتْ بِلَادُ الْعِدَا أَنْ تَحْوِضَ الْفِرَاتَ
 إِلَيْهَا فَقَالَتْ : مَالِكٌ إِلَى طَرِيقٍ ؛ قَدْ أَفْتَرْتُ فِي وَجْهِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ نَعْرَهَا الصَّاحِكِ ،
 وَرَدَّ قَرْنَ الشَّمْسِ فَرَعُهَا الْمُتَسَاكِ .

فَلَمَّا أُعْهِدَ حُسَامُهَا الْمُسْتَوْلُ ، وَأُقْلِعَ غَمَامُهَا وَكُلُّ هُدْبٍ بِالْبِكَاءِ عَلَيْهِ مَبْلُولُ -
 أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نَجِدَّ لِعُرُوسِهَا زَفَافًا ، وَلِيَبُوتِهَا أَفْوَافًا ؛ وَلِسُيُوفِهَا جِلَاءُ ،
 وَلِسُقُوفِهَا إِعْلَاءُ ؛ وَنُؤَلِّيَهَا لِمَنْ تَكُونُ هِمَّتُهُ فِيهَا جَدِيدَةَ الشَّبَابِ ، أَكِيدَةَ الْأَسْبَابِ ؛
 لِيَكُونَ أَدْعَى الْمَصَالِحِهَا ، وَأَرْعَى لِمَنَاحِجِهَا ؛ وَأَوْعَى لِمَا يَجْمَعُهُ سَمْعُهُ مِنْ مَصَالِحِهَا ،
 وَأَسْعَى فِي حِمَايَةِ مَمَاسِيهَا وَمَصَالِحِهَا ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ أَصْلَبُ مَنْ فِي كَنَائِنَا الشَّرِيفَةِ
 عُودًا ، وَأَنْجَزُ وَعُودًا ؛ وَأَصْدَقُ رَعُودًا ، وَأَيْمَنُ إِذَا طَلَعَ نَجْمُهُ فِي أَفْقِ سَعُودًا .

فَرَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفُ أَنْ تَفْوِضَ إِلَيْهِ نِيَابَةَ الرَّحْبَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ
 وَقَاعِدَتِهِ ؛ [فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ] مَقْدَمًا تَقْوَى اللهُ وَالْعَمَلَ بِمَا شَرَعَ ، وَاتَّبَاعَ مَرَّاسِمِنَا الشَّرِيفَةِ
 فَمِثْلَهُ مَنْ اتَّبَعَ ؛ وَحِمَايَةَ أَطْرَافِهَا ، مِنْ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِحَيْرٍ ، وَصِيَانَةَ أَكْثَافِهَا ،
 مِنْ كُلِّ عِصَابَةٍ مُخَلِّقَةٍ إِلَى جَوْهَا كَالطَّيْرِ ؛ وَحِفْظَهَا مِنْ عَادِيَةِ كُلِّ أَفَّاكٍ وَسَفَّاكٍ ، وَبَادِيَةِ
 أَعْرَابٍ وَأَثْرَاكٍ ؛ وَكُلِّ فَارِسٍ فَرَسٍ وَرَاكِبٍ بَعِيرٍ ، وَكُلِّ وَقْفَةٍ مُحَاصِرٍ وَحَقْقَةٍ مُغِيرٍ ؛

وَجَانِبِيَّ بَرُّو بِجَحْرِ: فِي أَحَدِهِمَا الْمَسَالِكُ تَعْمَى وَالْآخَرَ لَا يُعَامُ ، وَصَاحِبِيَّ سَرٌّ وَجَهْرٌ :
هَذَا تَخْشَى لَهُ عَاقِبَةَ كَلَامٍ وَهَذَا مَعَاقِبَةَ كَلَامٍ .

وَلِيَتَخَطَّفَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا تَلَمَّحَ لَدَيْنَا بِوَارِقِهِ ، وَيَتَقَطَّفَ مِنَ الْأَقْوَالِ ثَمَرَاتِهَا
وَلَا يَدْعُ كُلَّ مَا تَجَمَّعَ حَدَائِقُهُ ، وَلِيَجْعَلَ لَهُ مِنَ الْمُنَاصِحِينَ طَلَائِعَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ
فِي آتِهِابِ الْأَخْبَارِ أَبُو الْغَارَاتِ ، وَمَنْ إِذَا أُلْجِمَهُ الْخَوْفُ كَانَ لَهُ فِي لَمَعِ الْبُرُوقِ
إِشَارَاتٌ ؛ وَلِيَتَّخِذَ مِنَ الْكَشَافَةِ مَنْ يَسْبِقُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ ، وَمَنْ الْخِيَالَةَ مِنْ
لَا يَرْتَدُّ عَنْ وَقْدِ الرَّمَاحِ طَرْفُهُ ؛ وَمَنْ الْقُصَادَ مَنْ لَا يَطْوِي عَنْهُ خَبْرًا ، وَمَنْ الدِّيَادِبَ
مَنْ يُعِيرُهُ وَقَلَّ أَنْ تُعَارَ الْعَيُونُ نَظْرًا ؛ وَلِيَحْفَظَ التُّجَّارَ فِي مَذَاهِبِهِمْ غُدُوًّا وَرَوَاحًا ،
وَمَسَاءً وَصَبَاحًا ؛ وَلِيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ طَالَمَا أَرْدَانَتْ بِهِمْ صُدُورُ الْخَزَائِنِ عَلَى
أَمْتِلَائِهَا أَنْشِرَاحًا ، وَلِيَأْخُذَ مِنْهُمْ مَا لِبَيْتِ الْمَالِ فَكَمْ وَجَدُوا بَعْطَانَهُ أَرْبَاحًا ؛ وَلِيُوصَلَ
إِلَى أَرْبَابِ الْقَرَارَاتِ مَا لَهُمْ مِنْ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ ، وَلِيُعْطِيَهُمْ مَا تَصَدَّقْنَا بِهِ عَلَيْهِمْ وَهُوَ
مَشْكُورٌ وَإِلَّا أَعْطَاهُمْ وَهُوَ مَذْمُومٌ ؛ وَلِيُعْمَرَ الْبِلَادَ بِتَوَطُّيْنِ أَهْلِ الْقُرَى ، وَإِنَامَتِهَا
بِالْعَدْلِ مَلَانَةً الْجُفُونِ مِنَ الْكُرَى ؛ وَلِيَكُنَّ لِلْفُرَاتِ مِتَّقِظًا لثَلَا يَطْفِي بِهَا التِّيَّارُ ،
وَيَغْلَبَ بِمَدِّهَا الْمُخْمَرُ عَلَى سَكْرِهَا مِنَ السُّكْرِ الْخَمَّارِ ؛ وَيَقْوَى عَلَى سَدِّهَا قَبْلَ أَنْ لَا يَقْدَرَ
عَلَى مُقَاوَاةِ الْبِحَارِ ؛ وَيَتَفَقَّدَ مَبَانِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ أَسْنَى مَا تَنْتَفِقُدُهُ الْأَبْصَارُ ، وَلِيغْلِقَ
زُرُوعَهَا لِتَكُونَ : (كَمَثَلِ زَرْعٍ أَنْخَرَجَ شَطَاهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ
يُعِجِبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ) وَلِيَعْفَ فَإِنَّ الْعَفَافَ هُوَ الْغِنَى ، وَلِيُوْمِنَنَّ مِنْ يَلِيَهُ
فَإِنَّ الْأَمَانَ هُوَ الْمُنَى ؛ وَلِيَقِرَّ مَا اسْتَقَرَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ مِنْ صُلْحٍ أُكِّدَتْ أَوْأَخِيهِ ،
وَأُصْبِحَ كُلُّ مَنْ أَهْلُ الْجَانِيَيْنِ لَا يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ ، وَلَا يَرِخُّصَ لِأَحَدٍ فِيمَا يَنْقُضُهُ
لَا فِي عَاجِلِ أَمْرٍ وَلَا فِي تَرَاخِيهِ ؛ حَتَّى إِذَا كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا ، وَشَدَّتْ عَقْدَ
نَطَاقِهَا ؛ فَلْيَكُنْ بِحَسْبِ مَرَّاسِمِنَا الشَّرِيفَةِ اعْتِمَادُهُ فِي شَنْ كُلِّ غَارِهِ ، وَسَنْ كُلِّ مَاضٍ

مُرْهَفًا غَرَارَهُ ، وَجَوِسَ خِلَالَ دِيَارِ الْعِدَا وَأَخْتِطَفَ كُلَّ قَمِيرٍ مِنْ دَارِهِ ، وَالْمُحْرِقَاتِ
الَّتِي لَا تُحْرِقُ نَبَاتًا حَتَّى تَشَبَّ فِي ضُلُوعِهِمْ ، وَالْعِيَارَةَ فِيهِ الرِّزَالِزِلُ الَّتِي تَتَسَاقَطُ مِنْهَا
مَبَانِي رُبُوعِهِمْ ، وَمُؤَالَاةُ الْبُعُوثِ : فَإِنَّ كُلَّ بَعِثٍ يَتَكَفَّلُ بِشَتَاتِ جُمُوعِهِمْ ، وَالْعَمَلُ
بِكُلِّ مَا تَرِدُ بِهِ مَرَامِنَا الْعَالِيَةَ ، وَالْمُوَاصَلَةَ بِكُتْبِهِ الَّتِي نَرْفُضُ مَا سَوَىٰ أَخْبَارِهَا
الْمُتَوَالِيَةِ ، وَإِرْسَالُ كُلِّ بَرِيدٍ وَحَامٍ مُخَلَّقٍ بِهِمَا : إِمَّا رِيحٌ ظَاهِرَةٌ وَإِمَّا رِيحٌ عَادِيَةٌ ،
وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يَقْرُبُ لَهُ الْغَايَاتِ الْمُنَادِيَةَ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

النيابة الثالثة — نيابة مضياف .

وهذه نسخة مرسوم نياباتها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَّفَ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ فِي الْمَمَالِكِ ، وَشَرَّفَ بِنَا كُلَّ حَضَنٍ
لَا تَعْرِضُ لَهُ الْحَجَرَةُ فِي الْمَسَالِكِ ، وَعَرَّفَ بِالْتَرْتِيبَةِ فِي خِدْمَةِ أُنُوبَانَا الْعَالِيَةِ إِلَىٰ أَيْنَ
يُنْتَهَى السَّلَاكُ .

نُحَمِّدُهُ عَلَىٰ نِعْمِهِ الَّتِي نَعْتَدُّ بِهَا الْحَمْدَ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَرْغَبُ أَنْ نَلْقَىٰ اللَّهَ عَلَىٰ آدَاءِ الْأَمَانَةِ
فِيهَا كَذَلِكَ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مَا هُوَ مَالِكٌ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ كُلَّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأُنْجَىٰ بِهِ مِنْ مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ،
وَجَمَعَ بِهِ مِنْ الْأُمَّةِ مَا وَهَىٰ وَهَىٰ كَالْعَقْدِ الْمَتَهَالِكِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً يَجِدُ بِهَا قَائِلُهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ كُلَّ هَنَاءٍ هُنَالِكَ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ النِّظَرَ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ هُوَ أَوَّلُ مَا يَقْدَمُهُ الْمَلِكُ ، وَأَوْلَىٰ مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ
مَنْ سَلَكَ ، وَبِمَمْلَكَةِ بَيْتِ الدَّعْوَةِ هِيَ مِنْ أَجْلِ مَا تَفَرَّدَتْ بِهِ مَمَالِكُنَا الشَّرِيفَةِ ،
وَامْتَدَّتْ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُخَيِّفَةِ ، وَأُرْسِلَتْ مِنْ قِلَاعِهَا مَنْ يَقْتَلِعُ الْعِدَا بُرُوثِيَهُ ،
وَيُسَابِقُ السُّنْمَ إِلَىٰ مَطْلُوبِهِ ، وَيَتَعَبَّدُ بِمُؤَالَاتِنَا الَّتِي وَرَثَهَا عَنْ سَلْفِهِ فِي طَاعَةِ أُمَّتِهِمْ ،

وَعَلِمُوا بِهَا أَنَّ الدَّوْلَةَ الْعُلُويَّةَ مَا انْقَضَتْ حَتَّى انْتَقَلَتْ إِلَيْنَا الْوِلَايَةَ عَلَى شِعْبَتِهِمْ ؛
وَأَنَّ الْمُلْكَ الْإِسْمَاعِيلِيَّ فِينَا قَدْ أَنْحَصَرَ مِيرَاثُهُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ
- رَحِمَهُمُ اللَّهُ - نَحْنُ وَرَثَتُهُ ؛ فَهَمُ هَذَا يَبْدُلُونَ نَفُوسَهُمْ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي يَرَوْنَهَا
فَرَضًا عَلَيْهِمْ ، وَيَبْلُغُونَ بِنَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ : لِأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا أَزَالُوهُ
بِيَدَيْهِمْ ؛ كَمَا هَجَمُوا عَلَى عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ هَجْمَةَ طَيْفٍ ! ، وَكَمَا اسْتَطَالُوا بِسِكِّينٍ
لَا يَتَطَاوَلُ إِلَى مُبَارَاتِهَا سَيْفٌ ! ، وَكَمَا أَوْقَدُوا لَهُمْ بَارِقَةَ عَزْمٍ قَبِيلٍ : هَذِهِ سَجَابَةُ
صَيْفٍ ! ، وَكَمَا وَرَدُوا بِالذَّمِّاءِ خَدًّا غَدًّا يَبَادِي : يَا كِرَامَ الْوَرْدِ ضَيْفٌ ! . وَكَانَتْ
مُضِيَّافٌ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ كُرْسِيٌّ هَذِهِ الْمَمْلُوكَةُ ، وَقَلْعَتُهَا هِيَ الَّتِي بَدَوَاتِبُ
الْجُوزَاءِ مُتَمَسِّكَةٌ ؛ وَأَقْتَضَتْ مَرَّاسِمَنَا الْمُطَاعَةَ نُقِلَ النَّائِبُ بِهَا إِلَى مَا رَسَمْنَا بِهِ الْآنَ ،
نَخَلَتْ مِمَّنْ يَتَرَقَّى فِيهَا إِلَى أَعَزِّ مَكَانٍ ، وَاحْتَاجَتْ إِلَى مَنْ تَعْنَى بِهِ عَمَّا يُقَالُ : مَنْ
أَعْتَقَالَ رُخَّحٌ وَتَجَرِيدٌ سِنَانٌ .

فَخَصَلَ الْفِكْرُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ نُقِلَتْ هَذِهِ النِّيَابَةُ ، وَيَتَقَلَّدُ أَمْرَ هَذِهِ الْعِصَابَةِ ؛
وَيَتَصَرَّفُ فِي أُمُورِهَا بِمُقْتَضَى مَا تَرِدُ بِهِ مَرَّاسِمَنَا الْمُطَاعَةَ ، وَيُعَلِّمُ أَنَّهُ مِنْ شِعْبَتِنَا :
لِأَنَّهُ دَاعِيْنَا فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ؛ فَرَأَيْنَا أَنَّ أَحَقَّ [النَّاسِ بِهَا] مَنْ قَدَّمَهُ وَلَاؤُهُ ، وَعَظَّمَهُ
أَثْمًاؤُهُ ؛ وَنَبَّهَ عَلَيْهِ أَهْتَامُ هِمَمِهِ الَّتِي لَا تُشَابِهُهَا الْكَوَاكِبُ فِي سَيْرِهَا ، وَعَزَائِمُهُ الَّتِي
طَالَمَا كَانَ بِهَا فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ «يَبْطُلُ بِمَوْمَاتٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا» ؛ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ مَسَاعِيهِ
حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَزِيدِ ، وَأَسْرَعَ لَهُ الشَّيْبُ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ : لِأَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ
[كَانَ] يَسْمَعُ قَعْقَعَةَ لِحَامِ الْبَرِيدِ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَوْلُ بِوَصْفِهِ ،
وَدَلٌّ عَلَيْهِ شَأْوُهُ بِمَرْفِهِ .

فَرَسَمَ أَنْ تَقَوَّضَ إِلَيْهِ النِّيَابَةُ بِمِصْيَافٍ وَأَعْمَالِهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .
فَلِيقْدَمَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا وُئِيهِ ، وَلِيُنَشِّرَ جَنَاحَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ عَلَى مَنْ يَلِيهِ ، وَلِيَعْمَلَ

بِالأحكامِ الشَّرعيةِ في كلِّ ما يَقْضيه ، وَلَيْسُكَ في أهلها أَوْصَحُ المَرِاشِدِ ، وَلِيُبَيِّنْ لَهُمْ أَنَّهُ يَدْعُوهم إلى سبيلِ الرِّشادِ إلا ما آدعاه رَاشِدٌ ؛ وَلِيُوصِلْ إلى المِجاهِدينِ أَرْزاقَهُم التي هي أَثْمَانُ نَفوسِهِمْ ، وَتِمَارِ مادِنِي القِطَافِ من رُءُوسِهِمْ . وَأَهْلُ مَنْ مات أَوْ يموتُ مِنْهُم على طاعتنا الشَّريفةِ فَكُنْ عَلَيْهِم مَتَعَطِّفاً ، وَمَنْ طابَ مِنْكَ الإِنْصافَ فَكُنْ لَهُ مُنْصِفاً ؛ وَأَفْعَلْ مَعَهُم أَحْسَنَ الأَسْوَءِ ، وَقُلْ لَهُمْ عَنَّا : إِنَّ الصَّدَقاتِ الشَّريفةِ قد اسْتَجابَتْ لَكُمْ يا أَهْلَ الدَّعْوَهِ ؛ وَخُذْ بِقُلُوبِهِمْ ، لِتَزادَ مِنْ حُبِّهِمْ ، وَقُلْ لِلْمِجاهِدينِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا في سَبيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . وَالأَمْوالِ فَضْئُها مِنَ الضَّياعِ ؛ وَعِمارةِ البِلادِ عَلَيْكَ بها فَإِنَّ القَلْعَةَ لا تَكُونُ إلا بِالْمَدِينَةِ وَالْمَدِينَةَ لا تَكُونُ إلا بِالضَّياعِ ؛ وَأَمثالِ مَراسِمنا الشَّريفةِ وَكُلِّ ما يَرَسَمُ بِهِ سارِعٌ إلى اعْتِقادِهِ ، وَطائِفَةُ المِجاهِدينِ لا تَدْعُ مِنْهُم إلا مَنْ هو مَعْتَدٌ لِحِجَابِهِ ، وَالكِتْمانَ الكِتابَةَ ! فِيهِ تُسألُ المَطالِبُ ، وَتُدْرِكُ المَآرِبُ ؛ وَعَلَيْكَ بِقَمْعِ المُفْسِدِينَ ، وَرَدْعِ المُعْتَدِينَ ، وَإِقامةِ الحُدُودِ : فَإِنَّها أَقامَ اللَّهُ هَذا الدِّينَ ؛ وَنَحْنُ نَغْتَنِي بِما فِيكَ مِنَ المَعْرِفَةِ ، وَبِما أنتَ عَلَيْهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ تَعالَى - مِنْ كِلالِ كُلِّ صَفَةٍ ، عَنِ اسْتِيعابِ الوِصايا التي لَمْ تَبْرُحْ سِجائِكَ بِها مَتَّصِفَهُ ، وَاللَّهُ تَعالَى يَزِيدُكَ مِنْ كُلِّ نَوْعِ أَشْرَفِهِ ؛ وَالخَطِ الشَّريفِ أَعْلاهُ

* * *

وَأما الصَّفَقَةُ الشَّمالِيَّةُ ، فالذِي يَولِي بِهَذِهِ الصَّفَقَةَ عَنِ الأبْوابِ السُلْطانيَّةِ ، نِيايَةُ بَعْلَبَكٍ فَقطُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ في الكِلامِ على تَرْتيبِ المِلكَةِ الشَّامِيَّةِ أَنَّهُا كَانتْ أَوَّلًا إِمْرَةً عَشْرَةَ ، ثُمَّ صارت طَبِخاناهُ ، وَأَنَّ نائِبَ الشَّامِ يَولِي بِها ، وَربما وَلَّيتُ مِنَ الأبْوابِ الشَّريفةِ السُّلْطانيَّةِ . وَحينئِذٍ فيكونُ مَرَسُومُ نائِبِها في قِطْعِ الثُلْثِ بِ«المِجالِسِ السامِيَّةِ» بِالْيَفاءِ .

وهذه نسخة مرسوم نبياة بعلبك :

أما بعد حمد الله على أَمَلٍ حَقَّقَ مَنَاهُ ، وَصَدَّقَ غَنَاهُ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ سُحْبَ أَعْتِنَاهُ
 أَوْرَقَ بِهِ عُودَهُ وَطَابَ جَنَاهُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي كَلَّمَ بِنَاهُ ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا شِيدَ مَعْقِلِ نَخَارِ مَبْنَاهُ - فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ الشَّامِ الْقَدِيمَةِ ، وَدُورِ
 الْمُلْكِ الَّتِي ذَهَبَ مِنْ يَحُلُّهَا مِنَ الْمُلُوكِ وَبَقِيَتْ آثَارُهُ مُقِيمَةً ، مَدِينَةُ بَعْلَبَكِّ وَهِيَ الَّتِي
 تَحْصُنُ الْإِسْلَامَ بِقَلْعَتِهَا ، وَتَحْصِلُ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ [بِمَنْعَتِهَا] ⁽¹⁾ بَنِيَتْ عَلَى عَهْدِ
 سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَأَتَقَنَّ بِنَاؤُهَا ، وَهَالَتْ أَسْوَارُهَا حَتَّى نُسِبَ إِلَى صَنْعَةِ
 الْحِجْنَ بِنَاؤُهَا ؛ وَدَعَمَتِ السَّمَاءَ عَمْدُهَا ، فَطَالَتْ شَرْفُهَا حَتَّى كَادَتْ تُخْضِضُ فِي سَبْجِ
 السَّحَابِ يَدَهَا ؛ وَجَمَعَتْ مَحَاسِنَ فِي سِوَاهَا لَا تُوجَدُ ، وَتَقَرَّرَ بِمَلِكِهَا مِنَ الْمُلُوكِ :
 تَارَةَ سَعِيدَا وَتَارَةَ أَمْجَدَ ؛ وَمَا خَلَّتْ مِنْ عُلَمَاءَ عَظِيمِي الشَّامِ ، وَصِلْحَاءِ يَأْمُهُمْ
 الْجَبَلَانَ : سَيْسُ وَلُبْنَانَ ؛ وَهِيَ بَابُ دِمَشْقِ الْمَفْتُوحِ ، وَسَحَابُ الْأَنْوَاءِ الْمَسْفُوحِ
 بِالْمَسْفُوحِ ؛ وَبَابُ الْبُرُوقِ الَّتِي آلَتْ أَنَّهَا بِأَسْرَارِهَا لَا تَبُوحُ ، وَمَابُ السَّفَارَةِ الَّتِي تَعْدُو
 مُحْمَلَةً أَوْقَارَ رِكَابِهَا وَتُرُوحُ ؛ وَلَهَا الْعَيْنُ الْمُسْبَلَةُ الرَّوَاتِبُ ، وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَةُ الْوَقَارِ
 لِمَفْرِقِهَا الشَّائِبِ ، الْعَالِيَةِ الذَّرَى ⁽²⁾ مِنْ قِطْعِ السَّحَابِ ؛ وَ[لَمَّا] كَانَ مِنْ فِيهَا الْآنَ
 مِمَّنْ لَا تَسْتَعْنِي الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ عَنْ قُرْبِهِ ، وَلَا تَسْتَنْبِي أَحَدًا مَعَهُ فِي تَجْرِيدِهِ سَيْفَهُ
 الْمَشْهُورَ مِنْ قُرْبِهِ ، أَجَلْنَا الرَّأْيَ فِي كُفِّ لَعْرُوسِهَا ، وَمِمَّا نَلَّ لِمَرْكَزِ تَأْوُدِ غُرُوسِهَا ،
 فَلَمْ يَجِدْ أَدْرَى بِأَحْوَالِهَا ، وَأَدْرَبَ بِمَا يُؤَلَّفُ عَلَى الطَّاعَةِ قُلُوبَ رَجَالِهَا ، كَمَنْ أَسْتَقْرَبَهُ
 فِيهَا مَعَ أَبِيهِ الْمَاضِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْوَطْنَ [وَنَالَا مِنْهُ الْوَطْرَ] ، وَمَرَّتْ [عَلَيْهِمْ فِيهِ]

(1) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

(2) » » ولعله : التي كأنها منلقة من الخ .

سنون وأيام هتف بها داعي قصر؛ ولا غنى [عنه] مع ماله من ولايات صحب فيها الناس وفارقهم على وجه جميل، ورأفهم ثم أنصرف وأنصرفوا عنه وما ذمه في النازلين نزيل؛ وكان فلان هو المتوقد الشهاب، المتوقل في تلك الهضاب؛ المشكور قولاً وديناً، المشهور بوضع كل شيء في موضعه شدةً ولينا .

فلذلك رسم ... لا زال إحسانه أحمد وأختياره مقمداً - أن يرتب في نيابة بعلبك على عادة من تقدمه وقاعدته، مبتدئاً حسن النظر في الأمور العامة، لا يدع ظلامه، ولا يدع سالك طريق إلى سلامه، ولا يعد سمعاً إلا لسمع شكر لا ملامه؛ ولينظر في المظالم نظراً يجلي به سدفها، وليشكر العشير توطياً يوطأ به هدفها؛ وليلاحظ الأمور الديوانية بما يسمي به أموالها، ويندى بسحابه المتدفق أحوالها. والأوقاف فليشارك وإفقيها في إحسانهم، وليجر حسنتها على ما كانت عليه في زمانهم؛ وليكن لها نعم الكفيل في دوام المحافظة ولينفق ما فيها من الحواصل والزردخانات مما يذخر لوقت، ويؤخر لفرط الشغف به لالمقته. ومن أهم ما يحتفظ به قلوب الرجال، وعمارة الأسوار فإنها للفرسان المقاتلة مجال، وعليها تنصب المجانيق وتختطف الأجال. وأما الشريعة المطهرة: فإن من تعدى غرق أو أوشك أن يغرق، وأتباع أوامرها: وإلا فقيم يعدب من يعدب ويحرق من يحرق؛ وتقوى الله تعالى هي الوصية الجامعة، والتذكرة التي ترتد بها الأبصار خاشعه؛ وليفهم هذه الوصايا ولا يخرج شيئاً منها من قلبه، ولتبين معانيها ليكون بها على بينة من ربه؛ والله تعالى يكشف عنه غطاء حجبته، ويزعه عما يأخذه ويأخذه من بينه؛ إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني^(١)

(ممن [هم] خارج دِمَشق : ممن يُؤتى عن الأبواب السلطانية -
 أمراء العربان ، وهم على طبقتين :)

الطبقة الأولى

(من يُكْتَبُ له منهم تقليدٌ في قَطْع النِّصْف بـ«المجلس العالى» وهو أمير آل
 فَضْل خَاصَّةً : سواءً كان مستقلاً بالإمارة أو شريكاً لغيره فيها)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المملكة الشامية نقلاً عن "مسالك الأبصار"
 أن ديارهم من حِمص ، إلى قلعة جَعْبَر ، إلى الرَّحْبَة ، آخذين على شِقِّ القُرَات وأطراف
 العِراق .



وهذه نسخةٌ تقليديّةٌ بإمرة آل فَضْل : كُتِبَ به للا مير شجاع الدين « فضل بن
 عيسى » عوضاً عن أخيه مُهَنَّا ، عند ما خرج أخوه المذكور مع قراً سنقر الأفرم
 ومن معهما من المتسحجين ، وأقام [هو] بأطراف البلاد ولم يُفارق الخِدمة ، في شهر
 سنة آتت عشرة وسبعمائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذى مَنَح آل فَضْل فى أيامنا الزاهرة بحسِن الطاعة فَضْلاً ، وقَدَّمَ عليهم
 بقديم الإخلاص فى الولاء من أنفُسهم شُجاعاً يجمع لهم على الخِدمة ألفَةً وَيَنْظُم لهم
 على المخالصة شَملاً ؛ وَحَفِظَ عليهم من إعزازِ مكانِ بيتهم لَدِيننا مكانَةً لا تَنْقُصُ
 لها الأيامُ حُكماً ولا تَنْقُصُ لها الحوادثُ ظِلًّا .

(١) لم يتقدم تقسيمه الى أصناف ولعل مراده أن ما تقدم من التولية فى الصفقات صف أول وهذا
 صف ثان . فليتبّه .

نحمده على نعمه التي شملت بئربنا، الحضرة والبدو، وألهجت بشكرنا، ألسنة العجم
 في الشدو والعرب في الحدو، وأعمت في الجهاد بين ديننا من اليعملات ما يبارى
 بالنص والعتق الصافات في الحبيب والعدو، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له شهادة ندرأبها الأمور العظام، ونقلد بينها ما هم من مصالح الإسلام لمن
 يجرى بتدبيره على أحسن نظام، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أعلى
 ذوائب العرب وأشرفها، المرجو الشفاعة العظمى يوم طول عرض الأمم وهول
 موقفها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كرمت بالوفاء أنسابهم، وأضاءت
 بتقوى الله وجوههم وأحسابهم؛ صلاة لا تزال الألسن تقيم نداءها، والأقلام ترقم
 رداءها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أجتته الطاعة ثمرة إخلاصه، ورفعته المخالصة إلى أسنى
 رتب تقريبه وأختصاصه؛ وألف بمبادرته إلى الخدمة الشريفة قلوب القبائل وجمع
 شملها، وقلده حسن الوفاء من أمر قومه وإمرتهم ما يستشهد فيه بقول الله تعالى :
 ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ - من ارتقى إلى أسنى رتب دنياه بحفظ دينه، ودل
 تمسكه بإيمانه على صحة إيمانه وقوة يقينه؛ ولا حظته عيون السعادة فكان في حزب
 الله الغالب وهو حزبنا، وقابلته وجوه الإقبال فأرتته أن المغبون من فاته تقريبتنا
 وقربنا؛ ورأى إحساننا إليه بعين لم يطرفها الجحود، ولم يطرفها إعراض السعود؛
 فسلك جادة الوفاء وهي من أيمن الطرق طريقا، وأقتدى في الطاعة والولاء بن قال
 فيهم بمثل قوله : ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

ولما كان المجلس العالی ... هو الذي حاز من سعادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة
 ما حاز، وفاز من ربنا وشكرنا بحمیل المبادرة إلى الخدمة بما فاز؛ وعلم مواقع إحساننا

إليه فَعَمِلَ على آستدامة وِئَلها ، وآسْتَرَادَة فَضْلِها ؛ والآرْتِواءَ من مَعْرُوفِها الذي بآءَ بالْحِرْمَانِ [منه] من نَحْرَجَ عن ظَلْمِها ؛ مع ما أضاف إلى ذلك : من شَجَاعَة تَبَيَّتْ منها أعداءُ الدِّينِ على وَجَلٍ ، ومَهَابَة تَسْرِي إلى قلوب من بَعْدَ من أَهْل الكُفْرِ سُرَى ما قُرْبَ من الأَجَلِ - آقْتَضَتْ آراؤنا الشريفة أن نَمَدَّ على أطراف الممالك المحروسة منه سُورًا مَصَفَّحًا بِصَفَاحِه ، مَشْرَفًا بِأَسِنَّةِ رِمَاحِه .

فُرِسمَ بالأمر الشريف العالى - لا زال يقدِّمُ وِئَلِه فَضْلاً ، ويمَلَأُ مَمالِكَه إِحساناً وَعَدلاً - أن يفوِّضَ إليه كَيْتَ وَكَيْتَ : لِمَا تَقَدَّمُ من أسباب تَقْدِيمِه ، وأُوْحِيَّ إليه من عِنائِتِنَا بهذا البيت الذى هو سِرُّ حَديثِه وَقَدِيمِه ؛ وَلِعِلْمِنَا بأوْلِيَّتِه التى قُطِبَها الشَّجَاعَة ، وَقَلَمُها الطَّاعَة ؛ ومادَّتْها الدِّيانَةُ والتَّقوى ، وجادَّتْها الأمانة التى لا تَسْتَرِطُها الأهواء ولا تَسْتَفْرِطُها الرُّقى .

ولِيَكُنْ لآخبار العَدُوِّ مَطالِعاً ، ولتَجَوِّى حَرَكَاتِهِم وَسَكائِهِم على البُعْدِ سَامِعاً ، ولديارِهِم كَلَّ وَتَمَّ مُصَبَّحاً حَتَّى يظنوه من كل نَيْبَةٍ عَلَيْهِم طالِعاً ؛ ولِيُدِيمَ النَّاهِبَ حَتَّى لا تَقُوْتَه من العَدُوِّ غارةٌ ولا غِرَّةٌ ، ولِيُزِمَ أصحابَه بالتَيْقِظِ لإدامة الجهادِ الذى جَرَّبَ الأعداءُ [منه] مَوَاقِعَ سِوفِهِم غير مَرَّةٍ ؛ وقد خَبَرْنَا من شَجَاعَتِه وإقْدامِه ، وسياسَتِه فى تَقْضِ كُلِّ أمرٍ وإبرامِه ؛ ما يُغْنِي عن الوصايا التى مَلَأَها تقوى الله تعالى وهى من سَبْجاياه التى وُصِفَتْ ، وَخَصائِصِه التى أُلْفَتْ وَعُرِفَتْ ؛ فليَجْعَلْها مِرْآةً ذِكْرَه ، وفاتِحَةً فِكْرَه ، والله تعالى يُؤيِّدُه فى سِرِّه وَجَهْرَه ؛ بِنَمِّه وَكِرْمِه ! : إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل فضل ، كُتِبَ بها للأمير حُسام الدين «مُهَنَّأ بن عيسى» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهى :

الحمد لله الذى أرهف حسام الدين فى طاعتنا بيد من يمضى مضاربه بيديه ،
وأعاد أمر القبائل وإمرتهم إلى من لا يصاح أمر العرب إلا عليه ؛ وحفظ رتبة
آل عيسى باستقرارها لمن لا يزال الوفاء والشجاعة والطاعة فى سائر الأحوال منسوبات
إليه ، وجعل حسن العقبي بعنايتنا لمن لم يتطرق العدو إلى أطراف البلاد المحروسة
إلا ورده الله تعالى بنصرنا وشجاعته على عقيه .

نحمده على نعمه التى ما زالت مستحقة لمن لم يزل المقدم فى ضميرنا ، المعول عليه
فى أمور الإسلام وأمورنا ، المعين فيما تنطوى عليه أثناء سرائرنا ومطاوى صدورنا ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب على قائلها حسن التمسك
بأسبابها ، وتقتضى للمخلص فيها بذل النفوس والنفائس فى المحافظة على مصالح أربابها ،
وتكون للحافظ عليها ذخيرة يوم نتقدم النفوس بطاعتها وإيمانها وأنسابها ؛ ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أشرف ذوائب العرب أصلا وفرعا ، المفروضة
طاعته على سائر الأمم دينًا وشرعا ، المخصوص بالأئمة الذين بشوا دعوته فى الآفاق
على سعتها ولم يضيقوا لجهاد أعداء الله وأعدائه ذرعا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين حازوا بصحبته الرتب الفاعره ، وحصلوا بطاعة الله وطاعته على سعادة الدنيا
والآخرة ، وعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف فلم يرحزهم عن ظاهها الركون إلى
الدنيا الساعره ؛ صلاة تقطع الفلوات ركائبها ، وتسرى بساكنى طرق النجاة نجائبها ،
وتنصر بإقامتها كتاب الإسلام ومواكبها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من تلقته رتبته ، التى توهم إعراضها بأيمن وجه الرضا ،
وأستقبلته مكانته ، التى تحيل صدودها بأحسن مواقع القبول التى تضمنت الاعتداد
من الحسنات بكل ما سلف والإغضاء من الهفوات عما مضى ، وآلت إليه إمرته

التي خَافَتِ الْعَطَلَّ مِنْهُ وَهِيَ بِهِ حَالِيهِ ، وَعَادَتْ مُزِيلَتَهُ إِلَى مَا أَلْفَتَهُ لَدِينَا : مِنْ مَكَانَةٍ مَكِينَةٍ وَعَرَفْتَهُ عِنْدَنَا : مِنْ رُتْبَةٍ عَالِيَةٍ - مِنْ أَمْنَتِ شَمْسِ سَعَادَتِهِ فِي أَيَّامِنَا مِنَ الْغُرُوبِ وَالزُّوَالِ ، وَوَقَّعَتْ أَسْبَابُ نِعَمِهِ بَأَن لَّا يُرَوِّعَ مَرِيرُهَا فِي دَوْلَتِنَا بِالْإِنْتِقَاضِ وَلَا ظَلَّالُهَا بِالْإِنْتِقَالِ ؛ وَأَغْتَتَهُ سَوَاقُ طَاعَتِهِ الْمَحْفُوظَةُ لَدِينَا عَنْ تَوْسُطِ الْوَسَائِلِ ، وَأَحْتَجَّتْ لَهُ مَوَاقِعَ خِدْمَتِهِ الَّتِي لَّا تُجْحَدُ مَوَاقِفُهَا فِي نِكََايَةِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تُشْكِرُ شُهُرُهَا فِي الْقَبَائِلِ ؛ وَكَفَّلَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِنَا فِيهِ بِمَا حَقَّقَ مَطَالِبَهُ ، وَأَحْمَدَ عَوَاقِبَهُ ، وَحَفِظَ لَهُ وَعَلَيْهِ مَكَانَتَهُ وَمَرَاتِبَهُ ؛ فَمَا تَوَهَّمُوا الْأَعْدَاءُ أَنَّ بَرَقَهُ ، خَبَا حَتَّى لَمَعَ ، وَلَا ظَنُّوا أَنَّ وَدَقَهُ ، أَقْلَعَ حَتَّى هَمَى وَهَمَعَ ، وَلَا تَخَيَّلُوا أَنَّ حُسَامَهُ نَبَأَ ، حَتَّى أَرْهَفْتَهُ عِنَايَتُنَا فَيُخَيِّمُ حَلًّا مِنْ أَوْصَالِهِمْ قَطَعَ ؛ وَكَيْفَ يُضَاعُ مِثْلُهُ ؟ وَهُوَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تَنْزِلُ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَرْتَقِي الْأَطْعَامُ مُتُونَهَا ، وَلَا تَسْتَقِرُّ (١) ؟ الْأَعْدَاءُ عِنْدَ جِهَادِهَا وَاجْتِهَادِهَا فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ حَسْبِهَا وَدِينِهَا .

ولما كان المجلس العالی ... هو الذى لا یحوّل اعتقادنا فى ولایته ، ولا یزول اعتمادنا علی نفاذه فى مصالحنا ومضائیه ؛ ولا یتغیر وئوقنا به عمّا فى حواطرنّا من کمال دینیه وصحّة یقینیه ، وأنه مارفعت بین یدینا رایة جهادٍ إلا تلقّاها عرابه عزیمه بیمیته ؛ فهو الولیّ الذی حسنت علیه آثار نعیمنّا ، والصفیّ الذی نسأ فی خدّمة أسلافنا ونسأ بنوّه فى خدّمتنا ، والتّقیّ الذی یأبى دینیه إلا حفظ جانب الله فى الجهاد بین یدی عزیمتینا وأمام هممنّا - أقتضت آراؤنا الشریفه أن نُصرّح له من الإحسان بما هو فى مکنون سرائرنّا ، ومضمون ضمائرنا ؛ ونُعلن بأن رتبته عندنا بمکان لا تتطاولُ إلیه ید الحوادث ، وتبین أن أعظم أسباب التقدّم ما كان علیه من عنایتنا وأمتناننا أکرم بواعث .

(١) لعله "ولا تستقل".

فلذلك رُسم أن يعاد إلى الإمرة على أمراء آل فضل ، ومشايخهم ومقدمهم ،
وسائر عربانهم ، ومن هو مضاف لهم ومنسوب إليهم ، على عادته وقاعدته .

فليجرب في ذلك على عادته التي لا مزيد على كمالها ، ولا محيد عن مبدئها في مصالح
الإسلام ومآلها ، أخذًا للجهاد أهبتَه من جمع الكلمة وأتخاذها ، وأتخاذ القوة
وإعدادها ، وتضافر الهمم التي ما زال الظفر من مآذها والنصر من أمدادها ،
وإلزام أمراء العربان بتكميل أصحابهم ، وحفظ مراكزهم التي لا تُستد أبوابها إلا بهم ؛
والتيقظ لمكاييد عدوهم ، والتنبه لكشف أحوالهم في رواحهم وغدوهم ؛ وحفظ
الأطراف التي هم سورها من أن تسورها مكاييد العدا ، وتخطف من يتطرق إلى
الغور من قبل أن يرفع إلى أفقها طرفًا أو يمدد على البعد إلى جهتها المصونة يدا ،
وليبت في الأعداء من مكاييد مهابتِه ما يمنعهم الفرار ، ويحسن لهم الفرار ، ويحول
بينهم وبين الكرى لأشترك أسم النوم وحد سيفه في مسمى الفرار .

وأما ما يتعلق بهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله ، وعرفت من كماله ،
فهو ابن بجدتها ، وفارس بجدتها ، وجهينة أخبارها ، وحلبة غايتها ومضمارها ، فيفعل
في ذلك كله ما شكر من سيرته ، وحمد من إعلانه وسيرته ؛ وقد جعلنا في ذلك وغيره
من مصالح إمرته أمره من أمرنا : فيعتمد فيه ما يرضى الله تعالى ورسوله ، ويبلغ
به من جهاد الأعداء أمله وسوله ؛ والله الموفق بمنه وكرمه ! والاعتاد

الطبقة الثانية

(من عرب الشام - من يكتب له مرسوم شريف)

وهم على مرتبتين :

المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ، وهم ثلاثة :

الأول - أمير آل علي ، ورتبته « السامي » بالياء . وقد تقدم أن منازلهم مرج دمشق و غوطتها ، بين إخوانهم آل فضل و بني عمهم آل مرء ، ومنتاهم إلى الحوف و الجلبانة ، إلى السكة ، إلى تيماء ، إلى البرادع . وأنه ذكر في « التعريف » : أنهم لما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى مهنا بن عيسى .

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل علي ، كتبت به للأمر عز الدين « جمار » بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي أنجح بنا كل وسيله ، وأحسن بنا الخلف عن قضي في طاعتنا الشريفة سبيه ، ومضى و خلى ولده رسيله ، وأمسك به دمة السيوف في خدودها الأسيله ، وأمضى به كل سيف لا يرد مضاء مضار به بحيله ، وأرضى بتقليده كل عني و جعل كل جميله .

نحمده على كل نعمة جزيله ، وموهبة جميله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترشد من آخذ فيها نجوم الأسته دليله ، وتجعل أعداء الله بعز الدين ذليله ، وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرم قبيله ، وشرف به كل قبيله ، وأظهر به العرب على العجم وأحمد من نارهم كل قبيله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة بكل خير قبيله ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإنَّ دولتنا الشريفة لما خَفَقَ على المَشْرِقِ والمَغْرِبِ جَنَاحُهَا، وشَمِلَ
الْبَدُوَ والحَضْرَ سَمَاحُهَا؛ ودَخَلَ في طَاعَتِهَا الشَّرِيفَةَ كُلَّ رَاحِلٍ ومُقيمٍ في الأَقْطَارِ،
وكلُّ سَاكِنِ خَيْمَةٍ وَجِدَارٍ - تَرَعَى النِّعَمَ بِإِبْقَائِهَا في أَهْلِهَا، وإِلْقَائِهَا في مَحَلِّهَا؛ مع
ما تَقَدَّمَ من رِعايَةٍ تُوجِبُ التَّقْدِيمَ، وتُودِعُ بِهَا الصَّنَائِعُ في بَيْتِ قَدِيمٍ؛ وتُزَيِّنُ بِهَا
المَوَاكِبُ إذا تَعَارَضَتْ بِجَاحِهَا، وتَعَارَفَتْ شُعُوبُهَا وَقَبَائِلُهَا؛ وَأَسْتَوَلَتْ جِيَادُهَا على
الْأَمَدِ وقد سَبَقَتْ أَصَابِلُهَا، وتَدَاعَتْ فُرْسَانُهَا وقد أَشْتَبَتْ مَنَاصِبُهَا وَمَنَاصِبُهَا
وَمَنَاصِلُهَا؛ وَكَانَتْ قَبَائِلُ العُرَبِ بِانِ مَن تَعْمَهُمُ دَعْوَتُنَا الشَّرِيفَةَ، وَتَضَمُّمُهُمُ طَاعَتُنَا
الَّتِي هِيَ لَهُمُ أَكْمَلُ وَظِيفَةٍ؛ وَلَهُمُ النِّجْدَةُ في كُلِّ بَادِيَةٍ وَحَضْرٍ، وإِقَامَةُ وَسْفَرٍ؛ وَشَامِ
وَحِجَازٍ، وَإِنْجَادٍ وَإِنْجَازٍ؛ وَلَمْ يَزَلْ (لَا لِي عَلِيٍّ) فِيهِمُ أَعْلَى مَكَانَهُ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَوَسَّدَ
سَيْفَهُ وَأَقْرَشَ حِصَانَهُ؛ وَهَمُّ مِنْ دِمَشْقِ المَحْرُوسَةِ رَدِيفُ أُسُورِهَا، وَفَرِيدُ سُورِهَا؛
وَالنَّازِلُونَ مِنْ أَرْضِهَا في أَقْرَبِ مَكَانٍ، وَالنَّازِحُونَ وَلَهُمُ إِلَى الدَّارِ بِهَا أَقْطَارٌ وَأَوْطَانٌ؛
قَدْ أَحْسَنُوا حَوْلَ البِلَادِ الشَّامِيَةِ مَقَامَهُمْ، وَأَسْتَغْنَوْا عَنِ المُقَارَعَةِ عَلَى الضَّيْفَانِ لِمَا
نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ؛ وَبَاهُوا كُلَّ قَبِيلَةٍ بِقَوْمِ كَاثَرِ النُّجُومِ عَدِيدُهُمْ،
وَأَوْقَدُوا لَهُمُ في اليَفَاعِ نَارًا إِذَا هَمَّى القَطْرُ شَبَّهَا عَيْبُهُمْ؛ وَهَمُّ مِنْ آلِ فَضْلِ حَيْثُ
كَانَ عَلَيْهَا، وَحَدِيثُهُ في المَسَامِعِ حُلِيِّهَا؛ فَلَمَّا آتَتْهُمُ الإِمْرَةُ إِلَى الأَمِيرِ المَرْحُومِ
شَمْسِ الدِّينِ، مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ - جَمَعَهُمْ عَلَى دَوْلَتِنَا القَاهِرَةِ، وَأَقَامَ فِيهِمْ
يَتَنَجَّى بِطَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ رِضَا اللهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ؛ ثُمَّ أَمَدَهُ اللهُ مِنْ وَلَدِهِ بِنِ ابْنِ أَلِيِّ إِلَيْهِ
هَمَّهُ، وَأَمَضَى بِهِ عَزَمَهُ، وَنَفَّذَ بِهِ حُكْمَهُ، وَنَقَلَ قَسَمَهُ .

وكان الذي يتحمل دونه مشقات أمورهم، ويتلقى شكواي أمرهم ومأمورهم؛
ويرد إلى أبوابنا العالية مستمطرا لهم سخائب نعمنا التي أخصب بها مرادهم،

وساروا في الآفاق ومن جدواها راحلتهم وزادهم ؛ وتفرد بما جمعه من أبوته وإبائه ،
وركز في كل أرض مناخ مطيه ومرسى خبائه ؛ وصاهى في المهاجرة إلى أبوابنا
الشريفة النجوم في السرى ، وحافظ على مراضينا الشريفة فما أنفك من نار الحرب
إلا إلى نار القرى ؛ وورد عليه مرسومنا الشريف فكان أسرع من سهم
في مضائه . كم له من مناقب لا يغطي عليها ذهب الأصيل تمويهاً ! ، وكم تنقل من
كوير إلى سرج ومن سرج إلى كوير فتمنى الهلال أن يكون لهما شبيهاً ؛ كم أجمل
في قومه سيره ! ، وكم جمل سيره ! ؛ كم أثمر لها أملاً ! ، كم أحسن عملاً ! ؛ كم سدد
خللاً ! ، كم جمع في مهماتنا الشريفة كل من امتطى فرسا وركب جملاً ! ؛ كم صفوف
به تقدمت ، وسيوف أقدمت ، وحتوف حاتم الحمام بها على الأعداء ترمت !! .

وكان المجلس السامي الأميري ، الأجلّي ، الكيرى ، المجاهدي ، المؤيدي ،
العصدي ، النصيري ، الأوحدي ، المقدمي ، الذخري ، الظهيري ، الأصيلي :
مجّد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء في العالمين ؛ همّام الدولة ، حسام الملّة ؛
ركن القبائل ، دُخر العشائر ؛ نصرّة الأمراء والمجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين
« جواز بن محمد » أدام الله نعمته - : هو المراد بما تقدم ، والأحقّ بأن يتقدم ،
والذي لو أنّ الصباح صوارم والظلام بحافل لتقدّم ؛ فلما مات والده رحمه الله نحّا
إلى أبوانا العالية ، ونور ولائه يسعى بين يديه ، ووقف بها : وصدقاتنا الشريفة
تُرفرف عليه ؛ فرأينا أنّه بقية قومه الذين سلفوا ، وخلف آبائه الذين عن زجر
الجيل ما عزفوا ؛ وكبيرهم الذي يعترف له والدهم ووليدهم ، وأميرهم الذي به تُرعى
عهودهم ؛ وشجرتهم التي تلتف عليه من أسابهم فروعها ، وفريدهم الذي تجتمع عليه
من بحافلهم جموعها .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة آل عليّ : تامّة عامّة ، كاملة شاملة ، يتصرف في أمورهم ، وأميرهم ومأمورهم ، قرباً وبعداً ، وغوراً ونجداً ، وظعماً وإقامه ، وعراقاً وتهامه ، وفي كلّ حقيرٍ وجليل ، وفي كلّ صاحب رضاءٍ وئفاءٍ وصيريرٍ وصليل ، على أكل عوائد أمراء كلّ قبيله ، وفي كلّ أمورهم الكثيرة والقليلة .

ونحنُ نأمرك بتقوى الله فيها صلاح كلّ فريق ، وإصلاح كلّ رفيق ، ونجاح كلّ سالكٍ في طريق . والحكم : فليكنّ بما يوافق الشرع الشريف . والحقوق : فخلصها على وجه الحق من القوى والضعيف . والرفق بمن وليته من هذا الجمل الغفير ، والجمع الكبير ، وإلزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا الشريفة التي هي من الفروض اللازمة عليهم ، والقيام في مهماتنا الشريفة التي تبرزها مراسمتنا المطاعة إليك وإليهم ، وحفظ أطراف البلاد والذب عن الرعايا من كلّ طارق يطرقهم إلا بخير ، والمسارعة إلى ما يرسم لهم به ما دامت الأسفار في عصاها سير ، والإفراج لعريك لا تسمح به إلا لمن له حقيقة وجود ، وله في الخدمة الشريفة أثر موجود ، ومنعهم : فلا يكون إلا إذا توجه منهم ، أو توانت عزائمهم وقيل نفعهم ، والمهابة : فأنشرها كسُمعتك في الآفاق ، ودع بوارق سيوفها تُسام بالشام وديمها تُراق بالعراق ، وخيول التّقدم : فارتدّ منها كلّ سابقٍ وسابقة تقف دونهما الرياح ، ويحسدهما الطير إذا طارا بغير جناح ، ولا تتخذ دوننا لك بطانة ولا وليجه ، ولا تقطع عنا أخبارك البهيجه ، وليعرف قومه له حقه ، ويؤفوه من التعظيم مستحقه ، فإنه أميرهم وأمره من أمرنا المطاع ، فمن نازع فقد خالف النص والإجماع ، والله تعالى يؤفقه ما استطاع ، بمنه وكرمه ! والخط الشريف

(١)
[الثاني - أمير آل فضل] .

وهذه نسخة مرسوم شريف بالتقدمة على عربى آل فضل وآل على ، كتب به
للأمير نحر الدين « عثمان بن هبة » وهو :

الحمد لله الذى خص من وآلى هذه الدولة بالتقدمة والفخر ، ورمى من عاداها
بالمذلة والقهر ، ومد فى عمر أيامها حتى يستنفد الدهر ، وحتى توصف أيامها -
وإن قصرت - بالمسار : كل شهر يتر منها كالعام واليوم كالشهر .

نحمده على ما منحنا : من تأييد وظفر ، وطوى دعوة من عاندنا بعد النشر ، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إن دخلت شواهدا تحت الإحصاء
فلا تدخل فوائدها تحت الحصر ، وأن مجدا عبده ورسوله الذى جعل الله به الهداية
فى المبدأ والشفاعة فى المعاد يوم الحشر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد
بعد الشقاء وتجبر بعد الكسر .

وبعد ، فإن الله سبحانه وتعالى لما مكن لنا فى الأرض ، وجعل بيدنا البسط
والقبض ، وأرانا كيف نصنع الجميل ونجمل الصنع ، وكيف نجبر قلب من جعل
فى أيامنا جبره بعد الصدع ، وكيف تصيح أنجم ذوى الأقدار فى سماء مملكتنا
نيرة المطالع ، وكيف نلقى الخير فى عراصها من رامه إذا كان على الخير فى غير أيامنا
مانع ، وكيف نحل التقدمة فىمن إذا عقل فى حللها قيل : هذا هو أحق بها ممن
كان ، وهذا الذى ما برحت التقدمة فى بيته فى صدر الزمان ، وهذا الذى إذا ذكر
آل فضل وآل على كانت له مرتبة الشرف ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف

لُعْثَان، وَأَتْنَا لَا تُنْمِطِي صَهْوَةَ الْعِزِّ إِلَّا لِأَهْلِهَا، وَلَا تَنْسُخِ الْآيَةَ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي التَّقْدِيمَةِ إِلَّا بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا؛ وَلَا تُسَلِّمِ رَأَيْتَهَا، إِلَّا لِمَنْ تُعَقِّدُ عَلَيْهِ الْخِنَاصِرَ، وَلَا يَتَسَمَّنُ ذِرْوَتَهَا، إِلَّا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ .

ولما كان المجلس السامى ، الأميرى ، فخر الدين ، عثمان بن مانع بن هبة : هو المراد بهذا القول الحسن ، والممدوح بحشد هذا المدح الذى يسر السر والعلن ، والحقيق من الإحسان بكلمها والخير بأن ؛ والخصيص من سوائف الخدم بما والمفضل على سائر النظراء ولو قيس بمن - آقتضى حسن الرأي الشريف ، أن رسم بالأمر الشريف - لا زال ذو القدر فى أيامه يرتفع ، وذو الفضل فى دولته لا يعز عليه مطلب ولا يمتنع ، وذو الأصالة التى يجتمع له فيها من النعماء ما لا يلبتم له فى غيرها ولا يجتمع - أن تفوض إليه التقدمة على العربان بالشام المحروس ، وهم من أتى ذكره ، على ما استقر عليه الحال فى ترتيبهم ؛ وأن منازله الداروم : بعدا وقربا ، حضرا وبدوا ، عامرا وغامرا ، رائحا وغاديا ، من الرستن إلى الملوحة . والعرب : آل فضل وآل علي حيث ساروا نزلوا منزلة المذكور ، أو بمنزلة الأمير شمس الدين محمد بن أبى بكر ، والخدمة واحده ، والكلمة على اتفاق المصالح متعاضده .

فليكن للقوى جسد روجها لابل روح جسدها ، ومجموع القبائل أوحد عددها إذا صح الأول من عددها ؛ وقطب فلكها الذى على تديره مدارها ، وعلى تقريره أقصرها ؛ وعلى تقدمته تعويلها ، وإلى نسبة إمارته جملتها وتفصيلها ؛ وليجمعهم على الطاعة فإن الطاعة ملاك الأمر للأمر ، وأس الخير للبادى والحاضر ؛ وليعلم أن لكل منهم نقابة تعرف ، وعلمية أصالة بها يعرف ؛ ومنزلة يرثها الولد عن الوالد ، وشيخة ترجع من ذلك البيت إلى ذلك الواحد ، فيحفظ لهم الأنساب ، ويرع لهم

الأسباب، وإذا أمرُوا بأمرٍ من مَهَامِّ الدَّوْلَةِ يتلَو عليهم : (اَدْخُلُوا الْبَابَ) .
والألزام له ولهم مَحَاوِضٌ تُحْفَظُ ، وَمَفَاوِزٌ تُلْحَظُ ، وَمَطَارِحٌ لَا تُتْلَفُظُ ؛ وَمَشَاتٍ
وَمَصَافِي ، وَنَفَائِضٌ وَمَصَارِفٌ ؛ وَمَرَابِيعٌ ، وَمَرَاتِعٌ ؛ وَدُنُوقٌ وَأَقْتِرَابٌ ، وَتَوَطَّنٌ
وَأَغْتِرَابٌ ؛ وَإِغَارَةٌ وَنَهِيضٌ ، وَبَرْقٌ وَوَمِيضٌ .

فَلْيُرْتَّبْ ذَلِكَ أَجْمَلَ تَرْتِيبٍ ، وَلْيَسْلُكْ فِيهِ خَيْرَ مَذْهَبٍ وَتَهْذِيبٍ ، وَلْيَدْعُ الْعَادِي ،
وَيُلَاحِظِ الرَّائِحَ وَالْعَادِي ، وَلْيُؤَمِّنْ ذَلِكَ الْجَانِبَ فَأَمُنَّا تُطْرِبُ أَيْبَانُهُ الْمُحَدِّثُ
وَالْحَادِي ؛ وَعَلَيْهِمْ عِدَادٌ مَقْرَرٌ ، وَقَانُونٌ مُحْتَرَبٌ ؛ وَلْيَكُنْ عَلَى يَدِ شَادِهِ شَادَاً ، وَلِسَبَبِ
تَأْيِيدِهِمْ مَادَاً ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَعْمَضَ مِنْ جُفُونِهِ فِيمَا مَضَى ، وَأَعْرَضَ
عَنْهُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَتَقَضَى ؛ وَقُدِّمَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ دُونَهُ ، فَقَدْ رَدَّ اللَّهُ لَهُ أَبْكَارَ
الْأَمْرِ وَعُودَهُ ؛ فَلَا يَجْعَلُ لِقَائِلٍ عَلَيْهِ طَرِيقًا ، وَلَا يَدْخُلُ فِي أَمْرٍ يُقَالُ عَنْهُ فِيهِ :
كَانَ غَيْرُهُ بِهِ حَقِيقًا ؛ بَلْ يَفُوقُ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْخِدْمَةِ وَالْهِمْمَةِ ، وَالصَّرَامَةِ وَالْعَزْمَةِ ،
وَاللَّهُ يُوزِعُهُ شُكْرَهُ هَذِهِ النِّعْمَةَ ؛ وَالْخَطَّ الشَّرِيفَ :

الثالث - أمير آل مرءاء، ورتبته «السامى» بالياء .

وقد تقدم أن منازلهم حوران . وعن «مسالك الأبصار» أن ديارهم بين بلاد
الجيدور والجولان، إلى الزرقاء، إلى آخر بصرى . ومشرقاً إلى حرة كشت، على
القرب من مكة المشرفة، زادها الله شرفاً .

وهذه نسخة مرسومة شريف بإمرة آل مرءاء، كتب بها للأمير بدر الدين
«شطى بن عمر» وهى :

الحمد لله الذى زين آفاق المعالى بالبدر، ورفع بآئنا الشريفة خير ولى أضحى
بين القبائل جليل القدر، ومنح من أخلص فى خدم دولتنا الشريفة مزيد الكرم

فأصبح بإخلاصه شديد الأزر؛ وأجزل بره لأصائل العرب العرباء فوفر لهم الأقسام،
وأسبغ ظلال كرمه على من يرعى الجار ويحفظ الدمام .

نحمده على نعيم هطل سخابها ، ومنن تفتحت بالمسائر أبوابها ، ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُقرب صاحبها يوم الفزع الأكبر، من المحل
الآمن ، وتورده نهر الكوثر، الذى مأؤه غير آسن ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذى بعثه الله من أشرف القبائل ، وأوضح بنور رسالته الدلائل ؛ فأنقذ الله به
هذه الأمة من ضلالها ، وبوأها من قُصور الجنان أعلى غر فيها وأشرف ظلالها ؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أوصحوا مناهج الإيمان ، وشيدوا قواعد الدين
إلى أن علت كلمته فى كل مكان، [فكان] عصرهم أجمل عصر وقرنهم خير أوان ؛
وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من أدبنا من بساط الأصفاء محله ، وأرتشف من سخاب
معروفنا طله فوبله ؛ ونال من عواطفنا منزلة القرب على بُعد الدار، وحكم له حسن
نظرننا الشريف بتوالى غزير كرمنا المدرار .^(١)

ولما كان المجلس الفلانى : هو المشار إليه بهذا النعت الحسن ، والموصوف
بالشجاعة فى السر والعلن - رسم بالأمر الشريف - لا زال بذره ، ساطع الأنوار ،
وبره ، هامع القطار، وخيره يشمل الأولياء بجزيل الإيثار وجميل الآثار - أن يستقر
المشار إليه فى كيت وكيت : لأنه البطل الشديد ، والفارس الصنديد ؛ وليث
الحرب المذكور، ومن هو عندنا بعين العناية منظور .

(١) لم يذكر خبرا لأن ولعله سقط من قلم النسخ والأصل « من كرم أصلا ومحمدا ، وسل سيف عزيزته
حتى خضعت له رقاب العدا » أو نحو ذلك .

وَلَيْتَنِي مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ بِمَا يُؤْمَلُ وَيَعْمَدُ ، وَلِيَتَحَقَّقَ قُرْبَهُ مِنْ مَقَامِنَا
الشَّرِيفِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ ؛ وَلِيَتَلَقَّ هَذَا الْإِحْسَانَ بَقَابِ مُنْشَرِحٍ ، وَأَمَلٌ مُنْفَسِحٍ ؛
وَلِيَجْتَهِدُ فِي أَمْرِ عُرْبَانِهِ الَّذِينَ فِي الْبِلَادِ ، فَإِنَّا جَعَلْنَا عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِمُ الْأَعْتِيَادَ ،
وَقَدْ أَقْنَاهُ أَمِيرًا عَلَى عَرَبِ آلِ مِرَاءٍ ؛ فَلْيُشْمَرْ عَنْ سَاعِدِ الْأَجْتِهَادِ فِي مَصَالِحِ دَوْلَتِنَا
الشَّرِيفَةِ بِغَيْرِ زُورٍ وَلَا مِرَاءٍ ؛ وَلْيَقْمَعْ الْمُفْسِدَ مِنْ عُرْبَانِهِ وَيَقَابِلْهُ بِالنَّكَالِ ، وَالصَّالِحَ
الْخَيْرَ مِنْهُمْ يُجْزِلْ لَهُ النَّوَالَ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةً وَلِئَلَّا لَأُنْقَالَ ؛ وَاللَّحْطَ الشَّرِيفَ أَعْلَاهُ
حِجَّةً فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بنصف إمرة آل مراء، كتبت به لقناة بن نجاد،
في العشر الآخر من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة . من إنشاء المقر
الشهائي بن فضل الله، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آسْتَعْدِمَ لِنَصْرِنَا كُلَّ سَيْفٍ وَقَنَاءَ ، وَكُلَّ سُرْعَةٍ وَأَنَاءَ ، وَكُلَّ مُتَّقِفٍ
تُسَلِّيُ^(١) جَنَائِيَّاتِهِ وَيَعْدُبُ جَنَاهَ ، وَكُلَّ مَاضٍ لَا يَعُوقُهُ عَنْ مَقَاصِدِهِ الصَّالِحَةِ يَعُوقُ
وَهُوَ عَبْدٌ مَنَاءَ .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ أَغْنَاهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَسْتَعِدُّ
مِنْ قَبْلِهَا فَالِقُ الصَّبَاحِ سَنَاءَ ، وَيُقَكُّ مِنْهَا مِنْ قَبْضَةِ السُّيُوفِ عُنَاءَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي [بَوَّأَهُ مَنَازِلَ الشَّرَفِ] وَبَنَاهُ ، وَأَحَلَّهُ مِنَ الْعَرَبِ فِي مَكَانٍ يَخْضَعُ
لَهُ رَأْسُ كُلِّ جَبَّارٍ وَيُخْشَعُ بَصْرُهُ وَتَسْتَمِيعُ لِمَا يُوحَى أَدْنَاهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ صَلَاةً تُخَصِّمُهُمْ مِنْ كُلِّ شَرَفٍ بِأَسْمَاءِ وَأَسْنَاءِ ، وَسَلَمٌ تَسْلِيَامًا .

(١) سلى جنائياته - ترك فلا يقتص منه .

وبعد، فإن لكل ثاكلة قرارا، ولكل هاجرة مزارا، ولكل معصم سوارا لا يليق إلا بزنده، ولكل عني درأ لا يصلح إلا لعقده، ولكل سيف طال هجوعه في غمده أنسلالا، ولكل قناة لم تعتقل مدة اعتقالاتها، وكانت إمرة آل مرآء قد ثبتت من البيت الأحمدي بأوثق أوتادها، ووصلت منه في الرفعة إلى نجادها، ولم تزل تنتقل في آفاقها بدورهم الطالع، وتضيء عليها من صفائحهم بروقهم اللامع، وتجول فيها من سوابقهم السحب الماعه، وتغني في حروبها عزائمهم إذا وقعت الواقعة، وتقدمت للمجلس السامى، الأميرى، الفلانى، بركابنا الشريف حجة حمد فيها السرى، وخدمته أوقدت له نار القرى، وهاجر إلينا في وقت دل على وفائه، وسهر إلى قصدنا الليل وله النجم محيط المقل باغفائه، وأتقطع إلينا بأمله، ولازم من عهدنا الشريف صالح عمله، وأستحق تعجيل نعيمنا الشريف وإن تأخرت لأجل موقوت، وأمل نجاحه لا يقوت.

فلما آن أن تفاض عليه ثيابها، ويضاف إليه ثوابها، ويصرف في قومه أمره، ويشرف بينهم قدره، ويعرف من لم يعرف المسك أنه عندنا ذكوه، ومن جهل البر: أنه على ما يحمد عليه شكره، ومن أنكر أن شيئا أصعب من الموت: أنه في مجال الموت صبره، ومن خالف فيما هو أمضى من القضاء: أنه في البيعة صدره، ومن ادعى أنه لا تصيبه البيض والسمر: أنها مثقفته وبتره، وزال من هذا البيت العريق الطود وهو ثابت، ونزع منه السنن لولا أنه في قناته نابت، و[لولا] لهاجت هذه القبيلة إلى من يقبل على نباتها، ويقبل بها: تارة يُخد في نجدها وأخرى يجول في جولاتها - رسم بالأمر الشريف أن يُقلد من إمرة آل مرآء ما كان الأمير «ثابت ابن عساف» رحمه الله يتقلده إلى آخر وقت، ويرفع فيها إلى كل مسامنة وسمت به ليكل ما نقص من التمام وصفه، ويعلم أنه خلق إليه حتى أتى دون نصف البدر

فاختطف النصفَ وذلك النصفُ هو نصفُه ؛ ليكون لهم إحدى اليمين ، وأخرى
تقع لسيف بحدين .

وتقوى الله أبرك ما أشملت عليه عودها ، وأتخبت له زييدها ؛ فليتحذها له ذروة
يهتدى بها أنى سلك من الفجاج ، وأقتحم من حلك العجاج . وعليه بحسن الصحبة
لرفيقه ، ويمن القبول على فريقه ، وإقامة الحدود على ما شرع الله من دينه القويم ،
وإدامة التيقظ [للأثر] المنيم ؛ وإنزال عربه ومن ينزل عليه أو ينزل عليهم
في منازلهم .

وليجمع قومه على طاعتنا الشريفة كل الجمع ، ويُقابل ما ترد به مراسمنا المطاعة
عليه بما أوجب الله لها من الطاعة والسمع ؛ وليأخذ للجهاد أهبتَه ، ويعجل إليه
هبتَه ؛ وليقف من وراء البلاد الشامية المحروسة دريئة لأسوارها المنيعه ، ونظاقا على
معاقلها الرفيعه ؛ وسدا من بين أيديها وخلفها لباب كل دريعه ، وخندقا يحوط بلادها
الوسيعه ، وحجابا يمنع فيها من تعدى الحق وخاص الشريعة ؛ ولا يفارق البلاد
حتى يعبس في وجوهها السحاب ، ولا يعود حتى تؤذن زروعها المخيمة بذهاب ؛
والكرم هو فيه سجايا ، والعزم ما برح لوشان (؟) أسنته بكل قناة لحايا ، والحزم بيده
المراوية من آل مرء يظهر له الخفايا ، والشجاعة هو في رباها المنيرة «ابن جلا وطلاع
الثنايا» ؛ وما رضع المرمل كأفويق الوفاق ، ولا وضع شيئا في موضعه كمدارة الرفاق ؛
فليكن لرفيقه أكثر مساعدة من الأخ لأخيه ، وأكبر معاوضة من المصراع لتسيمه
والحفن لحفته والشئ لما يؤاخيه . هذا يجب ويتعين وليس يجمعهما فرد طاعه ،
ولا يلزمهما شيء واحد أستطاعه ؛ فكيف وهو [و] رفيقه إلينا أعتراؤهما ومنا
إعزازهما ، وهما قرعان معتنان : لدينا إجنأؤهما وبيدنا إهزازهما .

(١) يريد لنا ، بالهمز فاضطر القلب مراعاة السجع .

ولِيَحْصُلَ مِنَ الْخَيْلِ كُلِّ سَابِقَةٍ تَلِيْقُ أَنْ تَقْدَمَ إِلَيْنَا، وَنَسَاجِدَةٍ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ جِيْنَ
يَقْدَمُ عَلَيْنَا. وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ إِلَيْهِ مَأْبُكُ، وَعَلَيْهِ عَفْوُكَ وَعِقَابُكَ؛ وَبِمَقْتَضَاهُ
عَقَدَ كُلَّ نِكَاحٍ لَا يَصِحُّ إِلَّا عَلَى وَجْهِهِ الْمَرْضِيُّ وَإِلَّا فَهُوَ سِفَاحٌ، وَالْمِيرَاثُ عَلَى حُكْمِهِ
لِمَنْ جَرَّهَ إِلَيْهِ وَإِلَّا فَهُوَ ظُلْمٌ صُرَاحٌ، وَبَقِيَّةُ مَا نُوَصِيهِ بِهِ إِذَا أَتَيْتُمْ مِنْهُ إِلَى هَذِهِ النَّبْذَةِ
فَمَا عَلَيْهِ فِي سِوَاهَا جُنَاحٌ. وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَى تَقْلِيدِنَا هَذَا أَنْ يُنِيبَ إِلَى نُصُوصِهِ،
وَيُؤَوِّبَ إِلَى عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ؛ وَالْحَدَّرَ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْهُ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، فَالْسَيْفُ
أَسْبِقُ مِنَ الْعَدَلِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَتِّعُهُ بِمَا وَهَبَهُ مِنَ الْعِزِّ فِي النُّقْلِ، وَالْحَاسِنُ الَّتِي هِيَ
يَدُ الْمَسَامَعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُقَلِّ؛ وَالخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ

المرتبة الثانية

(من أرباب المراسيم من العرب - من يُكْتَبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِ«السَّامِي»

بغير ياء، مفتتحا بـ«أَمَّا بَعْدُ» وَهِيَ ثَلَاثَةٌ أَيْضًا)

الأول - أَمْرَاءُ بَنِي مَهْدِيٍّ، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنَ أَرْبَعَةٍ. وَرَتْبَةُ كُلِّ مِنْهُمْ

«مَجْلِسُ الْأَمِيرِ».

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَنَازِلَهُمُ الْبَلْقَاءُ، إِلَى مَائِرَ، إِلَى الصَّوَّانِ، إِلَى عِلْمَ أَعْفَرَ.

وَهَذِهِ نَسْخَةٌ مَرْسُومِ شَرِيفِ بَرْنَجِ إِمْرَةِ بَنِي مَهْدِيٍّ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي حَقَّقَتْ فِي كَرَمِنَا الْمَأْرَبِ، وَأَجْرَلَتْ مِنْ آلَيْنَا
الْمَوَاهِبِ، وَقَرَّبَتْ لِمَنْ رَجَانَا بِإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَطَالِبِ؛ وَالصَّلَاةِ
وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ مِنْ أَشْرَفِ ذَوَائِبِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ، الْمَخْصُوصِ
بِاللَّوَاءِ الَّتِي لَا يَضْحَى مِنْ أَوْيِّ إِلَى ظِلِّهِ وَالْحَوْضِ الَّتِي لَا ظَمًا بَعْدَ رُودِهِ

لشَارِب ، وعلى آله وصحبه الذين فازوا من صحبته وطاعته بأسمى المراتب وأسنى المناقب - فإنَّ أولى من رفعت رعايتنا قدره ، وأطلعت عنايتنا في أفق السعادة بداره ، وحققت آلاؤنا سؤله ، وبلغته صدقاتنا مرامه ومأموله - من أحكم في طاعتنا أسباب ولائه ، وأتقن في خدمتنا آنتساب بعيده وآتمائه ؛ وتقرَّب إلينا بإخلاصه في آجتماعه ، ومَتَّ بما يُرضينا من آحتفاله بأُمور جهاده ؛ مع ما تميَّزه من أسباب نتقاصي كرمنا في تقديمه ، وتقتضي إجراءه على ما ألف أولياء الطاعة من حديث إحساننا وقديمه .

ولما كان فلان هو الذي آختص بهذه المقاصد ، وعُني بما ذكر من المصادر والموارد - رُسم أن يُرتب في رُبع إمرة بني مهدي .

فليرتَّب فيما رُسم له به من ذلك قائما من وظائفها بما يجب ، عالمًا من مصالحها بما يأتي وما يَحْتَجِب ، واقفًا لاعتماد ما يرد عليه من المراسم وقوف المنتظر المرتقب ، ملزمًا عرَّبه من الخدم بما يؤكِّد طاعتهم ، ومن إعداد الأُهبه بما يُضعف استيظاعتهم ، ومن المحافظة على أسباب الجهاد بما يجعل في رضا الله تعالى ورضانا قوتهم وشجاعتهم ؛ وليقدم تقوى الله تعالى بين يديه ، ويجعل توفيقه العمدة فيما آعتمد فيه عليه ؛ والخير يكون ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة مرسوم شريف برُبع إمرة بني مهدي أيضا :

أما بعد حمد الله على نِعَمه التي جددت لمن أخلص في الطاعة رُتب السُعود ، ورفعت من نهض في الخدم الشريفة حق النهوض إلى مناصب الجُود ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بِلِوَاءِ الحمدِ المعقود ، وظلِّ الشفاعة الممدود ،

والخوض الذى لا يَنْضُبُ على كثرة الورد ، وعلى آله وصحبه الذين وقَّوا بالعهود ،
 وبتت سيمَاهم فى وجوههم من أثر السجود - فإنَّ أولى من آجتلى وجوه النعم ،
 وأجتلى ثمره ما عرس من الخدم ، وأرتقى إلى ما أنعم به عليه من التقدُّم الذى أقامه
 السعدُ لاستحقاقه على أثبت قَدم - من نشأ فى طاعتنا الشريفة يدين بولائمها ،
 ويتقلب فى خير نعمها وآلائها ، ويتعبَّد بما يُؤهل له من خدَمها ، ويبادر إلى
 ما يُندب له من المهام الشريفة بين يدي مراسمتنا أو تحت عالمها .

ولما كان فلان هو الذى ذُكرت طاعته ، وشُكرت خدَمه وشجاعته - رُسم ...
 أن يرتب فى رُبع إمرة بنى مهدي ، على عادة من تقدّمه وقاعدته .

فليرتب فى ذلك ، قائماً بما يجب عليه من وظائفها المعروفة المألوفة ، وخدمها
 التى هى على ما تبرز به أوامرنا الجارية موقوفة ؛ وليكن هو وعمره بصدد ما يؤمرون
 به : من خدمة يبادرون إليها ، وطاعة يثابرون عليها ، وتأهب للجهاد ، حيث سرت
 الجيوش المنصورة لم يبق لهم عائق عن التوجه بين يديها ؛ وسياسة تأخذهم من
 الطرائق الحميدة بسلوك ما يجب ، ويعرف بها سلوك ما يسلك وأجتنب ما يجتنب ؛
 وانخير يكون ، إن شاء الله تعالى .

الثانى - مقدّم زبيد . ومنازل بعضهم بالمرج وغوطة دمشق ، وبعضهم
 بصرخدا ، وحوران .



وهذه نسخة مرسوم شريف بتقدمة عرب زبيد ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى أنبى بنا للنعم تأييدا ، وأحسن العاقبة لأحسن عاقبة أدام
 لهم فيها تحليدا ، وأحيا به منهم حيا نكتب لأمرهم وإمرتهم فى كل حين تقليدا ؛

ونقل منهم نوفلاً فلا نزال نجدد فيهم ملابس الفخار بذكر اسمه تجديداً، ورعى بنا أبناء
بيت تناسقوا أبناءً وجدوداً، وتباشروا بولدٍ لما خلف والده بآب ابن سعيد
لا يكون إلا سعيداً، والصلوة والسلام على نبيه محمد الذي أهلك بسيفه كل غاشم،
وأخجل بسيفه كل غمام لوجنة الرياض وأشم، وأسعد بسيفه نوفلاً وعبد شمس
بأخوتها لهاشم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خلاصة العرب، صلاة لا يعد ضرباً
لها الضرب، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن العساكر المنصورة الإسلامية: منهم حاضرة أهل جدار، وبادية
في فقار، وقوم هم المدن المدنة وقوم عليها أسوار، وهم صنفان: صنف لا تمل
السيوف عواتقهم، وصنف سيوفهم تحبس بها مناطقهم، والعرب أكرم [أهل]
البادية، وأعظم قبائلهم تضرماً كالبرق مبارأة للشحب الغوادي، قد نصبوا بقارة
الطريق خيامهم، وسرحوا مع أسراب الظباء سوامهم، ووقفوا دون الممالك المحروسة
ككاتب مضفوفه، ومواكب بما تعرف به العرب من الشجاعة موصوفه، وزبيد
من أنفها قبيله، وأكثرها فوارس: [فأما أحسابها] فكريمة وأما وجوهها فخميله،
شامية أعرفت أنساباً في يمنها، وأتهمت بشطء أسنتها ما تفتح في الحجر من سوسنها،
فأبيت بطل منهم على دمن، ولا يعرف فارس إلا إذا تملى في الخليلطين من شام
ومن يمن، كم فيهم بمواقع الطعان فطن ذو كئيس، وكم صبغ منهم بالدماء راية حمراء
يمني لا ينسب إلى قيس، كم كرب على معد يكرب منهم فارس، ونسب إلى زبيد
وهو خشن الملابس، منهم صاحب الصمصامة بقي مثلها السيف فردا، وكم قتل من
أقرانه الشجعان من أخ صالح وبواه في العجاج بيديه لحدا، ومن نجومهم الزواهر
السراه، وغيومهم الأكاب السراه، من لم يزل حول دمشق وما يليها من حوران،
منارة منازل وأوطان، حاموا عن جنابها المصون، وحاموا حول غوطتها تشبهاً بجماها

على الغُصون ؛ وما نلوا بسيوفهم أنهارها ، ورماحهم حول دوحات الأيك أشجارها ؛
 وأستلاموا بمثل عُدرانها دُرُوعا ، وحكوا بما أطلوا من دماء الأعداء شقائق روضها ،
 وبما جروا من حللهم المسمة سبلا ؛ ولم يزل لهم من البيت النوفلي من يجمع جماعتهم ،
 ويضم تحت راية الدولة الشريفة طاعتهم ؛ يُخلف ابن منهم لأبيه أو أخ لأخيه ،
 وينظم كل فرقة مع من يناسبه وينضاف كل كوكب إلى من يؤاخيه .

وكان مجلس الأمير الأجل ، فلان بن فلان الزبيدي - أدام الله عزه - هو قيّة
 من سلف من آباءه ، وعرف مثل الأسد القسورة بآبائه ، وأخصر فيه من استحقاق
 هذه الرتبة ميراث أبيه ، وأستغرق جميع ما كان من أمر قومه وإمرتهم يليه .

فرسم بالأمر الشريف - زاده الله تعالى شرفا ، وذخر به لكل سالف خلفا -
 أن يرتب في إمرة قومه من زبيد النازلين بظاهر دمشق وبلاد حوران المحروس ،
 على عادة أبيه المستقره ، وقاعدته المستمزه ؛ إلى آخر وقت ، من غير تنقيص له عن
 نجم سعده في سمة ولا سمت ؛ تقديمه تشمل جميعهم ممن أعرق وأشام ، وأنجد
 وأتمهم ؛ لا يخرج أحد منهم عن حكمه ، ولا ينفرد عن قسمه ؛ لا ممن هو في جدار ،
 ولا ممن هو مضحرج في قفار ؛ يمشي على ما كان عليه أبوه ، ويقوم فيهم مقامه الذي
 كان عليه هو وأولوّه .

ونحن نوصيك بتقوى الله تعالى ، واتباع حكم الشريعة الشريفة ما أقتت على
 بلد أو أزمعت ارتحالا ، وجمع قومك على الطاعة فُرسانا ورُجبالا ورجالا ؛ واتباع
 أوامرها الشريفة وأمر نوابنا الذين هم بإزائهم ، وما أعتاز من قبلك إلا ما مالوا
 إليه في أعترائهم ؛ والتأهب أنت وقومك لما رسم به في ليل أو نهار ، وحماية حمي
 أتم حوله في صحراء مضحرجة أو من وراء جدار ؛ والمطالعة بمن ينتقل من أصحابك

بالوفاء، والوصايا كثيرة ومثلك أيسر ما قال له أمرؤ كفاه، والله تعالى يوفقك لما يرضاه، ويؤثرُك في كلِّ أمرٍ للعمل بمقتضاه، وسبيل كلِّ واقفٍ عليه العملُ به بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه؛ إن شاء الله تعالى.

النيابة الثانية

(من نيابات البلاد الشامية - نيابة حلب . ووظائفها التي يكتبها
من الأبواب السلطانية على نوعين)

النوع الأول

(من بحاضرة حلب، وهم على أصناف)

الصنف الأول

(منهم أرباب السُّيوف، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد، وهو نائب السلطنة بها،
وتقليده في قطع الثلثين بـ«الجناب الكريم»)

وهذه نسخة تقليد شريف نيابة السلطنة بحلب، كتبت به للامير استدمر،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :

الحمد لله حافظ ثغور الإسلام في أيامنا الزاهرة، بمن يفتقر عن شنب النصر سيفه،
وناظم نطاق الحصون في دولتنا القاهرة، على همم من لم يزل يغزو عدو الدين قبل
طلوع طلائعه طيفه، وناشر لواء العدل في أسنى ممالكا بيد من لا يؤمن في الحق فوته

وَلَا يَرْهَبُ فِي الْحُكْمِ حَيْفُهُ ، وَمَدْنِحِرٍ [أَجْر] الرِّبَاطِ فِي سَيْدِلِهِ لِمَنْ لَمْ يَبْتَ لَيْلَةً إِلَّا وَالتَّائِيْدِ
 نَزِيْلُهُ وَالتَّنْصِرِ سَمِيْرُهُ وَالتَّظْفَرُ صَيْفُهُ ؛ الَّذِي جَعَلَ الْجِهَادَ فِي أَطْرَافِ الْمَمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ
 سُورًا لِعَوَاصِمِهَا ، وَالصَّعَادَ فِي مَقَاتِلِ أَعْدَاءِ الدِّينِ شَجْنًا فِي صُدُورِهَا وَشَجِيًّا فِي غَلَاصِمِهَا ؛
 وَالسُّيُوفَ الْحِدَادَ تُرْهِئُ بِمِشَارِكْتِهَا لِأَسْمٍ مِنْ بَيْلَتٍ مِنْهُ أَجْسَادُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِقَاسِمِهَا ،
 وَرُمِيَتْ مِنْهُ أَعْمَارُهُمْ بِقَاصِمِهَا ؛ وَأَرْهَفَ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَوْلِيَائِنَا سَيْفًا نَتَحَلَّى الشَّهْبَاءَ
 بِجَوَاهِرِ فِرْنَيْدِهِ ، وَتَتَوَقَّعُ الْأَعْدَاءُ مَوَاقِعَ فَتَكَاتِهِ قَبْلَ تَأْتِيْقِ بَرَقِهِ مِنْ سُبْحِ غَمْدِهِ ؛
 وَيَعْرِفُ أَهْلُ الْكُفْرِ مَضَارِبَهُ الَّتِي لَا تُطِيقُ مَقَاتِلَهُمْ جَحْدَهَا ، وَتَتَفَرَّقُ عُصَبُ الضَّلَالِ
 فَرَقًا مِنْ مَهَابَتِهِ الَّتِي طَالَمَا أَغَارَتْ عَلَى جِيُوشِهِمُ الْمُتَعَدِّدَةَ وَحَدَهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ النَّصْرَ لِأَجْيَادِ مَمَالِكِنَا عُقُودًا ، وَالكُفْرَ لِلْهَيْبِ صَوَارِمِنَا
 وَقُودًا ، وَالتَّائِيْدَ مِنْ نَتَائِجِ سُيُوفِنَا الَّتِي تَأْتِيْقُ أَنْ تُرَى فِي مَضَاجِعِ الْعُقُودِ رُقُودًا ؛
 وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُعَلِّيْ مَنْ أَرَادَ الْهُدَى ، وَتُطْفِئُ أَنْوَارَ
 الْعِدَا ، وَتُخَلِّيْ أَجْسَادَ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ قُوَى أَرْوَاحِهِمْ فَتَعْدُوْ كَيْدِيَارِهِمُ الَّتِي لَا يُحِبُّ
 فِيهَا إِلَّا الصَّدَى ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى اللَّهُ بِنَاءَ الْإِيْمَانِ بِتَأْيِيْدِهِ ،
 وَأَيَّدَنَا فِي الدَّبِّ عَنْ مِلَّتِهِ ، بِكُلِّ وَوَلِيٍّ يَتَلَقَّى رَايَةَ النَّصْرِ بِيَمِيْنِهِ ، وَأَعَانَنَا عَلَى مَصَالِحِ
 أُمَّتِهِ ، بِكُلِّ سَيْفٍ نَتَأَلَّقِي نَارَ الْأَجْلِ مِنْ زَنْدِهِ وَيَتَرَقُّقُ مَاءَ الْحَيَاةِ مِنْ مَعِيْنِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وَسَمَتْ أَسْتَنْتَهُمْ مِنْ وَجْهِ الْكُفْرِ أَغْفَالًا ، وَكَانَتْ سِيُوفُهُمْ
 لِمَعَاوِلِ أَهْلِ الشَّرْكِ مَفَاتِيْحَ فَلَمَّا فُتِحَتْ غَدَّتْ لَهَا أَقْفَالًا ؛ فَفِنْهُمْ مَنْ فَازَ بِمِزْيَةِ السَّبْقِ
 إِلَى تَصْدِيْقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُنَكِّبُ عَنْ طَرِيْقِهِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَ بِإِعْمَادِ
 سَيْفِ الْإِتْتِصَارِ لَدَمِهِ عَنْ مَرِيْقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَازَ رُبِّيَّةَ أَخْتَانِهِ وَصِرْهَ دُونَ أُسْرَتِهِ
 الْكِرَامِ وَفَرِيْقِهِ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الْخُلُودِ ، مُسْتَمِرَّةً الْإِقَامَةَ فِي التَّهَانِمِ وَالتَّنُجُودِ ؛ وَسَلَمًا
 تَسْلِيًّا كَثِيرًا .

وبعد، فإن أولى من حليت التقاليد بلالي أوصافه، ومليت الأقاليم بمواقع
 مهاتمه وإنصافه؛ وريعت قلوب العدا بطروق خياله قبل خيله، وخاف الكفر
 كل شيء أشبه ظباه من توقد شمس نهاره أو حكي أسنته من تألق نجوم ليله؛
 ومد على المالك من عز ماته سور مصفح بصفاحه، مشرف بأسنه رماحه؛ سامية
 على منطقة الجوزاء منطقة بوجه، نائية على أمانى العدا مسافة رفعته فلا يقدر أمل
 باغ على ارتقائه ولا رجاء طاع على ولوجه. من تمهدت بسداد تديره الدول، وشهدت
 بسير محاسنه السير الأول؛ وتوطدت المالك على أسنته فحقت أن أعلى المالك
 ما يبنى على الأسل، وسارت في الآفاق سمعته فكانت أسرى من الأحلام وأسبق
 من الأوهام وأسير من المشل؛ وصانت الثغور صوارمه فلم يشم برقها إلا أسير
 أو كبير، أو من إذا رجع إليها بصره أثقل إليه البصر خاسئا وهو حسير؛ وزانت
 الأقاليم معدته فلا ظلم يغشى ظلامه، ولا جور يحشى إمامه، ولا حق تدحض
 حجة ولا باطل يعلو كلامه؛ فالبلاد حيث حل بعدله معموره، وبإياله معموره،
 وسيوف ذوى الأقاليم وأقلامهم بأوامره في مصالح البلاد والعباد منهية ومأموره.

ولما كان الحناب العالى هو الذى عاتق الملك الأعز نجاده، وألثت الذى لم يزل
 فى سبيل الله إغارته وإنجاده؛ والكفى الذى كم له فى جهاد أعداء الله من موقف
 صدق يضل فيه الوهم وتزل فيه القدم، والهيام الذى إن أنكرت أعناق العدا مواقع
 سيوفه «فما بالعهد من قدم»؛ والمقدم الذى لا تترك مشاهدته فى إرغام الكفر ولا
 تكفر، والزعيم الذى حمت مهابته السواحل نخاف البحر؛ وهو العدو الأزرق، من
 بأسه الأحمر، على نبي الأصفه؛ والمقدم الذى كم ضاقت بسرايا شيعته الفجاج؛ وكم
 أشرفت نجوم أسنته من أفق النصر فى ظلم العجاج؛ وكم حى المدب الفرات على
 البعد بسيوفه وهى مجاورة للملح الأجاج!!؛ مع سطوة أنامت الرعايا فى مهاد أمنها،

ورَافَةٌ عَمَرَتِ البرايا بِعَاطِفَةِ إقبالها وَمِمنها ، وَرِفْقٍ تَكْفَلُ لِسَهْلِ البلاد وَحَزْنِها بِإِعانَةِ
مُزْنِها ؛ وَشِجَاعَةٍ أَعَدَّتْ الجيوشَ التي قَبِلَهُ فَعَدَّتْ آحادُها أُلُوفًا ، وَفَتَكَاتٍ عَوَدَتِ
الطَّيْرُ الشَّيْبَ من وَقائِعِهِ فَباتَتْ على رِايَتِهِ عُكُوفًا ، وَمَعْدَلَةٍ عَمَّتْ من في إِيالِهِ فَأَصْحَى
الضَّعِيفُ في الحَقِّ قَويًا عِنْدَهُ والقَويُّ في الباطلِ ضَعِيفًا .

وَكانتِ البلادُ الحَلِيبِيَّةُ المَحروسَةُ هِيَ المملَكَةُ التي لا تُجارى شَهابُها في حَلَبَةِ نِخارِ ،
والزُّبَّةُ التي لا يُؤَهَّلُ لها من حَواصِّ الأَولِياءِ الأَعزَّةِ إِلاَّ من أَسْتخرنا اللهُ تَعالَى
في تَقْلِيدِ جِيدِ مَفارِحِهِ بِلالِي كَفالَتِها نِخارِ ؛ فَهِيَ سَورُ الممالِكِ الذي لا تَنسَوِرُهُ
الْحُطوبُ ، وَأُمُّ الثُّغورِ التي ما بَرِحَ يُسْفِرُ بِانْتِسابِها عَن شَنبِ النُّصْرِ وَجَهْهُ الزَمانِ
القَطُوبِ ؛ وَمَوطِنُ الرِّباطِ الذي كُلُّ يَومٍ وِلِيلةٍ [فيهِ] خَيرٌ مِنَ الدُّنيا وما فيها ،
وعَقبِلَةُ الأَقاليمِ التي لَم تُشجى قَلوبُ الملوِكِ الأَكابِرِ صُدُودُها وَأَسْهَرُ عَيونَ العَظماءِ
الأَكاسِرَةَ تَجا فِيا ؛ بل هِيَ عَقْدُ دَرَّةٍ حُصُونُهُ ، وَرَوضُ سَيوفِ الكُماةِ جَدائِلُهُ
وَرِماحُ الحِماةِ غُصُونُهُ ؛ وَحَمَى لَم تَزَلْ عَيونُ عَنايَتِنا بِعَونِ اللهِ تَحْفَهُ وَأَيدى تَأْيِيدِنا
بِقُوةِ اللهِ تَصُونُهُ - أَقْتَضَتْ آراؤُنا الشَّرِيفَةَ أَنَّ نُرهِفَ بِجَمايَتِها هَذا السِّيفَ الذي
نُسايقُ الأَجَلَ مَصارِبُهُ ، وَتَبطُلُ الحِيلَ تَجارِبُهُ ، وَيتَقَدَّمُ خَبرَ عَزائِمِهِ خَبرَها فلا
يَدْرى : هَلْ رَيحُ الجَنُوبِ أَسْرى وَأَسْرَعُ أَمَّ جَنائِبُهُ ؛ وَتَبتُّ مَهابَتُهُ أَمامَ سَراياهِ إِلى
العِدا سَرايا رُعبٍ تَقَلُّ جَمعَهُم ، وَتَسبِقُ إِلى التَّحَرُّزِ من بَأْسِهِ بَصَرَهُم وَسَمعَهُم ؛
وَتَسفِرُ بِكُلِّ أَفقٍ عَن تَعَمَّتِها مَغيرُهُ ، أَو كَثيرِها تَجعَلُها لِمَعالى النُّصْرِ الكامِنَةِ مُثيرُهُ .

فَذلكَ رُسمٌ بِالأَمْرِ الشَّرِيفِ العالَى - لا زالتِ أَوامِرُهُ مَبسُوطَةً في البَسيطِ ،
وَممالِكُهُ مَحُوطَةً بِمَهابَتِهِ الشَّامِلَةِ وَمَعَدِلَتِهِ المَحيطِ - أَنَّ تَفوُضَ إِليه نِيابَةَ السُّلطانَةِ
الشَّرِيفَةِ بِالمملَكَةِ الحَلِيبِيَّةِ : تَفوِضًا يَعودُها من عَيونِ العِدا بِآياتِ عَزائِمِهِ ، وَيَعودُها

(١) كذا في نسختين ولعل الصواب "عن شيعة" إلخ .

اجْتِنَاءَ ثَمَرِ الْمُنَى وَالْأَمْنِ مِنْ وَدْقِ صَوَارِمِهِ ؛ وَيُنْظِمُ دَرَارِيَّ الْأَيْسِنَةِ مِنْ أُجْيَادِ حُصُونِهَا فِي مَكَانِ الْقَلَائِدِ ، وَيَجْعَلُ كُجَاةَ أَعْدَائِهَا لِحَوْفِهِ أَوْعَفَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَجْبَنَ مِنَ الْوَالِدِ ؛ وَيَجْرُدُ إِلَى مُجَاوِرِيهَا مِنْ هِمَّتِهِ طَلَائِعَ تَحْصُرُهُمْ فِي الْفَضَاءِ الْمَتَّعِ ، وَتَسُدُّ عَلَيْهِمْ مَجَالَ الْأَرْضِ الْفَسِيحَةِ فَيَغْدُو لَهُمْ حَزَنُهَا الْحَزْنَ الشَّامِلَ وَسَمَلُهَا السَّمَلَ الْمُتَمَتِّعَ .

فَلْيَتَقَلَّدْ هَذِهِ الرِّتَبَةَ الَّتِي بِمِثْلِهَا تُرْتَى الْأَجْيَادُ ، وَبِتَقَلُّدِهَا يَظْهَرُ حَسَنُ الْإِتِّقَاءِ لِحَوَاهِرِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْإِتِّقَادِ ، وَبِتَقْوِيضِهَا إِلَى مِثْلِهِ يُعْلَمُ حَسَنُ الْإِرْتِيَادِ لِمَصَالِحِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ؛ وَلِيَزِدَّ جِيوشَهَا الْمَنْصُورَةَ إِرْهَابًا لِعَدُوِّهِمْ ، وَإِرْهَابًا لَصَوَارِمِ الْجِهَادِ فِي رَوَاحِهِمْ وَعُدُوِّهِمْ ، وَإِدَامَةً لِلتَّغْيِيرِ الَّذِي حَبَبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَقُوَّةً عَلَى مُجَاوِرِيهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّفَاقِ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ فُرْسَانُ الْحِلَالِ الَّذِينَ أَلْبَسُوا الْوَقَائِعَ ، وَأَسْوَارَ الْقُرَاتِ الَّذِينَ عَرَفُوا فِي الذَّبِّ عَنْ مِلَّتِهِمْ بِحِفْظِ الشَّرَائِعِ ، وَكَشَافَةَ الْكُرْبِ الَّذِينَ لَا يَزَالُ لَهُمْ فِي سَائِرِ بِلَادِ الْعِدَا سِرَابًا وَعَلَى جَمِيعِ مَطَالِعِ دِيَارِ الْكُفْرِ طَلَائِعَ ؛ وَهُمْ بِتَقَدُّمَتِهِ تَضَاعَفَ شَجَاعَتُهُمْ ، وَتَزِيدُ أَسْتِطَاعَتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ ؛ وَلِيَأْخُذَهُمْ بِمَضَاعِفَةِ الْأَهْبِ وَإِدَامَةِ السَّعْيِ فِي حِفْظِ الْبِلَادِ وَالذَّبِّ ، وَالتَّشْبَهُ بِأَسْوَدِ الْغَابَاتِ الَّتِي هَمُّهَا فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبَ ؛ وَلِيَهْتَمَّ بِكَشْفِ أَحْوَالِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ لِيُبْرِحَ أَمْنًا عَلَى الْأَطْرَافِ مِنْ حَيْفِهِمْ ، مَتَبَقِّظًا لِمَكَائِدِهِمْ فِي رِحْلَتَيْ سِنَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ ؛ مُفَاجِئًا لَهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ بِسَيْرٍ يَرَوُّعُ سِرْبَهُمْ ، وَيَكْدُرُ شَرِبَهُمْ ؛ وَيَجْعَلُ رُوحَ كُلِّ مَنْهُمْ مِنْ خَوْفِ قُدُومِهِ نَافِرَةً عَنِ الْجَسَدِ ، وَيَسْلُبُهُمْ بِتَوَقُّعِ مُفَاجَأَتِهِ الْقَرَارَ « وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ » ، وَلَا تَزَالُ قُصَادُهُ بِأَسْرَارِ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ مُنَاجِيهِ [وَلَا تَبْرَحُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ بَيْنَ الْعِدَا فِرْقَةَ نَاجِيهِ] ^(٢) وَلِيَحْتَفِلَ بِتَسْذِيرِجِ الْحَمَامِ الَّتِي هِيَ رُسُلُ أَعْتَبِهِ ،

(١) مراده ليقى على الدوام أمانا الخ إلا أن هذه المادة لا تؤدي هذا المعنى إلا بسبق النفي . تأمل .

(٢) الزيادة مما يأتي قريبا ليستقيم الكلام .

وإقامة الدياب الذين إذا دعوا همهمةً بالسنة النيران لبثهم السنة أسنته ؛ وليمت
 قلوب أعدائه بوجل لقائه قبل الأجل ، وليرد في الحزم على ابن مزيد الذي
 لم ير في الأمن إلا في درع مضاعفة « لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل » ؛^(١)
 وليجعل أحوال القلاع المحروسة دائما برأى منه ومسمع ، ويُسَيِّدُهَا من ملاحظته
 باحتفال لا يدع لشائم برقها وحول أموالها [مطمعا] فقد استكمل حسن النظر
 في مصالحها أجمع ؛ وليقيم منار الشرع الشريف بمعاودة حكمه ، والانتقاد إلى
 أحكامه ، والوقوف مع تقضيه وإبرامه :

فليجعل حكم الشريعة المطهرة أمامه وإمامه ، وليقيم أمر الله فيمن اقتاده الشرع
 إلى حكمة بخاذب زمامه ؛ وليعظم حملة العلم الذي أعلى الله مناره ، وأفاض على
 الأمة أنواره ، وحفظ بهم على الملة سنة نبهم صلى الله عليه وسلم وآثاره ؛ وليكن
 لأقدارهم رافعا ، ولمضارهم دافعا ؛ ولأوقافهم بجمل الاحتفال عامرا ، وفي مصالحهم
 بتخية الأحوال امرا ؛ ولينشر لواء العدل الذي أمر الله بنشره ، ويشفعه بالإحسان
 الذي هو مالوف من سبحاياه ومعروف من طلاقة بشره ؛ ويمد على الرعايا ظل رافته
 الذي يضفي في النعم لباسهم ، ويديم الفهم بالرفاهية وأستئناسهم ؛ ويقيم حكم سياسته
 على من لم يستقيم ، ويقف مع رضا الله تعالى في كل أمر : فإذا رحم الله فليرحم
 وإذا أنتقم فليغير الله لا ينتقم ؛ وليعتن بعارة البلاد ببسط العدل الذي ما أحتمى به
 ملك إلا صانه ، والرفق الذي لم يكن في شيء إلا زانه ، وتوحي الحق الذي من جعله
 نصب عينيه وفقه الله له وأعانه . وكذلك أمر الأموال : فإنها ذخيرة الملك وعتاده ،
 ومادة الجيش الذي إذا صرقت إلى مصالحهم هممه لم يحش عليه أقطاعه ولا

(١) يشير إلى بيت من قصيدة لمسلم بن الوليد يمدح بها يزيد بن مزيد الشيباني وهو :

تراه في الامن في درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

نَفَادُهُ ، وَجَمِيعُ الْوَصَايَا قَدْ أَلْفَنَّا مِنْ سِيرَتِهِ فِيهَا فَوْقَ مَا نَقْتَرِحُ ، وَخَبَرْنَا مِنْ مَقَاصِدِهِ فِيهَا مَا يَقُولُ لِلسَّانِ قَالِمُهَا : قَدْ عَرَفْتُ مَا أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَقَاصِدِكَ فَاسْتَرِحْ ، وَمِلا كُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَانَا ، وَهُوَ الْمَأْلُوفُ مِنْ عَدْلِهِ وَإِنصَافِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُهَا بِتَأْيِيدِهِ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَأَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ جَعَلَ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمَةٍ ، وَالْإِعْتِمَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخةٌ تقليدٍ شريفٍ بِنِيَابَةِ حَلَبَ أَيْضًا ، كُتِبَ بِهَا عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ «مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ» لِلْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ «قِرَاسْتَقِر» بِإِعَادَتِهِ إِلَيْهَا . مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْحَلَبِيِّ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَوَاصِمَ بِإِقَامَةِ فَرَضِ الْجِهَادِ فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ مُعْتَصِمَةً ، وَالتُّغُورَ بِمَا تَفْتَرَعُنَّ عَنْهُ مِنْ شَنْبِ النَّصْرِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ مُبْتَسِمَةً ، وَالصَّوَارِمَ الْمُرْهَفَةَ فِي أَطْرَافِ الْمَمَالِكِ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِنَا لِأَرْوَاحِ مَنْ قَرُبَ أَوْ بَعُدَ عَنْهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ مُقْتَسِمَةً ، وَالْحِصُونَ الْمُصَفَّحَةَ بِصَفَاحِنَا بِأَعْلَامِ النَّصْرِ مُعَامِمَةً وَبِسِيَا الظَّفَرِ مَتَّسِمَةً ، مُعَلِّي قَدْرِ مَنْ أَحْسَنَ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ عَمَلًا ، وَرَافِعِ ذِكْرٍ مَنْ يَبْسُطُ إِلَى عِزِّ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتِنَا أَمَلًا ، وَجُدِّ سَعْدٍ مَنْ تَلْبَسُ الْأَقْلَامُ مِنْ أَوْصَافِهِ أَنْخَرِ الْحَلَّلِ إِذَا خَلَعَتْ مِنَ الْحَمَامِدِ عَلَى أَوْصَافِهِ حُلَلًا ، وَمُقَوِّضِ زَعَامَةِ الْجِيُوشِ بِمَوَاطِنِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِهِ إِلَى مَنْ إِذَا قَلَّتْ مَقَاتِلُ الْعَدَا سَيُوفُ الْجِلَادِ كَانَتْ عِزِّ أُمَّةٍ مِنَ السُّيُوفِ الْمُرْهَفَةِ بَدَلًا .

تَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ طَاعَتَنَا مِنْ آ كَدِ أَسْبَابِ الْعُلُوِّ ، وَخِدْمَتَنَا مِنْ أَنْجَحِ أَبْوَابِ الرَّفْعَةِ بِحَسَبِ الْمَبَالِغَةِ فِي الْخِدْمَةِ وَالْعُلُوِّ ، وَنِعْمَنَا شَامِلَةً لِلْأَوْلِيَاءِ بِمَا يُرْبِي عَلَى

طَوَامِحِ الْأَمَالِ فِي الْبُعْدِ وَالذُّنُوبِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
تُسْتَنْزَلُ بِهَا مَوَادُّ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ ، وَتُسْتَجْزَلُ بِهَا ذَخَائِرُ التَّايِيدِ الَّتِي كَمْ أَسْفَرَ عَنْهَا وَجْهٌ
سَفَرٌ ، وَتُرْهَفُ بِهَا سِيُوفُ الْجِهَادِ الَّتِي كَمْ آلَفَتْ مِنْ آمَنٍ وَكَفَّتْ مِنْ كَفَرٍ ، وَنَشْهَدُ
أَنَّ مَجْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَزُوِيَتْ لَهُ الْأَرْضُ فَرَأَى مِنْهَا
مَا يَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ إِلَيْهِ ، وَعُرِيضَتْ عَلَيْهِ كُنُوزُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ عَمَّا وُضِعَ مِنْ مَقَالِيدِهَا
بِيَدَيْهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَنَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ
مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَطَاعَةِ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الظَّلَالِ ، آمَنَةً
شَمْسٌ دَوَامِيهَا مِنَ الزَّوَالِ ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ أَوْلَى مِنْ طُوقَتْ أَجْيَادُ الْمَمَالِكِ بِفِرَائِدِ أَوْصَافِهِ ، وَفُوقَتْ إِلَى مَقَاتِلِ
الْعِدَا سِهَامُ مَهَابَتِهِ الَّتِي تَحُولُ مِنْهُمْ بَيْنَ كُلِّ قَلْبٍ وَشِغَاغِهِ ؛ وَخُصِّصَتْ بِهِ أُمَّ الثُّغُورِ الَّتِي
دَرَّ لَهَا حَبْلُهَا ، وَمَدَّتْ عَلَيْهَا أَقْيَاءَ النَّصْرِ الْمَمْدُودَةَ ذَوَابِلُهَا وَقُضْبُهَا ، وَأَهْدَى أَرْجَ التَّبَلُّجِ
افْتِرَاقَهَا وَشَنَبَهَا - مَنْ تَقَوْمُ مَهَابَتِهِ مَقَامَ الْأُلُوفِ ، وَتَجْتَنِي سُمْعَتُهُ مِنْ ذَوَابِلِ الْعَزَائِمِ تَمَرِ
النَّصْرِ الْمَأْلُوفِ ؛ وَيَسْبِقُ خَيْالُهُ سَرَايَا خَيْمِلِهِ الَّتِي هِيَ أَسْرَى مِنْ هُوجِ الرِّيَاحِ إِلَى هَزْمِ
الْجُمُوعِ وَتَفْرِيقِ الصُّفُوفِ ، وَتَنْظِمُ أَسِنَّةَ رِمَاحِهِ فِي الْوَعْيِ قُلُوبَ الْعِدَا نَظْمَ السُّطُورِ
وَتَشْرِيفَ فَاحِهِ رُءُوسِهِمْ تَثْرَا الْحُرُوفِ ؛ وَتُحِيطُ بِنِطَاقِ الْمَمَالِكِ الْمُتَطَرِّفَةِ صَوَارِمُهُ إِحَاطَةً
الْأَسْوَارِ بِالْحُصُونِ ، وَالتَّخَامِلِ بِالْغُصُونِ ، وَالْمَهَالِكِ بِالْأَقْمَارِ ، وَالْجَوَانِحِ بِالْأَسْرَارِ ؛
وَلَا تَبَيَّتْ مُلُوكُ الْعِدَا مِنْهُ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ ، وَلَا يُرَى فِي الْأَمْنِ إِلَّا فِي دِرْعِ مَضَاعِفَةٍ
«لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ» ؛ وَلَا يَخْفَى عَنِ الْمُعْتَبَةِ مَا يُضْمَرُ الْأَعْدَاءُ مِنْ
الْحَرَكَاتِ قَبْلَ إِظْهَارِهَا ، وَلَا يَبْعُدُ عَلَى عَزَمَاتِهِ مَا هِيَ مَلِيَّةٌ بِهِ مِنْ بِدَارِهَا أَعْدَاءُ الدِّينِ

بَدَارِهَا؛ وَإِذَا جَلَسَ لِنَشْرِ الْمَعْدِلَةِ تَبَرَّأَ الظُّلْمَ مِنْ فِكْرٍ [^(١)] البغي والجور على إنسان،
وَشَفَعَ مَا تَصَدَّى لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ .

ولما كان الجناح العالی القلاني هو الذي ملئت قلوب العدا برعیه، وأنطوت
قلوب الرعايا على حبه، وتهللت وجوه المنى في سلمه وأسهمت سحب المنايا في حره،
وجمع بين حدة البأس ولطف التقى فكان هو الكبي الذي شفّع الشجاعة بالخضوع
لربه؛ وحاط ما وليه من الأقاليم بسورى بأسه وعدله فبات كل أحد وادعاً في مهاده
أمناً في سربه؛ وأغارت سرايا مهابته قبل طلوع طلائعه فأصبح كل من العدا أسير
الدعمر قبل إمساكه - فتيل الخوف قبل ضربه؛ مع احتفال بعارة البلاد، أعان
السحب على ربها، وأشتال على مصالح العباد، قام في تيسير أرزاقهم مقام وسمى الغائم
وولياها؛ وتيقظ لمصالح الثغور أنام عنها عيون الخطوب، وإشراق في أفق المواكب
كسا وجه الدين نور البشر ووجه الكفر ظلام القطوب .

وكانت الملكة الحليسة عقيلة المعاقيل، وعصمة العواصم، وإسطة عقود
الممالك، وسلك فرائد النصر التي كم أضاعت بها إلى الكفر وجوه المسالك، لا تدرك
في مضار الفخار شهابؤها، ولا ترى إلا كما ترى النجوم في عيون العدا حصباؤها؛
ولها من الحصون المصونة كل قلعة يتهيب الطيف سلوك عقابها، ويتقاصر لوح
الجو عن منال عقابها؛ فهي عزيمة المنال، إلا على كريم كفأته، بعيدة مجال الآمال،
إلا على ما ألفت من إيالة كفايته؛ سامية الأفق إلا على شمس، نايبة الطرف
إلا على ما عرفت من سلوكه في أمسه، ظامية الغروس التي أنشأها في مصالحها
إلى ما اعتادته من سقيا غرسه - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نزيدها إشراقاً بشمس

جَلَالِهِ ، وَأَعْتَلَاءَ بَسَيْفِهِ الَّذِي رِيَاضُ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِهِ ؛ وَأَنْ نَعِيدَ أَمْرَهَا إِلَى مَنْ
طَالَمَا حَسَنَ عَدْلُهُ بُقْعَتَهَا ، وَحَصَّنَ بَأْسُهُ قَلْعَتَهَا ؛ وَأَطَارَتْ مَهَابَتُهُ سُمْعَتَهَا ، وَأَطَالَتْ
سِيرَتُهُ سَكُونَ رَعَايَاهَا فِي مِهَادِ الْأَمْنِ وَهَجْعَتَهَا ؛ وَأَعَادَ وُجُودَهُ أَحْوَالَ مُجَاوِرِيهَا مِنَ الْعِدَا
إِلَى الْعَدَمِ ، وَأَبَادَ سَيْفُهُ أَرْوَاحَ مُعَانِدِيهَا : فَلَوْ أَنْكَرْتَهُ أَعْنَاقَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِالْعَهْدِ
مِنْ قَدَمٍ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ شَمْسُ عَدْلِهِ ، مُشْرِقَةً فِي الْوُجُودِ ، وَغِيَتْ
فَضْلُهُ ، مُسْتَهْلٌ الْجُودِ فِي التَّهَائِمِ وَالنُّجُودِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ تَفْوِيضًا
يُجِدُّ أَرْتِفَاعَهَا ، وَيُعَمِّرُ وَهَادَهَا وَيَقَاعَهَا ، وَيُؤَيِّدُ أَدْفَاعَ مَضَارِّهَا وَأَنْتِفَاعَهَا ؛ وَيُعِيدُ
الْإِشْرَاقَ إِلَى مَطَالِعِهَا ، وَالْأُمُورَ إِلَى مَوَاقِعِهَا مِنْ سَدَادِ التَّدْيِيرِ وَمَوَاضِعِهَا ؛ وَالْإِقْدَامَ
إِلَى جُبُوشِهَا وَأَبْطَالِهَا [وَالشُّجَاعَةَ إِلَى حِمَاتِهَا وَرَجَالِهَا] .

فَلِيَطْلُعُ فِي أَفْقِ مَوَاقِبِهَا طُلُوعَ نَعْتِهِ الْكَرِيمِ ، وَيُجْرِي فِي جَوَانِبِهَا مَا أَلْفَنَتْهُ مِنْ مَوَارِدِ
عَدْلِهِ الَّذِي فَارَقَهَا عَمَامَهُ وَأَثْرُسَيْلِهِ مُقِيمٍ ؛ وَيُعَاوِدُ مَصَالِحَ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ
أُمُورُهَا إِلَّا عَلَيْهِ ، وَيُرَاجِعُ عِصْمَةَ تِلْكَ الْعَقِيلَةِ الَّتِي لَا تَطْمَحُ أَبْصَارُ عَوَاصِمِهَا إِلَّا إِلَيْهِ ،
وَيُلْقِي فِي قُلُوبِ مُجَاوِرِيهَا ذَلِكَ الرَّعْبَ الَّذِي نَعَى إِلَى كُلِّ مَنْهُمْ نَفْسَهُ وَأَسْلَاهُ عَمَّا
فِي يَدَيْهِ ؛ وَيُثَبِّتُ تِلْكَ الْمَهَابَةَ الَّتِي جَعَلَتْ مَنَايَا الْعِدَا بَرَاخِئَةَ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا ،
وَيُنْشِرُ فِي الرَعَايَا تِلْكَ الْمَعْدِلَةَ الَّتِي هِيَ كَالشَّمْسِ : لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ مَثْرَلَةً عِنْدَهُمْ
وَلَا جَاهًا ؛ وَلَتَكُنْ أَحْوَالُ عِدْوِ الْإِسْلَامِ بِمَرَأَى مِنْهُ عَلَى عَادَتِهِ وَمَسْمَعٍ ، وَيَكْفُفُ
أَطَاعَ الْكُفَّارِ عَلَى قَاعَدَتِهِ فَلَا يَحْدُثُ لَهُمْ إِلَى شَيْمٍ بَرَقَ الثُّغُورُ مَطْمَحٌ وَلَا فِي الْعِلْمِ
بَشْنِهَا مَطْمَعٌ ؛ وَلِيَكُنْ مِنْ أَرْصَادِهِ ، نَهَارُ عِدْوِ الدِّينِ وَلَيْلُهُ ، وَمِنْ أَمْدَادِهِ ، مَجَازُ الْجِهَادِ
وَحَقِيقَتُهُ فَلَا يَبْرَحُ يَبْتِغِي خَيْالَهُ إِذَا لَمْ تُصَبِّحْهُمْ خَيْلُهُ ؛ وَلَا يَبْرَحُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ

بين العدا فرقة ناجية، وطائفة بأسرار قلوب القوم مناجية، لتكون له مقاتلهم على طول الأبد بادية، وتعدو منازلهم حاوية بين سرايا الرائحة والغادية. وليتعاهد أحوال الجيوش بإدامة عرضها، وإقامة واجبات القوة وفرضها، وإطالة صيت السمعة المشهورة لكلماتها في طول بلاد العدا وعرضها، وإزاحة أعدائها للركوب، وإزالة عوائق آرتيادها للوثوب، وإعداد العدد التي لها من أيديهم طلوع [في] مقاتل أعدائهم غروب. وليتفقد أحوال الحصون المصونة بسداد ثغورها، وسداد أمورها، وإزاحة أعدار رجالها، وإرهاق همم حمايتها التي تضيق على آمال العدا سعة مجالها، وتوفير ذخائرها، وتعمير بواطنها وظواهرها، وتحصين مسالكها التي يرهب الخيال المتولى إلى العيون سلوك محارها.

وليعل منار الشرح الشريف بتشديد مناره وإحكامه، وتنفيذه لقضايا قضاته وأحكام حكمه؛ والوقوف في كل أمر مع تقضه في ذلك وإبرامه، ورفع أقدار حملة العلم على ما ألقوه من الرفعة والسمو في أيامه. ولتكن وطأة بأسه على أهل الفساد مشتته، وأوامره متقدمة بوضع الأشياء في مواضعها: فلا توضع الحدة موضع الأناة ولا الأناة موضع الحدة. وليراع عهود الموادعين مهما استقاموا، ويجمع عليهم إن يكفوا أنامل بأسه التي هم في قبضتها رحلوا أو أقاموا؛ ولتخبر السنة النيران بسبها على اليفاع [والآكام] من قدم لمكيدة أو طعن بمطار الحمام - وجميع ما يتعلق بهذه المرتبة السنية من قواعد فإلى سالف تديبه ينسب، ومن سوابق تقريره وتحريره يحسب؛ فهو ابن بجدتها، وفارس نجدتها، ومؤئل قواعدها، ومؤثر ما حجد من امتداد عضدها إلى مصالح الإسلام وساعدها؛ فليفعل في ذلك ما يشكره الله والإسلام عليه، ويثبت الحجة عند الله تعالى في إنقاء المقاليد إليه؛ وملاك

الوضايا تقوى الله وهي سَجِيَّة نَفْسِهِ ، وَثَمَرَةٌ مَا أَجْتَنَى فِي أَيَّامِ الْحَيَاةِ مِنْ غَرَسِهِ ،
وَتَشْرُ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ فِيهِمَا تَظْهَرُ مَرْيَّةٌ يَوْمَهُ الْجَمِيلِ عَلَى أَمْسِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ
نِعْمَهُ دَائِمَةً الْاِسْتِقْبَالَ ، وَتَسْمَهُ أَمَنَةً مِنَ الْغُرُوبِ وَالزَّوَالِ ؛ وَالْاِعْتِمَادُ :

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قَطْعِ الثَّلَثِ بـ«المجلس السامى» وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نيابة القلعة بها)

وهذه نسخة مرسوم شريف بِنِيَابَةِ قَلْعَةِ حَلَبَ :

الحمد لله مُعَلِّي قَدْرٍ مِنْ تَحَلَّى بِالْاِمَانَةِ وَالصَّوْنِ ، وَرَافِعٍ مَكَانَةً مِنْ كَانَ فِيهَا عَرَضُ
مِنَ الْعَوَارِضِ نِعْمَ الْعَوْنُ ؛ وَمُوَهِّلٍ مِنْ اُرْشَدَنَا اِلَيْهِ لِلْاِحْتِبَاءِ حَسَنُ الْاِحْتِبَارِ ، وَمُبَلِّغٍ
الْاِثَارِ مِنْ شِكْرَتِ عَنْهُ مُحَمَّدُ الْاَثَارِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ الْحَامِدِينَ ؛ وَنَشْهَدُ اَنْ لَا اِلَهَ اِلَّا اللهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُخْلِصٍ فِي اِعْتِقَادِهِ ، مُبَرِّأً مِنْ اِفْتِرَاءِ كُلِّ جَا حِدٍ وَاِلْحَادِهِ ؛ وَنَشْهَدُ
اَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي اَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَاَيْدِيَهُ بِسُلْطَانٍ مِنْهُ وَطَهَّرَ [بِهِ]
الْاَرْضَ مِنْ دَنَسِ الضَّلَالِ تَطْهِيرًا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً لَا يَزَالُ عَلَمُ
الْعِلْمِ بِهَا مَنْشُورًا ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعِنَايَةَ بِالْحِصُونِ تُوجِبُ اَنْ لَا يُخْتَارَ لَهَا اِلَّا مَنْ هُوَ مَلِيٌّ بِحِفْظِهَا ؛
مُوقِرٌ [لَهَا] مِنْ حُسْنِ الذَّبِّ غَايَةً حَظَّهَا ؛ حَسَنُ الْمُرَابَّطَةِ ، مُبَرِّأً مِنْ دَنَسِ الْاَفْعَالِ

السَّاقِطَه ؛ ذوقَ قَلْبٍ [قوى] وَقَالِبَ ، وَعَزَمَ مازال لمهمات الأمور أشجع مغالب ؛ إذ هو للرباطين بها أوثق حرز حرز ، وأصون حجاب لمبارزة ذوى التبريز ؛ [فصبح به] مستورا عوارها ، كاتمة لأسرارها أسوارها ؛ تخاطب منازلها من مجانينها بأبلغ لسان ، وتشافه ملاحبها من أنفة أنفها إلا أنه بأعلى مكان .

ولما كانت القلعة الفلانية بهذه المتزلة الرفيعه ، والمكانة التي كل مكانة بالنسبة والإضافة إلى علو مكانها المكانة الوضيعه - اخترنا لها وأبتغينا ، وأستوعبنا بالتأهيل لنيابتها ولم تترك في أستيعابنا ولا أبقينا ؛ فلم نجد لولايتها كفاً إلا من نظمت عقود هذا التقليد لتقليده ، ورثت سور هذه المحامد بمبدئ لسان تقرظه ومعيده ؛ إذ هو أوثق من يلقى إليه إقليدها ، وأكفاً من يجزبه موعودها ؛ إذ كان المكين ، والثقة المتحلى إذ كان التحلى مما يزين العاطل المشين ؛ إن ذكر الرأى فهو المتصف بسديده ، أو العزم فهو الموسوم بسديده ؛ أو التثبت فهو من صفة شجاعته ، أو حسن المظافرة فهو البادل فيها جهد أستطاعته .

ولما كانت هذه المناقب مناقبه ، وهذه المذاهب مذاهبه ؛ رسم بالأمر الشريف العالى - زاده الله مضاءً ونفاذاً ، وأستحواءً وأستحواداً - أن تفوض نيابة السلطنة بالقلعة الفلانية وما هو منسوب إليها من رضى ونواح ، وقوى وضواح ، للجلس السامى فلان .

فليرق إلى رتبته المنيف قدرها ، المهم سرها وجهرها ؛ وليكن من أمر مصالحها على بصيره ، ومن تفقد أحوالها على فطنة مازالت منه محبوره ؛ وليأخذ محرزها من الجند وغيرهم بالملازمة لما عدى به من الوظائف ، ويتقدم إلى واليها مع طوائفها أول طائف ؛ وليتفقد حواصلها من الذخائر ، وواصلها من التبذير بمن

يرتبه على حفظها من الأخير؛ ومهما عرّض يُسرِع بالمطالعة بأمره، والإعلام
بنفعه وضره .

هذه نبذة كافية للوثوق بكفائته، والعلم بسديد كفالته ؛ والله تعالى يحسن له
الإعانة، ويجزل له الصيانة ؛ والخط الشريف أعلاه ... :

الوظيفة الثانية

(شدّ الدواوين بحلب)

وهذه نسخة توقيع بشدّ الدواوين بحلب :

الحمد لله الذى أرهف فى خدمة دولتنا كل سيف يزهى النصر بتقليده ، ويروى
نبأ الفتح عن تجربته فى مصالح الإسلام وتجريده ، ويروى حده إذا قابله عدو الدين
من قلب قلبه وموارد وريده .

نحمده على نعمه السابقة حمد متعرض لمزيد ، ونشكره على مننه السائغة شكر مستزيل
مواد تأبيده ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقر بتوحيده ، مسر
مثل ما يظهر من الخضوع لكبرياء تقديسه وتمجيده ، مصر على جهاد من الحد
فى آياته بنفسه وجنوده ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من دعت دعوته
الأمم إلى الاعتراف بخالقها بعد جحوده ، وأنجز لأمته من الاستيلاء على الكفر سابق
وعوده ، وأمال به عمود الشرك فأهوى إلى الصعيد بعد صعوده ؛ صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الذين ما منهم إلا من بدل فى طاعة الله وطاعته نهاية مجهوده ، وأطفا نار
الكفر بعد وقودها بإيقاد لبّ الجهاد بعد نحوده ؛ صلاة تقترن بروكوع القرض
ومجوده ، وتقام أركانها فى أغوار الوجود ومجوده ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما أجملنا في مصالحه النظر ، وأعملنا في آرتياد الأكلفاء له بوادر الفكر ، وأخترنا له من الأولياء من كان معدودا من خواصنا ، محبوبا بمزيد تقربنا ومهابة اختصاصنا ، أمر الأموال الديوانية بالملكة الحليية وتقويض شد دواوينها المعمورة إلى من تضاعفها رتبته المكيه ، وزاھته المتينه ؛ ويده التي هي بكال العفة مبسوطه ، وخبرته التي يمثلها يحسن أن تكون مصالح الدولة القاهرة منوطه ؛ ومزنته التي تكف عن الأموال الأطماع العاديه ، ومهابتة التي تكفي الأولياء من ضبط الأعمال بما يروى الآمال الصادية ؛ لأنها مواد الثغور التي ما برحت عن شنب النصر مفتره ، وأمداد الجيوش التي جعل الله لها أبدا على أعدائه الكره ؛ ورياض الجهاد التي تُجتنى منها ثمرات الظفر الغضه ، وكُنوز الملك التي يُنفق منها في سبيل الله القناطير المقتطرة من الذهب والفضه .

ولما كان فلان هو الذي اخترناه لذلك على علم ، وربحناه لما أجمع فيه من سرعة يقظة وأناة حلم ؛ ونديناه في مهماتنا الشريفة فكان في كل موطن منها سيفا مرهفا ، وأخترناه فكان في كل ما عدقناه به بين القوى والضعيف منصف ؛ وعامنا من معرفته ما يستثير الأموال من مكائنها ، ومن نزاهته ما يظهر أشتات (؟) المصالح من معادنها ، ومن معدلتيه ما يتبع الرعايا بأجتناء ثمر المنى من إحسان دولتنا القاهرة وأجتلاء محاسنها - آقتضت آراؤنا الشريفة أن نحلي جيد تلك الرتبة بعقود صفاته الحسنة ، وأن نذبه على حسن هممه التي ما برحت تسرى إلى مصالح الدولة القاهرة والعيون وسنه .

فذلك رسم أن يفوض إليه ذلك تقويفا يسسط في مصالح الأموال لسانه ويده ، ويقصر على مضاعفة آرتفاع الأعمال يومه الحاضر وغده ، ويحسن بسد الخلل

وَتَبَّعَ الإِهْمَالَ مُصَدَّرَهُ الْجَمِيلَ وَمُؤَرَّدَهُ ؛ وَيَجْعَلُ [لَهُ] فِي مَصَالِحِهَا الْعَقْدَ وَالْحَلَّ ،
وَالْتَصَرَّفَ النَّافِذَ فِي كُلِّ مَادَقٍ مِنَ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَةِ وَجَلَّ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ بِهَيْمَةٍ عَلِمْنَا فِي الْحَقِّ مَوَاقِعَ سَفِيهَا ، وَأَمِنَّا عَلَى الرِّعَايَا بِمَا أَتَّصَفَتْ بِهِ
مِنَ الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنْ مَوَاقِعَ حَتْفِهَا ، وَأَيَقِظَتِ الْعَيُونَ الطَّامِحَةَ لِسُلُوكِ مَا [لَا] يَجِبُ بِمَا لَمْ
تَزَلْ تُنْخِئُهُ مِنْ رَوَائِعِ طَيْفِهَا ؛ وَلْيُشْمِرِ الْأَمْوَالَ بِالْمَجْمَعِ فِي تَحْصِيلِهَا بَيْنَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ،
وَيَجْعَلْ مَا يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا بِبِرْكَةِ الْعِقَّةِ وَالرَّفْقِ : ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾ . وَلْيُعَفِّ أَثْرَ الْحَمَايَاتِ وَرَسْمَهَا ، وَيُزِيلَ بِالْكَلْبِيَّةِ عَنْ تِلْكَ الْمَمَالِكِ الْحَسَنَةِ
وَسَمَهَا الْقَبِيحِ وَأَسْمَهَا ؛ وَلْيَكُنْ مُهْمُ الثَّغُورِ هُوَ الْمُهْمُ الْمَقْدَمَ لَدَيْهِ ، وَالنَّظَرُ فِي كُلِّ
الْقِلَاعِ الْمَحْرُوسَةِ هُوَ الْفَرَضُ الْمَتَعَيْنُ أَدَاؤُهُ عَلَيْهِ ، فَيَحْمِلُ إِلَيْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالغَلَالِ
مَا يُمْرُ حَوَاصِلُهَا الْمَصُونَةِ ، وَيَكْفِي رِجَالَهَا الْفِكْرَ فِي الْمُثُونَةِ ؛ وَيَضَاعِفُ ذَخَائِرَهَا
الَّتِي تُعَدُّ مِنْ أَسْبَابِ تَحْصِينِهَا ، وَيُصْبِحُ بِهِ حَمْلُ عَامِهَا الْوَاحِدِ كِفَايَةً مَا يَسْتَقْبَلُهُ مَعَ
مَوَالِيَةِ الْجُمُولِ مِنْ سِنِينِهَا ؛ وَمَاعِدَا ذَلِكَ مِنَ الْوَصَايَا فَقَدْ أَلْقَيْنَا إِلَى سَمْعِهِ مَا [عَلَيْهِ]
يَعْتَمِدُ ، وَعَرَفْنَاهُ أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَوْفَى مَا بِهِ يَسْتَبْدُّ وَإِلَيْهِ يَسْتَنْدُ ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ :

الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الدينية)

وهم على طبقتين أيضا :

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء ، ويشتمل على وظائف)

منها - قضاة القضاة . وبها أربعة قضاة : من كل مذهب قاض ، كما في الديار
المصرية والشام . والشافعى منهم هو الذى يولى بالبلاد كما في مصر والشام .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية :

الحمد لله الذي رفع منار الشريعة الشريفة وأقامه ، ونور به كل ظلام وأزال به كل ظلامه ، وجعله صراطاً سويّاً للإسلام والسلامه ؛ الذي جعل القضاة أعلاماً ، بهم يهتدى ، ونصّبهم حكّاماً ، بمرآشدهم يقنّاد ويُقنّدى ، وأخذ بهم الحق من الباطل حتى لا يعتلّ في قضيّة ولا يعتدى ؛ والصلاة على سيدنا محمد الذي أوضح الله به الطريق ، وأبدى به بين الحلال والحرام التفرّيق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكفل لرغبات قائلها بالتحقيق .

(١)

وبعد ، فإنّ أحق ما وجهت الهمم إلى تصريفه وجهاً مسفراً ، وقربت إلى يد الأقطاف من شجرته المباركة عُصنا مُثمراً ، وسهدت في الاختيار له والأصطفاء لحظاً ما زال للفكر في مصالح الأمة مسفراً - الشرع الشريف الذي حرس الله به حومة الدين وحى جانبه ، وحفظ به أقوال الهدى عن المجادلة من المُبتدعين وأطرافه من المُجاذبه ؛ وكانت حراسته معدومة باختيار الأئمة الأعلام ، وموقوفة على كل من يطاعن البدع عند الاستفتاء برماح الخط وليست رماح الخط غير الأعلام ؛ ومُصرّفة إلى كل منصف في قضاياها حتى لو ترافعت إليه الليالي لأنصفها من الأيام .

ولما كان فلان هو مداول هذه العبارة ، ومُرتمى هذه المشارة ، ومُرتمق هذه الإشاره ؛ وقد حلّ من المّادح في محل صعب المرتقى على متوقّله ، وطلع من منازل سعودها في بروج بعيدة الأوج إلا على سير بدّره وتنقله ؛ وطالما حكم فأحكم ؛ وفصل ففصل ؛ وروجع فما رجع وعدل فعدل ؛ وشهدت مراتبه الشريفة بأنه خير من تنولها ميراثاً وأستحقاقاً ، وأجلّ من كادت ترهوه مطالع النجوم إشرافاً وإشرافاً ؛ وكانت حلب المحروسة مركز دائرة لأيامه ، وسلك جوهر تصريفه الذي

(١) في الأصل «وصلت» ولم تفهم له معنى يناسب .

طلما تقلدت أحسن العقود بنظامه ؛ وقد أفتخرت به أفتخار السماء بسمها ،
والرؤضة بغيرها ؛ والأفهام بإدراك حسها ، والأيام بما عملته من خير في يومها
وأسلفته في أمسها ؛ وقد أشتاقت إلى قربه شوق النفس إلى تردد النفس ، والليل
إلى طلوع النجم أولا وإلى إضاءة القبس .

فذلك خرج الأمر الشريف بأن يُجَدِّد له هذا التوقيع بالحكم والقضاء ، بالملكة
الخليَّة وأعمالها وبلادها ، على عادته .

فليستخر الله تعالى وليستصحب من الأحكام ما همته مليَّة باستصحابه ،
ويستوعب من أمورها ما توضع المصالح باستيعابه ؛ ويقم بها منار العدل والإحسان ،
وينهض بتدبير ما أقره منها زمانة الزمان . وعنده من الوصايا المباركة ، ما يستغني به
عن المساهمة فيها والمشاركة ؛ لكن الذكرى النافعة عند مثله نافية ، فإن لم يكن
شعاع هلال فبارقه ؛ وليتق الله ما استطاع ، ويحسن عن أموال يتامى الدفاع ،
ويحرس موجود من غاب غيبة يجب حفظ ماله فيها شرعا ، ويقطع سبب من رام
لأسباب الحق قطعا ، ولا يراع لحائف حرمة فإن حرمت الحائفين لا تُرعى ؛ وينظر
في الأوقاف نظرا يحرسها ويصونها ، ويحث عنها بحثا يظهر به كميها ؛ والله تعالى
يسدده في أحكامه بمنه وكرمه ! .

قلت : وعلى ذلك تكتب توقع بنية القضاة بها من المذاهب الثلاثة الباقية .

ومنها - وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كتبت بها لمن لقبه « كمال الدين » وهي :

الحمد لله الذي جعل كمال الدين موجودا ، في آفتران العلم بالعمل ، وصلاح بيت
المال معهودا ، في استناده إلى من ليس له غير رضا الله تعالى وبرائة الذمة أمل ،

وَأَرْتَقَاءَ رُتَبِ الْمُتَّقِينَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ بَارْتَقَاءِ مِنْهُ مِنْ أُمَّةِ الْأُمَّةِ تُزْهِىُ مَنَاصِبُ الدُّوَلِ، وَالْأَكْتِفَاءَ بِالْعُلَمَاءِ مَحْضُورًا فِي الْآرَاءِ الْمَعْصُومَةِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ مِنَ الْخَلَلِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ مَصَالِحَ الْإِسْلَامِ، مُقَدِّمًا لَدِينِنَا، وَأَخْتِصَاصَ الْمَرَاتِبِ الدِّينِيَّةِ بِالْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ، مُحِبِّبًا لِنَا، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً رَفَعَ الْجِهَادُ عَمَّهَا، وَأَمْضَى الْأَجْتِهَادُ كَلِمَهَا، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَشْرَقَتْ سَمَاءُ مِلَّتِهِ، مِنْ عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ، بِأَضْوَاءِ الْأَهْلِيَّةِ، وَنَطَقَتْ أَحْكَامُ شَرْعِيَّتِهِ، عَلَى أَلْسِنَةِ حَمَلَةِ سُنَّتِهِ، بِأَوْضَحِ الْأَدْلَى، وَبَزَغَتْ شَمْسُ هِدَايَتِهِ فِي تَهَامِمِ الْوُجُودِ وَجُودِهِ فَانْطَوَتْ بِهَا ظُلُمُ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَثَرُوا رِضَاهُ عَلَى نَفُوسِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُرَادٌ سِوَى مُرَادِهِ وَلَا سُؤْلٌ غَيْرُ سُؤْلِهِ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ تَلَقَّاهُ كَرْمُنَا بِوَجْهِ إِقْبَالِهِ، وَأَخْتَارَتْ لَهُ آلَاؤُنَا مِنَ الرُّتَبِ مَا صَدَّهُ الْإِجْمَالُ فِي الطَّلَبِ عَنِ تَعَلُّقِهِ بِبَالِهِ؛ وَرَأَى إِحْسَانُنَا مَكَانَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَعَدَّقَ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَتْرُكْهُ أَوْلَا إِلَّا مُوَافَقَةً لَهُ لَا رَغْبَةَ عَنْ خِيَالِهِ، وَرَعَى رِثْنَا وَقَادَتَهُ فَاقْتَضَى إِعَادَتَهُ مِنْ مَنَاصِبِهِ إِلَى مَا لَمْ يَزَلْ مُشْرِقَ الْأَفُقِ بِكَمَالِ طَلْعَتِهِ وَطَلْعَةِ كَمَالِهِ - مَنْ ظَهَرَتْ لَوَامِعُ فَوَائِدِهِ، وَبَهَرَتْ بِدَائِعِ فَوَائِدِهِ؛ وَتَدَفَّقَتْ بِحَارِ فِضَائِلِهِ، وَتَأَلَّفَتْ أَشْعَةَ دَلَائِلِهِ؛ وَتَوَسَّعَتْ فُنُونُهُ: فَهُوَ فِي كُلِّ عِلْمٍ أَيْبُنُ بِيَدَتِهِ، وَفَارِسُ تَجْدِيدَتِهِ، وَحَامِلُ رَأْيَتِهِ، وَجَوَادُ مَضَارِهِ الَّذِي تَفَّيَّ جِيَادُ الْأَفْكَارِ دُونَ غَايَتِهِ .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ هُوَ هَذَا الْبَحْرَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى تَدَفُّقِهِ، وَالْبَدْرَ الَّذِي أُومِيَ إِلَى كَمَالِ مَا تَأَلَّقَى بِهِ مِنْ أَفْقِهِ؛ وَكَانَتْ وَكَالَتْ بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورِ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ مِنَ الْمَنَاصِبِ الَّتِي لَا يَتَمَعَّنُ لَهَا إِلَّا مَنْ تُعَقِّدُ الْخِصَاصَ عَلَيْهِ، وَيُسَارُ بِنَانَ الْأَخْتِصَاصِ إِلَيْهِ، وَيُقَطِّعُ

بجميل فهو فيه فيما يوضع من المصالح الإسلامية بيديه ؛ وله في مباشرتها سوابق ،
وأثار [إن] لم تصفها ألسنة الأقلام أوحث بها تلك الأحوال الحالية وهي نواطق -
أقتضت آراءنا الشريفة إنعام النظر في الإنعام عليه بمكان ألفه ، ومنصب رفع
ما أسلفه فيه من جميل السيرة قدره عندنا وأزلفه .

فرسم بالأمر الشريف - لازال بأبه ثمال الآمال ، وأفق السعد الذي لو أمه البدر
لما فارق رتب الكمال - أن يفوض إليه كذا : لما ذكر من أسباب عينته ، وفضائل
ترينت به كما زينتته ؛ ووفادة تقاضت له نزل الكرامه ، واقتضت له مواد الإحسان
وموارد في السرى والإقامة .

فليل هذه الرتبة التي على مثله من الأئمة مدار أمرها ، وبمثل قوته في مصالحها
يتضاعف در احتلابها ويترادف احتلاب درها ؛ مراعيًا حقوق الأمة فيما جره
الإرث الشرعى إليهم ، مناقشا عن المسلمين فيما قصره مذهبه المذهب من الحقوق
المالية عليهم ؛ وأقفا بالحق فيما يثبت بطريقه المعتبر ، تابعًا لحكم الله فيما يختلف
سبيله [و] فيما يحزر بالعيان أو يحقق بالخبر ؛ محافظًا على ما يؤول إلى بيت المال بلطف
تدقيقه ، وحسن تحقيقه ، وقبول الدافع بوجهه ودفعه بطريقه ؛ ولا يمنع الحق
إذا ثبت بشروطه التي أعذر فيها ، ولا يدفع الواجب إذا تعين بأسبابه التي يتقاضاها
الشرع الشريف ويقضيها ؛ وهو الوكيل عن الأمة فيما لهم وعليهم ، ومتولى
المدافعة عنهم فيما يقره الشرع في يديهم ؛ فليؤد عنهم أمانة دينه ، ويحتد لهم فيما
وضعناه من أمر هذه الوكالة الشريفة بيمينه ؛ وملاك هذا الأمر الوقوف مع الحق
الجلي ، والتمسك بالتقوى التي تظهر بها قوة الأمين وأمانة القوى ؛ والله تعالى يوفقه
ويسدده .

قلتُ : وفي معنى ما تقدم من قطع الورق والألقاب الحسبة ، ونظر الأوقاف
الجبارة، وخطابة الجوامع الجليلة ، و كبار التداريس ، وما يجري مجرى ذلك : إذا
كُتِبَ به من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب كتابة ذلك جميعه عن نائب
السلطنة بها .

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة «بالسامي» بغيراء ، أو «بمجلس القاضي»)

قال في «التثقيف»: وهم من عدا القضاة الأربعة من [أرباب] الوظائف الدينية؛
فيدخل في ذلك قضاء العسكر، وإفتاء دار العدل، وما يجري مجرى ذلك، حيث
كُتِبَ من الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الديوانية،

وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثالث بـ«السامي» بالياء . وتشتمل على وظائف)

منها - كتابة السر . ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية - بصاحب
ديوان المكاتبات، وربما قيل : صاحب ديوان الرسائل . قال في «التثقيف» :
وربما كُتِبَ له في قطع النصف .

وهذه نسخة توفيع شريف من ذلك، وهى :

الحمد لله الذى زان الدولة القاهرة، بمن تغدو أسرارها من أمانته فى قرار
مكين، وحلى أيامنا الزاهرة، بمن تبدو مراسمها من بلاغته فى عقد ثمين، ومجمل
الكتب السائرة، بمن إذا وشتها براعته وبراعته قيل : هذا هو السحر البيانى إن لم
يكن سحر مبین .

نحمده على نعمه التى خصت الأسرار الشريفة بمن لم يرثها عن كلاله، ونصت
فى ترقى مناصب التنفيد على من يستحقها بأصالة الرأي وقدم الأصاله، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رقم الإخلاص طروسها، وسقى الإيمان
غروسها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى آتاه جوامع الكلم، ولوامع الهدى
والحكم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كتب فى قلوبهم الإيمان، وكتب
بهم أهل الطغيان، صلاة يشفعها التسليم، ويتبعها التعظيم، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى الرتب بارتداد من تعقد على أولوياته الخناصر، ويعتمد على
أصالته التى ما برحت فى الاتصال والاتصاف بها ثابتة الأواصر، ويعتقد فى أمانته
التى تأوى بها الأسرار إلى «صخرة أعيان الرجال أنصداعها» ويعتصد بفضائله التى يقل
فى كثير من الأكفاء أجمعها، ويعول فيها على بلاغته، التى أعطت كل مقام حقه
من الإطناب والإيجاز، ويرجع فيها إلى يديه، التى جرت بها سوابق المعالى إلى غاية
الحقيقة فى مضمار المجاز - رتبة هى خزانه سرنا، وكثانة نهينا وأمرنا، فلا يتعين
لبلوغها إلا من ومن، ولا يعين لتلقيها وترقيها إلا أفراد قل أن يكثر مثلهم فى زمن،
ولا يحسن أن تكون إلا فى بيت عريق فى أنسابها، وثيق فى تمكن عمرا أسبابها،
علم بقواعدها التى إذا أشتهت طرق آدابها كان أدرى بها .

ولما كان فلان هو الذي ذُكرت أسباب تعينه لهذه الرتبة وتعيينه ، وفتحت أبواب أولويته بتلقى راية هذا المنصب بيمينه ؛ مع أدوات كَلَّتْ مفاخره ، وصِفَاتِ بَحَلَّتْ مآثره ، وكتابة ، إذا جادت أنوارها أرض طرس أخذت زخرفها ، وإذا حادَتْ أنوارها وجه سماء ودَّتِ الدَّزَارِيُّ لو حَكَتْ أحرْفُها ؛ وبلاغة ، إن أطرت بوصف أغارت الفرائد ، وأغارت دُررها القلائد ، وأتت من رِقَّةِ المعاني بما هو أحسن من دُموع التصابي في خُدودِ الحرائد ؛ وإن أغرَّتْ بعددُ أعانت على مقاتله السيوف ، ودلَّتْ على مكامنه الحُتوف ؛ وديانة ، رفعتَه عند الله وعندنا إلى المكان الأسمى ، وصيانة ، جمعت له من الآثاء وأعتنائنا بين الزيادة والحسنى ؛ وأمانة ، أغتته بجوهر وصفها الأعلى عن التعرُّض إلى العرَضِ الأدنى ، وبراعة ، اعتصم بها يراعه في بلوغ المقاصد اعتضاد الرِّقَصِ بالمعنى .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا فليُبشَّرْ بتلق هذا الإحسان ، بسيد الاستحقاق ، ولتتلق عقود هذا الامتنان ، الذي طالما قلده نَحْرَه الأعناق ؛ وليبشِّرْ ذلك مباشرة يسر خبرها ويسرى خبرها ، ويسنِّف الأسماع تأثيرها وأثرها ؛ وليسلِّك فيها من السداد ، ما يؤكد حمده ، ومن حسن الاعتماد ، ما يؤيد سعده ؛ والوصايا كثيرة وهو بها خير عليم ، حائز منها أوفر الأجزاء وأوفى التقسيم ؛ وملاكها تقوى الله فليجعلها عمده ، وليتخذها في كلِّ الأمور ذخيره ؛ والله تعالى يضاعف له من لدنا إحسانا ، ويرفع له قدرًا وشانا ؛ والاعتقاد في ذلك على الخطِّ الشريف أعلاه اللهُ تعالى أعلاه .

ومنها - نظر الملكة الحليَّة القائم مقام الوزير .

(١) في الاصل : وأوفى التقصير ، ولا معنى له .



وهذه نسخة توقيع من ذلك : كُتِبَ به لعبادِ الدِّينِ « سعيد بن ريان » بالوَدِّ إليها ، وهي :

الحمد لله رافعِ قَدْرِ مَنْ جعلَ عليه أَعْيَادًا ، ومُجِدِّ سَعِدٍ مَنْ غدا في كُلِّ ما يُعَدُّ به من قواعدِ النَّظَرِ الحَسَنِ عِمَادًا ، ومُسَيِّ حَمْدٍ مَنْ تَكَفَّلَ له جميلُ التَّصَرُّفِ أَنْ لا تُبْعَدَ الأيامُ عليه مُرادًا ، ومُجْزِلِ مَوادِّ النِّعمِ لَمَنْ إذا اسْتَمَطَرَ قَلَمَه في المِصالحِ هَمِيْ فافْتَنَّ أُنْفانًا وأَبْنَعَ تَمَيِّزًا وأَمَرَ سَدادًا ، وإذا أَيْقَظَ نَظَرَه في مَلاحِظَةِ الأَعْمالِ اسْتَجَلَى وَجْوهَ المِصالحِ اتِّقَاءً لِمَا خَفِيَ مِنْها وَاتِّقَادًا .

نَحْمَدُه على نِعْمِه التي لا تَزَالُ النِّعمُ بها مُجَدِّدَةً ، والقواعدُ مَوْطِدَةً ، والكرَمُ مُعَادًا ، والآلِهَ التي جعلَ لها الشُّكْرُ أَزديانا على الأَبَدِ وَأزديادا ، وَمِنَنِه التي لا يَقومُ بها ولا بأداءِ قَرْضِها الحمدُ ولو أَنَّ ما في الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقلامٌ أو كانَ البَحْرُ مِدَادًا ، ونَشهدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له شهادةٌ لا تَألُو هِمْمُنَا أَجْتِهَادًا في إعلاءِ منارِها وَجِهَادًا ، ولا تَكْجُبُ جِياذَ عِزائِمِنا ، دُونَ أَنْ تُسْكِنَها من الجاحِدِينَ قُلوبًا ومُجْرى بها من المنكِرِينَ أَلْسِنَةً وتُقَلِّدَها من المشركِينَ أَجِادا ، ولا تَدْبُو صَوامِرِنا ، حَتَّى نَتَّخِذَ لها من وَرِيدِ كُلِّ مُعانِدٍ مَوْرِدًا ومن قِمْمِ كُلِّ ناكِثٍ أَعْمادا ؛ ونَشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه ورسولُه الذي أَسرى اللهُ به إِلَيْه فَبَلَغَ في الأرتقاءِ سَبْعًا شِدادا ، وَأَنْزَلَ عليه أَشْرَفَ كُتُبِه بَيانا وَأَعْجَزا آيَةً وَأَوْصَحَها إرْشادا ، وبعَثَه إلى الأَمْرِ والأَسودِ فَسَعِدَ من سَعِدِ به إيمانًا وشَقِيَّ من شَقِيَّ به عِنادًا ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصَحْبِه الذينَ لم يَأْلُفُوا في طاعةِ اللهُ وطاعته مهادًا ، صلاةٌ لا تَسْتَطِيعُ لها الدُّهورُ نَفادا ، ولا تَمَلُّها الأَشْماعُ تَعَدادا وتَرَدادا ؛ وسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثيرًا .

وبعد، فإن أولى من سما به منصبه الذي عُرف به قديماً، وزُهيت به رُتبته، التي لم يزل فيها لأفتناء الشكر مُستديماً، وتحلّت به وظيفته، التي لم يبرح يلبس بها ثوب الثناء قشيباً ويحترها رداء السعد رقيماً، وتفاضت له عوارفنا معارفه التي لم يزل عقدها في جيد المراتب السنيّة نظيماً، وتطلّع إليه مكانه فكانه بقدم هجرته لم يبرح فيه وإن بعد عنه مقيماً - من لم يزل قلبه بصرفه في أسنى ممالكا الشريفة كاسمه سعيداً، وطرف نظره فيما يليه من المناصب السنيّة يُريه من المصالح ما كان غائباً ويُدني إليه من أسباب التدبير ما كان بعيداً، فإعمل في مصالح الدولة القاهرة قلباً إلا وأقبلت نحوه وجوه الأموال سافره، ولا لحظ في مهمات وظائفها أمراً إلا وعادته أسباب التشمير النافره، ولا أعترض قلبه بنطقه وفكره إلا وغدت الثلاثة على كل ما فيه عمارة ما يفوض إليه من الأعمال متضافره، وذلك لما اجتمع فيه من عفة نفسه وكمال معرفته وطهارة يراعه، وأتصف به من حسن اضطلاعه وجميل اطلاعه، وجيئت عليه طباعه من نزاهة زانت خبرته ومن ينقل مشكورا عن طباعه .

ولما كان فلان هو الذي حنت إليه رُتبته وتلفت إليه منصبه ودعته وظيفته النفيسة إلى نفسها، وأعتدرت بإقبالها إليه في يومها عن سُوزها عنه في أمسيها، وأشتاقت إلى التحلّي بفضائله التي لم تزل تُزهي بما ألقته منها على نظرائها من جنسها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نجمل لها عاداتها ونجدد له من الإحسان بمباشرتها السعيدة إعادته، ونعيد إليه بمباشرة نظره الجميل مسرته التي ألقها وسعادته .

فلذلك رسم ... - لا زال بره لعباد الدين رافعا، وأمره بالإحسان شافعا - أن يفوض إليه نظر المملكة الحليّة على عادة من تقدمه .

فليأشُرْ هذه المملَكَةَ التي هي من أشهر ممالكِكَا سُمِّعَته ، وأيْمِنِهَا بِقَعِّه ؛ وأحْسِنِهَا
 بِإِلَادَا ، وأخْصِمِهَا رَبًّا وَوِهَادَا ، وأكْثِرِهَا حُصُونًا شَوَاهِقَ ، وَقِلَاعًا [سَوَامِقَ] ^(١) ،
 وَتُعُورًا لِاتِّسِيمِ مَا أَفْتَرَّ مِنْهَا الْبُرُوقُ الْخَوَافِقَ ؛ مَبَاشِرَةً تَزِيدُ مَصَالِحَهَا عَلَى مَا عَرَفْتَهُ ،
 وَتُرِيهَا مِنْ خَبْرَتِهِ فَوْقَ مَا أَلْفَتَهُ ؛ وَتَدُلُّ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ كِفَاةٍ هَدَّتْهَا التَّجَارِبُ ، وَهَدَّتْهَا
 الْأَنْوَارُ الثَّوَابِقُ ، وَصَرَفَتْهَا الْأَفْكَارُ الْمُطَّاعَةَ عَلَى الطَّوَالِعِ مِنَ الْمَغَارِبِ ، وَسَدَّدَهَا
 إِلَى الْأَعْرَاضِ الْجَمِيلَةِ الْخُلُوعِ مِنَ الْأَعْرَاضِ ، وَوَقَّفَهَا عَلَى جَوَاهِرِ الصَّوَابِ عَدَمَ
 اعْتِرَاضِ النَّظَرِ إِلَى الْأَعْرَاضِ ؛ وَأَرَاهَا التَّوْفِيقُ مَا تَأْتِي مِنْ وَجْهِ التَّنْذِيرِ وَمَا تَدَّرُ ،
 وَعَرَفَتْهَا الْمَعْرِفَةُ الْإِحْتِرَاسَ مِنْ مَخَالَفَةِ الصَّوَابِ فَمَا تَزَالُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى حَذَرٍ ، وَفَتَحَتْ
 لَهَا الدَّرَبَةَ أَبْوَابَ التَّمْثِيرِ فَاحْظَتْ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الدِّيَوَانِيَةِ إِلَّا وَبَدَتْ الْبِدْرَ ؛
 وَلَتَكُنْ النِّعَمُ الْمَصُونَةُ الْمَقْدَمُ لَدَيْهِ ، وَالنَّظَرُ فِي مَصَالِحِ الْقِلَاعِ الْحُرُوسَةِ هُوَ الْعَرَضُ
 الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ ؛ فَلْيُضَاعَفْ ذَخَائِرُهَا ، وَيَتَفَقَّدْ مَوَارِدَ أُمُورِهَا وَمَصَادِرِهَا ؛ وَفِي مَعْرِفَتِهِ
 بِقَوَاعِدِ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ مَا يُعْنَى عَنِ الْوَصَايَا ، لَكِنْ مَلَكَهَا تَقْوَى اللَّهِ ، فَلْيَجْعَلْهَا نَجِيًّا
 نَفْسِهِ ، وَسَمِيرًا أَنَسِهِ ؛ وَاللَّحْظُ الشَّرِيفُ

*
* *

ومنها - نظر الجيش بها .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش بالمملكة الحليية ، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ أَفْقَ السَّعَادَةِ بِطُلُوعِ شَمْسِهِ مُنِيرًا ، وَأَقْرَفِي رُتَبِ الْعِلْيَاءِ مَنْ
 يَغْدُو نَاطِرُهَا بِحَسَنِ نَظَرِهِ قَرِيرًا ، وَحَلَّى مَقَارِقَ الْمَنَاصِبِ السَّنِيَّةِ بِصَدْرِ إِذَا تَعَالَى

(١) الزيادة مما يأتي بعد نحو عشر صفحات .

اللسان في وصفه كان بَنَانُ البَيَانِ إليه مُشِيرًا ، وأختار لأمصَارِ ممالِكِ الشَّرِيفَةِ من إذا فَوَّضَ إليه نَظَرُهَا كان بِنِسْبَتِهِ إلى الإِبْصَارِ حَقِيقًا به وَجَدِيرًا .

نَجْدُهُ وهو المَحْمُودُ ، ونَشَكَرُهُ شُكْرًا مُشْرِقَ السُّعُودِ ؛ ونَشَهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شَرِيكَ له شَهَادَةٌ عَذْبَةٌ الوُرُودِ ، ونَشَهدُ أنَّ مَجْدًا عبْدَهُ ورسولَهُ الذي أضحَّتْ به شِيوخٌ من الإسلامِ مَنْشُورَةٌ البُنُودِ ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصَحْبِهِ ما أَوْرَقَ عُودُ ، وأَوَّلِحَ نَهَارَ السِّيَوفِ في لَيْلِ العُمُودِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ ، فإن الله تعالى لما خَصَّ كُلَّ مَمْلَكَةٍ من ممالِكِ الشَّرِيفَةِ بِكَثْرَةِ الجُيُوشِ والأَنْصَارِ ، وجَعَلَ جُيُوشَنَا وَعَسَاكِرَنَا تُكَاثِرُ عَدَدَ النُّجُومِ في كُلِّ مِصْرٍ من الأَمْصَارِ ؛ وكانت المَمْلَكَةُ الشَّرِيفَةُ الحَلِيبِيَّةُ هِيَ رُكْنٌ من أَرْكَانِ الإسلامِ شَدِيدِ ، وَذُنُورٌ مادعاهم دَاعٍ إلا وَلِبَّاهِ منهم عَدَدٌ عَدِيدٌ - وَجِبَ أن يُخْتَارَ لِلنَّظَرِ عَلَيْهَا من الأَكْفَاءِ من سَمَاءِ في الرَّاسَةِ أَصْلُهُ وَزَكَافِرُهُ ، فَاسْتَحَقَّ بِمَا فِيهِ مِنَ المَعْرِفَةِ تَمْيِيزَ قَدْرِهِ وَرَفْعَهُ ؛ وَفَاقَ في فَضْلِ السِّيَادَةِ أَبْنَاءَ جِنْسِهِ ، وَأَشْرَقَتْ أَفْلاكُ المَعَالِي بِطُلُوعِ شَمْسِهِ ؛ وَأَقْرَبَ [بِنَظَرِهِ] نَظَرَ الجُيُوشِ المَنْصُورَةِ ؛ وَسَارَتْ الأَمَثِلَةُ بِمَا أَتَّفَقَ عَلَيْهِ [فِيهِ] من حُسْنِ خِبْرَةٍ وَخَيْرَةٍ ؛ وَكانَ فُلانٌ هُوَ الَّذِي طَلَعَ في أَفُقِ هَذَا الثَّنَاءِ شَمْسًا مُنِيرَةً ، وَأَخْتَبَرَ بِالكِفَايَةِ وَالدَّرَايَةِ وَأَخْتَبَرَ لِهَذَا المَنْصِبِ عَلَى بَصِيرَةٍ ؛ وَهُوَ الَّذِي لَهُ مِنَ جَمِيلِ المَبَاشِرَةِ في المَناصِبِ السَّنِيَةِ ما هُوَ كَالشَّمْسِ لا يُخْفَى ، وَالَّذِي أَحْسَنَ النَّظَرَ في الأَوْقافِ المَبْرُورَةِ حَتَّى تَمْنَى كُلُّ مَنْصِبٍ جَلِيلٍ أن يَكُونَ عَلَيْهِ وَفَقًا ؛ وَهُوَ الَّذِي حَوَى مِنَ الفَضائلِ ما لا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا شَبِيهٌ ، وَالَّذِي سَمَّا إلى رِتبَةٍ مِنَ المَعَالِي رَيبَةً وَكانَ ذَا الجَدِّ النَّبِيِّ وَالأَبِ النَّبِيِّ .

فلذلك رُسم ... - لا زال يُقرُّ الناظر بِجُوده ، وَيَحْسِنُ النظرَ في أمرِ جُوشه
وَجُوده - أن يفوض إليه كذا: عالماً بأنه أحقُّ بذلك وأولى، وأنَّ كفايته لا يُستثنى
فيها بيلاً ولا بلولاً، وأنَّ السِّدادَ مِقْتَرَنٌ بِحسَنِ تَصْرِيفِه ، وعلمه قد أغنى عن تعليمه
بمواقع التَّسديدِ وتَوْقِيفِه .

فليباشِرْ ذلك بصدرٍ مُنْشِرح ، وأملٍ مُتَفَسِّح ، عاملاً بالسُّنة من تقوى الله تعالى
والقرض ، عالماً بأنَّه عند وُصولنا إلى البلاد نأمرُ بعرضِ الجيوش : فليعملَ على
ما يبيِّضُ وجهه يومَ العَرَضِ ، وليزِمَ عدَّةً من المباشرين بعمل ما يلزمهم من التَّفْرِيعِ
والتَّأْصِيلِ ، والتَّجْرِيدِ والتَّنْزِيلِ ، وتَحْرِيرِ الأمثلة والمقابلة عليها ، وسؤالِكِ الطَّرِيقِ
المُسْتَقِيمِ التي لا يتطرَّقُ الدَّمُ إليها ، والملاحظة لأُمُورِ الجيوش المنصورة في قَلِيلِ
الإقطاعات وكثيرها ، وجليلها وحقيقها ، بحيثُ يكون علمه محيطاً بذلك إحاطةً
اللَّيْلِ ، ويشترطُ على من يتعيَّن تنزيله ما أستطاع من قُوَّةٍ ومن رباطِ الخَيْلِ ؛
ويقابلِ الأمورِ المضطربةَ بالإضرابِ ، ويسلكُ أحسنَ المسالكِ في سَيرِه وسِيرَتِه :
فإنَّا فوضنا إليه الجيوش المنصورةَ من جُنْدِ المملكةِ الحَلِيبِيَّةِ ومن أهلِ المدينةِ ومن
حوطهم من الأعرابِ . والوصايا كثيرةٌ وإن كَثُرَتْ فَعِلْمُهَا عِنْدَه ، وقد ضُربَ له منها
مَثَلٌ فَلْيُكُنْ على سِياقَتِه فيما لم يُدْكر في العِدَّةِ ؛ وأهمُّ الأمورِ أن يتمسكَ من خَشْيَةِ الله
بالسَّببِ الأقوى ، ويجعلَ تقوى الله عمادَه في كلِّ الأمورِ : فإنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوى ؛
والخطُّ الشريَّفُ أعلاه حجةٌ فيه .

الطبقة الثانية

من يكتب له من أهل المملكة الحَلِيبِيَّةِ في قَطْعِ العادة مفتتحاً بـ «رسم» إمَّا مع
«مجلس القاضى» أو مع «القاضى الأجل» ككُتَّابِ الدَّرَجِ ومن في رُتبتهم ، إن كُتِبَ

لأحد منهم من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب استبدادُ نائب السُّلْطنة بها بالكتابة في ذلك . فإن كُتِبَ شَيْءٌ منها من الأبواب السلطانية ، فليُمشَ فيه على نحو ما تقدّم في الديار المصرية والمملكة الشامية التي قاعدتها دمشق .

النوع الثاني

(من أرباب الوظائف بالمملكة الحلبية - من هو خارج
عن حاضرتها ، وهم على أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم غالبٌ من يكتب لهم عن الأبواب السلطانية)
وقد تقدّم أنّ العادة جاريةٌ بتسمية ما يكتب لمن دون أرباب النيابات العظام : من دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحمّة ، وصفد ، وغزة ، والكرّك - مراسيم . وأنّ التقاليد مخصّصةٌ بالنواب العظام المقدم ذكرهم . ولا يخفى أنّ النيابات الداخلة في المملكة الحلبية : مما هو تحت أمر نائب السُّلْطنة بحلب أكثر من كل سائر الممالك الشامية .

وبالجُملة فأمرهم لا يخرج عن ثلاثة أضرب : إما مُقدّم ألف ، كاتب البيرة ، ونائب قلعة الروم المعبر عنها في ديوان الإنشاء بقلعة المسامين ، ونائب ملطية ، ونائب طرسوس ، ونائب البلسّتين ، ونائب البهسنى ، ونائب آياس المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية . وإما طبلخاناه ، كاتب جعبر ، ونائب درندة ونحوهما . وإما أمير عشرة ، كاتب عين تاب ، ونائب الراوندان ، ونائب كرّكر ، ونائب بغراس ، ونائب الشغروبكاس ، ونائب الدرّبسّاك ، ونائب سرفندكار ، ومن في معناهم .

وقد تقدّم في الكلام على المكتابات نقلًا عن "التثقيف" : أن هؤلاء التوّابَ
تختلف أحوالهم في الارتفاع والانحطاط : فتارة تكون عادة تلك النيابة أميرَ طبليخاناه ،
ثم يوتى فيها عشرةً وبالعكس . وقد تكون عادتها طبليخاناه فيستقرّ بها مقدّم ألف
وبالعكس . والضابط في ذلك أن من يكتب له المرسوم : إن كان مقدّم ألف ،
كتب مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن كان طبليخاناه ، كتب له
مرسومه في قطع النصف أيضًا بـ «السامى» بالياء . وإن كان أميرَ عشرةٍ كتب
مرسومه في قطع الثلث . فأما ما يكتب في قطع النصف ، فإنه يفتح بـ «الحمد لله»
سواء كان صاحبه مقدّم ألف أو أميرَ طبليخاناه .



وهذه نسخة مرسوم شريف بنيابة آياس ، وهى المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية ،
يستضاء بها في ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى جعل من أولياء دولتنا الشريفة كل سيف لا تنبو مضاربه ،
وأصطفى لبوادر الفتوحات من أنصارنا من ثمجد آراؤه وتجاربه ، وأهمننا حسن
الآختيار لمن تؤمن في المحافظة مآربه ، وتعذب في المخالطة مشاربه ، وحقق آمالنا
في مضاعفة الفتح التى أغنى الرعب فيها عما تدافعه سيوف الإسلام وتجاربه .

نحمده حمدا يضاعف لنا فى التأييد تمكيننا ، ونشكره شكرا يستدعى أن يزيدنا من
فضله نصرًا عزيزًا وفتحًا ميينًا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
مخلص فيها يقينًا من المخاوف يقينًا ، وزيد من نهالها معينًا ؛ ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذى أيدته الله بالملائكة والروح ، وزوى له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها
وزجوا أن يكون ما زواه له مدخرًا لنا من الفتح ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الذين هم خيرُ أمةٍ أُخْرِجَتْ للإسلام ، والذين ما زال الإيمانُ بهم مرفوعَ الأويةِ والأعلامِ ، والذين لم يبرحْ دَاعِيَ الضلالةِ تَحْتَ قَهْرِ سِيوفهم : فإذا أَعْفَى «جَرَّتْ عليه سيوفها الأحلام» ؛ صلاةً يطيبُ اللسانُ منها فيُطْرِبُ ، ويُعْرِبُ عن صِدْقِ الإخلاصِ في تَكَرُّرها فيُعْرِبُ ؛ وسَلَّمَ تسليمًا .

أما بعدُ ، فإنَّ أَوْلَى من تَسْتَنْدُ أمورُ الممالكِ لِعَزْمَتِهِ ، وَيُلْقَى أمرُ بَوَادِرِ الفتوحاتِ السَّعيدةِ لِهَمَّتِهِ ، وَيَعْتَمِدُ في تَدْيِيرِ أحوالِ البلادِ والعبادِ على يَمِينِ تَصَرُّفِهِ ومُتَمَدِّ نَهْضَتِهِ - من لم يزلْ معروفًا سَدَادُ رَأْيِهِ ، مُشْكورًا في الخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ حُسْنُ سَعْيِهِ ؛ مؤيِّدًا [في] عَزْمِهِ ، مظفرًا في حَزْمِهِ ؛ مأمونَ النَّائِبِ ، ميمونَ التَّسْدِيرِ ، كافيًا في المهماتِ ، كافيًا في المهماتِ ، إذا هَمَّ أَلْقَى بينَ عَيْنَيْهِ [صادق] عَزْمَهُ ، وإذا أَعْتَمِدَ عليه في مُهِمٍّ تَقَاهُ بهِمَّتِهِ وحَزْمِهِ ؛ وإذا جُرِّدَ كانَ هو السَّيْفَ أَسْمًا وفِعْلًا ، وإذا دارَتْ رَحَى الحَرْبِ الزُّبُونُ فهو الشَّهْمُ الذي لا يَخَافُ سَهْمًا ولا يرهَبُ نَصْلًا .

ولما كان ^(١) هو بَدْرَ هذا الأفقِ ، ومُقَلَّدَ هذا العِقدِ ولا يَصْلُحُ هذا الطُّوقِ إلا لهذا العُنُقِ ؛ وهو الذي فاقَ الأولياءَ أَهْتامًا ، وراقَ العيونَ تَقَدِّمًا وإقْدامًا ؛ وأَرْضَى القلوبَ نَصْحًا ووفاءً ، وأنضَى الهممَ احتفالًا للمصالحِ وأحتفاءً ؛ طامبًا جُرْبَ فُحْمِ عندِ التجاربِ ، وجُرِّدَ فأعْفَى عن القواضبِ ؛ وأخْتَبَرَ فاختيرَ ، ونُظِرَ في خِصائِصِهِ فلم يُوجَدْ له نظيرٌ - أقتضى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أنْ نَقَلَدَهُ فتوحاتِ أَنْقَدَهَا اللهُ تعالى من شَرِكِ الشَّرِكِ ، وأخْرَجَهَا إلى النُّورِ بعدِ ظلامِ الإفْكَ ؛ وبَشَّرَهَا أنَّ هذه سَعَابَةُ نُصْرٍ يَأْتِي وَابِلُهُ إنْ شاء اللهُ تعالى بعدَ رَدَّادِهِ ، وأنها مُقَدِّمَةٌ سَعِدَ نَتْلُو قَوْلَهُ تعالى : ﴿ وَعَدَّكُمْ اللهُ مَغَانِمٍ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ .

(١) بياض بالأصل والمراد المولى باسمه ولقبه .

فذلك رُسم ... - لا زال الفتح في دولته يزهُو بانتظام سلكه، وأيامه الشريفة تسترد مغتصب البلاد من يد الكفر إلى بسطة ملكه وقبضة ملكه، وإحسانه يحيى الحصون بسيف يروع العدا بأسه وفتكه - أن يفوض ... اعتماداً على مضائه الذى لا ينكر مثله للسيف، وركوناً إلى همته التى تسرى برعبها إلى قلوب الأعداء سرى الطيف .

فليباشر النيابة المذكورة : مُعملاً رأيه في تمهيد أحوالها، وتقدير أمورها التى راق الأولياء وراع الأعداء ما كان من مألها ؛ مجتهداً في حفظ ما بها من القلاع والحصون، مُبادراً [إلى] كل ما يحيى حماها ويصون قائماً حق القيام في مصالح تقريها، وأحوال تحريها ؛ وأمور تمهدّها، ومنافع تُسيدها ؛ وحواصل تكفيها، وأسباب مصلحة تُوفيها بمزيد الأهتمام وتوفّيها ؛ وليكن بأحكام الشرع الشريف مقتدياً، وبنور العدل والإحسان مهتدياً، وبتقوى الله عز وجل متمسكاً، وبخشية الله متمسكاً، وهو يعلم أن هذه الفتوحات [قدى] في حدقة العدو المخدول وسجاً في حلو قههم، وعلّة في صدورهم وحسرة في قلوبهم .

فليكن دأبه الاجتهاد الذى ليس معه قرار، والتحرز الذى يحلّيها أو يحميها فيكون عليها بمنزلة سور أو سوار؛ ويصفحها من عزمه بالصفاح، ويجعل عليها من شرفات حزمه ما يكون أحد من أسنة الرماح؛ ثم لا يزال احتياطه محيطاً بها من كل جانب، وتيقظه لأحوالها بمنزلة عين مراقب، واحتفاله الاحتفال الذى بمثلها يُصان رداؤها من كل جاذب؛ ثم لا تزال قصاده وكشافه وطلائعه لا يقربهم السرى، ولا يعرفون طعم الكرى؛ يطلعون من أخبار العدا على حقائقها، وتحمّل كل فرقة منهم على معرفة الأحوال بينهم بمكر من تعدد طرقها وألسع طرائقها، لتكون المتجددات عنده بمنزلة ما يراه

في مِرَاة نَظَرِهِ، وَسِرِّ أُمُورِ الْعِدَا لَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَشِيْعَ بَيْنَهُمْ ذِكْرُ خَبْرِهِ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا يَحْتَاجُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ إِلَى تَبَصُّرِهِ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَعَ حَسَنِ بَصِيرَتِهِ إِلَى تَذَكُّرِهِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ، وَيُعِينُهُ عَلَى مَا وَّلَاهُ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .

وأما من يكتب له في قطع الثلث بـ«مجلس الأمير» وهم العشرات [فقد ذكر في «التعريف»: أنه يكتب لهم من الأبواب السلطانية على ذلك .

قلت : وقد تقدّم في الطبقة السابعة أَنَّ الْكَحْتَا، وَكُرْكُرًا، وَالذَّرْبَسَاكَ، قد تكون عشرةً أيضًا . وفي معنى ذلك نيابة عين تاب ، والراوندان ، والقصير ، والشغروبكاس ، إذا كانت عشرة . ونيابة دبركي إذا كانت عشرة^(١) [يفتتح فيها بـ«أما بعد حمد الله» على عادة ما يكتب للعشرات .



وهذه نسخة مرسوم شريف من هذه الرتبة، كُتِبَ بِهِ لِنَائِبِ حَجَرِ شَعْلَانَ مِنْ مَعَامِلَةِ حَلَبَ ، وَهِيَ :

أما بعد حمد الله الذي شيد المعقل الإسلامية بأكفائها، وصان الحصون المحروسة بمن شكرت همته في إعادتها وإبدائها، وحمي سرحها بمن أيقظ [في] الخدمة الشريفة عيون عزمه فما أملت بعد إيقاظه بإغفائها، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الذي آتضى سيوف التأييد فأعزّت الهدى وأذلت العدا حين انتصائها ، وعلى آله وصحبه ما بدت النجوم في ظلمائها ، وسرت الغيوم في فضاءها - فإن من شكرت هممه، وثبتت في الطاعة الشريفة قدمه؛ وأشبه عزمه في مضائه صارمه، وأصحت

(١) ما بين القوسين المربعين [] وجد ملحقا بها مش نسخة ومؤشرا عليها بالنصح فإثباته في الصلب

تُعَوَّرُ تَقْدِيمَهُ بِاسْمِهِ ؛ أَوْلَىٰ بِأَنْ تَرْفَعَ هَذِهِ الدَّوْلَةُ الشَّرِيفَةَ مِنْ مَحَلِّهِ ، وَتُنَشَّرَ عَلَيْهِ [مِنْ] تَكْرِيمِهَا وَارْفَ ظِلِّهِ ؛ وَتَرْتَضِيَهُ لِقِلَاعِ الْإِسْلَامِ وَتَشْيِدِيهَا ، وَتَجْتَنِيهِ لَصَوْنِهَا وَتَأْيِيدِهَا ، وَتَجْعَلُهُ قُرَّةَ عَيْنِهَا وَحِلْيَةَ جِيدِهَا ؛ وَتُمْضِي كَلِمَتَهُ فِي مَصَالِحِهَا ، وَتُعَدِّقُ بِهِ أَسْبَابَ مَنَاجِحِهَا ؛ فَيُصْبِحُ وَقَدْرُهُ مَنَّا إِعْلَاءً وَإِعْلَانًا ، وَيُمَسَىٰ وَهُوَ شُغْلُ بَطَاعَتِنَا الْعَالِيَةِ الشَّانِ ؛ وَشُغْلُ الْمَعْقِلِ الَّذِي يُحْرَزُ بِعَزْمِهِ وَيُصَانُ ، فَلَأَجْلِ ذَلِكَ غَدَا وَهُوَ مِنْ هَذِهِ النِّيَابَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ شُعْلَانٌ .

وَكَانَ [فُلَانٌ] هُوَ الَّذِي جَادَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُنَا الزَّاهِرَةُ بِسَحَائِبِهَا ، وَأَشْرَقَتْ عَلَى حُظُوذِهِ سُعُودُ كَوَاكِبِهَا ؛ وَأَسْمَتْ لَهُ قَدْرًا ، وَجَعَلَتْ لَهُ إِمْرَةً وَأَمْرًا ؛ وَصَرَفَتْهُ إِلَى نِيَابَةِ مَعْقِلٍ مَعْدُودٍ مِنْ قِلَاعِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحُصُونِهَا ، وَمَعَاقِلِهَا الَّتِي عَلَتْ مَحَلًّا فَالْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ دُونِهَا ؛ قَدْ أَصْبَحَ شَاهِقًا فِي مَبْنَاهُ ، مَمْنَعًا فِي مَعْنَاهُ ؛ مُحَصَّنًا بِرِجَالِهِ ، مَصُونًا مِنْ مَاضِيَيْنِ : السَّيْفِ فِي مَضَائِهِ وَالْعَزْمِ فِي آخِتِفَالِهِ - أَقْضَى حَسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُوقِّلَهُ رَتْبَةَ هَذِهِ النِّيَابَةِ ، وَنُنَشَّرَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِنَا سَحَابَهُ .

فَلذَلِكَ رَسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ أَنْ يَسْتَقَرَّ

فَلْيُحَلَّ هَذِهِ النِّيَابَةُ الْمُبَارَكَةُ مُظْهِرًا مِنْ عَزْمِهِ مَا تُجْمَدُ عَوَاقِبُهُ ، وَتَعْلُو مَرَاقِبُهُ ؛ وَتَسْمُو مَرَائِبُهُ ، وَتَتَوَسَّعُ سُبُلُهُ وَمَذَاهِبُهُ ؛ مُحَصَّنًا لِسَرْحِهِ ، مَعَزَّزًا مَوَادِّ نَجْحِهِ ؛ مُرَاعِيًا أَحْوَالَ رِجَالِهِ ، الْمُعَدِّينَ مِنْ حُمَاتِهِ وَأَبْطَالِهِ ؛ حَتَّى يَغْدُوا يَقِظِينَ فِيمَا يَنْدُبُهُمْ إِلَيْهِ وَيَسْتَنْهَضُهُمْ فِيهِ ، مُبَادِرِينَ إِلَى كُلِّ مَا يَحْفَظُ هَذَا الْحِصْنَ وَيُجَيِّهِ ؛ وَمَنْ يَهَذَا الْمَعْقِلِ مِنَ الرَّعِيَةِ فَلْيَرْفُقْ بَضِعْفَائِهِمْ ، وَلْيُعَامِلِهِمْ بِمَا يَسْتَجِيبُ لِنَابِهِ صَالِحَ دُعَائِهِمْ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلَاكُهَا التَّقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَلْيَغْرِسْهَا فِي كُلِّ

قول يُبْدِيهِ ، وَفِعْلٌ يَرْتَضِيهِ ، فَإِنَّ غُرُوسَهَا لَا تَدْوَى . وَاللَّهُ يُوَفِّقُهُ لِصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيَصُونُهُ مِنَ الْخَطِّ وَالْخَطَلِ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

قُلْتُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَا يُكْتَبُ عَنِ السُّلْطَانِ مَرْسُومٌ بِبَيَانَةٍ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا الْجُنْدِيُّ وَهُوَ دُونَ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ إِنَّمَا يُكْتَبُ عَنِ تَوَابِ الْمَالِكِ .

الصنف الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة حلب - الوظائف الدينية بمعاملتها :

من القلاع وغيرها)

وهي في الغالب إنما تصدر الكتابة فيها عن نائب حلب أيضا أوقاضها، إن كان مرجع ذلك إليه . فإن صدر شيء منها عن الأبواب السلطانية، كان في قطع العادة مفتتحاً بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من هذا النمط ينسج على منواله ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي قَلْعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ عَدْلُهُ مُؤَيِّدًا لِلْحُكْمِ ، وَرَأْيُهُ مَسَدَّدًا فِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، وَسُلْطَانُهُ يَخْتَارُ لِلنَّاصِبِ الدِّينِيَّةِ مَنْ نَطَقَتْ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي كَذَا : لِمَا أَشْتَهَرَ عَنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَدِينٍ ، وَظَهَرَ مِنْ حُسْنِ سِيرَةٍ آفَقَتْ لَهُ التَّعْيِينَ .

فليباشِر هذه الوظيفة المباركة بالحقِّ حاكماً ، وللرفقِ مُلازماً ، وللتقوى مداوماً ؛ وهو غنى عن الإسهاب في الوصايا ، ملىُّ بسُلوِك تقوى الله في القضايا ، والله تعالى يزيدُه تأييداً ، ويضاعفُ له بموادِّ السعادة تجديداً ؛ والعلامة الشريفةُ أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة حلب - الوظائف الديوانية)

وهي إما تصدر في الغالب أيضاً عن نائب حلب . فإن كُتِبَ شيءٌ منها عن الأبواب السلطانية ، كان في قطع العادة مفتتحاً بـ «رُسم بالأمر» .

وهذه نسخةٌ تُوقِع من ذلك ، يستضاءُ به فيما يُكُتَب من هذا النوع ، كُتِبَ بها بنظر جعبر ، من مُعاملة حلب ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال مُنهلَّ الندى ، مُستهلَّ الجدى ، مُعيداً للإحسان كما بدا - أن يُعادَ فلانٌ إلى وظيفته : لما ألفت من سيرة له لم تزل تُحمد ، وسيما خيرٍ منه على مثل الشمس تشهد ، وإلأمانته التي لم تزل تفتتُر بها الثغور ، وتخصرُها المعاهد : تارة في طوقِ النحر وتارة في نحور البحور ؛ وأصالة أمتدَّ ظلُّها الظليل ، وعُرف منها في العصر حسن الأصيل ، وأينعت أكرم فرج زكا منبته في الأرض المقدسة وجوار الخليل ؛ ولما أسلف في هذه المباشرة من عملٍ صالح ، وسدادِ اعتمادٍ لم يخرج عن تحرير تقريرٍ وتقديرٍ مصالِح ؛ وكتابةٍ رآها الرأي ونقلها الناقل ، وكفايةٍ حفت عليه مثل العروس المجلوة من عقائل المعامل .

(١) في الأصل « منبها » بالتأنيث .

(١) فليباشِرْ هذه العروسَ فقد أنقدها سالفَ الخدمِ وأمهرها ، وليتأبرِسُ قِيَا العروسِ التي أنشأها في هذه الجهة وتمرها ، وليسُلكَ مسلكه الذي لم يزل مُحِيماً على رؤوسِ القُسنِ ، ومهووماً به طَرَفُ الأيمنِ لليقظة الذي لا يُعلمُ به الوسنُ ؛ مُحَوِّلاً في وظيفته المبرَّاتِ ، مُستقبلاً للسرَّاتِ ، مُفتخراً بمباشراته التي تجرى مجارى البحارِ : تارةً الملحَ الأجاجَ وتارةً العذبَ القراتِ ؛ وهو أعرف بما يقدمه من أمانةٍ بها يتقدَّم ، وديانةٍ يُرجَّبُ بها استِكْفَاؤُهُ ويحكَّمُ ؛ وتقوى الله جماعها فليكنُ بها مُتَمَسِّكاً ، وبمشاغلها مُتَمَسِّكاً ، والله تعالى يجعل عطاءه موفِّراً ، وعمله مُتَدَفِّقاً ليرُدَّ جعبراً جعفرًا .

النيابة الثالثة

(نيابة طرأئس ، ووظائفها التي جرت العادةُ بالكتابة فيها)

من الأبواب السلطانية على نوعين)

النوع الأول

(ما هو بحاضرة طرأئس ، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد)

وهو نائب السلطنة بها . ومرسومه في قطع الثلثين ، ولقبه « الجناب العالى » مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

(١) الذى ورد فى القاموس وغيره أن النقد بمعنى الاعطاء من باب الثلاثى فلعل الهمز من زيادة الناصح فتنبه .

وهذه نسخة تقليد شريف بنابتها :

الحمد لله الذى جعل لنا التأييد مددا ، والنصر عتادا لا نفقد مع وجوده من الأولياء أحدا ، والعز و زرا تيم شهبه مسامع العدا : ﴿ فَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ . والفتح ذنرا فحث ما نشاء مددنا إليه بقوة الله يدا ، وشددنا عليه بمعونته عضدا .

نحمده على نعيمه التى جعلت مراتب دولتنا فلكا تشرق فيه رتب الأولياء إشراق البذور ، وثور مالكا أفقا حيثما شامتة العدا ضرب بينهم وبينه من سيوف مهايتنا بسور ، وفواتح الفتوح النائية دانية من همم أصفياينا فإذا يمموا غرضا طارت إليه سهامهم بأجنحة الثور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يرفع الجهاد علمها ، وينصر الإيمان كلمها ؛ ويؤجى الإيقان إلى رياض التأييد ديمها ، ويستنطق التوحيد بإعلانها وإعلانها سيف أيامنا الزاهرة وقلمها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ونبية المخصوص بالآيات والذكر الحكيم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصرنا الله فنصرهم ، وأظهروا دينه فأعزهم وأظهرهم ، ويسروا لأمتهم سبل الهدى فهداهم وللسبيل يسرهم ؛ صلاة لا يزال اليقين يقيم دعوتها ، والتوحيد يعصم من الانفصام عروتها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من تقتر الثغور بإيائته ، عن شنب النصر ، وترمى الحصون بكفالتة ، من شام من العدا برقها بشرير كالفصر ، وتقسم السواحل بمهاتته ، من جاور من أهل الكفر بجرها بين الحصد والحصر ؛ وتمنع عزماته شوانى العدا أن تدب عقاربها ، أو تركب البلج بغير أيامه مرا كها ، أو يتنقل عن ظهر البحر إلى غير

(١) لعله « بغير أمانه » تأمل .

سيوفه أو قيوده مُحارِبها - من لم يزل في نُصرةِ الدِّينِ لامِعاً كالبرقِ شهابه ، زاحراً كالبحرِ عبابه ، واصباً على الشُّركِ عذابُه ؛ ظامياً إلى موارِدِ الوَرِيدِ سَيْفُه ، سارياً إلى قلوبِ أهلِ الكُفْرِ قبلِ جُفونهم طَيْفُه ؛ قائمةً مقامَ شُرفِ الحُصونِ أسِنَّةَ رِماحه ، غنيّةً بروجِ الثُّغورِ عن تَصْفِيحِها بالجَهدِ بصفا صِفاحِه ؛ معَ خِبرةٍ بتَقْدِمةِ الجيوشِ تُضاعِفُ إقْدامَها ، وتُثبِتُ في مَواطِنِ اللِّقاءِ أَقْدامَها ؛ وتُسَدِّدُ إلى مِقاتِلِ أهلِ الكُفْرِ سِهامَها ، وتُقَرِّبُ عليها في البرِّ والبحرِ مَنابِها وتُبْعِدُ مَرامِياها عِلى مَنْ رَامَها ؛ ومَعْدِلَةٌ للرِّعايا السُّكُونُ في مهادِ أَمْنِها ، والرُّكُونُ إلى رَبِّها إِقبالُها وِهادِ يَمَنِّها ؛ فِيسْرُبُ الرِّعايا مِصُونٌ بَعْدِلِه ، والعدْلُ مِكنونٌ بَينَ قَوْلِه وفِعلِه .

ولما كان فلانٌ هو اللَّيْثُ الَّذي يُحْيى به غابُه ، والنَّيِّرُ الَّذي يُزْهِى أَفقَهُ تَأَلَّقَ فيه شهابُه ؛ والهَمَّامُ الَّذي تُعْدِي هِمَمُه فُرسانَ الوِغى فُتَعَدُّ أَحادُها بالألُوفِ ، والشُّجاعُ الَّذي إذا اسْتَعانَتْ سِواعِدُ الشُّجاعانِ بِسِوِيفِها اسْتَعانَتْ بِقِوَّةِ سِواعِدِ السُّيُوفِ - أَقْتَضَتْ آراؤُنا الشَّرِيفَةَ أن نُحَلِّيَ به جِيدَ مِملَكَةِ اَنْتَظَمْتِ عِلى وِشامِ البَحْرِ ، وأحاطت بِما في ضَميرِه من بلادِ العِدا إِحاطَةَ القلائِدِ بالنَّحْرِ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن يفوض إليه كَيْت وكَيْت : لِمَا أُشير إليه من أسباب تَعَيُّنِه لِهذِهِ الرِّتبةِ المِلكِيَّةِ ، وتَحَلِّيِه بِما وُصِفَ مِنَ المِحاسِنِ الَّتِي تُزْهِى بِها عِقالُ الحُصونِ المِصُونَةِ .

فليل هذه النياية الجليلة بعزيمة مُجَلِّلِ مواكِبِها ، وهمة تُكَلِّلُ مِراتِبِها ؛ ومهابة تُحِوطُ بِمالِكِها ، وصِرامَةٌ تُومِّنُ مِسالِكِها ؛ ومَعْدِلَةٌ تُعَمِّرُ رِبوْعَها ورِباعَها ، وَيَقْظَةُ تَصُونُ حُصونَها وقِلاعَها ؛ وشِجاعةٌ تُسْرِى إلى العِدا سِرايا رُعيَها ، وَسَطِوَةٌ تُعْدِي السُّيُوفَ فلا تَسْتَطِيعُ الكِماةُ الدُّنُوَّ من قُرْبِها ، ومِسمَعَةٌ تُرهبُ مُجاوِرِيهَ حَتى يُنْجِلَ البَحْرُ [أنه] من أَعوانِه عِلى حَرِبِها .

وليؤتِ تَقْدِمةَ الجيوش الإسلامية حقَّها من تَدْيِيرِ يَجْمَعُ على الطاعة أمرها
وأمرأعها، ويرفَعُ في مرَاتِبِ الخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ على ما يَجِبُ أعيانها وكُبراءها، ويُرْهَبُ
بإدامة الاستعداد قلوب أعدائها، ويربِّطُ بأيزاكها شِوَانِيَ البَحْرِ حَتَّى تَعْتَدَّ الرِّبَاطَ
في ذلك من الفروض التي يُتَعَبَدُ بأدائها، فلا يَلُوحُ قَلْعُ في البَحْرِ لِلْعِدَا إلا وهو يَرْهَبُ
الوَقُوعَ في حِبَالِها، ولا تَلْحَظُ عَيْنُ عَدُوِّ سَنَا البرِّ إلا وهي تُتَوَقَّعُ أَنْ تُكْحَلَ بِنِصَالِها؛
وَلِيُقِيمَ مَنَارَ العَدْلِ بِنُشْرِ لَوَائِهِ، ويعضدُ حكم الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِرِجُوعِهِ إلى أوامره
وَأَتْمَائِهِ؛ وليكفِّ يَدَ الظُّلْمِ [عنها] فلا تَمْتَدَّ إليها بَنَانُ، وليشْفَعِ العَدْلُ بالإحسان إلى
الرعيَّةِ فإن الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان؛ وفي سِيرَتِهِ التي جعلته صَفْوَةَ الأَخْتِيَارِ، وَنُحْبَةَ
ما أَوْصَحَّتْهُ الحَقِيقَةُ مِنَ الأَخْتِيَارِ؛ ما يُغْنِي عن الوَصِيَّةِ إلا على سبيلِ الذِّكْرِ التي
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وترْفَعُ قَدْرَ المُوقِنِينَ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللهُ تَعَالَى: فَلْيَجْعَلْهَا أَمَامَ
أَعْتَادِهِ، وإمام إصْدَارِهِ وإِيرَادِهِ، والله تَعَالَى يُدِيمُ مَوَادَّ تَأْسِيدِهِ وإِسْعَادِهِ؛ إن شاء
الله تَعَالَى.

الطبقة الثانية

(من يُكْتَبُ له مرسومٌ شَرِيفٌ في قَطْعِ الثَّلْثِ بِـ «المجلس

السَّامِي» بِغَيْرِ يَاءٍ، وتَشْتَمِلُ على وظائف)

منها — شُدُّ الدَّوَابِينِ بِطَرَابُلُسَ .

وهذه نسخةٌ تَوْقِيعُها :

الحمدُ لله مُجَدِّدِ الرُّتَبِ لِمَنْ نَهَضَ فِيهَا إِخْلَاصَهُ بِمَا يَجِبُ، وَمُوَلِّيِ المِنَنِ لِمَنْ إِذَا
أَعْتَمَدَ عَلَيْهِ مِنْ مُهَمَّاتِ الدَّوَلَةِ القَاهِرَةِ في أمرٍ عَرَفَ ما يَأْتِي فِيهِ وما يَحْتَجِّبُ؛

وَمَوْكِدِ النَّعَمِ لَمَنْ إِذَا آرْتَيْدَتِ الْإِكْفَاءُ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ كَانَ خَيْرَةً مِّنْ يُخْتَارُ وَنُجْبَةً
مَنْ يَنْتَخِبُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي سَرَّتْ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ عَوَارِفُهَا ، وَأَشْتَقِلُّ عَلَى الْأَضْفِيَاءِ وَافِرُ
ظِلَالِهَا وَوَارِفُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَزَلُّفٌ لَدَيْهِ ،
وَتَكُونُ لِقَائِهَا ذَخِيرَةً يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ
مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَّمِ ، وَأَكْرَمُ مَنْعُوتٍ بِالْفَضْلِ وَالكَرَمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ وُلُّوا أَمْرَ الْأُمَّةِ فَعَدَلُوا ، وَسَلَكُوا سُنَنَ سُنَّتِهِ فَمَا مَالُوا عَنْهَا وَلَا عَدَلُوا ؛ وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا أَخْتِيرَ لَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ كُلِّ ذِي هِمَّةٍ عَلَيْهِ ، وَعَزْمَةٍ بِمَصَالِحِ
مَا يُعَدُّقُ بِهِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَلِيَّةٍ ؛ وَخِبْرَةٍ بِكُلِّ مَا يُرَادُ مِنْهَا وَفِيهِ ، وَيَقْفَظَةً
تَلَحَّظُ فِي كُلِّ مَا قَرَّبَ وَنَأَى مِنَ الْمَصَالِحِ الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ وَالْأَحْوَالِ الْخَفِيَّةِ ؛ وَصِرَامَةً
تُؤَيِّسُ مِنْ أَسْتِلَانَةِ جَانِبِهِ ، وَنَزَاهَةً تُؤَمِّنُ مِنْ إِمَالَةِ رَأْيِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَنِ سُلُوكِ
وَاجِبِهِ ؛ وَمَعْرِفَةً مُطَّلِعَةٍ ، وَنَهْضَةً بِكُلِّ مَا إِنْ حَمَلَهُ مِنْ أَعْبَاءِ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ
مَضْطَلِعَةٍ - أَمْرُ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ : فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الْأَرْزَاقِ ، وَمَوَادُّ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ
عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَخَزَائِنُ الدَّوْلَةِ الَّتِي لَوْ مَلَكَتْهَا الْغَائِمُ لَأَمْسَكَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ،
وَذَخَائِرُ النُّغُورِ الَّتِي مَوَاقِعُهَا مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ مَوَاقِعَ الشَّجَا فِي الْقُلُوبِ وَالْقَدَى
فِي الْأَحْدَاقِ .

وَمَا كَانَ الْحِجَاسُ السَّامِيُّ هُوَ الَّذِي سَمَّتْ بِهِ هِمْمَهُ ، وَرَسَّخَتْ فِي خِدْمِ الدَّوْلَةِ
الْقَاهِرَةِ قَدَمَهُ ، وَتَبَارَى فِي مَصَالِحِ مَا يُعَدُّقُ بِهِ مِنَ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ سَيْفُهُ وَقَلَمُهُ ؛
وَكَانَتِ الْمَمْلُوكَةُ الطَّرَابُلُسِيَّةُ مِنْ أَشْهُرِ مَمَالِكِنَا سُمِعَهُ ، وَأَيْمَنِيهَا بَقَعَهُ ؛ وَأَعْمَرَهَا بِلَادًا ،

وأخصبها رُبًا ووهادا؛ وأكثرها حصونا شواهق، وقلامًا سوامي سوامق، وثغورا
لا تسيب ما أقر من ثغورها البروق الخوافق؛ ولها الخواص الكثيره، والجهات
الغزيره؛ والأموال الوافره، والغلات المتكاثرة المتكاثرة - أقتضت آراؤنا الشريفة
أن نرتاد لها من يسد خلل عطلها، ويسد عضد ميدها وميلها؛ وينهض من مصالحها
بما يراد من مثله، ويعيد لها بحسن المباشرة بهجة من فقده^(١) من الأكفاء
من قبله .

فذلك رسم أن يفوض إليه شد الدواوين المعمورة بالملكة الطرابلسية
والحصون المحروسة، على عادة من تقدمه في ذلك .

فليباشر ذلك بمعرفة تستخرج الأموال من معادنها، وتشتير كوامن المصالح من
مكائنها؛ وتتم أموال كل معاملة بحسن الأطلاع عليها، وصرف وجه الاعتناء إليها؛
وتفقد أحوال مباشريها، ومباشرة ما يتجدد من وجوه الأموال فيها؛ وضبط ارتفاعها
بعمل تقديره، وحفظ متحصل ضياعها من ضياعه وصون بذارها عن تبذيره؛
وليجهتد في عمارة البلاد بالرفق الذي ما كان في شيء إلا زانه، والعندل الذي
ما أتصف به ملك إلا صانه، والعفة التي ما كانت في امرئ إلا وفقه الله تعالى
في مقاصده وأعانه؛ وليقدم تقوى الله بين يديه، ويعتمد على توفيقه فيما اعتمد فيه
عليه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك يكتب شد مراكر البريد ونحوها .

(١) لعله "مافقده من عمل الأكفاء".

الصنف الثاني

(من الوظائف بطرأئس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -

الوظائف الدينيّة ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يُكتب له في قطع الثلث بـ«المجلس السامي» بالياء ، وتشتمل على وظائف)

منها - القضاء . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة : من كلّ مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بها ، يُنسخ على منواله ، وهي :

الحمد لله الذي أعزّ الدين بعلمائه ، وعضّد الحكم بالمتقين من أوليائه ؛ وأوضح
الرشد للفتندين بمن جعلهم في الهداية كنجوم سمانه ، وجعل لكل من الأئمة من
مطالع الظهور أفقا يهتدى فيه بأنواره ويقتدى بأنوائه .

نحمده على أن جعل سهم اجتهادنا في الارتداد للأحكام مصيبا ، وقسم لكل من
أفق ممالكا من بركة علماء قسيمه الآخر نصيبا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تعصم من الهوى في الحكم لعباده ، وتفصم العرا من جاهر فيها
بعناده ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أضاءت أنوار ملته ، فاستشفت العلماء
لوامعها ، ووصحت آثار سنته ، فأحرز أئمة الأمة جوامعها ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين دُعوا إلى الله فأجابوا ، ودعوا إلى الحكم بسنته فاصابوا ؛ صلاة لا تزال
الألسن تقيمها ، والإخلاص يُدِيمها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما أدّى فيه الاجتهاد جهده ، وبلغ فيه الارتداد حدّه ؛ واستضيء
فيه بنور التوفيق ، وأستصحب فيه من استخارة الله خير رفيق - أمر الحكم العزيز

وتَقْوِيضُهُ إِلَى مَنْ وَسَّعَ اللهُ تَعَالَى مَجَالَ عِلْمِهِ، وَسَدَّدَ مَنَاطَ حُكْمِهِ؛ وَطَهَّرَ مَرَامَ قَلْبِهِ، وَنَوَّرَ بَصَرَهُ فِي الْحُكْمِ وَبَصِيرَتَهُ فَأَصْبَحَ فِيهِمَا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ؛ فَأَجْرَى الْحَقَّ فِي الْبَحْثِ وَالْفَتْوَا عَلَى لِسَانِهِ وَيَمِينِهِ، وَزَوَّجَهُ عَنِ إِرَادَةِ الْعِلْمِ لَعَيْرِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَنَبَّهَهُ عَلَى ابْتِغَاءِ مَا عِنْدَ اللهِ بِذَلِكَ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

ولما خَلَا مَنْصِبُ قَضَاءِ الْقَضَاةِ بِطَرَابُلُسَ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَهُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي يُضِيءُ بِالْأَيُّمَةِ الْأَعْلَامَ أَفْقَهُ، وَتَلْتَقِي بِالْفُضَلَاءِ الْكِرَامِ طُرُقُهُ؛ وَتَحْتَوِي عَلَى أَرْبَابِ الْفُنُونِ الْمُتَعَدِّدَةِ مَجَالِسِهِ، وَتَزُكُو بِالْفَوَائِدِ الْمُخْتَلِفَةِ مَغَارِسِهِ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى خِصَائِصِ فَضْلِهِ، وَنُبِّهَ عَلَى أَنَّ الْأَجْتِهَادَ لِلْأُمَّةِ أَفْضَى إِلَى إِسْنَادِ الْحُكْمِ مِنْهُ إِلَى أَهْلِهِ؛ وَأَنَّهُ وَاحِدٌ زَمَانِهِ، وَعَلَامَةٌ أَوَانِهِ؛ وَجَامِعُ الْفَضَائِلِ عَلَى اخْتِلَافِهَا، وَقَامِعُ الْبِسْطِجِ عَلَى أَفْتِرَاقِ شُبُهَاتِهَا مِنْهُ وَأُتْلَافِهَا؛ وَحَاوِيُ الْفُرُوعِ الَّتِي لَا تَنْتَاهِي، وَالْمُرَبِّي عَلَى رَبِّ كُلِّ فَضِيلَةٍ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا وَلَا يَأْلَفُ سِوَاهَا - أَفْتَضَّتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْزِمَ مِنْ آرْتِيَادِهِ لِهَذِهِ الرَّبِّيَةِ بِهَذَا الرَّأْيِ [السَّدِيدِ] ، وَأَنْ نَقْرَبَ سُرَاهُ إِلَى هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي نَادَاهُ بِلِسَانِ الرَّغْبَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ كَالْبَدْرِ، يَمَلَأُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَبِرُّهُ كَالْبَحْرِ، يَقْدِيفُ الْقَرِيبَ الْجَوَاهِرَ وَيُبْعَثُ لِلْبَعِيدِ السَّحَابَ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا .

فَلِيَطَّلِعَ بِذَلِكَ الْأَفْقِ الَّذِي يَتَرَقَّبُ طُلُوعَهُ رَقَبَةَ أَهْلَةِ الْمَوَاسِمِ ، وَيُسْرِعُ إِلَى تَلْكَ الرَّبِّيَةِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ انْبِئَاءَهُ مِنَ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ ؛ وَيُنْشُرُ بِهَا فِرَائِدَهُ الَّتِي هِيَ أَحَقُّ

أن تطوى إليها المراحل ، وَيَقْدُمُ بها على الأسماع الظَّامِيَة لَعْدِبِ فَوَائِدِهِ قُدُومَ الْغَامِ
على الرِّوَضِ الْمَسَاحِلِ ؛ وَيَلِ هذا الْمَنْصِبَ الَّذِي هُوَ فِيهِ بَيْنَ عَدْلٍ يَنْشُرُهُ ، وَحَقِّ
يُظْهِرُهُ ، وَبَاطِلٍ يُرْهِقُهُ ، وَغَالِبٍ يُرْهِقُهُ ، وَمَظْلُومٍ يَنْصُرُهُ .

وَلِيَكُنْ أَمْرُ أَمْوَالِ الْإِيْتَامِ الْمُهِمَّ الْمَقْدَمَ لَدَيْهِ ، وَحَدِيثُ أَوْقَافِ الْبِرِّ مِنْ أَوَّلِ وَأَوَّلَى
مَا يَصْرِفُ فِكْرَهُ الْجَمِيلَ إِلَيْهِ ؛ وَيَتَعَاهَدُ كَشَفَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَكْتَفِي فِي عَلَيْهِ
فَعَلَ الْيَوْمَ بِاطْلَاعِهِ عَلَيْهِ بِأَمْرِهِ فِي أَمْسِهِ ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ بِذَلِكَ مَشَارِكًا
لِلْوَاقِفِينَ فِي الْأَجْرِ الْمَخْتَصِّ بِهِمْ وَالشُّكْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِمْ ، خَارِجًا مِنَ الْعَهْدَةِ فِي أَمْرِ
الْيَتَامَى بِاسْتِعْمَالِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ؛ وَلِيُقِيمَ
مَنَارَ الْحَقِّ عَلَى مَا يَجِبُ وَإِنْ سَرَقَ قَوْمًا وَسَاءَ قَوْمًا ، وَيُقِيمَ بِالْعَدْلِ عَلَى مَا شَرَعَ : فَإِنَّ
« عَدْلَ يَوْمٍ خَيْرٌ لِلْأَرْضِ مِنْ أَنْ تُمَطَّرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا » .

وَأَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْحُكْمِ وَعَوَائِدِهِ ، وَآدَابِ الْقَضَاءِ وَقَوَاعِيدِهِ ، فَكُلُّ
ذَلِكَ مِنْ خِصَائِصِهِ يُسْتَفَادُ ، وَمِنْ مَعَارِفِهِ يُسْتَرَادُ ؛ وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ تَقْوَى اللَّهِ
وَهِيَ مِنْ أَطْهَرِ حِلَاةِ الْحَسَنَةِ ، وَأَشْرَفِ صِفَاتِهِ الَّتِي تَتَدَاوَلُهَا الْأَلْسِنَةُ ؛ فليَجْعَلْهَا
وَسِيلَةَ تَسْهِيدِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَذَخِيرَةَ آخِرَتِهِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا فِي غَيْرِهَا أَمَلٌ ، وَيَقْلُدُ
الْعُلَى فِيهَا حَدِيثَهُ مِنْ أَسْبَابِ نُقْلَتِهِ فَإِنَّ كَمَالَ الْعِزِّ فِي النُّقْلِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْتَدُّ بِمَوَادِّ
تَأْيِيدِهِ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ جَعَلَ ؛ بِنَمْنِهِ وَكَرَمِهِ ! ، إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى .

قُلْتُ : وَعَلَى ذَلِكَ تَكْتُبُ تَوَاقِعَ الْقُضَاةِ الثَّلَاثَةِ الْبَاقِينَ .

وَمِنْهَا - وَكَالَةِ بَيْتِ الْمَالِ .

(١) لعله « على أمره في أمسه » .



وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى عمّر بيت مال المسلمين بسداد وِكايه ، ونمّو تحصيله ومزِيد
تمويله ، وتمسكه بالصّدق من قبليه ، وسُلوكة ماتيين [من] سبيله ، وأَعتماده الحق
فى دليله ؛ ودَفَعِه المَضَارَّ وجَلَبِه المسارَّ بتَخويله .

نحمده على برّه وتفضيله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن
نَدّه ومثيله ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعثه الله لتمام هذا الدين وتكميله ؛
وأُنزل عليه المعجزات فى تنزيله ، وحفظ به الذّكر الحكيم من تبديله ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وقبيله ؛ وسلم تسليماً .

وبعد ، فإن بيت المال المعمور هو نظام الإسلام ، وذخر الأنام ، وفيه محصول
المسلمين تحت نظر الإمام ، وفيه مادّة المجاهدين فى سبيل الله على تطاول الأيام ؛
وإليه تُجَبى القناطيرُ المُقنطرةُ من الأموال ، وعنه تصدر المبيعاتُ من الأملاك ما بين
أراض وأبنية ومحال . والوكيلُ على ذلك عنّا بالملكة الطرابلسية المحروسة هو الذّابُّ
عن حوزته ، القائمُ بتأمين روعته ، المجتهدُ فى تمييز رجعتيه ؛ وينبغى أن يكونَ من
العلماء الأعلام الأئمة ، المعولِ عليهم فى الأمور المهمّة ، البصيرِ بما يترجى به
جانِبُ بيت المال المعمور ويكشف كلَّ عُمه ، العريقُ فى السيادة التى أتقادت إليها
السجايا الجميلة بالأزمنة .

ولما كان فلانٌ هو الرّاقى هَضْبَةَ [هذه] المائرِ ، الطّالِعَ كوكبُ مجده السّافرِ ،
المستحقُّ لكلِّ ارتقاءٍ على المنابرِ ، ويعدُّ سلفاً كريماً نصيراً فى المفاخرِ ، ويمتُّ ببيتِ

بحره زاحراً؛ وله في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بحثٌ فاق به الأشباه والنظائر، وعنده علمٌ بالمسائل المضروب مثلها السائر - فلذلك رسم

فليباشر هذه الوظيفة محترزاً في كل ما يأتيه ويذرهُ، ويقصده ويحمرهُ، ويورده ويصدِرهُ، ويبينه ويقدرهُ، ويخفيه ويظهرهُ، ويديه ويسترهُ، ويذنيه ويحضرهُ، ويفترز جانب بيت المال المعمور، بما فيه الحظ الموفور؛ والغنطة في كل الأمور، وهو عالمٌ بما فيه صلاح الجمهور؛ ومن رغب في آتباع أراض وقراح، وأنيّة وأمسلاك ورحاب فساح؛ مما هو جار في ملك بيت المال فليوفر جانب القيمة على ما فيه الصلاح، وهو بمجد الله من بيت الدين والصلاح والإصلاح، وهو يقوى بإسناده الأحاديث الصّحاح؛ ومن له حق في بيت المال فليسّمع دعوى مدعيه، ولا يصرف درهماً ولا شيئاً إلا بحق واضح فيما يثبت فيه، وهو وكيل مأمون في تأتية، ومعنى الوكيل الذي يوكل إليه الأمر الذي يليه .

والوصايا كثيرة وأجلها تقوى الله بالسّمع والبصر واللسان، فمن تمسك بها من إنسان فإنه يفوز بالإحسان؛ وهو غني عن الوصايا بما فيه من البيان، والله يجعله في كلاءة الرحمن؛ بمنه وكرمه ! . والخط الشريف أعلاه ... ، إن شاء الله تعالى .

قلتُ : وقد يكتب لو كالة بيت المال ونحوها بالافتتاح بـ «أما بعد» على قاعدة أصل الكتابة في قطع الثلث . والكاتب في ذلك على ما يراه بحسب ما يقتضيه الحال .

المرتبة الثانية

(من تواقع أرباب الوظائف الدينية بطرابلس - من يكتب له
في قطع العادة، مفتتحاً بـ«رسم»)

وهذه نسخة تُوَقيع من هذه الرتبة بوظيفة قراءة الحديث النبوي ، على قائله
أفضل الصلاة والسلام، لمن أسمه «يحيى» يستضاء به في ذلك، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال رَمِيمُ الفَضْلِ بأرواح عناية يَحْيَا، وأحاديث مَنَنِهِ
الحِسانِ تَعِيها أذُنٌ وَأَعْيَةٌ من طيب السَّماعِ لا تَعْيَا ؛ ولا بَرَحَتْ أوليائُ خَدَمِهِ تُدْنِي
على صدقاته بألسنة الأَقلامِ ، وتُدِيرُ على الأَسْماعِ من رَحِيقِها كُثُوسًا مِسْكِيَّةً
الخِتَامِ - أن يستقر في كذا استقراراً تَرشِفُ الأَسْماعُ ، كُثُوسَ روايتها فلا تَرُوى ،
ورتب كماله يقصر عن طلوعها كلُّ باعٍ ، فُساوانُهُ لا تُنَوِي ؛ ورُبُوعٌ معروفه لا تَبِيدُ ،
وآياتُ صَلاتِهِ يَنْطِقُ بتلاوتها كلُّ بليغٍ فَيُبْدِي وَيُعِيدُ ؛ لأنَّه العالمُ الذي أحيا من
مدارس العلوم مدارس ، والفاضلُ الذي أضاء ببصرِ علومه ليلَ الجهلِ ولا غَرَوَ :
«فَطَرَةُ الصُّبْحِ تَمْحِي آيَةَ العَلَسِ» ؛ والكاملُ الذي لا يَشُوبُ كماله تَقْيِصَه ، والأَمثلُ
الذي أُنْتَه الممالى رَخِيصَه ؛ والإمامُ الذي تَأْتُمُّ وراءه الأفاضلُ ، وتأخَّرَ عَصْرُه ففاقَ
الأوائلِ ؛ مدارسَ إلا وجمع من فوائد «أبي حنيفة» و«أبن إدريس» ، ولا عَرَسَ
بأبْلِ الطَّلَبِ إلا حَمِدَ عند إدراكِ طَلَبِهِ ذلك التَّعْرِيسِ ؛ ولا أعاد الدُّروسَ للطَّلَبَةِ
إلا وترشَّحت منه بالفوائد ، ولا جمع ما فصله العلماءُ إلا وأتى بالجمع الذي لا نظيرَ له
في الفرائد .

فليباشِرْ هذه الوظيفة مباشرةً أنوارُ هداها لا تحمدُ^(١) ، وليلازمها ملازمةً تشكره
 عليها الألسنة وتحمّدُ ، وأنت - أدام الله تعالى فوائده - لا تحتاج إلى الوصايا إذ
 أنت بها عالمٌ ، وبأسبابها متمسكٌ وبالقيام بها يقظٌ غير نائمٍ ، لكن التقوى [أولى]
 بمن عرف الأمور ، وليأسُ سوايغها يُبعدُ كلَّ محذورٍ ، والاعتماد على الخطّ
 الشريفٍ أعلاه .

الصنف الثالث

(من الوظائف بطرأئس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -
 الوظائف الديوانية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ،
 وتشتمل على وظائف)

منها - كتابة السرِّ ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بـ «صاحب
 ديوان المكاتب» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأسرار عند الأحرار ، وطوى الصحف على حسنات
 الأبرار ، وأجرى الأقلام ترجماناً للأفكار ، وجعل الحفظة يكتبون الأعمال مع
 تطاول الأعمار ، آناء الليل وأطراف النهار ، وبسط المعاني أرواحاً ، والألفاظ لها
 أشباحاً ، مع التكرار ، وأبهج الصدور بصدور الكتب والإيراد والإصدار .

(١) في القاموس نحدث النار كنصر وسمع .

نحمده على فضله المندرار، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إقرار، وعمل بالحوارج بلا إنكار؛ ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المصطفى من مضر بن نزار، المخصوص بالمهاجرين والأنصار، الثاوي بأشرف بقعة تزار، المشرف ككتاب الوحي: فهم يكتبون بما يُمليه عليهم المختار، وجبريل يُلقي على قلبه الآيات والأذكار، عن رب العزة المسبب الأستار، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما نفع روض معطار، وسخ صوب أمطار، وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبعد، فإن ملاك الملك الشريف حفظ سره، والاحتفال بكتبه الشريفة ولفظها ودرة، وخطابها ونثره، وخطها ونشره، وختمها وعطره، وتجهيزها مع الأمان الثقات الذين تؤمن غائلة أحدهم في كل أمره؛ وما ألقى السر الشريف إلا لأئمة الأعيان، وصدر الزمان، وبلغ كسحبان، وفصبح كقس في هذا الزمان، وأصيل في الأنساب، وعريق في كرم الأحساب، وفاضل يعنوله فاضل بلسان، وينشئ لفظه الدر والمرجان، وكاتب السر فلا يفوه بلسان .

ولما كان فلان هو واسطة عقد الأفاضل، ورأس الرؤساء الأماثل، وحافظ السر في السويداء من قلبه، وناظم الدر في سطور كتبه؛ والمورد على مسامعنا الشريفة من عبارته ألفاظًا عذبا، والقائل صوابا، والمجيد خطابا، وإذا جهز مهمما شريفا راعاه بعينه عودا وذهابا، وإذا استعطف القلوب النافرة عادت الأعداء أحيابا، وإذا أردد وأبرق على مازق أغنى عن الجيوش وأبدى عجبًا عجبا، وإذا كتب أنبت في القرطاس رياضًا خصبا .

فذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا . فليحل هذا المنصب الشريف حول القمر هالته، وليعد إليه أيام سره وسروره الفاتية، وليعرب عن أصول ثابته،

وَفُرُوجٍ فِي مَنَابِتِ الْخَيْرِ نَاتِيَةٍ ، وَلِيَنْفِذَ الْمَهْمَاتِ الشَّرِيفَةَ أَوَّلًا فَأَقُولَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْدِقَ مُهْمًا بغيره أَوْ يَبِيَّتَهُ إِلَى غَدِهِ ، وَلِيَحَرِّرَ الْبَرِيدَ الْمَنْصُورَ بِيَدَيْهِ غَيْرَ مَعْتَمِدٍ فِيهِ عَلَى غَيْرِ رَشِيدِهِ ، وَلَا يَغْبُ عَنْ وَظِيفَتِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ بَلْ يَكُونُ كَالنَّجْمِ فِي رَصَدِهِ لِمُرْتَصِدِهِ ، وَلِيُوصِلَ كُتَابَ الْإِنْسَاءِ لَدَيْهِ ، وَالْمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، بِكُتْمِ السَّرِّ فَإِنْ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَفْشَى أَحَدٌ مِنَ السَّرِّ كَلِمَةً ، فَلْيُزَجِرْهُ وَلْيَأْمُرْهُ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ وَقَامَةً ، وَيُعْطِ كُلَّ قَضِيَّةٍ مَا تَسْتَحِقُّهَا مِنْ تَنْفِيذِ كَلِمَةٍ ، وَالْإِبْتِدَاءَاتُ وَالْأَجْوِبَةُ فَلْتَكُنْ نَغُورُهَا بِالْفَاظَةِ مَتَشَدِّبَةً وَعُقُودُهَا بِإِمْلَانِهِ مُنْتَظَمَةً ، فَأَمَّا الْإِبْتِدَاءُ فَهُوَ عَلَى اقْتِرَاحِهِ ، وَأَمَّا الْجَوَابُ فَهُوَ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْكُتَابُ الْوَارِدُ بِاصْطِلَاحِهِ ، وَلَا يَمْلِي إِلَّا إِلَى نِقَاتِهِ وَنُصَاحِهِ ، وَالْكَتُبُ الْمَلُوكِيَّةُ فَلْيُوقِّعْهَا مَقَاصِدَهَا ، وَلِيَرَاغِ عَوَائِدَهَا ، وَالتَّقْوَى فَهِيَ الْهَامُّ [مِنْ] أَمْرِهِ ، وَخِتَامُ عِطْرِهِ ، وَتَمَامُ بَدْرِهِ ، وَالْوَصَايَا فَهِيَ كَثِيرَةٌ لَدَيْهِ وَفِي صَدْرِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْتَلِبُ بِهِ أَوْقَاتَ عَصْرِهِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! وَالخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ

ومنها - نظر الملكة ، القائمة بها مقام الوزارة .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُفِيضِ حَلِّلِ إِعْمَانِنَا عَلَى مَنْ أَخْلَصَ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ ، وَمَوْلَى فَضْلِ الْإِيْمَانِ الْعَمِيمَةِ عَلَى مَنْ أَرْهَفَ فِي مَصَالِحِهَا آلَةَ عَزْمِهِ وَبَنَانَهُ ، وَمُحَلِّي رُتَبِ عَلَيَانَا الشَّرِيفَةِ بِنِ اسْمِ الشَّرْقِ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي بَدْرَهُ وَإِنْسَانَهُ ، وَأَيْنَعَتْ فِي غُصُونِ الْأَمَانِ قُطُوفَهُ وَأَفْنَانَهُ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَبْلُغُ [بِهِ] أَقْصَى غَايَةِ الْمَجْدِ مَنْ تَبَسَّمَ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ الثُّغُورِ ، وَتَعَتَّصَمُ بِمَجِيدِ خَبَرِهِ وَخَبْرَتِهِ الْأُمُورِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُشْرِقُ بِهَا

البدور، ويعتمد عليها في الأيام والدهور؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم، والناشر لواء العدل بسننه الواضح وشرعه
التويم؛ وعلى آله وصحبه الذين آهتدى بهمديهم ذوو البصائر والأبصار، وأرتدى
بأرديتهم المعلمة مقننى الآثار من النظائر؛ وسلم تسليماً .

وبعد، فإن أولى من أسندنا إلى نظره الجميل رتبة عز ما زالت بنو الآمال عليها
تقوم، وعدقنا بتدبيره الجميل منصب سيادة ما برحت الأماني له تروم؛ واعتمدنا
على هممه العلية فصدق الخبر الخبر، وركنا إلى حميد رأيه فشهد السمع له وأدى
النظر .

ولما كان فلان هو الذى رقى في ذروة هذه المعالي، وانتظم به عقد هذه الآلى،
وحوى بفضيلة البيان واللسان ما لم تدركه المرهفات والعوالى؛ فما حل ذروة عز
إلا حلاها بنظره الجميل، ولا رقى رتبة سيادة إلا وأسفر في ذروتها وجهه صبحه
الجميل، ولا عدق بنظره كفالة رتبة إلا وكان لها خير كفيل .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال يتصى للرتب العلية خير منجد ومغير،
ويختار للناصب السنية نعم المولى ونعم النصير - أن يفوض إليه كذا فإنه القوى
الأمين، والمتمسك من تقوى الله تعالى وكفائته بالسبب المتين، والمستند بجميل
كفالتة وحميد ديانتة إلى حصن حصين، والمستدرى بأصالته الطاهرة وإصابته إلى
الجنة الواقية والحرم الأمين .

فليقدم خيرة الله تعالى ويأشر الجهة المذكورة بعزم لا ينبو، وهمة لا تنجو، وتدبير
يتضاعف على ممر الأيام ويروبو؛ ونظر لا يعزب عن مباشرته مثقال ذرة إلا وهى
من خاطره في قرار مكين، وضبط لا تمتد إليه يد ملتمس إلا ويجد من مرهفه

ما يُكفّف كَفِّهَا بِالْحَدِّ الْمَتِينِ . وَيُضَاعَفُ هِمَّتَهُ ، فِي مِصَالِحِ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي عَدَقْنَاهَا
 بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ ، وَيُؤَفِّرُ عِزَّمَتَهُ ، فَإِنَّ الْحَازِمَ مِنَ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ؛ وَالْوَصَايَا
 كَثِيرَةٌ وَمِثْلُهُ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا ، وَاتَّئِنِّيهِاتُ وَاضِحَةٌ وَهُوَ - وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَهْدَى مِنْ أَنْ
 يُرْشَدَ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ يُوَفِّقُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُصَلِّحُ بِجَمِيلِ تَدْوِينِهِ وَحَمِيدِ تَأْمِينِهِ كُلَّ
 خَلْقٍ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنها - نظر الجيـش بها :



وهذه نسخة توقيع بها لمن لقبه «شمس الدين» وهي :

الحمد لله الذي أطلع في سماء المعالي شمساً منيره ، وأبغ غروس أولي الصدارة
 بعهاد سُحْبِ عَوَارِفِهِ الْعَزِيزَةِ ، وَأَبْدَعَ الْإِحْسَانَ إِلَى مَنْ قَدَّمَهُ الْإِخْتِبَارُ وَالْإِخْتِبَارُ
 عَلَى بَصِيرَةٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي عَمَّ فَضْلُهَا ، وَمَدَّ عَلَى أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ظِلَّهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَزَلُّفٌ لَدَيْهِ ، وَتُسَلِّفٌ مَا يَجِدُهُ الْمَتَمَسِّكُ
 بِهَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ بُعِثَ إِلَى الْأُمَّمِ
 كَافَّةً ، وَأَكْرَمُ مَنْ غَدَتْ أَمْلَاكُ النَّصْرِ بَابِيَتِهِ حَافَةً ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 الَّذِينَ حَازُوا بِصُحْبَتِهِ الشَّرْفَ ، وَفَازُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ مِنَ الْجَنَانِ بَغْرَفٍ مِنْ
 فَوْقِهَا عُورَفٌ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا عَدِقَ بِالْأَكْفَاءِ ، وَأَحَقُّ مَا صُرِفَ إِلَيْهِ وَجْهَ الْأَعْتِنَاءِ ،
 وَأَجْدَرُ مَا أَوْقِظَ لَهُ طَرْفُ كَافٍ لَا يُيْلَمُ بِالْإِغْفَاءِ - أَمْرُ الْجَيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِطَرَابُلسٍ

المحروسة التي لا ينهض بأعباء مصالحتها إلا من عرف بالسداد في قلبه وكمه، وألف منه حسن التصرف فيما يبيديه من نزاهته ويظهره من هممه؛ بخبرة مؤكده، وآراء مسدده؛ ومعرفة أوضاع ترتيبها وأحوالها، وقواعد مقدماتها وأبطالها، وكفاية تفتح رحاب حالها .

ولما كان فلان هو الصدر الملى بوافى الضبط ووافر الأهتمام، والكافي الذي نطقت بكفائته ألسنة الحرصان وأفواه الأقلام، والضابط الذي لا يعجز فهمه عن إحاطة العلم بدوى الآلام .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال يقدم للراتب، كافيًا مشكورًا، ويرشح للمناصب، صدرًا أضحى بالأمانة مشهورًا - أن يفوض إليه كذا : لأنه الصدر الذي تراحمت ألسنة الثناء عليه، وترادفت بين أيدينا محامدُه فقررنا العوارف لديه؛ وشكرت عندنا هممه في سداد كل ما يباشره، ودكرت لدينا بالخير سيرته وسرائره .

فلباشر هذه الوظيفة الحليّة متحلّيًا بين الأنام بعقودها، مطلعًا شمس نزاهته في فلك سعادتها؛ ناهضًا بأعباء منصبه السعيد، ضابطًا قواعده بكل تحرير تليد؛ متقنًا ديوان الجيوش المنصورة، معملًا في ملاحظتها نافذ البصر وحسن البصيرة؛ محررًا أوراق العدة والعده، باذلاً في ضبط الحلي أهتمامه وجهده؛ والله تعالى يسعد جدّه، ويجدد سعده؛ والخط الشريف أعلاه ... إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما كتبت مفتتحًا في هذه الرتبة بـ «أما بعد» فإنها أصل ما يكتب في قطع الثلث .

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب الوظائف الديوانية بطرابلس - من يكتب له في قطع العادة بـ «مجلس القاضى»)

وهو قليل الوقوع . والغالب في ذلك أن يكتب عن نائب السلطنة بها .

وهذه نسخة تُوَفِّع من هذه الرتبة بكتابة الدّست بطرابلس ، يقاس عليه ما عدها من ذلك ، وهى :

رُسم بالأمر الشَّرِيف - لا زال أمره الشَّرِيف ، يزيد من يَصْطَفِيهِ شَرَفًا ، وِبرُهُ المُنِيفُ ، يُفِيد من يَجْتَنِيهِ نُحْفًا ، وَخَيْرُهُ المُنِيفُ ، يُجِيد لمن يَخْتاره جُودًا ، وَيُسْرِقَب مَنْ رَفَعَهُ إِلَى صَدْر الدّست صُعُودًا ، فَيَسُوُّهُ من جَنَات العِلْيَاء عُرفًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ فى كَذَا : آسْتَقْرَارًا يُجْتَنَى منه ثَمَار الخيرات ، وَتُجَلَى عليه عَرُوسُ المَسَرَات ؛ لِأَنَّهُ الرِّيسُ الذى تَفْتَحِرُهُ هذه الوظيفَةُ بِأَنْتَسَابِهَا إِلَيْهِ ، وَتَجَمَّلُ حُلَاهَا وَأَلْوَبَتُهَا إِذَا نُشِرَتْ عَلَيْهِ ؛ وَالفَاضِلُ الذى أَلْقَتْ إِلَيْهِ البلاغَةُ زِمَامَهَا ، وَالكَامِلُ الذى مَلِكَ بَيَانَهَا وَنِظَامَهَا ؛ وَالأَدِيبُ الذى لا يَدْرُكُ فى الآداب ، وَاللَّيِّبُ الذى يَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ عَامَةِ الطُّلَابِ ؛ كَمْ لَهُ من كِتَابَةٍ حَسَنَةِ الأَنْسَاقِ ، وَبِلاغَةٍ حَصَلْ عَلَى فَضْلِهَا الأَتْفَاقِ ، وَدِيَانَةٍ أَطْلَقَ فِيهَا لِسَانَهُ وَيَدَهُ فَشَكَرَهَا النَّاسُ عَلَى الإِطْلَاقِ ؛ فَهو مُسْتَنَدُ الرَّاسِ ، وَابْنُ من حَازَ كُلَّ نَخَارِ وَرَاسِهِ ؛ وَالعَلَمُ المَشْهُورُ عِلْمُهُ ، وَصاحبُ القَلَمِ المَشْهُورُ رَفْعُهُ ؛ فَالْمُنَاصِبُ بِارْتِفَاعِهِ إِلَيْهَا مُفْتَحِرَهُ ، وَالمَرَاتِبُ بِعَلَانَتِهِ مُسْتَبْشِرَهُ ؛ وَالأَسْمَاعُ بِفَضَائِلِهِ مُسْتَفِّهِ ، وَالأَشْجَاعُ بِكَلِمِهِ مُشْرِفَهُ .

فليباشر هذه الوظيفة ، وليسلك فيها طريق نفسه العفيفة ؛ وليدبج القمص بأقلامه ، وليبج التواقيع بما يوقع مبرم فصيح كلامه ؛ وليزين الطروس ، بكتابته ،

وَلْيُنْعِشِ النَّفْسَ ، بِبَلَاغَتِهِ ، وَلِيَجْمَلَ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ مَا تُصْبِحُ مِنْهُ مَطَالِعُ شَرْفِهِ
 مِنْيرِهِ ، وَتُحْسَى بِهِ عَيْنُ مَحَبَّةٍ قَرِيرَةٍ ، وَالْوَصَايَا فَهِيَ خَطِيبٌ مِنْبَرِهَا ، وَلِيَبِّبُ مَوْرِدِهَا
 وَمَصْدَرِهَا ، وَالتَّقْوَى فليلازم فيها شعاره ، وليداوم بها على ما يبلغ به أوطاره ، والله
 تعالى يجعل سُعوده كُلَّ يَوْمٍ فِي آزدياد ، ويسهل له ما يرفعُ ذِكْرَه بين العباد ، بمنه
 وكرمه ! . والأعتماد في ذلك على الخطِّ الشريفِ أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(من الوظائف بطرابلس - ما هو خارج عن حاضرتها ،

وهم على ثلاثة أصناف أيضا)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وقد تقدّم أنّه ليس بها مقدّم ألف سوى نائب السلطنة بها ، وحينئذ فالنيابات

بمعاملتها على طبقتين :

الطبقة الأولى

(الطَّبَنخا ناه)

وَمَرَّاسِيهِمْ تُكْتَبُ فِي قَطْعِ التَّلْثِ بِ«السَّامِي» بِالْيَاءِ ، مَفْتَحَةً بِ«الْحَمْدِ لِلَّهِ» .

وهذه نسخة مرسوم شريف من ذلك بِنِيبَاةِ قَلْعَةٍ ، تصلح لنائب الأَلَاذِقِيَّةِ ،

يُنْسَجُ عَلَى مِنْوَالِهَا ، وَهِيَ :

الحمد لله الذي جعل الحصون الإسلامية في أيامنا الزاهرة ، مصفحةً بالصفاح ،
والثغور المصونة في دولتنا القاهرة ، مشرفةً بأسنة الرماح ، والمعقل المحروسة مخصصةً
من أوليائنا بمن يعدُّ بأسه لها أوقى الجئن وذبه عنها أقوى السلاح .

نحمده على نعمه التي عوارفها عميمه ، وطوارفها كالتالدة للزيد مستديمه ؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق الضمائر قبل الألسنة بإخلاصها ،
وتشرق القلوب بعموم إحاطتها بها واختصاصها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي
أشرفت بنور ملتبه الظلم ، وأرتوت بفور شريعته الأمم ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين امتطوا إلى جهاد أعداء الله وأعدائه غارب الهمم ، صلاة سارية
كالرياح هامية كالديم ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما عقد عليه في صيانة الحصون الخناصر ، وأعتمد على مثله
في كفاية المعقل إذا لم يكن غير تأييد الله وحده السيف ناصر - من هو في حفظ
ما يليه كالصدور التي تصون الأسرار ، والكائم التي تحوط الثمار ؛ مع اليقظة التي تدود
الطيف أن يلم بجحاة حماه ، والفطنة التي تصد الفكر أن يتخيل فيه ما أشتمل عليه
وحواه ، والأمانة التي ينوي فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا
الشريفة ولكل أمرئ ما نواه .

ولما كان فلان هو السيف الذي تروق تجرِبته ويروع تجرِده ، وإذا ورد
في الوغى منهل حرب فشرعه من كل كمي وريده - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نرهف
حده بحفظ أسنى الحصون عندنا مكاناً ومكانه ، وأسمى المعقل رفعةً وعزّةً وصيانته .

فوسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه النيابة بقاعة كذا .

فليباشِرْ هذه النِّبَاةَ السَّامِيَّ قَدْرُهَا ، الكَامِلَ في أَفْقِ الرُّتْبِ بَدْرُهَا ، مَبَاشِرَةً تَصُدُّ
الأفكارَ ، عن تَوْهَمِهَا ، والأبْصَارَ ، عن تَوْشِيْهَا ، والحوَاطِرَ ، عن تَحْيُلِ مَعْنَاهَا ،
والسَّرَائِرَ ، عن تَمَثُّلِ صَوْرَتِهَا وَمَعْنَاهَا .

وَلِيَكُنْ لمصالحها مَتَمِّمًا ، ولِنَجْوَى رِجَالِهَا مَتَصَفِّحًا ، ولأَعْدَارِ حُمَاتِهَا مُزِيحًا ،
ولِخَوَاطِرِهَا مِنْ أَسْبَابِ كِفَايَتِهَا مُرِيحًا ، ولِمَوَاطِنِهَا عَامِرًا ، وبِمَقَلِّ وَجَلِّ مِنْ
مَصَالِحِهَا آسِرًا ، وَلِوَطَائِفِهَا مُقِيًا ، وَلِلنَّظَرِ فِي الكَبِيرِ والصَّغِيرِ مِنْ أُمُورِهَا مُدِيحًا ،
وَلِخِدْمَتِهَا مُضَاعِفًا ، وَلِكُلِّ مَا يَتَعَيَّنُ الأَحْتِفَالُ بِهِ مِنْ مَهَمَّاتِهَا وَأَقْفَاءِ وَمِلاكِ الوَصَايَا
تَقْوَى اللهَ : وهى أَوَّلُ مَا يَقْدَمُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَوَّلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ نَظْرَهُ إِلَيْهِ ،
فَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ خُلُقِي نَفْسِهِ ، وَمَرْيَّةً يَوْمِهِ عَلَى أَمْسِهِ ، وَالخَيْرَ يَكُونُ . وَالخَطَّ الشَّرِيفَ
أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الطبقة الثانية

(العشرات)

ومراسيمهم إن كتبت من الأبواب السلطانية فنى قطع الثلث بـ«السامى» بغير
ياء، مفتوحة بـ«أما بعد» إلا أن الغالب كتابتها عن نائب السلطنة .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة بلاطنس ، من معاملتها وهى :

أما بعد حمد الله على نعم توالى رفقها ، ووجب شكرها وحمدها ، وعذب لذوى
الآمال وردّها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى رفع به لقرئش مجدها ،
فعلًا جدّها ، وعلى آله وصحبه صلاة لا يخصى عددها ولا يحصر حدّها - فإنه لما كان
فلان من قدمت تقادم خدمه ، وتعالى به إلى العلياء سامي هممه ، وترفع به حسن

ولائه حتى أعلت الدولة من شأنه ورفعت من علمه ؛ وأستكففته لمصون الحصون ،
 وجادت عليه بصوب إحسان روى الأمانى فأصحت نيرة الغصون ؛ وكانت قلعة
 فلانة هي القلعة التي شمخت بأنفها على القلاع علوا ، وسامت الجوزاء سموا ؛ فوجب
 أن لا يستحفظ عليها وفيها ، إلا من عرف بحسن المحافظة وتوفيقها ؛ وكان المشار
 إليه هو عين هذه الأوصاف ، والوارد من حسن الطاعة المورد الصاف - أقتضى
 حسن الرأي الشريف أن نتوه بذكره ، ونرفع من قدره .

ولذلك رسم ... - لازل ... أن تفوض إليه النيابة بهذه القلعة المحروسة ،
 وأن تكون بأوانس صفاته مأنوسه .

فليكن فيما استحفظ كفوا ، وليورد الرعية من حسن السيرة صفوا ، وإذا
 تعارض حكم الانتقام وكان الذنب دون الحد فليقدم عفوا . وعليه بالعدل ، فإنه
 زمام الفصل ؛ والقلعة ورجالها ، وذخايرها وأموالها ، فليمنع النظر في ذلك بكرة
 وأصيلا ، وإجمالا وتفصيلا ، وتحصينا وتحصيلا . وعليه بالتسك بالشريعة المطهرة ،
 وأحكامها المحررة ؛ وليردع أهل الفساد ، ويقابل من ظهر منه العناد ، بما يؤمن
 المناهج ، ويجدد المباحج ؛ والوصايا كثيرة ، فليكن مما ذكر على بصيره ؛ أعانه الله على
 ما أولاه ، ورعاه فيما استرعاه ؛ وانحط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ والخير يكون
 إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة طرابلس - الوظائف الدينية ،)

والغالب كتابتها عن نائب السلطنة بطرابلس . فإن كتب شيء منها عن الأبواب
 السلطانية ، كان في قطع العادة «بمجلس القاضي» مفتتحا بـ«رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك بنظر وقف على جامع بمعاملة طرابلس، كتب به لمن لقبه «زين الدين» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال كريمُ نظره يستنيبُ عنه بمصالح بيوت الله تعالى من تزداد بنظره شرفاً وزينا ، ويعين لها من الأعيان من تُسر به خاطراً وتقر به عيناً ، ويمتجها من إذا باراه مبارٍ وجد بينهما بونا وبيننا ، ويقتر لها كل كافي إذا فاه راء بوضف آرائه الملموحة عين صوابها ولا يجد عليها عيناً - أن يستقر بالنظر على كذا : استقراراً يرى الوقف بنظره على ربه طلاوه ، ويجد مباشرة في صحته حلاوه ؛ ويعرب عن استمراره على حسن الثناء ، ويجد من نيل ربه أكمل وفاء ؛ لأنه الناظر الذي لا يمل إنسانه ، من حسن النظر ، ولا يكمل لسانه ، عن الأمر بالمصالح ولفظه عن إلقاء الدرر ؛ والشريف الذي وجدت نخائل شرفه من فضل خلاله ، والحواد الحائر بجموده قصب السبق على أمثاله ؛ والكامل الذي لا توجد في صفاته نقيصه ، والفاضل الذي أنته الفضائل على رعمها رخصه .

فلباشر هذا النظر مباشرة ما تكحل ناظره فيها بالوسن ، وليقابلها من جميل سلوكه بكل وجه حسن ؛ وليبدأ أوقاف الجامع المذكور بالعارة ، وليقطع بمديّة أمانته يد من يشن على ماله العاره ؛ وليأمر أرباب وظائفه بالزوم ، وليخص كلاً منهم من فضله بالعموم ؛ وليتق الله تعالى في القول والعمل ، وليجتهد على أن لا يتخلل مباشرة الخلل ؛ والاعتاد على الخط الشريف أعلاه

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة طرابُلُس - أرباب الوظائف الديوانية)

وقل أن يُكتب فيها شيء عن الأبواب الشريفة السلطانية، وأن الغالب كتابة ما يكتب فيها من نائب السلطنة بطرابُلُس . فإن اتفق كتابة شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية، مسمى الكاتب فيه على نهج ما تقدم في الوظائف الدينية : من كتابته في قطع العادة بـ «مجلس القاضي» مفتتحاً بـ «رسم» لا يختلف الحال منه في ذلك إلا في الفرق بين التعلقات الدينية والديوانية . والكاتب الماهر يصرف قلمه في ذلك وفي كل ما يحدث من غيره على وفق ما تقتضيه الحال، وبالله المستعان .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة . ووظائفها التي تُكتب بها من الأبواب السلطانية،

ما بحاضرتها خاصة، وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة خاصة . ويكتب له تقليد في قطع الثلثين بـ «الجناب العالي» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وهذه نسخة تقليد نيابة حماة :

الحمد لله ذي التدبير اللطيف، والعون المطيف، والحياطة التي تستوعب كل تصرف وكل تكليف .

نحده بحامد جميلة التفويف ، حسنة التأليف ، مكملة التكيف ، بريّة من
التطيف ، حريّة بكلّ شكرٍ منيف ، وذِكْرٍ شريف ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادةً خلص تحريها عن كلّ تحريف ، وتترّه مقالها عن تسويد
تفنيده أو تسويف ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الدين الحنيف ،
والمبعوث بالرحمة والتخفيف ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً متناوبةً تناوب
الصّيرير والصّريف ، والشتاء والمصيف ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن من شيم الدولة وسجاياها ، وأحكامها وقضايها ، تقدّم الأهمّ فالأهمّ ،
وتحتّم الأتمّ من الرأى وتحكيم التّدير الأعمّ ، وفعل كلّ ما يحوط المالك ويحفظها ،
ويذكر العيون لملاحظتها ويوقظها : لما أوجبه الله من حقوقها ، وحظّه من
عقوقها ، ولا يكون ذلك إلا باختيار الأولياء لضبطها ، والتّعويل على الأملاء بالقيام
بشرطها ، والاستناد من الرّعاء إلى من يوفّي من الخراج^(١) والعيون وأفي قسطها .

ولما كانت المملكة الحمويّة جديرةً بالأنفات ، حقيقةً بالحياطة من جميع الجهات ؛
مستدعيةً من جميل النظر كلّ ما يجرس ربّعها ، ويديم نفعها ، ويحفل ضرعها ،
ويلم شعّبها ويشعب صدعها ، ويسرّ سمعها ، ويفعم شرعها ، ويعظم شرعها ؛
ويكتنفها اكتناف السور والسوار ، والمهالة للبدر والأكمام للثّار ؛ وكان فلان هو
المتقشع سحاب هذا الوصف عن بدره المنير ، والمتقلّع ضباب هذا التفويض عن نور
شمسه المنعشة قوى كلّ نبت نصير ، والذي بأهليته لرتبة هذا التفويض ما خاب
المستخير ، ولا ندّم المستشير ، والذي يفردّه استحفاؤه بهذه الرتبة فلا يقول أحد من
كبير ولا صغيرٍ أمثالاً للرّاسم الشريفة في حقه : « منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ » - أقتضى

(١) في القاموس "رجل خراج ولّاج كثير الظرف والاحتيال" ولعله المراد هنا .

جميل الرأي المُنيف ، أن نخرج الأمر الشريف - لا برح يُحسِن التَّعْوِيل ، ويَهْدِي إلى سواء السبيل ، ويمضى مَضَاءَ الْقَضَاءِ الْمُتَزَّلِ والسيف الصَّقِيل - أن تقوِّصَ إليه نيابة السلطنة المعظمة في مملكة كذا وكذا .

فليَقْدِّم خيرة الله قَائِلًا وفاعلا ، ومُقيما وراحلا ، ومُوجِّها ومُواجهًا ومُسَجِّلا وساجلا ، وعاملا وعاملا ؛ ومعتمدا على الله في أمره كله . وليكن من هذه المعرفة قريبا ، وعلى كلِّ شيءٍ حتَّى على نفسه رَقِيبا ؛ وإذا اتقى الله كفاه الله الناس ، وإن اتقى الناس لم يُغنوا عنه من الله شيئا فليَقْس على هذا القياس ، ويقتبس هذا الاقتباس .

وأما الوصايا فالعساكر المنصورة هم مَحْبُوبُ الظفر وظُفْره ، وبهم يُكشَف من كل عدوِّ سره ، ويُنَجَّى وطنه ووكره ، ويضربُ زيده وعمره ؛ ويبددُ جمعه ، ويُساء صنعه ، ويعمى بصره ويصمُّ سمعه ؛ وهم أسوارُ نِجَاحِ الأَسْوَارِ ، وأمواجُ تَنْدَفِيعِ وتَنْدَفِيقِ أعظم من آندفاق البحار ، وما منهم إلا من هو عندنا لمن المصْطَفَيْنِ الأَخْيَارِ ؛ فأحْسِن استِجْلَابَ خَوَاطِرِهِمْ ، وأسْتِخْلَابَ بَوَاطِنِهِمْ وسرائرهم ، وأسْتِجْلَابَ الشَّائِعِ مِنْ طَاعَتِهِمْ فِي مَوَارِدِهِمْ وَمَصَادِرِهِمْ ؛ وَكُنْ عَلَيْهِمْ شَفِيقًا ، وبهم في غير الطاعة والأستعباد رُفُوقًا ، وأوجب لهم بالجهاد والأجتِهَادِ حُقُوقًا ، وأصرف لهم حِمْلًا لأعباء المهَمَّاتِ والمَلَمَّاتِ مُطِيقًا ؛ وأسْتَشِرْ مِنْهُمْ ذَوِي الرَّأْيِ الْمَصِيبِ ، ومن أحسن التَّجْرِبِ ، ومن تَحَقَّقَ مِنْهُ النُّصْحُ مِنَ الْكُفُولِ وَالشَّيْبِ ، من كلِّ بغيره منه ما شَبَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرَ بَأْخِيهِ ، وإذا اجتمعت عُصُونٌ فِي يَدِ أَيْدٍ عَسَتْ عَلَى قَصْفِهِ وَقَصَفٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ فَوَاحِدَةٌ لَا يُعِيهِ .

(١) في الأصل "السامع مع من" الخ وهو تحريف كما لا يخفى .

(٢) في اللسان "عسى القضيبي يس" . وهو مناسب للقام .

(١) والجهادُ فهو ملاكُ كلِّ استِحْواءٍ واستِحْواءٍ ، وبه يُتميِّزُ أفعالَ الكُفَّارِ بالنَّفادِ وأفعالَ الدِّينِ الحَنِيفِ بالنَّفادِ ؛ وما جعل اللهُ للدافِعِينَ عن دِينِ اللهِ سِوَاهُ ، ولا مُنْجِيَّ صَوْبِ صِوَابِ الإِيبَاءِ ؛ وعلى ذلك جعل اللهُ أرزاقَهُم ، وهياً لهم به إِرْفاقَهُم ؛ فليُكرِّمَهُم بأخذِ الأَهْبَةِ ، في الاعتلاءِ والأنصِبِ في كلِّ هَضْبَةٍ ، والأستعدادِ برباطِ الخَيْلِ وكلِّ قُوَّةٍ .

ومن الوصايا التي ينبغي أنْ ترسَمَ في جبهاتِ الفِكرِ [دونِ تِوَانٍ] أو ركونِ أنْ لا يَسْتَحْقِرَ عُدُوًّا ، ولا يَسْتَهْزِئَ بِقَلْبَتِهِ لِرِوَاحًا ولا عُدُوًّا ، وليَكُنْ لَاسْتِظْهَارِ مُسْتَوْعِبًا ، ولا عَمَالِ المَكَايِدِ مُسْتَوْثِبًا ، وللكَشْفِ بَعْدَ الكَشْفِ مُسْتَصْحِبًا ؛ وغير ذلك من الأُمُورِ ، التي بها صَلَاحُ الجُمُهورِ .

والشَّرعُ الشَّرِيفُ وتنفِيزُ أَحكامِهِ ، وتَقْوِيَةُ أيْدِي حُكَّامِهِ ؛ فهو مِيزَانُ الإِسْلامِ والسَّلَامَةِ ، وقِوَامُ الصَّلَاحِ والأسْتِقامَةِ ، وأخُوهُ المُرتَضِعُ من نَدَى الحَقِّ ، العَدْلُ الذي كَمَّ شاقٌّ وكَثِيراً ما على أَهْلِ الباطلِ شَقٌّ ؛ وعمَّ القَرِيبَ والبَعِيدَ ، والسَّائِقَ والشَّهِيدَ ، والمُرِيبَ والمُرِيدَ ، وكلَّ ذِي ضَعْفٍ مُبِيدَ ، وكلَّ ذِي بَأْسٍ شَدِيدَ ، وكلَّ مُسْتَشِيرٍ ومُسْتَرِيدَ ؛ فَإِنَّ ذلكَ إِذا شَمِلَ حاطَ ، وتمَّ به الأرتِبادُ والأرتباطُ ، وهَدَى إلى أَقْومِ صِراطٍ .

والحدودُ فهي حِياةُ النُفوسِ ، وبها تُزالُ البُؤسُ ؛ فأقْبَهُ ما لم تُدرَأْ بالشُّبُهاتِ الشَّرِيعَةِ ، والأُمُورِ المَرْعِيَّةِ .

والأُمُوالُ فهي جَلْبَةُ الرِّجالِ ، ومَحَلَّةُ الأَمالِ ؛ وبها يُسَدُّ الأُزْرُ ، وَيَقْوَى الأَسْتِظْهَارُ [و] الظَّهْرُ ، فيشُدُّ من الذين أَمْرُها بهم مَعْدُوقٌ ، وَيَقْوَى أيْدِيهِم بِكُلِّ طَرِيقٍ في كلِّ طُرُوقٍ ، بحيث لا يُؤخَذُ إلا الحَقُّ ولا يتركُ شَيْءٌ من الحَقوقِ .

(١) في الأصل "والاجتهاد" وهو غلط .

والرعية فهم عند والي الأمر ودائع : ينبغي أنها تكون محفوظة ، وبعين الاعتناء ملحوظة ؛ فأحسن جوارهم ، وأزل نفارهم ، وأكف عنهم مضارهم ، ولا تعاملهم إلا بما لا تسأل عنه غداً بين يدي ربك فإنه يراك حين تقوم ، وأعد جواً لذلك فكل راجع مسؤل .

وأما غير ذلك فلا بد أن تُطلعك المباشرة على خفايا تغنيك عن المؤامره ، وستتوالى إليك الأجوبة عند المسافرة في المكاتبات الواردة والصادرة ؛ والله يوفقك في كل منهج تسلكه وتقتضيه ، ويسدّدك فيما من ذلك تتحجيه .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف بها : كشدّ الدواوين ، وشدّ مراكر البريد وغيرهما ، فقد جرت العادة أن النائب يستقل بتوليتهما . فإن قدر كتابة شيء من ذلك لأحد بها ، كتب لمن يكون طبلخاناه في قطع النصف : « السامى » بغيرياء ، ولن يكون عشرة في قطع الثلث بـ « مجلس الأمير » كما في غيرها .

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم على مرتبتين)

المرتبة الاولى — من يكتب له في قطع الثلث بـ « السامى بالياء » . وهم قضاة القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية — من يكتب له في قطع العادة : إما في المنصوري ، مفتتحاً بـ « أما بعد » وإما في الصغير مفتتحاً بـ « رسم » . وعلى ذلك تكتب توابع قضاة العسكر بها ، ومفتي دار العدل ، والمحتسب ، ووكيل بيت المال ، ووظائف

التدريس والتصدير، ونظر^(١) إن كتب شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية،
وإلا فالغالب كتابة ذلك عن النائب بها^(٢).

النيابة الخامسة

(نيابة صَفَد)

قد تقدم في الكلام على المكاتب أنها في رتبة نيابة طرابُلُس وحمّة في المكاتب،
وأنها تُذكر بعد حمّة في المطلقات .

وظائفها التي تولى من الأبواب السلطانية على ثلاثة اصناف .

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وفيه وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(نيابة السلطنة بها ، ويكتب تقليده في قطع الثلثين)

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بصَفَد ، كتب به لسيف الدين «قطلتمش»
السلحدار الناصري ، في سابع رمضان سنة عشر وسبعائة ، من إنشاء الشيخ
شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي صان الثغور المحروسة من أوليائنا بسيف لا تبو مضاربه ، وخص
أسنى الممالك المصونة من أصفياءنا بعَضْب لا يقل غربه محاربه ، وقدم على زعامة

(١) بياض بالأصل ولعله الأحباس .

(٢) ترك الكلام على الصنف الثالث وهم أرباب الوظائف الديوانية كما يؤخذ من نظائره السابقة واللاحقة .

الجيوش من خواصنا لينا يسكنُ إليه كلُّ أسدٍ من أسدِ ذائلةٍ تُعالِهُ ، حافظِ نطاقِ
البحرِ من أبطالِ دولتنا بكلِّ كميٍّ تُصدُّ البحرَ مهايتهُ أنْ يَسْتَقِلَّ بِرَاكِبِهِ أو تستقرَّ
على ظهره مرًا كبه ، وناشرِ لواءِ عدلنا في أقاليمنا بما يُعنى كلُّ قَطْرٍ [عن] أن
تتدفَّقَ جداولُه أو تستهلَّ به سحائبُه .

نحمدُه على نِعَمه التي جعلتْ سيفَ الجهادِ رائدَ أوامِرنا ، وقائدَ جيوشنا إلى
مواقفِ النَّصرِ وعساكرنا ، وذائدَ أعداءِ الملة عن أطرافِ ممالكنا التي أُسْبِقُ إليها من
رَجْعِ النَّفسِ في الدُّجَى تَأَلَّقُ نجومُ ذوابِلنا ، وفي الضُّحَى تَبْلُجُ غررِ صوارمنا ؛ ونشهدُ
أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له شهادةً يستظلُّ الإيمانُ ، تحتِ لوائها ، وتعبقُ
الأَكْوانُ ، بما تنطقُ به الألسنةُ من اروائها ، ويُشرقُ الوجودُ بما يبدو على
الوجوه من روائها ، ويُجادِلُ أعداءها في الآفاق لرفعِ كلمةِ ملتها على المللِ وإعلائها ؛
ونشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله خاتمُ الأنبياءِ ، وأشرفِ حملةِ الأنبياءِ ، صلى اللهُ عليه
وعلى آله وصحبه المخصوصينِ بأسنَى مراتبِ الأَجْتِبابِ ، صلاةً دائمةً بدوامِ الأرضِ
والسما ، وسلمَ تسليماً كثيراً .

أما بعدُ ، فإنَّ أولىَّ من فُوِّضتْ إليه زعامةُ الجيوشِ بأسنَى الممالكِ ، وعُدقَ به
من تَقَدَّمَ العساكرِ ما يُرَجَفُ بمهايته هُناك أرضَ العدوِّ هُناك ؛ وعُدقَ به للرعايا لواءُ
عدلٍ تجلَّى بإشراقِ ليلِ الظُّلمِ الخالكِ ، وعوَّلَ عليه من جميلِ السيرةِ فيما تعمُرُ به البلادُ
وتأمُنُ به الرعايا وتطمئنُّ به المسالكُ - من لم يزلْ في خدمةِ الدولةِ القاهرةِ سيقاً
ترهبُ العدا حدهُ ، ويخافُ أهلَ الكُفْرِ فتكاته تحقُّقاً أنَّ آجالهم عندهُ ، ويتوقَّعُ
كلُّ كميٍّ من عطاءِ الشُّركِ أنَّ رأسه سيكونُ غنمه ؛ مع سياسةٍ تشتملُ على الرعايا

(١) ذائلة طويلة الذيلة .

(٢) حق التركيب « وحفظ عطفًا على صان » ... ونشر لواء .

ظلالها الممتدة، وسيرة تضعُ الأشياءَ مواضعها فلا تضعُ الحدةَ موضع اللين ولا اللينَ موضعَ الحدة؛ وتوفِّرُ علىِ عمارةِ البلادِ يُعينُ علىِ ربيها طَلَّ الأنواءِ والوابلِ، وبراءةِ تجعلُ ما يودعُ فيها بالبركةِ والتماءِ: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ .

ولما كان الجناح العالى هو السيف الذى على عاتق الدولة نجاده، والليث الذى لم يزل فى سبيل الله إغارته وإنجاده؛ والغيث الذى يُخصبُ بمعدلته البلد الماحل، والأسد الذى تصد ساكنى البحر مهايته فيتحققون أن العطب لا السلامة فى الساحل - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نزيدَ حدَّ عزمه إرهافا، وأن نهرب العدا بآسه الذى يردُّ أحاد ما تقدّم عليه من الجيوش آلافا، وأن نفوض إليه من أمور رعايانا ما اذا أسند إليه يُوسعهم عدلا وإنصافا .^(١)

فذلك رسم بالأمر الشريف: أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بصفد الجروسة: تفويضا يعلى قدره، ويمضى فى عموم مصالحها وخصوصها نبيه وأمره، ويُرهِفُ فى حفظِ سواحلها وموانئها بيضه وسمره، ويضلي مجاورها من ساكنى الماء من بأسه المتوقدِ بجمره .

فلتلق هذه النعمة بآج شكره المديد، ويترق هذه المرتبة بمزية أعتزله التى ليس عليها فيما يُعدق به من مصالح الإسلام مزيد؛ وينشرها من عموم معدلته مالا يُحصى دون قوم قوما، ويعمر بلادها بالعدل: فإن «عدل يوم واحد خير للرض من أن تُمطر أربعين يوما»؛ ويسسط فيها من مهائنه ما يكف أكف البغاة أن تمتد، ويمنع رخاء أهوية أهلها أن تستد؛ ويؤمن المسالك أن تُخاف، والرعايا أن يُجار عليهم أو يُخاف؛ وليكن من فى تقدمته من الجيوش المنصورة مكلّى العدد والعدد،

(١) فى الأصل "رعايا أسند إليه ما" الخ وهو خلط من النسخ .

ظَاهِرِي الْأَمَّةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَجَالِدَةِ وَعَوْنُ الْجَلْدِ؛ مُزَاحِي الْأَعْدَارِ فِيمَا يُرْسَمُ لَهُمْ بِهِ مِنَ الرُّكُوبِ، مُزَالِي الْعَوَاقِقِ فِي النَّهَابِ لِمَا هُمْ بِصَدَدِهِ مِنَ الْوُثُوبِ؛ حَافِظِي مَرَاكِرِهِمْ حَفَظَ الْعَيُونِ بِأَهْدَابِهَا، آخِذِي أَخْبَارَ مَا يَشْغُلُ الْبَحْرَ مِنْ قِطْعِ الْعِدَا فِي حَالِ بُعْدِهَا كَحَالِ اقْتِرَابِهَا؛ بِحَيْثُ لَا يَشْرَفُ عَلَى الْبَرِّ مَنْ قِطَعَ الْمَخْدُولِينَ إِلَّا أَسِيرًا أَوْ كَسِيرًا، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّوَاخِلِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ الْبَصْرُ خَاسِتًا وَهُوَ حَسِيرٌ؛ وَلِيَكُنْ أَهْلُ الْجِبَالِ بِمَهَابَتِهِ كَأَنَّ [هل] لَسَهْلَ فِي حُسْنِ آتِقْيَادِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَيَصَدَّ عَنْهُمْ بِسَطْوَتِهِ مَجَالَ الْأَوْهَامِ الْمُتَّصِلَةِ فَلَا تَنْصَرِفُ إِلَى غَيْرِ مُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَوَاقِعُ بِأَسْمِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ؛ وَمِلَاكُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ: وَهِيَ مِنْ أَحْصَى أَوْصَافِهِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَهُمَا مِنْ نَتَائِجِ إِنْصَافِهِ؛ فَيُجْعَلُهُمَا عَمَدَتِي حُكْمِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ فَعَلَ؛ وَالْإِعْتِمَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الوظيفة الثانية

(نِيَابَةُ قَلْعَةِ صَفَد)

وهذه نسخة مرسومة شريف بنياية قلعة صفد المحروسة، من إنشاء المقر الشماسي ابن فضل الله، كتب به للأمر سيف الدين «أزاق الناصري» خامس المحرم سنة أربع وثلاثين وسبعائة، وهي:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ الْحِصُونَ بِرِفْعَةِ دُرَاهَا، وَسُمِّعَةَ مَنْ فِيهَا مِنْ رِجَالِ تَحْمِيهَا؛ وَتَحَطَّفَ أَبْصَارَ السُّيُوفِ بِسَنَاهَا، وَتُصِيبُ بِرَمِيهَا حَتَّى قُوسَ قُرَحَ إِذَا رَامَاهَا. نَحْمَدُهُ حَمْدًا تَبْرُزُ بِهِ الْمَعَاقِلُ فِي حِلَاهَا، وَتَفْخَرُ بِهِ عَقَائِلُ الْقِلَاعِ عَلَى سِوَاهَا؛ وَتَشْرَفُ بِهِ شُرَفَاتِهَا حَتَّى تَجْرِيَ الْمَجْرَةُ فِي رُبَاهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَطِيبُ جَنَاهَا، وَيَطْنِبُ فِي السَّمَاءِ مَرْتَقَاهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا

مجداً عبده ورسوله الذى كتب به للأمة هداها ، وكبت عداها ، وبوأها مقاعد
للقاتل تقصردوتها النجوم فى سراها ؛ صلى الله عليه على آله وصحبه صلاة لا ينقطع
عنهم قرأها ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإنَّ صفد صفت ، ووقت ووقت ، وكفت وكفت ؛ وجاورت البحر
فما عمضت عنه لدايديها عيون ، ولا خيطة لسيوفها بالكري جفون ؛ ولا وئت
لرماحها عزائم شابت بمئها ، ولا آنتشت من السهام نبال تفيض ديمها ؛ ولا أطالت
مجانيقها السكوت إلا لتهدر شقاشقها ، وتمدد بها من الجبال شواهقها ؛ وتمول العدا
بما تريهم من التويل ، وترى به من كفاتها الحجارة من سجيل .

وهى القلعة التى يضرب المثل بحصاتها ، ويطمئن [أهل] الإسلام فى إيداع
أموالهم وأهلهم إلى أماتها ؛ قد أطلت على الكواكب نزولا ، وجردت على منطقة
بروجها من البروق نصولا ؛ وأتعبت الرياح لما حلققت إليها ، وأخافت الهلال حتى
وقف رقيباً عليها ؛ وفيها من جنودنا المؤيدة من يزيدهم بها مددا ، وتطيب قلوبهم
إذا خرجوا لجهاد أعداء الله وخلوا لهم فيها مالا وولدا . وكانت النيابة بهذه القلعة
المحروسة قد كادت تنطق بسكواها ، وتتظلم ممن أساء صحبتها لما تولأها ؛ واقتضت
أراؤنا العالیه أن نزجرح ظلامه ، عن صباحها ، ونقوص خيامه ، عما فرش على الفلك
الشاهقة من بطاحها ؛ وفكرنا فيمن له بالقلاع المحروسة دربة لا يجنى عليه بها سلوك ،
ولا يخاف معه على هذه الدرّة الثينة فى سلوك ؛ ممن حمد فى دولتنا الشريفة مساء
صباح ، ومن كان فى أبوابنا العالیه هو الفتاح ؛ ومن له همه تناط بالثريا مطالبها ،
وعزومة ما القضاء إلا قواضها ، ومعرفة ما الریح المنتف إلا تجارها ، وكفاية ما الغر
الزواهر إذا عدت إلا مناقها .

وكان المجلس السامى - أدام الله عزه - هو المحلق إلى هذه المرتبة، والمحلق بالأصيل أريدتها المذهب؛ والمحقق في صفاته الورع، والمتره عن تدنيس طبعه بالطمع؛ وله في الأمانة اليد المشكوره، وفي الصيانة ما يتبع به ذبول السحاب الجروره؛ ومن التقوى ما قرب عليه المطالب الباطية، ومن الفروسية ما اتخذ كل ذروة صهوة وكل جبل مطية، ومن الاستحقاق ما سهل له من صدقاتنا الشريفة صقد: وفي اللغة أن الصقد هو العطي.

فرسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه، وأحكمه وحكمه - أن يرتب في النيابة بقلعة صقد المحروسة: على عادة من تقدم وقاعدته في التقرير، وأما كيف يكون اعتماد، فسندشده منه بصبح منير.

فقدم تقوى الله في سرك وجواك، وأقصر على القناعة رجواك؛ وأحفظ هذه القلعة من طوارق الليل والنهار، وأعد من قبلك للقتال في قرى محصنة أو من وراء جدار؛ وأملاً سماءك حرساً شديداً، وشهباً وكثر رجالها لتبارى بهم النجوم في أمثالها من بروج السماء عديداً، وخذ إلى طاعتنا الشريفة بقلوبهم وهم على ذلك ولكنا نريد أن نزيدهم توكيداً، ونألفهم على موالاتنا حتى لا تجد أنت ولاهم إلى المزيد مزبداً؛ وتفقد الذخائر والآلات، وتيقظ لما تلجئ إليه الضائقة في أوسع الأوقات؛ وحسن مبانيها، وحصل فيها من الذخائر فوق ما يكفيها؛ ومن السلاح ما هو أمنع من أسوارها، وأنفع في أوقات الحاجة مما تكثره الخزائن من درهمها ودينارها؛ من مجانيق كالعقارب شائلة أذناها، دافعة في صدر الخطب إذا نابها؛ تربي بشرر كالقصر، وتنزل من السماء آيات النصر؛ ومن قيسى: منها ما تدافع بالأرجل مرابي

(١) مراده واقصر رجاءك على القناعة ولكن اضطره السجع فاستعمل مصدرا للرجاء ليس فيما بأيدينا من

سهامه ، ومنها ما تدور بالأيدي كأس حمامه ؛ ومنها ما يسكت إذا أطلق حتى لا يسمع كلامه كلامه ، ومنها ما يترجم إذا غنى بالحمام صوت حمامه ؛ و [من] ستائر يستر بها وجهها المصون ، ومنها يشاهد منها أقرب من يكون أبعد ما يكون ؛ و راحة تجلي بها في كل ليلة عروسها المنعمه ، و دراجة تحاط بهم من جهاتها الست و حدودها الأربعة ؛ و أقر نوب الحمام الرسائل فيها تسقط علينا و عليك الأخبار ، و يطوى المدى البعيد في أول ساعة من نهار ؛ و أفتح الباب و أغلقه بشمس ، و أحترز على ما أشتمت عليه من مال و نفس ؛ و بقبية الوصايا أنت بها أمس ، و الله تعالى يزيل عنك اللبس ؛ و الأعتاد

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذين يكتب لهم من الأبواب السلطانية صاحب ديوان الرسائل ، و ناظر المال ، و ناظر الجيش ، و وكيل بيت المال . و ما عدا ذلك فإنه يكتب عن نائبها ، و ربما كتب عن الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

([أرباب] الوظائف الدينية ، و هي على مرتبتين)

المرتبة الأولى : ما يكتب في قطع الثالث بـ «السامى» بالياء ، و هم القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية : من يكتب له في قطع العادة ، و تشمل على قضاء العسكر ، و إفتاء دار العدل ، و الحسبة ، و وكالة بيت المال .

الصنف الرابع^(١)

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذى يكتب به من الوظائف الديوانية بها - ثلاث وظائف، يُكتب لكلّ منهم فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء؛ وهم: صحابة ديوان المكاتب، ونظر المال، ونظر الجيش. فإن كتب لأحد غير هؤلاء، كتب له فى قطع العادة.

النيابة السادسة

(نيابة غزّة)

وقد تقدّم أنّها تارة تكون نيابة، وتارة تكون تقدمة عسكر، ومقدّم العسكر بها يراجع نائب الشام فى أمره. وبكلّ حال فالوظائف التى تُولى بها من الأبواب السلطانية على صنفين:

الصنف الأول

(أرباب السيف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة إن كانت نيابة، أو مقدّم العسكر إن كانت تقدمة عسكر. فكيفما كان فإنه يكتب له تقليد فى قطع الثلثين بـ «الجناب العالى» مع الدعاء بدوام النعمة.

وهذه نسخة تقليد بنيايتها: كُتِبَ به للأمير «علم الدين الجاولى» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ، وهو:

(١) هذا الصنف زائد على ما فى التقسيم ومع ذلك هو بمعنى الصنف الثانى وغاية ما فى هذا أنه بين فيه اللقب وقطع الورق فتنبه.

الحمد لله رافع علم الدين في أيامنا الزاهرة، بإقامة فرض الجهاد وإدامته، وجامع رتب التقديم في دولتنا القاهرة، لمن تفتت الثغور بين ترقوق عدله وتآلق صرامته، وقاطع أطباع المعتدين بمن يتوقد بأسه في ظلال رفقه توقد البرق في ظلال غمامته، وقامع أعدائه الكافرين بتفويض تقدمه الجيوش بأوامرنا إلى كل ولي يجتني النصر ويحتل من أفنان عزماته ووجاهة زعامته .

نحمده على نعمة التي سددت ما يصدر من الأوامر عنا ، وقادت الرتب السنية بتقليدها أعز الأولياء منا مناً ، وربحت مهمات الثغور لدينا على ما سواها فلا نعدق أمورها إلا بمن تعقد عليه الخناصر نفاسة به وضنا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال القلوب بإخلاصها متدينه ، والألسنة بإعلانها مترينه ، والألسنة والأعنة متبارين في إقامة دعوتها التي لا تحتاج أنوارها البينة إلى البينة ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف مبعوث إلى الأمم ، وأكرم منعت بالفضل والكرم ، وأعز منصور بالرعب الذي أعمدت سيوفه قبل تجريدها في القمم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بجهاد أعداء الله وأعدائه على أثبت قدم ، وسروا لفتح ما زوى له من الأرض على جياذ العزائم ونجائب الهمم ، وبدلوا نفائسهم ونفوسهم للدب عن دينه فلم تسترل أقدامهم حمر النعم ، ولم يشن إقدامهم بيض النعم ؛ صلاة لا يمل السامع نداءها ، ولا تسأم الألسن إعادتها وإبداها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإننا من حين مكن الله لنا في أرضه ، وأنهضنا بمسنون الجهاد وفرضه ؛ وقلدنا سيف نصره الذي انتفضاه ، وأقامنا لنصرة دينه الذي ارتضاه ؛ لم يزل مهمم كل ثغر مقدماً لدينا ، وحفظ كل جانب جاور العدو براً وبحراً متعميناً على اعتنائنا

وَمُحِبِّاً إِلَيْنَا ؛ فَلَا تُرْهِفُ لِإِيَالَةِ الْمَالِكِ إِلَّا مِنْ إِذَا جَرَدَ سَيْفَهُ أَعْمَدَهُ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ
 الْعِدَا ، وَمَنْ إِنْ لَمْ تَسْلُكِ الْبَحْرَ حَيْثُ بَثَّ فِي قُلُوبِ سَائِرِ كِنِينِهِ سَرِيّاً مَهَابَةً لَا تَرْهَبُ
 مَوْجاً وَلَا تَسْتَبْعِدُ مَدَى ؛ وَمَنْ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْجِيُوشِ أَعَادَ آحَادَهَا إِلَى رَتَبِ الْأُلُوفِ ،
 وَجَعَلَ طَلَائِعَهُمْ رُسُلَ الْخُتُوفِ ؛ وَأَعْدَاهُمْ بِأَسْهُ فَاسْتَقَلُّوا أَعْدَاءَهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا ،
 وَأَغْرَاهُمْ بِمَعْنَى التَّنَكِّيَةِ فِي كِتَابِ الْعِدَا : فَكَمْ مِنْ قَلْبٍ بِالرَّمَا حِ قَدْ نَظَمُوا وَمَنْ مِنْ
 هَامٍ بِالصَّفَا حِ قَدْ نَثَرُوا .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي مَا زَالَ الدِّينَ يَرْفَعُ عِلْمَهُ ، وَالْإِقْدَامُ وَالرَّأْيُ يَبْتَأَنَّ
 فِي مَقَاتِلِ الْعِدَا كُلُومَهُ وَكَلِمَهُ ، وَالْعَدْلُ وَالْبَأْسُ يَتَوَلَّيَانِ أَحْكَامَهُ فَلَا يُمِضِيَانِ إِلَّا بِالْحَقِّ
 سَيْفَهُ وَقَلْمَهُ ؛ فَكَمْ نَكَسَ رَايَةً عَدُوٌّ كَانَتْ مُرْتَفَعَهُ ، وَأَبَاحَ عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ مَعَاقِلَ
 شَرْكَ كَانَتْ مُتَمَنِّعَهُ ؛ وَمَنْ زَلَزَلَ ثَبَاتَهُ قَدَمٌ كُفِرَ فَأَزَالَهَا ، وَهَزَمَ إِقْدَامَهُ جِيُوشَ بَاطِلِ
 تَرْهَبُ الْآسَادُ نَزَالَهَا ؛ فَهُوَ الْعَلَمُ الْفَرْدُ ، وَالْبَطْلُ الَّذِي لَا وِلِيَاءَ لَهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ وَالثَّبَاتُ
 وَلَا عُدَايَةَ الْعَكْسُ وَالطَّرْدُ ؛ وَالْوَلِيُّ الَّذِي لَوْلَا أَحْتِفَالُنَا بِنِكَايَةِ الْعِدَا لَمْ نَسْمَحْ بِمِثْلِهِ ،
 وَالْهَامُ الَّذِي مَا عَدَقْنَا بِهِ أَمْرًا إِلَّا وَقَعَ فِي أَحْسَنِ مَوَاقِعِهِ وَأَسَدًا إِلَى أَكْمَلِ أَهْلِهِ .

وَكَانَتْ الْبِلَادُ الْغَزَاوِيَّةَ وَالسَّاحِلِيَّةَ وَالجَبَلِيَّةَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِمَنْزِلَةِ السُّورِ الْمَشْرِفِ
 بِالرَّمَا حِ ، الْمَصْفَحِ بِالصَّفَا حِ ؛ مُرُوجَهُ الْحَمَاهُ ، وَقُلُّهُ الْكَمَاهُ ؛ لَا يَشِيمُ بَرْقَهُ مِنْ سَاكِنِي
 الْبَحْرِ إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَسِيرٌ ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ طَرَفَهُ يَنْقَابُ إِلَيْهِ الْبَصْرَ خَاسِئًا
 وَهُوَ حَسِيرٌ ؛ وَبِهَا الْجَيْشُ الَّذِي كَمَّ لِسَيْوْفِهِ فِي رِقَابِ الْعِدَا مِنْ مَوَاقِعِهِ ، وَلَسْمَعْتِهِ
 فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ إِغَارَةِ تَرْكَتْهَا مِنَ الْأَمْنِ بِلَا قِيعِ ؛ وَبِهَا الْأَرْضُ الْمَقْدَسَةُ ،
 وَالْمَوَاطِنُ الَّتِي هِيَ عَلَى التَّقْوَى مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَالْمَعَايِدُ الَّتِي لَا تُعَدُّقُ أُمُورَهَا إِلَّا بِمِثْلِهِ مِنْ
 أَهْلِ الدِّينِ وَالْوَرَعِ ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ أَدْرَى بِمَا يَأْتِي مِنْ مَصَالِحِهَا وَأَدْرَبُ بِمَا

يدع - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نعدق به نيابة ملكها ، ونزين بلائى مفانحه
عقود سلكها ؛ وأن نفوض إليه زعامة أبطالها ، وتقدمة عساكرها التى تلقى البحر
بأزخر من عبابه والأرض بأثبت من جبالها ؛ وأن نرى بحرها من مهاجته بأهول
من أمواجه ، وأمر فى لهوات ساكنيه من أجاجه ؛ لتغدو عقائل أهله ، أرقاء سيفه
الأبيض وذابله ، ويتبر العدو الأزرق من بنى الأصفر ، خوف بأسه الأحمر .

فذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كيت وكيت : تفويضاً يحق
فى مثله رجاءها ، ويزين بعدله أرجاءها ؛ ويصون بآسسه قاطنها وظاعنها ، ويعمر
ويغمر برقعه وإنصافه مساكنها وساكنتها .

فليأشر هذه الرتبة التى يكمل به سعادها ، وتكمل به عقودها ؛ مباشرة يخيف
بأسها اللبث فى أجماتها ، ويعين عدلها الغيوت على دفع أزماتها ؛ ويغدو بها الحق
مرفوع العلم ، مسموع الكلم ، ماضى السيف والقلم ، ممدود الظل على من بها
من أنواع الأمم . وليأخذ الجيوش التى بها من إعداد الأهبه بما يزيل أعدارهم
عن الركوب ، ويضيع عوائقهم عن الوثوب ؛ ويجعلهم أول ملب لداعى الجهاد ،
وأسرع مجيب لنداء السنة السيوف الحداد ؛ وينظم أيزاكهم على البحر انتظام
التجوم فى أفلاكها ، والشذور فى أسلاكها ، فلا تلوح للأعداء طريدة إلا طردت ،
ولا قطعة إلا قطعت ؛ ولا غراب إلا حصت قوادمه ، ولا شامخ عمارة إلا وأتبع
له من اللهازم هادمه . وليعمل منار الشرع الشريف بإمضاء أحكامه ، ومعاضدة
حكاه ، والانتقياد إلى أوامره ، والوقوف مع موارد نهيه ومصادره ؛ ولتكن وطائته
على أهل العناد مشتته ، ومعرفته تضع الأشياء مواضعها : فلا تضع الحدة موضع
اللين ولا اللين موضع الحده ؛ وليعلم أنه وإن بعد عن أبوابنا العالية مخصوص منا

بمزية قُربِه ، مَخْصُصٌ بِمَنْزَلَةِ إِخْلَاصِهِ الَّتِي أَصْبَحَ فِيهَا عَلِيٌّ يَنْبَغُ مِنْ رَبِّهِ ؛ وَجَمِيعُ مَا يَذْكَرُ مِنَ الْوَصَايَا فَهُوَ مِمَّا يُحْكِي مِنْ صِفَاتِهِ الْحَسَنَةِ ، وَأَدْوَاتِهِ الَّتِي مَابَرِحَتْ الْأَفْلَامُ فِي وَصْفِ كِبَالِهَا فَصِيحَةَ الْأَلْسِنَةِ ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ وَهِيَ فِي خِصَائِصِهِ كَلِمَةٌ إِجْمَاعٌ ، وَحِلْيَةُ أَبْصَارٍ وَأَسْمَاعٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَلِّي قَدْرَهُ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيُؤَيِّدُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ



وهذه نسخة تقليد بتقدمة العسكر بغزة المحروسة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبْدِي النِّعَمِ وَمُعِيدِهَا ، وَمُؤَكِّدِ أَسْبَابِهَا بِتَجْدِيدِهَا ، وَمُعَلِّي أَقْدَارِهَا بِمَزَايَا مَزِيدِهَا ؛ الَّذِي زَيَّنَ أَعْنَاقَ الْمَمَالِكِ مِنَ السُّيُوفِ بِتَقْلِيدِهَا ، وَبَيَّنَّ مِنْ مِيَامِنِهِ مَا رُدَّتْ إِلَيْهِ بِمِقَالِيدِهَا .

نَحْمَدُهُ بِمُحَامِدِهِ الَّتِي تَفُوتُ الدَّرَارِيَّ فِي تَنْضِيدِهَا ، وَتَفُوقُ الدَّرَّ فَيَتَمَنَّى مِنْهُ عِقْدًا فَرِيدِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَافِعَةً لَشَهِيدِهَا ، جَامِعَةً لِتَوْحِيدِهَا ، نَاقِعَةً لِأَهْلِ الْجُحُودِ مِمَّا يُورِدُ الْأَرْضَ بِالْدَّمَاءِ مِنْ وَرِيدِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَثُرَ الْأُمَمُ بِأَمَّتِهِ فِي عَدِيدِهَا ، وَظَاهَرَ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ بِمَنْ يُقُلُّ بِأَسْحَادِهَا ، فَيُرْسَلُ مِنْ أَسْنَتِهِ نُجُومًا رُجُومًا لِمُرِيدِهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً تَنْتَظِرُ بِتَأْيِيدِهَا ، وَسَلَامًا تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ عَوَائِدِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ أَنْ تَعُودَ بِإِحْسَانِهَا ، وَتَجُودَ بِثُبُوتِ كُلِّ قَدَمٍ فِي مَكَانِهَا ؛ وَإِذَا وَلَّتْ عَرَفَ سَحَابِهَا عَنْ جِهَةِ عَادَتْ إِلَيْهَا ، أَوْ سَلَبَتْ لَهَا رَوْنَقًا أَعَادَتْ بِهَجَّتِهِ عَلَيْهَا ؛ وَكَانَتْ الْبِلَادُ الْغَزَاوِيَّةُ وَمَا مَعَهَا قَدْ تَمَتَّعَتْ مِنْ قَدَمَاءِ مَلُوكِ

(١) فِي الْأَصْلِ «مَمَالِكٌ» وَهُوَ لَا يَنْبَغُ الْمَقَامُ .

بيتنا الشريف بسيف مشهور، وبطل تشام بوارق عزيمه في الثغور؛ وهو الذي عم بصيبيه بلادها سهلاً وجبلاً، وعمر روضها بعدل أغناها أن يسقي ظلّ طلاً؛ وجمع أعمالها براً وبحراً، ومنع جانبيها شاماً ومصرأ؛ وألف أهلها منه سيرة لولا ما استأثرنا الله به من سره لما أفقدناهم في هذه المدة حلاوة مذاقها، وسريرة لا نرضى معها بكف الثريا إذا بسطت لأخذ ميثاقها؛ ولم نرفع يده إلا لأمر قضى الله به لأجل موقوت، ومضى منه ما يعلم أنه بمرجوعه القريب لا يقوت؛ لأن الشمس تعيب لتطلع بضوء جديد، والسيف يغمد ثم ينتضى فيقتد القد والحيد؛ والعيون تسهد ثم يعاودها الرقاد، والماء لو لم يفقد في وقت لما وجد لموقعه برد على الأجداد.

فلما بلغ الكتاب أجله، وأخذ حقه من المسألة؛ وانتقل من كان قد استقر فيها إلى جوار ربّه الكريم، وفارق الدنيا وهو على طاعتنا مقيم - اقتضت آراؤنا الشريفة أن يراجع هذه العقيلة كفؤها القديم، وترجع هذه الأرض المقدسة إلى من فارقتها وما عهدّه بدميم؛ من لم تزل به عقائل المعاقل أضنان، وخُصُور الحُصون بحائل سيوفه تزان، ومباسم الثغور تُحى في كل ناحية من أسنته بلسان؛ وحمى الثغرين وما بينهما من الفجاج، وجاور البحرين فمنع جانبيهما: فهذا عذب فرات وهذا ملح أجاج؛ وله في العدا وقائع زلزلت لمواقعها الألوف، ومواقف لولا ما نعتت فيها من غريان البين لطال على الديار الوقوف؛ وهو الذي مدحت له في بيتنا المنصور المنصوري من الخدمة سوابق، وحمدت طرائق؛ وكثرت محاسن، وكبرت ميامن؛ ولعت كواكب، وهمعت سحاب؛ وصدحت حمام، وقجحت كائيم؛ وعزت جيوشنا المؤيدة له بمضارب، وهزت سيوفاً حدادا وهو بالسيف ضارب.

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته - هو الذى حُمدت له آثار، وحسنت أخبار، وعمت مدح، وتمت منح؛ فرسمنا بإقراره من هذا المنصب الشريف^(١) فى محله، وإعادته إلى صيب وبه، وإقامة أهلها مطمئنين فى عدله، وإقرار عيون من أدرك زمانه بعوده ومن لم يدرك زمانه بما سيروته من فضله.

فرسم بالأمر الشريف - لازالت ملايس نعمه، تُخج وتلبس برودها، وعرايس كرمه، تُفارق ثم تراجع غيدها - أن تفوض إليه أمور غرة المحروسة وأعمالها وبلادها، والتقدمة على عساكرها وأجنادها، والحكم فى جميع ما هو مضاف إليها من سهل ووعر، وبر وبحر، وسواحل وموانى، وبحرى خيول وشوانى؛ ومن فيها من أهل عمد، ورعايا وتجار وأعيان فى بلد؛ ومن يتعلق فيها بأسباب، ويعد فى صف كتيبة وكتاب؛ على عادة من تقدم فى ذلك، وعلى ما كان عليه من المسالك.

وستخصر له الوصايا لأنه بها بصير، وقد تقدم لها على مسامحة تكرير، ورأس الأمور التقوى وهو بها جدير، وتأييد الشرع الشريف فإنه على هدى وكتاب منير، والأطلاع على الاحوال ولا ينبئك مثل خير.

والعدل فهو العروة الوثقى، والإنصاف حتى لا يجد مستحقا، والعفاف فإن التطلع لما فى أيدى الناس لا يزيد رزقا، والاتصاف بالذكر الجميل هو الذى يبقى؛ وعرض العسكر المنصور ومن يضم إليه من عربه وتُرُكَّانه وأكراده، وكل مكبر فى بحافله ومكتر لسواده؛ وأخذهم بالتأهب فى كل حركة وسكون، والتيقظ بهم لكل سيف مشحود وفلك مشحون؛ والاحتراز من قبل البر والبحر، وإقامة كل يرك فى موضعه كالقلادة فى النحر؛ ولا يعين إقطاعا إلا لمن يقطع باستحقاقه،

(١) فى الأصل «من إقراره» وهو تصحيف إلا أن يكون الأصل فرسمنا فرسمنا من الخ.

وَيَقْمَعُ الْعِدَا بِمَا يَعْرِفُ فِي صَفَحَاتِ الصَّفَاحِ مِنْ أَخْلَاقِهِ ، وَلَا يُجِلُّ الْمُبَاشِرِينَ
 مِنْ عَنَايَةٍ تَمُدُّ إِلَيْهِمْ سَاعِدَ الْمُسَاعَدَةِ ، فَلَا يُجِلُّوْا فِي الْبِلَادِ بِعَمَارَةٍ تَعُدُّوْا فِي حَلَالِهَا مَا نَدَّهُ ؛
 وَلِيَحْفَظَ الطَّرِيقَاتِ حَفْظًا تَكُونُ بِهِ مَمْنُوعَةً ، وَيُمْسِكُ الْمَسَالِكَ فَإِنَّهُ فِي مَفْرَقِ طَرَفَاتِهَا
 الْجَمُوعَةَ ، وَلِيَقْدِمَ مِهْمَاتِ الْبَرِيدِ وَمَا يَنْطِقُ عَلَى جَنَاحِ الْحَمَامِ ، وَلِيَتَّخِذَهُمَا نَصَبَ
 عَيْنِيهِ فِي الْيَقْظَةِ وَالْمَنَامِ ، فَرُبَّ غَفْلَةٍ لَا يَسْتَدْرِكُ فَإِنَّهَا رَكُضٌ ، وَرِسَالَةٌ لَا يَبْلُغُهَا
 إِلَّا رَسُولٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَنْخُرِيْسِيحٌ فِي الْأَرْضِ ؛ وَيُرْصِدُ مَا تَرِدُ بِهِ مَرَاثِمُنَا الْعَالِيَةَ
 لِيَسَارِعَ إِلَيْهِ مُنْتَمِلًا ، وَيَطَالِعُنَا بِمَا يَتَجَدَّدُ عِنْدَهُ حَتَّى يَكُونَ لَدَيْنَا مُمَثِّلًا ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ
 وَأَقْفٌ مِنْ بَابِنَا الشَّرِيفِ بِالْمَجَازِ ، وَقُدَّامَ عَيْنِينَا حَقِيقَةً وَإِنْ قِيلَ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ ؛
 فَلْيُؤَاخِذْ نَفْسَهُ مَوْأخِذَةً مِنْ هَوْبَيْنِ يَدِينَا ، وَيَعْمَلْ بِمَا يَسْرُهُ أَنْ يَقْدِمَ فِيمَا يُعْرَضُ
 مِنْ أَعْمَالِهِ عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ حُطُورَةَ لَدِينَا ، وَيُوَيِّدُ بِهِ الْإِسْلَامَ حَتَّى لَا يَدَعَ
 عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ لِلدِّينِ دَيْنًا ، وَالْأَعْتَادَ

• الصنف الثاني

(الوظائف الديوانية بغزة)

وبها ثلاث وظائف : يُكْتَبُ لِكُلِّ مِنْهَا فِي قِطْعِ الْعَادَةِ بِ«السامى» بغير ياء .
 وهى : كِتَابَةُ الدَّرَجِ الْقَائِمَةِ مَقَامَ كِتَابَةِ السَّرِّ ، وَنَظَرُ الْمَالِ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ . قَالَ
 فِي «التثقيف» : «أما قاضيها ومحتسبها ووكيل بيت المال بها ، فإنهم نواب عن
 أرباب هذه الوظائف بالشام ، فلا يكتب لأحد منهم شئ عن المواقف الشريفة .
 قلت : وما ذكره بناء على أنها تقدمه عسكر . أما إذا كانت نياية فإن هذه
 الوظائف يكتب بها عن الأبواب السلطانية . وقد يكتب حينئذ بوكالة بيت

المال والحسبة عن النائب ، ويكون ذلك جميعه في قطع العادة ، مفتتحاً بـ«أماً بعد» في المنصوري ، أو بـ«رُسم» في الصَّغير، على حَسَب ما يقتضيه الحال .
على أنه قد حدث بها في الدولة الظاهرية قاض حَفَنِيُّ يَكْتَبُ له من الأبواب السلطانية .

النيابة السابعة

(نيابة الكرك . وأرباب الولايات بها من الأبواب السلطانية على أصناف)

الصنف الأول

(أربابُ السيف)

وليس بها منهم غير نائب السلطنة ، ويكتب له تقليد في قطع الثلاثين بـ«المجلس العالي» .

وهذه نسخة تقليد نيابة السلطنة بالكرك ، كتب به للأmir «سيف الدين ايتمش» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي خصَّ بعزائِمنا معاقِلَ الإسلام وحُصُونَه ، وبصَرنا باختيار من نَرَبُه
في كلِّ مَعْقِلٍ منها من أجدادِ الأَمراءِ ليحفظَه ويصُونَه ، وجعلها بعنايتنا روضاً تجتلي
أبصارُ الأولياءِ من بيضِ صفاحنا نُورَه وتجتني من سُمرِ رماحنا غُصُونَه ، وعوَدَها
من آياتِ الحرسِ بما لا تزالُ حُماتها وكُتُباها يروونَ خبره عن سَيْفنا المتَّضِي الحفظها
ويُقْصُونَه .

نحمدُه على نِعَمه التي أعلتْ بنا بناءَ الممالك ، وحاطتْنا من نبلِ مهاجرتنا ، بما لو تَسَلَّاتْ
بينه الأوهامُ ضاقتْ بها المسالكُ ، وصفَحَتْنا من صفاحِ عنايتنا ، بما يحولُ برُوقه

بينها وبين ما يستر طيف العدا من الظلام الحالك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من أوى إلى حرم إخلاصها ، وتنجي غداً من غداً من أهل تقريبها واختصاصها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أضاءت ملته ، فلم تحف على ذى بصر ، وعلت شرعته ، فغدا باع كل ذى باع عن معارضتها ذا قصر ، وسمت أمته ، فلو جالدها معاد أوبقه الحضر أو جادلها مناو أوثقه الحضر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانت معاقبتهم صهوات جيادهم ، وحضونهم عرصات جلادهم ، وخيأهم ظلال سيوفهم وظلالهم أفياء سعادهم ؛ صلاة لا يزال الإخلاص لها مقياً ، والإيمان لها مديماً ؛ وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى الحصون الإسلامية بأن تحوط عنايتنا أركانها ، وتعاهد رعايتنا مكانه ؛ وتلاحظ مهابتنا أحواله فتخليها ، وتشاهد أوامرنا قواعده فتشيدها بجيمل النظر وتعليها ؛ وتحول سطواتنا بين آمال الأعداء وتوهمه ، وتوجب مخافة بأسنا أفكار أهل العناد عن تأمل ما فى الضمير وتوشمه - حصن انعقد الإجماع على انقطاع قرينه ، وأمتناع نظيره فيما خصه الله به من تحصينه ؛ فهو فرد الدهر العزيز مثاله ، البعيد مثاله ؛ المستكنة فى ضمائر الأودية الغوامض بقعته ، المستجنة بقلل الجبال الشواهد بقعته ، السائر فى أقطار الأرض صيته وسمعته .

ولما كانت قلعة الكرك المحروسة هى هذه العقيلة التى تم ردت آمال المملوك راعمه ، ومنعت أهواء النفوس أن تمثلها فى الكرى الأجفان الحالمه ؛ وكان فلان ممن ينهض مثله بحفظ مثلها ، ويعلم أن أمانتها التى لا تحملها الجبال قد أودعت منه إلى كفتها ووضعت كفايتها فى أهلها ؛ فهو سيفنا الذى يحوطها ذبابه ، وولينا الذى من طمح بصره إلى أفق حله أحرقه شهابه ؛ ونشو إيماننا التى تشئ كل لىث يقنص

الظفر ظفُرُهُ وَيَنْبُو بِالسِّيَوفِ نَابُهُ ، وَغَدَى دَوْلَتِنَا الَّذِي مَا اعْتَمَدْنَا فِيهِ عَلَى أَمْرٍ إِلَّا كَرُمَ بِهِ نَهْوُضُهُ وَحَسُنَ فِيهِ مَنَابُهُ - أَقْتَضَتْ آرَأُونَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تُحْصَّهَا بِمَهَابَةِ سَيْفِهِ ، وَتُحْصَّنَهَا بِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ فِي الْحَقِّ تَكْفُّ كُلِّ بَاغٍ عَنْ حَيْفِهِ .

فلذلك رُسم بالأمر الشَّريف - لازالت الحصون المصونة تُختال من ملكه في أهبى الخلل ، وتعلو معاقل الكُفر بسلطانهِ علو ملة الإسلام على الملل - أن نفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس تفويضاً يعلي قدره ، ويطلع في أفقها بداره ؛ ويطلق في مصالحها سيفه بالحق وقلمه ، ويمضي في حمايتها أفعاله وكلمه ، ويسدد في أمورها آراءه المقرونة بالصواب وهممه .

فليباشر هذه الرتبة العلية صورة ومعنى ، الملية إذا طاولت الكواكب بأن لا يعلم لها أسمى^(١) وأسنى ؛ وليجتهد في مصالحها آجتهداً يوالى له من سُكرنا المنح ، ويأتي فيه من مواضينا بالعرض المقترح ؛ ويزيدها إلى حصانتها حصانه وقوه ، ويزينها بسياسته التي تعدو قلوب أهل العناد بخافتها مغزوه . ولينظر في مصالح رجالها فيكون لحمايتهم مقدما ، ولتقدمهم مكرما ؛ ولأعذارهم مزيجا ، ولخواطيرهم بتيسير مقرراتهم مريجا . وليكن لمنار الشرع الشريف معظما ، ولأحكامه في كل عقد مُحكما ؛ ولما قرب وبعد من بلاد نيابته عامرا ، ولأكف الجور عن الرعية كافا : فلا يبرح عن الظلم ناهيا وبالعدل أمرا ؛ وملاك الوصايا تقوى الله فليجعلها حلية نفسه ، ونجى أنسه ، ووظيفة آجتهد التي تظهر بها مزية يومه على أمسه ؛ والله تعالى يسدده في أحواله ، ويعضده في أفعاله وأقواله ؛ بمنه وكرمه ! .

(١) لعله «بأن لا يعلم أسمى منها وأسنى» .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك ، كتب به للأ مير «تلكتمر الناصري»
 عند ما كان المقر الشهابي أحمد ولد السلطان الملك الناصر بالكرك ، وهو :

الحمد لله الذي جعل بنا الممالك محصنة الحصون ، محمية بكل سيف يقطر من
 حده المنون ، ممنة لا تتخطى إليها الظنون ، محجبة لا تراها من النجوم عيون ؛ رافلة
 من الكواكب في عقد ثمين ، مينة أشبهت السماء وأشبهت بها فأصبحت هذه
 البروج من هذه لا تبين .

نحمده على نعمة التي رفعت الأقدار ، وشرفت المقدار ، وحلت في ممالك الشريفة
 كل عقيلة ما كان معصمها المتمد إلى الهلال ليترك بغير سوار ؛ ونشهد أن لا إله
 إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفعت للحصون العالية رتبا ، ومليت بها سماؤها
 حرسا وشهبا ، وأعلت مكانها فاقتبست من البرق نارا ووردت من السحاب قلبا ؛
 ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من بعث ولاة على الأمصار ، وكفاة على
 الأقطار ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما صدحت الحمايم ، وسفحت الغائم ؛
 وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن خير من حُييت به الممالك ، وحُدثت - والله المنة - منه المسالك ،
 وأرتقت هممه إلى الشمس والقمر والنجوم وما أشبه ذلك ، من حصل الوثوق به
 في أشرف مملكة لدينا ، وأفضل ما يعرض في دولتنا الشريفة من أعمالها الصالحة
 علينا : وهي التي قعدت من الجبال على مفارقيها ، وأتصلت من النجوم بعلائقها ؛
 وتحدرت الغائم من ذيولها ، وطففت على السماء وطافت على الكواكب فحرت المجرة

من سيولها . وكان الكرك المحروس هو المراد، ومدينته التي لم يخلق مثلها في البلاد، وقاعته نشكى الرياح لها طلوع واد ونزول واد؛ وهي أرض تمت بأنها لنا سكن، وتمت مناقبها بما في قلوبنا من حب الوطن؛ واستقرت للقمامات العالية أولادنا - أعزهم الله بنصره - فانتقلت من يمين إلى يسار، وتقابلت بين شموش وأقمار، وجاد بها البحر على الأنهار .

فلما حلت نيابة السلطنة المعظمة بها عرضنا على آرائنا الشريفة من تظمن به القلوب، ويحصل المطلوب، وتجري الأمور به على الحسنى فيما ينوب؛ وتبارى عزائم الرياح بمرمي كل مقلة وهزة جيد، ولا يسك في أنه كفؤ هذه العقيله، وكافي هذه الكفالة التي ماهى عند الله ولا عندنا قلبه، وكافل هذه المملكة التي تم بها بنية أحسن من بنية وخيلة أحسن من خيله؛ من كان من أبوانا العالية مطلع، وبين أيدينا الشريفة لا يجهل موضعه؛ طالما تكلمت به الصفوف، وتجملت به الوقوف، وحسن كل موصوف، ولم تخف محاسنه التي هو بها معروف؛ كم له شيمه عليه، وهمة جليه، وتقدمت إقدام بكل نهاية غاية مليه، وعزائم لها بنعته مضاء السيف وباسمه قوة الحديد وهي بالنسبة إليه ملكيه؛ وكان المجلس العالى - أدام الله نعمته - هو لابس هذه البرود التي رقت، والعقود التي نظمت، وجامع هذه الدرر التي قُسمت، والدرارى التي سمت إلى السماء لما وُسمت؛ وهو من الملائك في الوقار، وله حكم كالماس وبأس يقطع الأحجار، وهو ملك نصفه الآخر من حديد كما أن لله ملائكة نصفهم من النّاج ونصفهم من نار؛ وهو الذى اقتضت آراؤنا الشريفة أن نجعله في خدمة ولدنا - أمتعه الله ببقائنا - نائباً بها، وقائماً بحسن منابها؛ والمتصرف فيها بين أيديه الكريمه، والمتلقى دونه لأمرها التي قلدنا بها عنقه أمانة عظيمة .

فلذلك نرح الأمر الشريف - لا زال به سيف الدين ماضيا ، ولا برح كل واحد بحكم سيفه في كل تجريد وقلمه في كل تقليد راضيا - أن تقوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس وما معه على عادة من تقدمه فيها ، وقاعدته التي يتكفل لها بالإحسان وبكف العُدوان ويكفيها ؛ وكل ما فيها من أمر فهو به منوط ، وكل عمل لها به محوط ، وحكمه في مصالحن الشريفة في جميع بلادها مبسوط ، وله تطالع الأمور ومنه تصدر المطالعة ؛ وبه تُزال كل ظلامه ، وتُراح كل ملامه ؛ ويُؤيد الشرع الشريف ويُؤبد حكمه ، وينشر علمه وينشر علمه ؛ وتقام الحدود بحمده ، والمهابة بحمده . ورجال هذه القلعة به تتألف على طاعتنا الشريفة قلوبهم ، والرعيا يعمهم بالعدل والإحسان وأيسر ما عندنا مطلوبهم ؛ وهؤلاء هم شيعتنا قبلك ، ورعيتنا الذين هم لنا ولك ؛ فرفرف عليهم بجناحك ، وخذهم بساحك ؛ والمسارعة إلى آمتال مراسمتنا الشريفة هي أول ما نوصيك باعتماده ، وأولى ما يقبس من نوره ويُستمد من أمداه ؛ فلا تقدم شيئا على الانتهاء إلى أمره المطاع ، والعمل في السمع والطاعة باكره ما يمكن أن يستطاع ؛ وخدمة أولادنا فلا تدع فيها مُمكنا ، وأعلم بأن خدمتهم وخدمتنا الشريفة سواء لأنه لا فرق بينهم وبيننا ؛ وهذه القلعة هي التي أودعناها في يمين أمانتك ، وحميناها بسيفك وصنأنا بصيانتك ؛ فالله الله ! في هذه الوديعه ، وأد الأمانة فإنها نعمت الذريعة ؛ وأحفظها بقوة الله وتحفظ بأسوارها المنيعه ، وعليك بالتقوى لتقوى والوقوف عند الشريعة ؛ والله تعالى يزيدك علوا ، ويبلغك مرجوا ؛ والاعتماد

قلت : وربما ولي نيابة الكرك من هو جليل الرتبة رفيع القدر ، من أولاد السلطان أو غيرهم ، فتعظم النيابة بعظمه ، ويرفع قدرها بارتفاع قدره ، وتكون مكاتبته وتقليده فوق ما تقدم ، بحسب ما يقتضيه الحال من «الجناب» أو غيره .

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك، كُتِبَ بها عن السلطان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» لولده الملك الناصر «أحمد» قبل سُلْطَنَتِهِ ، وكتب له فيه بـ«الجناب العالی»، من إنشاء الشريف شهاب الدین، وهی :

الحمد لله الذي أسعدنا بولاية الملك والمالك، وأرشدنا للرأي المصيب في أن نستنيب من نشاء من ذلك ؛ وأيدنا بالعون والصون في حفظ ما هنا ولحظ ما هناك، وعودنا الإمداد بيمينه المتداول والإيجاد بمنه المتدارك ؛ وسدنا بالفضل والإسعاف إلى أن نتبع من العدل والإنصاف أنجح السبل وأوضح المسالك، وعصدا من دريتنا بكل نجل معرق، ونجم مشرق، يرشق شهابه، في الكرب الحال ويأتق صوابه، في الخطب الحالك ؛ وأفردنا بالنظر الجميل، والفكر الجليل، إلى أسعد تحويل تير بمراته في الآفاق الشهب الطوالع وتسير بشره في الأقطار العجب الرواتك .^(١)

نحمده ! وكيف لا يحمده العبد المالك ! ، ونشكره على أن أهلنا لإقامة الشعاع وإدامة المناسك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل في جبروته، عن مشايه وتعالى في ملكوته، عن مشارك ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أنجد جنوده من الملا الأعلى بالملائك ، وأمد بعوته بالنصر والظفر في جميع المواقف والمعارك ؛ وأيد أمته بولاية ملوك يجلسون في النعم على الأرائك، ويخرسون حمى الدين بجهادهم وأجتهادهم من كل فاتن وفاتك ؛ صلى الله عليه وعلى آله سفن النجاة المؤمنین من المخاوف والمتقدين من المهالك ، ورضى الله عن أصحابه الذين نظموا شمل الإيمان، وهزموا جمع البهتان، بكل باتر وفاتك ؛ صلاة ورضوانا يضحى لقاتلها

(١) أى القريات الخطا .

في اليوم العَبُوسِ وَوَجْهَ الطَّائِقِ وَالثَّغْرَ الضَّاحِكِ ، وَيُنْشَرُ فَيُحْشَرُ مَعَ النَّيِّينِ وَالصَّادِقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ ، مَا أَبْتَهَلَ بِصَالِحِ الدُّعَاءِ ، وَنَاجِحِ الْإِسْتِدْعَاءِ ،
لَا يَأْمَنُ كُلُّ عَائِدٍ وَنَاسِكٍ ، وَعَوْنُ حُسْنِ آرَائِنَا عَلَى تَقْدِيمِ مَنْ هُوَ لِحَمِيلِ آثَارِنَا سَالِكٌ ،
وَأَقْبَلُ بِالْإِقْبَالِ سَنًا شِهَابِهِ الْمُنِيرِ يَجْلُو مَا تُثِيرُ مِنْ لَيْلِ نَقْعِهَا السَّنَابِكُ ، فَخِصْلُ لِلدَّرَكِ
وَالشُّوَبِكِ بِهَذَا التُّدُومِ نَخَارَ مَسِيرِكَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النُّجُومِ الشُّوَابِكِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى آثَرْنَا بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ ، وَيَسَّرْنَا مِنَ الْهُدَى إِلَى أَقْوَمِ طَرِيقٍ ؛
وَوَهَبْنَا فِي الْمَلِكِ النَّسَبَ الْعَلِيَّ الْعَرِيقَ ، وَالْحِسْبَ الَّذِي هُوَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّحْكِيمِ حَقِيقٌ ؛
وَقَدَدْنَا مِنْ عَهْدِ بَيْعَةِ السُّلْطَنَةِ الْمَلْحَمَةِ فِي الْآفَاقِ تَطْرِيقَ ، وَلِعَقْدِهِ فِي الْأَعْنَاقِ تَطْوِيقَ ؛
فَفَيَّأْنَا مِنْ شَجَرَةِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ النَّاصِرِيِّ الْمَنْصُورِيِّ كُلِّ غُصْنٍ وَرَيْقٍ ، وَهَيَّا
لِلْبَرِيَّةِ تَكْرِيمًا عَمِيمًا بِتَقْدِيمِ مَنْ لَهُ الْمَجْدُ يَتَعَيَّنُ وَبِهِ السُّؤُدُ يُبْلَقُ ؛ وَأَطْلَعَ فِي أَفْقِ أَعْرَ
الْمَمَالِكِ عَلَيْنَا مِنْ بَيْتِنَا شِهَابَ عَلًّا هُوَ لِلبَدْرِ فِي الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ شَيْبُهُ وَشَقِيقُ ، وَأَطْعَمْنَا
أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَعَامَلَةِ الْوَالِدِ الْبَارِ مَعَامَلَةَ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ ؛ وَأَوْدَعْنَا لَدَيْهِ مَا أَوْدَعَهُ
اللَّهُ تَعَالَى لَدَيْنَا : مَمْلَكَةً مَرْتَفَعَةً مَتَسَعَةً لِيَرْتَفِعَ مَحَلُّهُ وَيَتَسَّعَ أَمَلُهُ وَلَا يَضِيقَ ، وَجَمَعْنَا
لَهُ أَطْرَافَهَا لِتَكُونَ لِكَلِمَتِهِ الْعُلْيَا بِهَا الْاجْتِمَاعُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقِ .

وَمَا كَانَ الْجَنَابَ الْعَالِيَّ ، الْوَالِدِيَّ ، الشَّهَابِيَّ ، سَائِلَ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، حَلِيلِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : هُوَ الَّذِي تُشِيرُ رَبُّتُ الْكِفَالَةِ بِرَقِيهِ ، وَتَقَرَّرُ عِيُونُ الْأَوْلِيَاءِ بِتَعَيْنِهِ لِإِلْقَاءِ
أَمْرِنَا الْمَطَاعِ وَتَلَقِّيهِ ؛ وَتَلْهَجُ الْأَلْسِنَةُ ضَارِعَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُخَلِّدَ مُلْكَ بَيْتِهِ
الشَّرِيفِ وَيُثَبِّتَهُ ، وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَوَاتِ دَعَوَاتُ الْأَتْقِيَاءِ أَنْ يُوقِيَهُ اللَّهُ مَا يَتَّقِيهِ ؛
وَعَمْسُكَ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِسَانَ الْمَقَامِ عَنْ مَدْحِهِ أَدْبًا ، وَتَرْكُ الْإِفْتِخَارِ بِالْمَالِ
وَالْعَدِيدِ إِثَارًا لِثَوَابِ اللَّهِ وَطَلَبًا ؛ وَتُدْرِكُ مَوْعِظَةَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ قَصْدًا وَأَرْبَابًا :

(١) ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عِقَابًا﴾ . و بركة هذا القصد يتم لنا فيه المراد، ويعم هذه المملكة النفع بهذا الأفراد؛ فإنها معهد النصر والفتح، ومشهد الوفر والمنح، ومصد العز الذي لما وطننا صرحه تدككك للعدا كل صرح، وتملك للهدى كل سرح؛ وتسقنا بها لقرب المزار من طيب طيبة أعظم نفع، وقد بقينا بجاه الحال بها في تيسير التأيد فكان كاللح؛ وجرى خلفنا السمح بعد ذلك على عادته في الحكم والصفح، وسرى ذكرنا في الشرق والغرب وللخداة به أطرب صدح، وآتى الله من فضله ملكنا نعمًا نجل عن العد والشرح؛ فيها منشأ دولة الدول ومنها فتح الفتوح، وبإضافته إلينا تفاؤل خير مشهور مأموح؛ كما قيل قبلها كرك نوح، فبتطهير الأرض من الكفار، عزائمنا تغدو وتروح، وبالاستناد بأطول الأعمار، أماراة بادية الوضوح؛ وآثار بركة الأسم الشريف المحمدي تظهر علينا في الحركات والسككات وتلوح، ونخار هذه المملكة المباركة: لأختصاصها بالحرمين الشريفين عليها طلاوة وسعادة وفيها روح؛ وكنا قد سلكنا بهذا الولد النبيل، سنة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل، في ولده إسماعيل، عليهما السلام التام في كل بكرة وأصيل؛ حيث فارقه وأفرده، وتفقدته في كل حين وتعهدته؛ حتى شد الله تعالى به عضده ورفع هو وأبوه قواعد البيت وأعانه لما شيدته، فأجمل الله لنا هذا القصد وأحمده، ومجل هذا الشروع وأسعده؛ وأجزل [له] من فوائده وأفرهية وأنجزله من عوائده أصدق عده؛ فأحللناه في هذه المدّة بمملكة الكرك فسلك من حسن السجايا أحسن مسلك، وملك قلوب الرعايا وبما وهب من المنح تملك؛ وبسنتنا في التواضع للحق مع الخلق تمسك، وبشيمنا وخلقنا في الجود تحلق فبدل وما أمسك .

(١) التلاوة «وخير أملا» أما وخير عقبا فهو في آية قبلها .

ولما بلغ أشده وأستوى، وبرزغ شهاب علاه الذى هو وبدر الساء سوا؛ وحاز
مكارم الأخلاق وحوى، وفاز سلطاننا فى نجاته بحسن النية: "وإنما ليكل أمرئ
ما نوى" - حكمانه فى هذه النيابة التى ألفتها ودرّجها، وعرف أمورها وجرّجها،
وآستمال خواطر أهلها وآستجلبها، وأدنى لهم لما دنا منهم الميامن ولما قرّجها
منهم قرّجها، وآستحقّ كفاتمها وآستوججها، وأظهر الله تعالى فيه من الشائل أنججها،
ومن الخلائق أرحبها، ومن الأعراق أطيبها، ومن العوارف أنسبها، ومن العواطف
أقربها، ومن البسالة أرففها وأرهبها، ومن الجلالة أحبها إلى القلوب وأعجبها، ومن
السيادة ما أخذت نفسه لها أهبها، ومن الزيادة ما يتعين [له] شكر الله الواهب الذى
وهبها، ومن السعادة ما رفعت الأقدار على مناكب الكواكب رتبها، وأطلعت
لجئاته سماء العلاء شهبها، ورقّت على هامة الجوزاء منصبها، وآستصحبت من العناية
لهذا البيت مزينة فرض الله بها له الطاعة وكتبها؛ فاستخرنا الله تعالى الذى يختار لنا
ويخير، وسألناه التأييد والتيسير؛ وفوضنا إليه وهو الكفيل لنا بالتدبير، فى كل مبدئ
ومصير، واستعنا به وهو نعم النصير، وأقتضى حسن الرأى الشريف أن نُسرح
شهابه المنير، ونُدجج للأولياء بمن التأثيل بحسن هذا التأثير، ونُهبج فى بره سبلا
تقدّمتنا إليها كل ذى منبر وسرير، ونُثلج الصدور ونُقرّ العيون بسعيد هذا الإصدار
وحميد هذا التقرير.

فذلك رسم بالأمر الشريف - لا برح أمره يصيب السداد فيما إليه يصير،
وخبره يحمل الموافاة فلا لئسنة عن مكافأة بره تقصير - أن تفوض نيابة السلطنة
الشريفة بالكرّك المحروس والشوبك للجناب العالى، الولدى، الشهابى، وما ينضم
إلى ذلك وينضاف، من جميع الأقطار والأكفاف؛ وجمعنا له من هذه المملكة
الأطراف، وجعلنا له على سهلها وجببها إشراف، وصرفناه منها فيما هو عن علمه

الكريم غيرُ خافٍ ؛ نيابةً كاملةً ، كافلةً شاملةً ؛ عامه ، تامه ؛ وافره ، سافره ؛ يستلزم طاعته فيها الافتراض ، ونحسم عنه فيها موادَّ الاعتراض ، وتتقدُّ مراسمه من غير توقُّفٍ ولا انتقاض ، وتبسطُ يده البيضاء من غير انقباض ، ويرتفع رأيه من غير انخفاض .

فلتقدر رعيةً هذه البلاد نعمةً هذا التفويض قدرها ، وليسألوا الله أن يوزعهم لحسن هذا التفويض شكرها ؛ فقد أنشأ لهم يسرها ، وأفاء لهم برها ؛ وألقى إليهم جودها وخيرها ، وأبقى عندهم عزها ونصرها . ولتبتعوا السبيل القويم ، وليجمعوا على الطاعة التي تبتغي عليهم نعمة العافية وتديم ؛ ولتسمعوا ويطيعوا لما يرد إليهم من المراسيم ، فمن لم يستقم كما أمر لا يستمر بهذه البلاد ولا يقيم ؛ والعاقل لنفسه خصيم ، والجاهل من عدم النعمة وحرم النعيم ؛ وفراستنا تلمح نتائج الخير من هذا التقديم ، وسياستنا تصلح ما قرب منا وما بعد بتعريف أحكام التحكيم ؛ وكيف لا ؟ وهو الكريم بن الكريم بن الكريم ، المؤمل لتمام السؤدد قبل أن يُعقد عليه التميم ؛ المشتمل على الخلال الموجبة له الفضل العميم ، المتوصل بمن حركاته إلى أن يكون مثل هذا الملك العظيم ؛ وإلى أمانته استيداعٌ وإلى صيافته تسليم ، المقبل وجهدنا الإقبال فتتلو الرجال : ﴿ ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملكٌ كريم ﴾ .

ونحن نأمرك من التقوى بما به من الله أمرنا ، ونبصرك من الهدى بما له هدينا وبصرنا ، ونبني لديك من بدائعها ما به خصاصنا وأثرنا ؛ ونوصيك أتباعًا للكتاب والسنة ، ونؤتيك من الهداية ما لله في الإرشاد إليه المنه : فقد وعظ ووصى لقمان - عليه السلام - أبنه ، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن فحقق الله تعالى في نجاحه رجاءه وفي فلاحه ظنه ؛ ونذكر جنابك ، ونرجو أن

تكون ممن تنفعه الذكرى، وتسير شهابك، إلى أفق السعد وتأمل أن تيسر لليسرى،
وتؤمرك فتزيد علم عزك رفعا ولواء مجديك نشرا، وتأمرك ثقة بحسن أخلاقك،
فيتلو لسان وفاك : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ . فمثلك
من أيدته العزم، وأصعدته الهمم، وحمدته الأمم، وأرشدته إلى الحكم ما عهدته
فكرته من الحكم، وسدته أعراقه وأخلاقه فلا يزداد على ما فيه من كرم؛ فلا تذكرك
منك ناسيا، ولا تفكر لأهيا، ولا تأمر وتنهى إلا من لم يزل بالمعروف أمرا وعن
المنكر ناهيا .

فأتق الله تعالى : فعلى التقوى مرباك، وراقب الله تعالى : فالمرقبة للملك من
بيتك ملاك، وجد في نصرة الحق ولا تأب : فقد أنجد الله تعالى بذلك جدك وأباك،
وأعدل فبالعدل تعمم الدول وأقم منار الشرع، فهو الأصل الذي يرد إليه من القضايا
كل فرع، ومجاله الرحب إذا ضاق الدرع، فأيد حاكمه، وشيّد معالمه؛ وأكد
الإلزام بأحكامه الألازمه .

والأمراء والجند فهم جناح النجاج، وصفاح الصفاح؛ فاعتمد أحوالهم بالصلاح،
وأرد فيهم ما استطعت الإصلاح . والخيالة والرجالة الذين يُحجى بهم مصون الحصون
أن يستباح، فالخط أمورهم بعين فكرك في كل مساء وصباح، فمن نهض في الخدمة
تعين من النعمة أن يزداد ومن قصر في العزم قضى الخزم أن يراح . والرعايا فهم
للإحسان ودائع، وللأمتين صنائع؛ فأعذب لهم من المعدلة المشاريع، وأنصب
لهم من إقامة الحرمة الزواجر والروادع؛ وأخصب لهم من النعمة مربعا يرغب الحاج
ويقرب الطائع . وأهل الذمة فأوهم إلى كنف العدل الواسع، وأحهم أن تمتد
إلى أنفسهم يد جان وإلى أموالهم يد طامع، وأقم عليهم بأسا يحل بهم إذا اعتدوا

القَوَاصِمَ وَالقَوَارِعَ ، وَأَدِيمَ لَهُمْ مَهَابَةَ تُسَدُّ مِنْ فِسَادِ الذَّرَائِعِ ، وَعَاوِدَ آرَاءَنَا الشَّرِيفَةَ
وَرَاجِعَ ، وَوَاصِلَ بَأَنْبَائِكَ السَّارَةَ وَأَفْعَالَكَ الْبَارَّةَ وَتَابِعَ ، وَبِمَا نَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ خَوَاطِرُنَا
العَاطِفَةَ مِنْ مُتَجَدِّدَاتِكَ الْمُبَارَكَةِ أَتَمِّحِفَ وَطَالِعَ ؛ وَاللَّهِ تَعَالَى يَشْفَى بِحَسَنِ سِيرَتِكَ
المَسَامِعَ ، وَيَشْرَفُ بِمَجْلُودِ عَدْلِكَ المَحَافِلَ وَالمَجَامِعَ ، وَيُوزِعُكَ شُكْرَ نِعْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكَ
مِنْ عِصْمَتِهِ أَعْظَمَ وَازِعَ ، وَيَمْتَعِكَ بِأَيَّامِنَا الَّتِي فِيهَا الخَيْرُ الشَّامِلُ وَالبِرُّ الِجَامِعُ ،
وَيَصُونُ بِمَجْلَالِكَ الحُسْنَى مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ أَسْنَى الِوَدَائِعِ ، وَيُزِينُ سَمَاءَ العَلْيَاءِ
بِمَجْلَالِكَ فَمِنْهَا لَكَ قَمَرَاهَا وَالنَّجُومَ الطَّوَالِعَ ، وَيُوفِّقُ بِجَمِيلِ قِصْدِكَ إِلَى أَنْ تَأْخُذَ
مِنْ القَسْلُوبِ بِالمَجَامِعِ ، وَيَحْتَقِقُ فِي إِسْعَادِ جَنَابِكَ المَطَالِبَ وَيُشْرِقُ بِإِصْعَادِ شَهَابِكَ
المَطَالِعَ ؛ وَالعَلَامَةُ

الصنف الثاني — أرباب الوظائف الدينية . وبها قاض واحد شافعي ،
وتوقيعه في قطع الثلث بـ«السامي» بالياء .

الصنف الثالث — الوظائف الديوانية . وهي ثلاث وظائف ، يكتب لكل
منها توقيع في قطع العادة . الأولى كتابة الدرج . الثانية نظر المال . الثالثة
نظر الجيش .

القسم الثالث

(مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية -

ما يكتب لأرباب الوظائف بالملكة الحجازية)

وقد تقدم أنها تشمل على ثلاث قواعد :

(١) لعله «ما استحفظت» .

القاعدة الأولى

(مكة المشرفة ، وبها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

وقد تقدم أن إمارتها في بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وأنها كانت تُولى من أبواب الخلافة ببغداد إلى حين انقراضها ، إلا ما تغلب عليه الفاطميون أصحاب مصر في خلال ذلك . ثم استقرت آنحاً من جهة ملوك مصر إلى الآن . ويكتب له تقليد في قطع النصف بـ«المجلس العالى» بزيادة ألقاب تخصه ، وقد تقدمت ألقابه في أول هذا الطرف .

وهذه نسخة تقليد بإمرة مكة المشرفة : كتب بها عن الملك الناصر « محمد بن قلاوون » لأسد الدين « رميثة » بن أبي نُمي ، بإمرة مكة المشرفة ، عوضاً عن أخيه « عطيفة » عند قتل الأمير الدمرجان دار وولده خليل ، من إنشاء المولى تاج الدين ابن الباربارى رحمه الله ، في المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعائة ، وهى :

الحمد لله الحكيم : فالشريف من أتبع أوامره ، العظيم : فالسعيد من أتقى غضبه بأعماله الزاكية ونياته الطاهرة ، الكريم : فالقائم من سلك مراضيه في الدنيا ليأمن في الآخرة ؛ ومن أخاف عاكف حرم الله وبأديه فقد باء بالأفعال الخاسره ، ومن عظم شعائر الله فقد رقل في حلل الإقبال الفاجر .

نحمده على ألطافه الباطنة والظاهرة ، ونشكوه ونرجوه وما زال يُنجح راجيه ويزيد شاكوه ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من اتخذ الحق ناصره ،

وأودع إخلاصها ضمائرَه ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله من الحرم
فألف القلوب النافرة ، وفتح مكة فطهرها من الزمرة الكافرة ، وقال في ذلك اليوم :
« من أعلق عليه بابه فقد آمن » فأمسى أهلها ونفوسهم بالأمن ظافره ؛ صلى الله عليه
وعلى آله نبي الزهراء العترة الزاهرة ، وعلى صحبه النجوم السافره ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن الحكم [بالعدل] شعارنا ، وباللله اقتدأونا وأقترأنا ؛ وفي الإحسان
رغبنا ، وفي كل عنق متناً ؛ نصّح ونمّح ، وزعنا من أمسى قديم الهجرة في ولايتنا
وأصبح ؛ وقيم من أهل البيت لحفظ ذلك البيت الأصلح فالأصلح ، وتقدم من لم
يزل مقدماً وإلى صوب الصواب ينجح فينجح ، وتنجي من الهلكة من لاح له
منهج الخير فسلكه فأفلح .

وكانت مكة المعظمة هي أم القرى ، والبلد الامين المجل في القرى ؛ نشأ الإسلام
في بطحاءها ، وحرّمها الله فلا ينفر صيدها ، ولا يعضد شجرها ، ولا تحل لقطتها
إلا لمنشد تاكيداً لتشريفها وإعلائها ؛ وطلعت شمس النبوة من شعابها ، وغسلت
الذنوب بوبل سحابها ؛ فيها زمزم وكرة جبريل ، وفيها بدأ الوحي والتنزيل ، وإليها
أعنت الركاب ففي كل أبطح للطى مسير ومسيل ؛ فكم أتى إليها من سائر الناس
سائر ، وكم أتى إليها الناس رجالاً وعلى كل ضامر ؛ فالرحمة مستقرة بين نواحيها
والعيون تملئ بأنوار تلك الأستار حتى تجتليها ، والشفاة تتشرف بتقبيل ذلك الحجر
الذي يشهد لما في غد ويقيها ؛ فطوبى لمتقيها ، وسحقاً لمن أخاف وقد الله فيها ؛ ونحن
قد بصرنا الله بخدمة بيتها المحرم ، وحرّمها المعظم ، وكرّر إليها حجنا وكرّمه : فله الحمد
أن كرّر حجنا وكرّمه ؛ وما برحنا نقيم في إمارتها من العترة النبوية كل شريف النسب ،

وكلُّ من يكتسب فيها رضا الله تعالى : وكلُّ أمرئٍ وما اكتسب ؛ فمن أصلح منهم أقنناه ، ومن حاد عن الطاعة وجمد النعمة أزلناه ؛ ومن أخاف فيه السبيل لم نجعل له إلى الخير سبيلا ، ومن استقام على الطريقة توكلنا على الله ووليناه : وكفى بالله وكيلا .

وكان فلان هو الذى مازالت خواطرننا الشريفة تقدمه على بنى أبيه ، وتختاره أميرا وتجنبيه ؛ وربما سلفت من بيته هنات صفحنا عنها الصّفح الجميل ، وما قابلناهم إلا بما يليق لمجدهم الحسنى الحسنى الأصيل ؛ والإمرة وإن كانت بيد غيره هذه المدة فما كان فى الحقيقة أميراً عندنا سواه ، لأنه كبير بيته المشكور من سائر الأقبواه .

والآن قد اقتضت آراؤنا الشريفة أن نقيمه فى بلده أميراً مفرداً إليه يشار ، وأن نصطفيه : وإنه عندنا لمن المصطفين الأخيار ، وأن نجعل الكلمة واحدة ليأمن التزبل والجار ؛ ومتى تجاذب الأمر كلمتان فسد نظامه ، ومتى أفرد الحكم حسنت أحكامه ؛ ومتى توحد الأمر زال الاختلاف ، وزاد الائتلاف ، وأقبلت أيامه .

فذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة مكة المشرفة ، على عادة والده . فليقلد ما فوضناه إليه من الإمرة والنيابة بمكة المعظمة : شاكراً ما أنعم الله به عليه من مراضينا التى لانجاة لمن لم ينل منها نصيباً موفوراً ، ولا فوزاً لمن لم يدرك منها حظاً كبيراً ؛ وليشرع فى تمهيد البلاد من إزالة المظلمة ، وليطهرها من كل مجترئ على الله تعالى فى البقعة المحرمة ؛ ولا يُترّب من فى قلبه مرض فيعديه ، ولا يرجع لمن فيه شقاق ظاهر فى صفحات وجهه وفتات فيه ؛ وليعلم أن هذا بلد حرام حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، وصير حج بيته على مستطيعه من الفرض ؛ وجعله للناس معاداً ومعاداً ، وقال صلى الله عليه وسلم يوم

عَرَفَةَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ حُرْمَةً يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » .

فَلْيَمْنَعِ الدَّمَاءَ مِنْ أَنْ تُرَاقَ ، وَالْأَمْوَالَ مِنْ أَنْ تُؤْخَذَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ، وَالظُّلْمَ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ حَرَامًا ، وَبَنُو حَسَنٍ أَحَقُّ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَأَتَقَى اللَّهُ لَتَلْقَاهُ بِالْوَجْهِ الْأَبْيَضِ وَالْعَمَلِ الْأَعْرَبِ ، وَأَتَّبِعْ سُنَّةَ جَدِّكَ : فَعَلَى اتِّبَاعِهَا حَثٌّ وَأَمْرٌ ، وَأَلْقِ وَفَدِ اللَّهَ فِي الْبِرِّ وَالْبَحْرِ بِالْحُسْنَى فَمِنْ أَضْيَافِهِ ، وَأَمِّنِ الْحَجَّ لَيْتَمَ نُسُكُهُ وَطَوَّأَهُ .

هَذَا تَقْلِيدُنَا لَكَ أَيُّهَا الشَّرِيفُ : فِطْبُ نَفْسًا بِمَرَاضِينَا ، وَصَفْحًا عَمَّا مَضَى وَمَنْحِنَا الرِّضَا حَقًّا يَقِينًا ، لِأَنَّا نَتَحَقَّقُ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَحْرُسُنَا وَيَقِينُنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد شريف لأمر مكة المشرفة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ، وَنَصَبَ فِيهِ لِلْقَائِمِينَ رُكْنًا ، وَجَعَلَ أَرْضَ الْحَرَمِ لَا تَلِيدُ بِرُكَاثَتِهَا وَلَا تَفْنَى ، وَجَعَلَ لَشَجَرَةِ النَّسَبِ الْمَهَاشِمِيِّ فِيهَا أَصْلًا شَرِيفًا كَمْ أَنْجَحَ غُصْنًا ، وَأَتَى نَبِيَّ الْحَسَنِ فِيهَا إِحْسَانًا مِنْ لَدُنْهُ وَحُسْنًا ، وَأَقَامَ مِنْهُمْ أَمِيرًا فِي ذَلِكَ الْمَحَلِّ الْأَسْنَى .

نَحْمَدُهُ فِرَادَى وَمَثْنَى ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً كَامِلَةً اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ بِهِ لِلدِّينِ خَيْرَ مَبْنَى ، وَأُصْحَتِ الضُّلُوعِ عَلَى مَحَبَّتِهِ تُحْنَى ، وَثَمَارُ الْخَيْرِ مِمَّا بَيْنَ رَوْضَتِهِ وَمَنْبَرِهِ تُجْنَى ، وَخَصَّه اللَّهُ بِالشَّرْعِ الْمُسْتَقِيمِ وَاللِّدِينِ الْأَهْنَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً فِي الصَّدُورِ لَهَا سُكْنَى ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإنَّ أمَّ القرى ، خير البلاد بلا مِراً ، قد جعل الله للناس إليها رحمةً
وسرى ، وهجروا في قَصْدِهِم إليها لذيذ الكرى ، ونصبَ فيها بيتاً مَينَ العرى ، وأنبع
فيها بئراً مأوها يشفي السَّقِيم ويبرئ الورى ، وجعل فيها للشرف بيتاً على الدرى ؛
فأميرها المطاع ، من أهل بيت النبوة لا يُحِبُّ ولا يُضَاع ، ذُوهمَة تخافها السباع ،
ويرهبها البطل الشجاع ؛ يعدُّ من الآباء أسلافاً كراماً ، كمصابيح السماء تجلو ظلاماً ،
وقد طيب الله مقامهم وأعلى مقامهم حين جاؤوا مقاما .

ولما كان هو شريف العرب ، المعرق في النسب ، الطيب الحسب ،
المحي من آثار آباءه ما ذهب ، الشريف النفس : فلا يلتفت إلى العرض الأدنى
من الرقة وأكد شكره الحرم وأهله ، وأثنى على صفاء سيرته الصفاً وعلى مروءته
المروءة إذ طاب أصله ؛ قد أقتفى في الكرم أباه وجدّه ، وأمن سبيل الحاج من جهة
البر ومن جهة البحر من جدّه .

فذلك رسم أن يفوض إليه فليحل البلد الحرام حاكماً وأميراً ،
وليستجلب له من العاكف والباد شاكراً ، وليحسن للطائفين والعاكفين والرَّع
السُّجود ، وليتبع آثار آباءه أهل الكرم والجود ؛ وليؤمن الخائف في تلك التهائم
والنُّجود ، وليردع الخائف عن حيفه فلا يعود ، وليعلم أنه بوادٍ غير ذي زرع ولكن
فيه للبركات ظلٌّ ممدود ، وخير مشهود ؛ وبمكة مولدٍ أشرف مولود ، وجدّه الحسن
رضى الله عنه فليكن حسن الفعل فكما ساد يسود ، وليعرب عن الثناء الأبيض عند
ما يمتسك بتلك السُّور السود ؛ وليتلق المحمل الشريف في كل عام ، بالاحتفال
والإكرام ، والطاعة التي يبلغ بها المرام ، وليقف مع أمراء الحاج مقياً حرمتهم
بجميل الاحترام ؛ وليكف الأشرار من العبيد والموالي ، عن النهب والتخطف لو فد

(١) الورى اسم للقيح يكون في الجوف .

الله الذي قَطَعَ السرى بالأيام والليالي ؛ وليلَازِمُ خدَمَةَ الحَمَلِ الشريفِ على ما يناسب شرفه ، حتى يقف بعرفه ، ثم يدفع إلى المزدلفه ، إلى أن يقضى الحجَّ ويرحل من مكة المشرفة ؛ وليكن سياجاً على الحجَّاج ، في تلك الفجاج ، حتى لا يفقد أحدهم عقلاً ، ولا يحدَّ اختِلالاً ، ويرحلون عن مكة المعظمة من الذنوب خفافاً وبمنته ثقالاً . والوصايا كثيرة وهو غني عن أن نطيل له فيها مقالاً ، وتقوى الله فمن تمسك بها حسن حالاً ، وأتم أهلها كرمكم الله أهلاً وآلاً ، والله في حفظ جانب الصحابة رضى الله عنهم فليردع عن الخوض فيهم جهلاً ، والله يجعله مغموراً مسروراً بنعم الله تعالى ، بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لأمر مكة ، أوردتها في "التعريف" :

وليعلم أنه قد ولى حيث وُلِدَ بمكة في سرِّة بطحائها ، وأمر عليها ما بين بطن نعاينها إلى بقوة روحائها ؛ وأنه قد جعلت له ولاية هذا البيت الذي به تمَّ شرفه ، وعلتْ غرْفُه ، وعرف حقه له أبطحه ومعرفه ، إذ كان أولى ولاية هذا الحرم بتعظيم حرُماته ، وسرور جوانبه بما يلوح من البشر على قيماته ؛ ولأنه أحقُّ بنى الزهراء بما أبقت له أبأوه ، وألقته إليه من حديث فضيَّ جدِّه الأقصى أنبأوه ؛ وهو أجدر من طهر هذا المسجد من أشياء يتزه أن يلحق به فحش عايبها ، وشنعاء هو يعرف كيف يتبعتها «وأهل مكة أعرف بشعابها» .

فلتلق راية هذه الولاية باليمين ، وليتوق ما يتخوف به ذلك البلد الأمين ؛ وليعلم أنه قد أعطى الله عهدَه وهو بين رُكنٍ ومقام ، وأنه قد باع الله : والله عزيزٌ ذو انتقام ؛ وليعمر تلك المواطن ، ويعمر بيده المارَّ والقاطن ؛ ويعمل في ذلك

(١) في الأصل «نمرة» والتصحيح من "التعريف" (ص ١٠٤) .

بِمَا يُنَجِّثُ عَنْهُ نِجَارَهُ ، وَيَأْمَنُ بِهِ سُكَّانُ ذَلِكَ الْحَرَمِ الَّذِي لَا يُرْوَعُ حَمَاهُ فَكَيْفَ جَارُهُ ، وَلِيُنْصِتَ إِلَى أَسْمِهِ [عَزَّ وَجَلَّ] حَيْثُ يُعَانُ بِهِ الدَّاعِي عَلَى قُبَّةِ زَمْرَمٍ فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَيُعْرِفُ حَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَيُعَايِلُ مِنْ وُلَّى عَلَيْهِمْ بِمَا يَلِيْقُ أَنْ يُعَايِلَ بِهِ مَنْ وَقَفَ تَحْتَ مِيزَابِ الرَّحْمَةِ ؛ وَقَدْ أَكَّدَ مُؤْتَمِّقَهُ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي تَقْضِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ عَلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ يَمِينِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ؛ وَلِيَتَبَصَّرَ أَيْنَ هُوَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آسَأَمَنَهُ عَلَى بَيْتِهِ الَّذِي بَنَاهُ ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ بِمَشْعَرِهِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ خَيْفِهِ وَمِنَاهُ ؛ وَإِنَّهُ الْبَيْتُ الْمَقْصُودُ : وَكُلُّ مَنْ تَسَوَّقَ حِمَى لَيْلَى فَإِنَّمَا قَصَدَهُ أَوْ لَمَلَعَ بَلَعَعَ فَإِنَّمَا عَنَاهُ ؛ وَفِي جَمْعِهِ يَجْتَمِعُ كُلُّ شَيْئٍ ، وَفِي لَيْلَى مَنَاهُ يَطِيبُ الْمَيْتَ ؛ وَبِحُصَّيْهِ تُقَامُ الْمَوَاسِمُ ، وَتَقْتَرُّ الثُّغُورُ الْبَوَاسِمُ ، وَتَهْبُ مِنْ قَبْلِ نَعْمَانَ الرِّيَّاحُ النَّوَاسِمُ ؛ وَفِي عَقْوَةِ دَارِهِ مَحَطُّ الرِّحَالِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَمَقَرُّ كُلِّ ذَاتِ عُدُوذٍ تُجَذَّبُ بِقَلْعٍ وَعُدُوذٍ تُقَادُ بِزِمَامٍ ؛ وَإِلَيْهِ تَضْرِبُ التِّجَارُ الْبَرَارِي وَالْبِحَارُ ، وَتَأْتِيهِ الْوُفُودُ عَلَى كُلِّ قِطَارٍ يُجَدَى مِنَ الْأَقْطَارِ ؛ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا يَأْتُونَ فِي ذِمَامِ اللَّهِ بَيْتِهِ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَإِلَى مَحَلِّ آبِنِ بِنْتِ نَبِيِّهِ الَّذِي يَلْزِمُهُ مِنْ طَرِيقِ بَرِّ الضَّيْفِ مَا أَخَذَ لَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ضَايِمًا .

فَلْيَأْخُذْ بِنِ اطَّاعِ مَنْ عَصَى ، وَلِيَرْدَعْ كُلَّ مَفْسِدٍ وَلَا سِيَّامِ الْعَبِيدِ فَإِنَّ الْعَبْدَ الْمَفْسِدَ لَا يَزُجُّهُ إِلَّا الْعَصَا ؛ وَلِيَتَنَاقَّ الْجَجَّاجُ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَّةُ ، فَهَمَّ زُوَّارُهُ وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى بَيْتِهِ وَإِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى دَعَا ؛ وَلِيَتَنَاقَّ الْحَمَلُ الشَّرِيفَ وَالْعَصَائِبَ الْمَنْصُورَةَ ، وَلِيُخَدِّمَ عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مَعْنَى وَمَعْنَى صُورَهُ ؛ وَلِيَأْخُذْ بِخَوَاطِرِ التِّجَارِ فَإِنَّهُمْ سَبَبُ الرَّفْقِ لِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَتَوْسِعَةَ مَا لَدَيْهِمْ ، وَالْمُسْتَجَابُ فِيهِمْ دَعْوَةُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - إِذْ قَالَ : ﴿ وَأَجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾ . وَلَا تُتَحَيَّفُ أَمْوَالُهُمْ بِغَرَامَةٍ يَقْلُ بِهَا الْعُمْ ، وَلَا بظُلَامَةٍ فَإِنَّهُ بِإِزَاءِ هَذَا

البيت الذي يردُّ دُونَهُ من أراد فيه إلحاداً بظلم ؛ ولينظر كيف حُيس دُونَهُ الفيل ،
 وليكف عاديةً من جاوره من الأعراب حتى لا يخاف ابن سبيل ؛ وليقيم شعائر
 الشرع المطهر ، وأوامر أحكامه التي قامت بأبويه : بحكم جدّه سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم وسيف أبيه حيدر . وليأمر طوائف الأشراف وأشياهم وسائر أهل
 موالاتهم وأتباعهم بلزوم ما كان عليه صالح السلف وما عليه الإجماع ، وتجنب ما كانت
 الزيدية زادت فيه وكف الأطلاع ، ولتق الله فإنه مسئولٌ لديه عما آستره
 وقد أصبح وهو له راع ؛ وإياه أن يتكل على شرف بلده ، فإن الأرض لا تقدّس
 أحداً ، أو شرف محبّه ، فإن في يوم القيامة لا ينفع ولدٌ والداً ولا والدٌ ولداً .

الوظيفة الثانية

(قضاء مكة ، ويكتب به توقيعٌ في قطع الثلث بـ«السامي» بالياء)

وهذه نسخة توقيع بقضاء مكة المشرفة :

الحمد لله الذي أنفذ الأحكام ، بالبلد الحرام ؛ وأيد كلمة الشرع في بلده
 ومنشئه بين الركن والمقام ، وجعل الإنصاف الجزيل ، حول حجر إسماعيل ؛
 متسق النظام .

نحمده حمداً حسن الدوام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
 عبدٍ قائمٍ بحقها أحسن القيام ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله السامي من ولد
 سَام ، والذي قام لله حتى ورمت منه الأقدام ؛ وأسرى به من مكة إلى السماء
 مرتين : في اليقظة والمنام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الصلاة والصيام ؛
 وسلم تسليماً .

وبعد ، فإنَّ وظيفة القضاء بِمَكَّةِ المعظمةِ هي أَجَلٌ مَنْصِبٍ بتلك الأباطح ،
ونورها في الجبينِ لألح ؛ فإنَّ الشرع نَسَأَ منها والوحي أنزل فيها فزُهيت الباطحُ ،
وظهرت النَّصائحُ ، وأطربت الصَّوادحُ ، وأسكتت النَّوايحُ ، وغمرت المنائحُ ،
وَأَنْتَشَرَتِ المصالحُ ، فمن ولي الحَكمَ بها وعدَلْ فذلك هو العدلُ الصالحُ ؛ وكيف لا؟
وماء زمزمَ شَرَّابهُ ، وأستارَ البيتِ تَمَسُّها أثوابه ، وعلى الله أجره وثوابه ؛ وفي ذلك
الجناب الشريف كرم جنابه ، وإذا دعا الله عند الملتزمِ جاءه من القبولِ جوابه .

ولمَّا كان فلانٌ هو فرعُ الدَّوْحَةِ المثمرة ، ومحصَّل من العلوم الشرعيةِ المادَّةِ
الموقَّرة ، وله البحوثُ التي [هي] عن أحسن الفوائدِ وعُزْرِ الفرائدِ مُسْفِرَه ؛ ورضي
أهل الحرم ، لما جيلَ عليه من خيرٍ وكرم ، [تمسك] بالعروة الوثقى والقوى الأتقى
فلا جرم .

فذلك رسم - لازل

فليكن في أمِّ القرى ، كالوالدِ المُشْفِقِ على الوري ؛ وليتمسك من التقوى بأوثق
العرا ، وليخش ربَّ هذا البيتِ إنَّه سميعٌ يسمع ويرى ، ووفد الله قطعوا إليه
المراحل في السرى ، ليصالحوا كفه المضمخ عنبراً ؛ وليقض بين الخصوم بالحقِّ فيئله
من درأً الباطل : قد جعله الله جارِ بيتِ عالي الدُّرا ، وفي أرض شرف الله جبالها
وقدس غيرانها فمنها غارِ ثورٍ وغارِ حرا ، لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يتعبَّدُ
في غارِ حرا ، وأوى إلى غارِ ثورٍ لما هاجر مؤيداً مظفراً ؛ والوصايا كثيرةٌ وملاكها
تقوى الله فليتمسك بها من أيامِ وورا ، والله تعالى يجعلُ نهاره منورا ، وليله مقمراً ؛
بمنه وكرمه !

القاعدة الثانية

(المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

والأمر فيها على مامر في إمارة مكة المشرفة .

وقد تقدم أن إمارتها في بني الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ،
ويكتب لها تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالى» أيضا بألقاب مخصوصة ،
وقد تقدم ذكر ألقابه .

وهذه نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية ، كُتب به للأمر بدر الدين
(١) «ودى بن حجاز» من إنشاء المقر الشمهاني بن فضل الله ، سقى الله عهده :

الحمد لله الذى صرف أمرنا فى أشرف البقاع ، وشرف قدرنا بملك ما نعتقد على
فضله الإجماع ، وعرف أهل طيبة الطيبة كيف طلع البدر عليهم من نيات الوداع ؛
وأمدّها بودى صغر للتجيب وإلا فهو واد متدفق الأجرع .

نحمده على نعمه التى أغنت مهابط الوحي عن ارتقاب البرد اللعاع ، وأرتقاء النظر
مع بدره المنير إلى كل شمس سافرة القناع ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة محمد من الضلال ما شاع ، ومن البدع ما استطار له فى كل أفق شعاع ؛
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف من أنفت به حمية الأمتناع ، وألفت

(١) سبق ضبطه مرارا فى ج ٤ بالتكبير تبعاً لضبط النسخة والظاهر ما هنا .

بنا سنَّته أن ترعى لأهلها ولا تراع، وعصفت رِيحها بمن يمالى دينه فقال إلى
الابتداع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ليس في فضل أحدٍ منهم نزاع،
وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن الأهتمام بكلِّ جهةٍ على قدر شرفها، وعلى حسب الدرّة الثمينة كرامة
صدفها، والكمامة بتمرها، والغمامة بمطرها، والهالة بما يجلو الدجى من قمرها،
والمدينة الشريفة النبوية لولا ساكنها ما عاجت إليها الركائب، ولا ناجت حدائقها
غمر السحاب، ولا وقفت بتأرجح شذا الروضة الغناء بها الجنائب، ولا بكى متم
دمن العقيق بمثله من دم ذائب، ولا هاج إليها البرق متألّقا، ولا هام صبب فيها
بظيآت سابع والنقا، ولكنها مئوى النبوة تراها، ومهوى الرسل جنابها، ومأوى
كتاب الله الفسيح رحابها، دار الهجرة التي تعالت شمس الشريعة بأفقيها، وتوالت
سحب الهدى من بين أبيرقها، وهى ثانية مكة المعظمة في فضلها إلا ما ذهب إليه
في تفضيلها على مكة مالك بن أنس، ومنها أنبعثت للهدى نؤارة كل نور وشعاع
كل قبس، وكانت لنبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم أبوق داريه، وأعلى سماء
حوت ثلاثة أقدار منه ومن جاريه .

ولما كان بها لبعض الولاة من الشيعة مقام، ولهم فيها تحاملاً لا يجوز معه
من الانتقاد إلا الانتقال أو الانتقام، حتى إنّه فيما مضى لما كثرت منهم على بعض
الصاحبين - رضى الله عنهم - الإضرار، وأشرأبوا في التظاهر بسبهما إلى هتك
الأستار، دب من النار في هذا الحرم الشريف ما تعلق بكلِّ جدار، وأبت لها حمية
الغضب إلا أن يطهر ما سنَّته أيدي الروافض بالنار، فلما اتصل بنا الآن أنّ منهم
بقايا وجدوا آباءهم على أمّه، واقعدوا بهم في مذهب الإمامية بما لا أراده الله تعالى

ولا رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أولئك الأئمة ؛ وحضر المجلس العالى الأميرى ،
الأصيلى ، الكبيرى العادلى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الزعيمى ، المقدمى ، الذخرى ،
الكافى ، الشرفى ، الحسينى ، النسيبى ، الأوحدي ، البدرى : عز الإسلام
والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ؛ جمال العترة
الطاهرة ، جلال الأسرة الزاهرة ؛ طراز العصابة العلوية ، كوكب الدرية الدرية ،
خلاصة البقية النبوية ؛ ظهير الملوك والسلاطين ، نسيب أمير المؤمنين ؛ ودى بن
جماز الحسينى - أدام الله تعالى نعمته - بين أيدينا الشريفة بمحضر قضاة القضاة
الأربعة الحكام ، وتدتم بأن مع طلوع بدره المنير لا تبقى ظلامه ولا ظلام ؛ وتكفل
لأهل السنة بما أشهدنا الله به عليه ومن حضر ، وتلقى بإظهار فضل الترتيب كما هم
عليه : النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أبو بكر ثم عمر ؛ فما آخضهما الله بجواره إلا ليثبت
لها على غيرها إفضالا ، وليجعل قبورهما فى معرفة أقربهم منه درجة مثلا ؛ لما
تواترت به الأحاديث الشريفة فى فضائلهما مما هو شفاء الصدور ، ووفاء بعهد
إذ يقول : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُوا عَلَيْهَا
بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ » ؛ فلم يسعنا إلا أن نجعل له منا تقليدا
يحو بحده ما حدث من أحداث البدع ، ويحدد من عهد جدّه نبينا صَلَّى اللهُ
عليه وسلم فى معرفة حق أصحابه رضى الله عنهم ما شرع ؛ وتوقا بأنه من بيت كان
أول هذا الدين الحنيف من دله ، ومبدأ هذا الحق الظاهر ما أنثته ومثلته فى سلفه
الشريف بأقارب متصله ؛ وأنه هو المورث من الفخار ما ورثه عن أبائه الكرام ،
المحدث عن كرم الحدود بما لا يحقر له جوار أو يحقر ذمام ؛ المشرق من الأسرة
العلوية بدرًا تاما ، المحدث به من الكواكب العلوية ما يظن به (؟) أبا تسمى وأبنا

تسأحي ؛ المتخَبُّ من آباء صدق أحسن في ديارهم الصنيع ، وحفظ من حسبيهم
الكريم ما أوشك أن يضيع ؛ واستضاء بلامعة من هدى سلفه السابق ، وهامعة من
كدي ما يرويه السحاب عن الجود والبرق عن المهارق ؛ تهتر بمقدمه المدينة سرورا ،
وتفترباها منه بسبب كأن على نسبه من شمس الضحى نورا ؛ ويتبشر ما بين
لابتها بمن يحى حماها ، ويحيى محياها ؛ وتتشوق منه ربا كل نية إلى ابن جلاها ،
وطلاع ثاياها ؛ مع ما لا يحدد من أن له فيها من أبيه حق الوراثه ، وأنه لما
كان هذا تاني المسجدين آحتاج إلى تاني اثنين تعظيما للواحد وفرازا من الثلاثه ؛
ليكون هو ومن فيها الآن بمنزلة يدين كلتاها تقبل الأخرى ، وأذنين كلتاها توعى
درا ؛ وعينين مامنهما إلا ما يدرك أمرا بعيدا ، وفرقدين لا يصلح أن يكون أحدهما
فريدا ؛ وقرين لا يغلب أحدهما على الآخر في التسمية بالقمريين ، وعمرين وكفى
شرفا أن لا يوجد في الفضل ثالث للعمرين .

فرس بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى . زاد الله
به المواطن شرفا ، وزاد به البواطن الشريفة حبا وشغفا . أن يفوض إليه نصف
الإمرة بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، شريكا للأمر سيف
الدين ابن أخيه ، ورسلا معه فيما يليه ، ولكل منهما حق لا يكاد الآخر يخفيه ،
هذا له بر الولد وهذا له حرمة الوالد لأن ابن الأخ ولد وعم الرجل صنو أبيه ؛ فتقسم
الإمرة بينهما نصفين ، وتوسم جباه الكتب الصادرة عنهما لها بأسمين .

والوصايا تحمد من عنانها ، وتعده من أعينها ؛ فأولها تقوى الله فإنها من شعائر
القلوب ، وبشائر الغيوب ، وأمائر نجاح كل مطلوب ؛ والاعتصام بالشرعة الشريفة ؛
فإنها الحبل الممدود ، والحبل الذى تم دونه من عقبة كئود ؛ والالتناء إلى مانص عليه

الكتاب والسنة والإجماع ، وقص جناح من مال به الهوى إلى مجاذبة الأطلاع ؛ وتلقى
وفد الله الزائر بما ألهه نزيل هذا الحمي من كرامة المتقى ، وتوفى المذمة فإنها دنس
لا يحد مثله تقاء هذا النقا ؛ ونعني بالمذمة ما نُسب إلى الرافض من البسع التي
لا تُظهرها غر السحاب ، ولا يستبج معها لدخول المسجد الطاهر من قبح بمقامه
حواله التيمم بالتراب ؛ ولا يدع أحدا من هذه الفرقة الضالة بعلى ولا يعيره بما
يكون به مثله ، ولا يشبه قلبه في محبة أهل البيت - سلام الله عليهم - بإناء أمثلاً
ماء ولم تبق فيه فضله .

ولا يظن جاهل منهم أن عليه - كرم الله وجهه - كان على أحد من الصالحين
معاتبا أو عائب ، أو أنه تأول في خلافتها معتقدا أن أحدا منهم غاصب ؛ فما تأخر
عن البيعة الأولى قليلاً إلا لأشغاله بما دهمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المصائب ، وإلا فقد أخذ أم ولد من سبي أبي بكر رضي الله عنه لا كما يدعيه
كل كاذب ، وقد تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه آبنته أم كلثوم وأقام بأمره
الحدود وناب عنه وهو غائب ؛ فيكف من عادية هؤلاء الرافض الأشرار ماسيصلون
في الموافقة بناره ، وسيصلون إلى الموافقة على ما طار من شراره ؛ ولا يدع للإمامية
إماماً يقتدى به منهم قوم شرار ، ولا قاضياً يقضى بينهم : فإنه إنما يقطع لمن قضى
له أو عليه قطعة من نار ؛ ولا عالماً يرفع له علم ، ولا يفتح لهم بفتوى على مذاهبهم
فم ، حتى ولا ما يتحرك به في قيم الدواة القلم .

وليطهر هذا المسجد الشريف من دنسهم ، وليط ما يحمله أديم مجلدات التصانيف
من نجسهم ؛ وسكان هذا الحرم الشريف ومن أقام عندهم من المجاورين ، أو خاطبهم
من زمر المقيمين والسائرين ؛ يحسن لأموارهم الكفالة ، ولا يتعرض لأحد منهم
بما يؤذي نفسه ولا يناله ؛ فهم في جوار نينا صلى الله عليه وسلم وفي شفاعته ،

وكلّ منهم نزيل حرمه ومكثّر سواد جماعته ؛ وحقّهم واجب على كل مسلم فكيف على حامي ذلك الحمى ، بل من له إلى نسبه الشريف مسمى .

وأصحّب رفيقك بالمعروف فإنكما مفترقان والسميد من لا يذم بعد فراقه ، ومُسْتَقَانَ إلى كل مورد لا يدرى أيكما المحمّد في سباقه ؛ ومتفقان على فرد أمرٍ وأفضلكما من داوم صاحبه على إرفاقه ، وصحبه على وفاقه .

وأما ما للمدينة الشريفة من تهائم وتُجود مضافة إليها ، ومُسْتِظَلَّةٌ بجُدِّها أو متقدمة في الصحراء عليها ، فهي ومن فيها : إما أن تُوجد بقلوبهم فهم أعوان ، وإما أن تنفر فهم أشبه شيء بالابل إذا نقرت تعلق بذنب كل بعير شيطان ؛ فأقربهما إلى المصلحة تقيهم ، وتأتيهم بما يقرب به بعيدهم ويزداد قُربى قريتهم ؛ والرُّكبان التي تتقد بهم جمرات الأصباح والعشايا ، ويعتقد كل منهم في معاجه إلى المدينة الشريفة أن تمام الحج أن تقف عليها المطايا ؛ فهم هجود سُرى ، ووفود قري ، وركود في أفق الرّحال خلعت مقلهم على النجوم الكرى ؛ ومعهم المحامل الشريفة التي هي مُتَفِّ شعابهم ، ومحتف ركابهم ؛ وهي من أسرتنا المرفوعة ، ومبرتنا المشروعة ؛ فعظم شعائر حرمتها ، وقبل أمام منابرها المنلة مراكز راياتها ؛ وأكرم من جاء في خفارتها ، ومن جال في دُجى الليل لا يستضيء إلا بما يبدو من إشارتها ، وقد أشهدنا عليك من هو لك يوم القيامة خصيم ، وأنت وشأنك فيما أنت به عليم .

وباقى الوصايا أنت لها مُتَقَطِّن ، وعليها مُتَوَطِّن ، وما ينتفع الشريف بحسبه ، إن لم يكن عمله بحسبه ؛ ولا يرتفعُ بنسبه ، إن لم يتجنّب مكان تشبهه ، والله تعالى يمتع بدوام شرفه ، ولا يضيع له أجر حال عمله الصالح وسلقه ؛ والاعتدال



وهذه نسخة تقليد شريف بأمره المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

الحمد لله الفرد بلا شريك ، الواحد لا من أعدد تقضى التشرىك ، الملىك الذى يتناهى إله تقليد كل ملىك .

نحمده حمداً يكفل مواهب التملك ، ويحمد عواقب التسلىك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع التشكىك ، وتصد كل أفىك ، وتسد خلل التدرىك ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من حى به عرىك ، وحى عليه ترىك ، وحمل حتى تأنى له التحرى فى التحرىك ، وتأنى وما فاته على أعدائه النصر الوشىك ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تحض كالذهب السىك ، وترفع ما شىد وتمنع ماشىك ؛ وسلم تسلياً كثيراً .

أما بعد ، فلما كانت المدينة الشرىفة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - حراماً لا يستباح ، وحى ليس إلا لمن آتتهك دم مباح ، وجناباً ما على من حله جناح ، ومهبط وحى لا يمسخ بأر كانه لغير الملائكة جناح ؛ ولا يمسخ بعصمة من أغضى فيه على قدى ، وسكت لساكنيه على أذى .

ولما اتصل بنا عن الروافض ما لا صبر لمسلم يرجو الله واليوم الآخر عليه ، ولا وجه لمن قنع فيها بإخراج يديه ؛ ولا عذر لمن لقى الله مغضباً لما ينهى إله ، لا مغضباً لما ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم من التعرض إلى صاحبيه ، مما تقاضى منا ما يحو ظلامه الممتد ، وظلمه المشتد ، وبدعهم فسوءاً من آبتدعها ومن أرتد - فكأننا بتقليدنا الشرىف من أعطى الله وأعطانا على قوله مؤثفاً ، وجرّد عزائم لا تردّها من

خَدَعَهُمُ الرُّقْبَى ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ حَضَرَ أَنَّهُ لَا يَدْعُ هَذِهِ الْفِرْقَةَ الضَّالَّةَ حَتَّى يَدْعَ
يَتِيمَهَا ، وَيُعَدُّ لِمَقَاتِلِ السُّيُوفِ حَاطِمَهَا : مِمَّا تَضَمَّنَهُ نَصُّ مَاضِي ذَلِكَ التَّقْلِيدِ ،
وَمَا ضَمَّ ذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَنَبَهْنَا عَلَى أَنَّهُ بَدْرٌ لَمْ يَبْقَ
مَعَ طُلُوعِهِ ظُلْمَةٌ وَلَا ظُلَامَةٌ ، وَلَا إِضَاعَةٌ وَلَا إِضَامَةٌ ^(١) ، وَلَا مَا تَجَنَّبُ بِهِ الرَّاكِبُ
تَمَامَ الْحَجِّ فِي مَوَاقِفِهَا ، وَلَا تُتَكْرَمُ مَا جِهِلَتْ فِي قِبَابِ قِبَاءٍ مِنْ مَعَارِفِهَا ؛ وَتَرَدُّ أَعْطَانَهَا
وَلَا يُسَوَّقُهَا إِلَى الْأَبْرِيقِ بَارِقٌ عَلَى أَطْلَالِهِ ، وَلَا يُعْجَبُهَا إِنْ خِيلَ لَهَا فِي النَّخِيلِ مَقِيلٌ
فِي ظِلَالِهِ .

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته هو المتكفل بتطهير ذلك الحرم
الشريف من ألم كل قول يُفترى ، ولم كل باطل يلم يقظة أو طيف كرى ، وإزالة
كل شخ فيها على من أمل قرى أم القرى ؛ وإماتة كل بدعة تُسكب على مثلها العبرات ،
وإماطة كل أذى من طريق منى والجمرات ، ومنع شقاشق شيعية تغلي مرآجلها من
الزفقات ، وقطع كل نجوى يُسَادُون بها من وراء الحجرات ، وقلع طائفية لولا إقامة
حدود الله لكفاهم ما يقطع أجداهم من الحسرات ؛ وكان بها من أولاد أخيه ، بل
بعضه منه وبعضه من بنى أبيه ، من انتهى عما نتحل به شيم الشريف الشريفه ،
وأنهى إلى ما لا يعنيه ولا يفنيه في تأخير خليفة وتقديم خليفه ، وأهمل حقوقاً
عواقبها مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تحيفه ، وأوهم عقوقاً لأصحابه بل
له لقوله : «دعوا إلى أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مدي أحدهم
ولا نصيفه» . وبقى يتصل بنا في هذا المعنى ما لا يقال مما يقال عنهم ، ويصل
أذاهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحبيته وقد قال : «إن أهل الدرجات

(١) مراده اضعاء الحق كله أو نقص شيء منه الا أنا لم نجد فيما بأيدينا من كتب اللغة من هذه المادة

فعلا رباعيا ليكون هذا مصدرا له ولعله استعمل اللغة العامية وترويجا للسمع .

العلى ليراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكرٍ وعمرَ منهم»^(١) يطلبون في التقديم على من قدمه الله رد فائت ما جرى به القدر، ويضربون صفحا عما لا أراد الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله: «لا أدري ما قد بقي لي فيكم فافتدوا باللذين من بعدي: أبي بكرٍ وعمر». مع ما أضيف إلى هذا من قوادح نواب، وفوائح أبواب، وحوادث ترجع مقر النبوة أنباؤها، وتمتد على مشارق الأنواء ظلمهاؤها، وتغير عوائد الوفود في كرامة زائرهم، وإدامة بشاشة الملتقى لسائرهم؛ وأمن سيرهم أن يراع، وشريهم أن يتمثل به لغير برق شعاع، وضمهم إلى ذلك الحمى الذي لا يضام نزيله، ولا يرام في طريق المحجرة سبيله؛ ولا يضل سار إليه ووجوه سگان الحمى دليله، ولا يضيع وقد تلقاه من النسيم بليته بليته، ولا يقف وقفه المريب وضوء الصباح من أيمن التقا قنديلته، ولا يخشى وشعب ذلك الحمى شعبه وقبيله قبيله؛ وإراحة ركابهم التي أزعجها حادى السرى، وإمتاعهم بقرب الحوار عوضا من دموعهم عما جرى.

فلما لم يبق لمن أشرنا إليه - ممن أعطانا عهد موثقه، وسار لا يريد إلا نقاء نقاه وبراءة أبرقه - إلا أن يحط بالمدينة الشريفة ركابه، ويبعد الشكوى مما لا عهد من معاهدها أقرابه - أصر من فيها من ذوى قرابته على منعه أن يدخلها إلا بقتال يحل مقاعد الحرم، ويحل مقاعد الحرم^(٢)؛ ويشعل نارا يضل بها من لم تمتد له يد إليها إلى وقود، ويروع من الآلف فيها من يمتد له في غير مراتع غزلان النقا سجاجف قيام معقود، وقدم إلى أبوابنا العالسة من كان فيها مقما، وأنعمنا عليه بإبقاء النصف

(١) مراده أنهم يطلبون في تقديم على رد فائت ما أراد الله من تأخيره عنهما ويتركون أيضا ما ورد في الحديث من الأمر بالافتداء بعده بأبي بكر وعمر. إلا أن العبارة سطت عليها يد النساخ فزادت فيها ما غير ميناها وشوش معناها. تأمل.

(٢) في الأصل مقاعد وهو تصحيف.

ففاتة الكلِّ لمَّا لم يَقَعْ أَنْ يَكُونَ قَسِيماً ، فَأَبَتْ حَمِيَّتَنَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(١) ولتلك المواطن المعظمة إلا أن نُظَهَّرَهَا مِمَّا أَسْبَلَتْ عَلَى سَرِيرِهِ أَذْيَالَهَا ، وَمَا أَطَاقَتْ
عَلَى مَضَضِهِ الْأَلِيمِ أَحْتِمَالَهَا .

فُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ قَدْرَهُ عَالِيَا ، وَبِرُّهُ لَا يَخِلُّ بُوْدَى وَلَا يَخِلُّ مُوَالِيَا -
أَنْ تَفُوِّضَ إِلَيْهِ إِمْرَةَ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ :
مُسْتَقِيلاً بِأَعْبَائِهَا ، مُسْتَهْلاً بِسَجَابِهِ عَلَى أَرْجَائِهَا ؛ إِمْرَةً تَسْتَوْعِبُ جَمِيعَهَا ، وَتَسْتَوْعِي
لِمِرَاسِمِ رَبَائِهَا وَرُبُوعِهَا وَعَاصِيَهَا وَمُطِيعَهَا ؛ وَتَهْتِمُ بِهَا وَتُجَوِّدُهَا ، وَقَرِيْبَهَا وَبَعِيدَهَا ؛ وَكُلَّ
مَا يَدْخُلُ لَهَا فِي حَدِّ ، وَيَنْتَظِمُ لَهَا فِي عَدْبِ وَأَهْلِ حَاضِرَتِهَا وَبَادِيَتِهَا ، وَمَا تَقِفُ عَلَيْهِ
مِنَ السَّحَبِ (؟) رِكَابِ رَوَاعِيهَا وَغَادِيَتِهَا ؛ وَمَنْ تَتَبَسَّمُ بِهِمْ ثَنَائِهَا ، وَتَتَسَمَّمُ لَهُمْ أَرْوَاحِ
بُكَرِهَا وَعَشَائِهَا ؛ وَمَنْ يَضُمُّهُمْ جَنَاحِهَا الْمَفْضَلِ ، وَيَلْمُهُمْ وَشَاحِهَا الْمَفْضَلِ ؛
وَيَجْمَعُهُمْ جَيْشُهَا السَّائِرِ ، وَيَلْفَهُمْ فِي شِمْلَةِ الدَّجَى قَمْرُهَا الزَّاهِرِ - تَفْوِيضًا يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ
شَرِيفٍ وَمَشْرُوفٍ ، وَمَجْهُولٍ وَمَعْرُوفٍ ؛ وَمَسْتَوْطِنٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَغَرِيبٍ آتَيْتْ [بِهِ]
إِلَيْهَا مَطَارِحَ سُبُلِهَا ؛ مَا فِيهِ تَأْوِيلٌ ، وَلَا تَعْلِيلٌ ، وَلَا أَسْتِنَاءٌ ، وَلَا أَنْتَاءٌ ، وَلَا تَخْرُجُ مِنْهُ
الْأَرْضُ الْمَغْبَرَةُ وَلَا الرُّوضَةُ الْغَنَاءُ ؛ لِأَشْبَهَةِ فِيهِ لِدَاحِضٍ ، وَلَا حُجَّةَ لِمَعَارِضٍ ؛ يَسْتَقِلُّ
بِهَا جَمِيعُهَا بَدْرُهُ التَّمَامِ ، وَبِرُّهُ الْغَمَامِ ، وَبَحْرُهُ الَّذِي يَأْبَى قَرِيْبُهُ أَنْ يُؤَانِحِيَ فِي نِظَامِ ؛
وَأَمْرُهُ الَّذِي يَتَلَقَّى بِهِ عَنِ الثَّقَةِ مِنْ سَادَاتِ بَيْتِهِ مَقَالِيدَ الْأَحْكَامِ ، وَتَقَالِيدَ مَا يَجْرِي
بِهِ الْقَسْمُ وَيَمِضِي السَيْفُ الْحُسَامِ ؛ إِفْرَادًا لَهُ فِي التَّحْكِيمِ ، وَأَنْفَعَةً لِمِثْلِهِ مِنْ ضَرَرِ
التَّقْسِيمِ ، وَفِرَارًا مِنَ الشَّرِكَةِ الْمَشْتَقَةِ مِنَ الشَّرِكِ : (إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) . وَوَلَايَةٌ
تَامَةٌ ، عَامَةٌ ؛ كَامِلَةٌ ، شَامِلَةٌ ؛ لَا يَبْقَى مِنْ أَهْلِ تَجْدٍ مِنْ لَا يَدْخُلُ فِي حُكْمِهَا ، وَيَنْضَافُ

(١) فِي الْأَصْلِ « وَأَطْفَاتُ » .

إلى قِسْمِهَا؛ تَقَابُلُ السَّوَابِقِ فِي غَايَاتِهَا، وَتُقَاتِلُ الْحَافِلُ تَحْتَ رَايَاتِهَا؛ وَيَعُدُّ مَعَ أَهْلِ بَدْرِ فِيهَا، وَيُعِدُّ مِنْ حَقُوقِهَا مَا يُوقِفِيهَا .

وقد سبق من الوصايا ما فيه غنى، إلا ما لا تخل العوائد به مما يذكركم هنا؛ وقد حوت بحمد الله في جميع طباعك، وجميل أنطباعك؛ من حقّ أعتراكك، وصدق أترامك؛ ما هو كالسنا للشمس، والمنى للنفس؛ مما تحسد على شرفه النجوم، وتنافس العلياء ما تعلق به الغيوم .

فَكَلِّ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرَفَكَ، وَاتَّبِعْ فِي الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ سَلَفَكَ؛ وَكُتَابُ اللَّهِ الْمُنَزَّلُ، أَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتِ فِيكُمْ تَنْزَلُ، وَسُنَّةُ جَدِّكُمْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَهْمَلُ، وَهِيَ مَجْدُكُمْ الْمُوْتَلُ؛ وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى عَنْكُمْ، وَإِلَّا فَعَمَّنْ تُثَقِّلُ، وَمِنْكُمْ، وَإِلَّا فَمَنْ تَوَمَّلُ؛ وَإِزَالَةُ الْبِدْعِ وَإِلَّا فَلَا شَيْءَ سِوَفِكُمْ تُثَقِّلُ، وَ[لِمَاذَا] رِمَا حُكْمُ تَعْدَلُ؛ وَالرَّافِضَةُ وَغَلَاةُ الشَّيْعَةِ هُمْ دَنَسٌ مِنْ أَنْتُمْ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بَوْلَانِهِ، وَسَبَبُ وَقُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لِيَوَانِهِ؛ فَهَمُّ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ، لَيْسُوا - وَحَاشَى نَوْرَهُ السَّاطِعُ - إِلَّا مِنَ الْمَكْتَرِّينَ لِسَوَادِهِ؛ أَرَادُوا حِفْظَ الْمُوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى فَأَخْلَوْا، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ فَقَلُّوا؛ وَأَنْفٌ مِنْ هُوْبِرَىءٍ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ، أَنْ يَتَّظَاهَرُوا بِالْوَلَاءِ فَيَعُدُّ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ بِسَبَبِهِمْ؛ مَعَ أَنْهُمْ طَمَعُوا فِي رِضَا اللَّهِ فَأَخْطَأْتَهُمْ الْمَطَامِعُ، وَصَحِيحٌ أَنْهُمْ زَادُوهُمْ عَدَدًا إِلَّا أَنَّهَا كِرْيَاةُ الشَّيْءِ أَوْ كِرْيَاةُ الْأَصَابِعِ .

فَصَمِّمْ عَزْمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قَضَاتِهِمْ، وَمَنْعِهِمْ هُمْ وَمَنْ أَتَّبَعَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِمْ؛ وَحَذَّرْهُمْ مِمَّا لَا يَعُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ سِتْرِيَسْبِلُ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَهُ لَغَيْرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يُقْبَلُ؛ فَمَنْ خَاضَ لِلْسَّلَفِ الصَّالِحِ يَمِّ ذَمِّ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٠٧ .

(٢) في القاموس : الشغياء السن المخالفة الخارجة عن نبتة الأسنان .

أغرق في تياره ، أو قدح فيهم زناد عناد أحرق بناره ؛ وألزم أهل المدينة الشريفة -
على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - بكلمة السنة فإنها أول ما رفعت بتلك المواطن
المعظمة أعلامها ، وسمعت في تلك الحجرة المكرمة أحكامها ؛ مع تعفية آثار ما ينشأ
على هذه البدعة من الفتن حتى لا ينعقد لها نفع مثار ، وتوطئة أكثاف الحمى لئلا
يبقى به لمبطل في مدارج نطقه عثار ؛ والوصية بسكان هذا الحرم الشريف ومن ينزل
به من نزيل ، ويحاور به مستقراً في مهاد إقامة أو مستوفزاً على جناح رحيل ؛
ومن يهوى إليهم من ركائب ، ويأوى إليهم من رقيقة مالت من نسوات الكرى بهم
راقصات التجائب ؛ ومن يصل من رجبان الآفاق ، وإخوان نوى يتشاكون إليهم
مر الفراق ؛ ومن يتلاقى بهم من طوائف كلهم في بيوت هذا الحى عشاق ، وأمم
شتى مجموعهم : من مضر وشام ويمن وعراق ؛ وما يصل معهم في مسيل وفودنا ،
وسبيل جودنا ؛ ومحامِلنا الشريفة التي ينصب لنا بها في كل أرض سرير ، وأعلامنا
التي ما سميت بالعقبان إلا وهى إليها من الأشواق تطير ؛ فتى شعرت بمقدم ركابهم ،
أو برقت لك عوارض الأثمار من سماء قبايهم ؛ فبادر إلى تلقيمهم ، وقبل لنا الأرض
في آثار مواطيمهم ، وقم بما يجب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وطاعتنا [وأخرج عنهم كل يد ولا تخرجهم عن جماعتنا] .^(١)

وأهل البادية هم حزبك الحيش اللهم ، وحزبك إذا كان وقودها جثث وهام ؛
وهم قوم لم يؤدبهم الحضرة ، ولا يبيت أحد منهم لأنفته على حذر ؛ فاستجلب
بمداراتك قلوبهم الأشتات ، وبادر حبال إلهم النافرة قبل البتات ؛ وترقب مراسمتنا
المطاعة إذا ذرت لك مشارقها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك من
الحروب بوارقها ؛ وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولولا أن السيف لا يحتاج إلى حلية

(١) الزيادة من الوصية الآتية بعد ومن التعريف (ص ١٠٨) .

لأُطْلَنَا حَمَائِلَ مَا تُمْلِيهِ عَلَيْكَ ؛ فَمَا شَهِدَ لِلشَّرِيفِ بِصِحَّةِ نَسَبِهِ ، أَزْكَى مِنْ عَمَلِهِ
بِحَسَبِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْوَى أَسْبَابَكَ الْمَتِينَةَ ، وَيُمْتَعُ الْعَيُونَ بِلِوَامِعِكَ الْمُبِينَةَ ، وَيُمْسِكُ
بِكَ مَا طَالَ بِهِ إِرْجَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ



وهذه نسخة تقليد بإمرة المدينة النبوية ، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ بِالنُّصْرَةِ ، دَارَ الْهَجْرَةِ ، وَأَطْلَعَ لِلْإِيمَانِ بَحْرَهُ ، بِتِلْكَ الْجُحْرَةِ ،
وَطَيْبَ طَيْبَةَ وَأَوْدَعَ فِيهَا سَلِيلَ الْأُسْرَةِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا نَأْمَنُ بِهِ مَكْرَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةَ
عَبْدٍ تَمَسَّكَ بِالْحَجِّ وَتَنَسَّكَ بِالْعُمْرَةِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَّفَ اللَّهُ
قَدْرَهُ ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ، وَأَيَّدَهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ، وَكَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْعِشْرَةِ ، وَأَسْبَخَى
الْعَالَمِينَ إِذْ يَلْسُطُ بِالْجُودِ رَاحَتِيهِ فَمَا أَسْمَحُ عَشْرَةَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً ثَبَّتَتْ شَجَرَتُهَا مِنَ الْأَرْضِ فَأَتَّصَلَتْ فِرْعَوْهَا بِالسُّدْرَةِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ مَعْدِنُ الْهُدَى وَالْوَقَارِ ، وَمَسْكَنُ الرُّضْوَانِ وَالْأَنْوَارِ ،
وَمَهَيْطُ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ ، وَمَنْزِلُ الْوَحْيِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَدَارُ الْهَيْجَرَةِ لِلنَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ،
وَتُرْبَةٌ مَدْفِنَةُ الزَّالِكِي الْمِعْطَارِ ؛ تُنْسَدُ الرَّحَالُ إِلَيْهَا مِنْ أَقَاصِي الْأَقْطَارِ ، وَيَأْتِي إِلَيْهَا
الظَّالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِالْأَسْتِغْفَارِ ، فِيرْجِعُونَ وَقَدْ مَحِيَّتْ عَنْهُمْ الْأَوْزَارُ ، فِقُلُوبُ أَهْلِ
الْإِسْتِثْقَانِ مُقِيمَةٌ فِي فِنَاءِ تِلْكَ الدَّارِ ، وَإِنْ كَانَتْ أَجْسَامُهُمْ بَعِيدَةً مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ ،
وَبِهَا مِنْ آلِ الْبَيْتِ سَادَةٌ أَطْهَارُ ، وَأُمَرَاءُ كِبَارُ ، يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّهِمْ فِي الْإِعْلَانِ
وَالْإِضْمَارِ ، وَيُتَوَسَّلُ بِلِوَالِهِمْ فِي دَعْوَةِ الْأَشْجَارِ ، قَدْ صَمُّوا إِلَى كَرَمِ الرَّاحَةِ ، وَسَمَّحَةِ

الأَنْفُسَ الْمُرتَاحَةَ ؛ شَجَاعَةً وَبَسَالَةً ، وَعَلَوِيَّةً فَعَالَةً ، وَتَمَسُّكَ بِالْمُرُوءَةِ المَعْرُوفَةِ بِشَرَفِ
الأَصَالَةِ ؛ وَهَمَّ يَتَوَارَثُونَ لِأَمْرَتِهَا عَن آبَاءِ سَادَاتِ ، وَكِرَامِ لَهُم فِي الفَضْلِ عَادَاتِ .
ولما كان فلان هو بَقِيَّةَ الأُسْرَةِ المَتَضَوِّعَةِ ، وَثَمَرَةَ الشَّجَرَةِ المَتَفَرِّعَةِ ؛ وَالمَخْصُوصَ
بِالوَصْفِ الذِي رَفَعَهُ ، وَالقَوْلِ الذِي أَتَّبَعَهُ حِينَ سَمِعَهُ - ما زال فِي المَدِينَةِ النَبَوِيَّةِ
عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مَشْكَورَ الطَّرِيقَةِ ، مَحْفُوظَ الوَثِيقَةِ ، مَعْرُوفَ
الحَقِيقَةِ ، مَوْصُوفَ الأَثَارِ الحَسَنَةِ بَيْنَ الخَلِيقَةِ ، يَجْتَنِي لِكُلِّ صَالِحَةٍ مَن تَلِكِ الرُّوضَةِ
الشَّرِيفَةِ المُثْمَرَةِ الوَرِيقَةِ ؛ وَيَجْمِي السَّرْحَ أَن يَنْتَهَبَ ، وَيَطْفِئُ نَارَ الفِتَنِ فَمَا تَلْتَهَبُ ،
وَيُعْظَمُ المَجَاوِرِينَ وَالمُؤَادِبِينَ وَالقَادِمِينَ عَلَى حِمَى سَيِّدِ العِجَمِ وَالعَرَبِ .

فَلذَلِكَ رَسَمَ أَن يَسْتَقَرَّ

فَلِيَحُلَّ هَذَا الرَّبِيعَ المَعْمُورَ بِالتُّقَى ، وَلِيَبْأَشِرْ هَذِهِ الإِمْرَةَ الشَّرِيفَةَ زَادَهَا اللهُ عُلُوقًا
وَأَرْتِقًا ؛ وَلِيَسْتَعْمِلَ السَّكِينَةَ فَإِنَّهَا جَمِيلَةُ اللِّقَاءِ ، وَلِيَسْلُكَ الأَدَبَ مَعَ سَاكِنِ النِّقَا ،
وَلِيَعْتَمِدَ عَلَى حُسْنِ اليَقِينِ فَإِنَّهُ لَهُ وَقَا ، وَقَدْ جَاوَرَ العَقِيقَ فَأَصْبَحَ بِقَلَائِدِهِ الفَاحِرَةَ
مُطَوَّقًا ، وَلِيَحْكُمَ بِالعَدْلِ فِي بَلَدِهِ نَشَأَ مِنْهُ العَدْلُ وَالإِنصَافُ فَمُنْدُ أَجْتِمَاعِهِ فِيهِ مَا أَفْتَرَقَا ؛
وَلِيَصُنَّ شَرَفَهُ مِنَ الوُلُوجِ فِي فِتْنَتِهِ ، وَلِيَعْمِدَ سَيْفَهُ وَلَا يَشْهَرَهُ فِي وَقْتِ مِحْنَتِهِ ؛ وَيَحْقِنِ
الدَّمَاءَ أَن تُرَاقَ ، وَيَتَلَقَّ الزُّوَارَ بِالإِرْفَاقِ ، فَإِنَّهُمْ جَاءُوا مِنْ أَقْصَى الآفَاقِ ، رِجَالًا وَعَلَى
النِّيَاقِ ، تَحْتُمُّهُمُ الصَّبَابَةُ وَالأَشْوَاقُ .

وَكَلِمَةُ الشَّرْعِ وَشِعَارُ السَّنَةِ فَلْيُكُنْ مَعْظَمًا لَهَا بِاتِّفَاقِ بَغِيرِ شِقَاقِ ، وَشَيْخِ الحَرَمِ
الشَّرِيفِ وَخَدَامِهِ وَجُجَاوِرِيهِ فليُكْرِمُ مُحْسِنَهُمْ وَيَعَامِلُهُ بِحَسَنِ الأَخْلَاقِ ، وَيَتَجَاوَزُ
عَن مُسِيئَتِهِمْ بِطَيِّبِ أخْلَاقِ ، وَحِوَاصِلِ الحَرَمِ الشَّرِيفِ المَخْزُونَةِ فِيهِ فَلْيُكُنْ مَحِيمةً مَن
التَّهْدِيرِ فِي وَقْتِ الإِنْفَاقِ ، وَتَلِكِ دَارِهِمْ سُكَّانُهَا الطَّيِّبِوُ الأَعْرَاقِ ؛ وَالتَّقْوَى فَمَنْ يَنْتَهَبُ

الشريف آثارها الإشراق ، وعليهم نزل الفرقان والتَّحريم والطلاق ، فإذا عسى أن نوصيه وهو أهل الفضل على الإطلاق ، والله تعالى يجعل نِجاره في الفخر مجلِّيه في السِّباق ، بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لأمير المدينة أوردتها في "التعريف" ، وهي :

فكَلِّ بتقوى الله شرفك ، وأتبع في الشريعة الشريفة سلفك ؛ وكتاب الله المنزل ، أتم أهل بيت فيكم تنزل ، وسنة جدك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تهمل ، وهي مجدكم المؤنل ، ومعرفة حق من مضى ، عنكم ، وإلا فعمن تُثقل ، ومنكم ، وإلا فعمن تُؤمل ، وإزالة البدع وإلا فلائى شئ سيوفكم تُصقل ، ولماذا رماحكم تُعدل ؛ والرافضة وغلاة الشيعة هم دنس من آتتى إلى هذا البيت الشريف بولائه ، وسبب وقوف من يقصد الدخول تحت لوائه ؛ فهم وإن حُسبوا من أمداده ، ليسوا - وحاشى نوره الساطع - إلا من المكثرين لسواده ؛ أرادوا حفظ المودة في القربى فأخلوا ، وقصدوا تكثير عددهم فقلوا ؛ وأنف من هو برىء من سوء مذهبهم ، أن يتظاهر بالولاء فيعد في أهل البدع بسببهم ؛ مع أنهم طمعوا في رضا الله فأخطأهم المطامع ، وصحیح أنهم زادوهم عددًا إلا أنها كزيادة [الشغياء أو كزيادة] الأصابع .

فصمَّ عزمك على ما عاهدت الله عليه من رفع أيدي قضايتهم ، ومنعهم من اتباع خطوات الشيطان في سبيل مرضياتهم ؛ وحدّتهم مما لا يعود معه على أحد منهم ستر يُسبل ، ولا يبقى معه لغير السيف حكم يقبل ؛ فمن خاض للسلف الصالح يم دم أغرق في تياره ، أو قدح فيهم زناد عناد أحرق بناره ؛ وألزم أهل المدينة الشريفة النبوية

(١) الزيادة من "التعريف" . (ص ١٠٧) ومن التقليد الذي سبق ، انظر (ص ٢٥٢) .

بكلمة السنة فإنها أول ما رفعت بتلك المواطن المعظمة أعلامها ، وسمعت في تلك
النجرة المكرمة أحكامها ، مع تعفية [آثار] ما ينشأ على هذه البدعة من الفتن حتى
لا ينعقد لها تقع مثار ، وتوطئة أذناف [ذلك] الحمى للتلايق^(١) به لمبطل في مدارج نطقه
عثار ؛ والوصية بسكان هذا الحرم الشريف على الحال به أفضل الصلاة والسلام
ومن ينزل به من نزيل ، ويجاوره به مستقراً في مهاد إقامة أو مستوفزاً على جناح
رحيل ؛ ومن يهوى إليهم من ركائب ، ويأوى إليهم من رفقة مالت من نشوات الكرى
بهم راقصات النجائب ؛ ومن يصل من رُبان الآفاق ، وإخوان نوى يتشاكون
إليهم مرّ الفراق ؛ ومن يتلاقى بها من طوائف كلهم في بيوت هذا الحمى عشاق ،
وأئم شتى جوعهم من مضير وشام [ويمن]^(١) وعراق ؛ وما يصل معهم في مسيل
وفودنا ، وسبيل جودنا ؛ ومحاملنا الشريفة التي ينصب لنا بها في كل أرض سرير ،
وأعلامنا التي ما سميت بالعقبان إلا وهي إليها من الأشواق تطير .

ففي اشعرت بمقدم ركابهم ، أوبرقت [لك] عوارض الأفتار من سماء قبائهم ؛
فبادر إلى تلقّهم ، وقبل لنا الأرض في آثار مواطنهم ، وقم بما يجب في طاعة الله
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا ، وأخرج عنهم كل يد ولا تُخرجهم
عن جماعتنا .

وأهل البادية هم حزبك الجيش اللهم ، وحربك إذا كان وقودها جثث وهام ؛
وهم قوم لم يؤدبهم الحضر ، ولا يبيت أحد منهم لأنفته على حذر ؛ فاستجلب
بمداراتك قلوبهم الأشتات ، وبادر حبال إليهم النافرة قبل الأبتات ؛ ورتّب
مراسمنا المطاعة إذا ذرت لك مشارفها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك

(١) الزيادة من التعريف (ص ١٠٨) .

من الحروب بوارقها ؛ وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولولا أن السيف لا يحتاج إلى حلية لأطلقنا حمائل ما نملية عليك ؛ فما شهد للشريف بصحة نسبه ، أركى من عمله بحسبه ؛ والله تعالى يقوى أسبابك المتينه ، ويمتّع العيون بلوامعك الميينه ، ويمسك بك ما طال به إرجاف أهل المدينه .

الوظيفة الثانية

(القضاء)

وكان في الزمن القديم بها قاض واحد شافعي ، ثم استقر بها قاضيان آخران : حنفي ومالكي ، يكتب لكلّ منهم توقيع في قطع الثلث بـ«السامى» بالياء .
وهذه نسخة تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية :

الحمد لله الذى جعل الشرع الشريف دافق السيول ، وفي طيبة له الأصول ؛ ومنها نشأ وتفرّع فله في البسيطة عموم وشمول ، وكلّ قطر به مشمول ، وكل ربع به مأهول ، وتأكد به المعلوم وتبدد به المجهول ، وزالت الشرائع كلها وهو إلى آخر الدهور لا يزول .

نجمه وحده يطول ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عمّرت [بها] أطول ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف رسول ، وأكرم مأمول ، وأفضل مسؤل ، ومهتد من سيوف الله مسؤل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبى الفروع والأصول ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الشرع الشريف معدنه في أرض نوى خير الرسل فيها ، ومنشأه في بلاد ملائكة الله تحميها ؛ فلا يلى أفضية الناس إلا من طالّت ذوائب علمه ،

وأشرفت ثواقب فهمه ، وبنيت على الأصول قواعد حكمه ، وتحلى بالورع فجلى
في سماء النجاة كنجمه .

ولما كان فلان هو الذى جذبته السعادة إلى مقرها ، وخطبته المغفرة إلى موطن
برها ، وأهله الأقدار إلى جوار نبي هو خاتم الأنبياء وفتح أمرها ؛ وأصبح للحكم
في المدينة ، مستحقا لما فيه من سكينه ، وتحصيل للعلم ومن حصل العلم
كان الله معينه .

فذلك رسم أن يستقر

فليأشر منصباً جليلاً في محلّ جليل ، وليعلم أنّ سائر الأمصار تغبطه وتحسده
وما لمنصبه من مثيل ؛ أين يوجد سواه في كلّ سبيل ؟ من قاض هو بسيد المرسلين
نزىل ، ومن يضح ويمنى جارا للمستجير في المحشر الطويل .

فاحكم بين ناس طيبة بورع وتأصيل ، وتحرير في تحريم وتحليل ، وآتى الله في كل
فعل وقيل ، وأستقيم على الحق حذار أن تميل ، فصاحب الشرع أنت منه قريب
والنبي من الله قريب وحبيب وخليل ، وما ذا عسى أن نوصيه وهو بحمد الله تعالى
كالنهار لا يحتاج إلى دليل .

وأما الخطابة : فأرق درج منبرها ، وشف الأسماع من ألفاظك بدرها ؛ وحرر
ما تقوله من المواعظ فإن صاحب العظات يسمعك ، وتواضع لله فإن الله يرفعك ؛
وهذا المرقى فقد قام فيه النبي الأُمى سيد الثقلين ، ومن بعده الخليفةان قرّتا العين ،
ومن بعدهما عثمان ذو النورين ، وعلي رضي الله عنه أبو الحسنين ؛ فأخشع ، عند
المطلع ؛ وأصدع ، بما يتفجع ؛ وأنظر لما تقوله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

هناك يسمع ، وقاضي المدينة وخطيبها يرجو أن ليس للشيطان فيه مطمع ، والله تعالى يحوز له الخير ويجمع ؛ بمنه وكرمه ! .

الوظيفة الثالثة

(مشيخة الحرم الشريف)

وقد جرت العادة أن يكون له خادمٌ من الخُصيانِ المعبر عنهم بالطواشِيَّة ، يُعين لذلك من الأبواب السلطانية ، ويكتب له توقيعٌ في قِطْعِ التَلْتِ بـ«المجلس السامى» بالياء مفتتحاً بـ«الحمد لله» .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك :

الحمد لله الذى شرف بخدمة سيد الرسل الأقدار ، وفضل بالتأهل للدخول فى عداد كرمه بخدمته من أختاره لذلك من المهاجرين والأنصار ، وجعل الاختصاص بمجاورة حرمه أفضل غاية تهجر بلوغها الأوطان والأوطار ، وعجل لمن حل بمسجده الشريف تبوأ أشرف روضة تردّها البصائر وترودها الأبصار .

نحمده على نِعَمِهِ التى أكملها خدمة نبيّه الكريم ، وأفضلها التوفّر على مصالح مجاورى قبر رسوله الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وأجملها الانتظام فى سلك خدمة حرمه [لأنها] بمنزلة واسطة العقد الكريم التّظيم ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُزلفَةً لديه ، مُقربةً إليه ، مدخرةً ليوم العرض عليه ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف نبيّ بعث إلى الأسود والأحمر ، وأكرم من أنار ليل الشرك بالشرع الأقر ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نخرت الحبشة بهجرتهم الأولى ، ونجا النجاشى بما آخذ عندهم من السابقة الحسنة واليد الطولى ، وأولى

بِاللَّهِمَّ مِنَ السَّبْقِ إِلَى خِدْمَةِ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
أَفْضَلَ مَا يُؤْتَى؛ صَلَاةً لَا يَزَالُ شَهَابُهَا مُرْشِدًا، وَذِكْرُهَا فِي الْأَفَاقِ مُعَيَّرًا وَمُجَدِّدًا؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوْلَى مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَنْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَفْضَلُ عَلَيْهِ مِنْ
مَلَائِسِ كَرَمِهِ، وَشَرَفِ قَدْرِهِ بَأَنَّ أَهْلَهُ لَخِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ بِلِمْشِيخَةِ حَرَمِهِ؛ وَخَصَّهُ
بِرُتْبَةٍ هِيَ أَسْنَى الرُّتَبِ الْفَاخِرَةِ، وَأَجْمَعُ الوِظَائِفِ لِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - مِنْ رَجْحِهِ
لِذَلِكَ دِينِهِ الْمُتَيْنِ، وَوَرَعِهِ الْمَكِينِ، وَزُهْدِهِ الَّذِي بَلَغَ بِهِ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي سَيَكُونُ
بِهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي ادْرَكَ مِنْ خِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ غَايَةَ سُؤْلِهِ، وَزَكَتْ عِنْدَ
اللَّهِ هِجْرَتُهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَسَلَكَ فِي طَرِيقِ خِدْمَتِهِ الشَّرِيفَةِ
أَحْسَنَ السُّلُوكِ، وَأَنْتَهَتْ بِهِ السَّعَادَةُ إِلَى خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِيُعْرِضَ بِجَوْهَرِهَا الْأَعْلَى عَنْ عَرَضِ خِدْمَةِ الْمَلُوكِ؛ وَفَازَ مِنْ مُجَاوِرَةِ الْحِجْرَةِ الشَّرِيفَةِ
بِمَا عَظُمَتْ عَلَيْهِ [بِهِ] الْمِنَّةُ، وَحَلَّ بِهِ مِمَّا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ
الْجَنَّةِ؛ وَأَقَامَ فِي مَقَامِ جَبْرِئِيلَ، وَمَهَيِّطِ الْوَحْيِ وَالنَّزِيلِ؛ يَتَفَيَّأُ ظِلَالِ الرَّحْمَةِ
الْوَارِفَةِ، وَيَتَهَيَّأُ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ بِالْعَارِفَةِ بَعْدَ الْعَارِفِ - تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُحَلِّي
بِعُقُودِ مَشِيخَةِ ذَلِكَ الْحَرَمِ، وَالْمَتَوَلَّى لِمَصَالِحِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَهُ فِي التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمْ
أَثْبَتُ قَدَمٍ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن تفوض إليه المشيخة على خدام
الحرم الشريف النبوي: للعلم بأنه العادل الورع، والكافل الذي يعرف أدب تلك

(١) لعله "من اعتمد عليه من" الخ .

(٢) في الأصل "اليه" .

الوظيفة : من خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم - على ما شرع ؛ والزاهد الذي آثر جوار نبيه على ما سواه ، والخاشع الذي نوى بخدمته الدخول في زمرة من خدمه في حياته : « ولكل أمرئ ما نواه » .

فليستقر في هذه الوظيفة الكريمة قائماً بأدائها ، مشرفاً بها نفسه التي تشبثت من خدمته الشريفة بأهدائها ؛ سالماً في ذلك ما يجب ، مُحافظاً على قواعد الورع في كل ما يأتي وما يَحْتَب ؛ قاصداً بذلك وجه الله الذي لا يُحِبُّ لِرَاحِ أَمَلًا ، ولا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ؛ مُلزماً كلاً من طائفة الخُدَّام بما يقربُه عند الله زُلْفَى ، ويضعِفُ الحسنة الواحدة سبعين ضعفاً ؛ هادياً من ضلَّ في قوانين الخدمة إلى سواء السبيل ، مُبدياً لهم من آداب سلوكه ما يغدو لهم منه أوضح هادٍ وأنور دليل ؛ وفيه من آداب دينه ما يغني عن تكرار الوصايا ، وتجديد القضايا ؛ والله تعالى يسدده في القول والعمل ، ويوفقه لخدمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد فعل ؛ بمنه وكرمه .

القاعدة الثالثة الينبع

(وبها وظيفة واحدة، وهي النيابة)

وقد تقدم أن نيابتها في نبي الحسن ، من بني قتادة أيضاً . وعُدل بها عن لفظ الإمارة إلى لفظ النيابة تصغيراً لشأنها عن مكة والمدينة . ويكتبُ لِنَائِبِهَا مرسومٌ شريفٌ في قطع الثلث «بالمجلس السامي» بغيرياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بِنِيَابَةِ الينبع ، كُتِبَ بِهِ «لِخِذْمِ بْنِ عَقِيلٍ» فِي عَاشِرِ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ ، مِنْ إِثْنَاءِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، وَهُوَ :

الحمد لله الذي أتم لدولتنا الشريفة أنعمًا، وأحسن في تقديم شريف كل قوم
تقدما، وأمضى في كف كف الأعداء رحماً سمهراً وسيفاً محمداً .

نحمده حمداً يكثر عدد القطر إذا همى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
شهادة تؤمن بالإدمان عليها منجداً ومترهما؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي
شرف من إليه آتته، وعلى نسبه الشريف آرتى، وبجواره المنيع آحتى؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين طلّوا في صباح كل نهار شمساً وفي عشيّة كل ليل
أنجماً؛ وسلّم تسليماً .

وبعد، فإن أولى من أعدنا له سعادة جدّه، وعدنا إلى عوائده الحسنى لأبيه
وجده؛ ورعت صدقاتنا الشريفة له قصبه الجميل، وشرفه الذي سما به من أصله
إلى النجم فرع لا ينال طویل؛ وأقرت عينه بسكّنه، وأستقرت به مراسمنا العالية
في مسكّنه؛ وأغنته عنايتنا الشريفة عن انتظار كل نجم سعادة يطّلع، وبعثت إليه كل
خير إلى وطنه وهو «ينبع»؛ منزلة نسبه الصميم، والحسب الذي يتمسك به في قومه
كل كريم؛ والشرف الذي أنارت كواكبّه، والوصف الذي ينظم الدرّ ثاقبه^(١) .

ولما كان المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الشريف، الحسيب،
النسيب، الأوحّد، العضد، النصير، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، زين
الأنام، شرف الأمراء الأشراف، نخر العترة الطاهرة، جمال الأسرة الزاهرة،
نسيب الخلافة، عضد الملوك والسلاطين «محمّد بن عقيل» أيدّه الله تعالى - هو
الذى تقدمت إليه كل إشارة، وحسنت به كل شاره، وتعجّلت له بمراضينا
الشريفة من محلق الشفق كل بشاره؛ وحصل في ينبع ما حصل من الاعتداء،
وأمّدت الأيدي به إلى ما كان مجّاج بيت الله من ودّيعه، وظنّ أنّه لا يشيع خبره

(١) لم يذكر خبراً لأن وهو معلوم من نظائره وكثيراً ما ورد كذلك ونهنا عليه .

في البيداء ، نخالف الواجب وتعدى الشريعة ؛ فاقضت آراؤنا الشريفة تفويضها إلى العارف منها بما يجب ، العالم من طريق سلفه الصالح بما يأتي فيها ويحتب ؛ العامل في طاعتنا الشريفة بما هو به ومثله من أهل الشرف يليق ، الماشي في خدمتنا الشريفة وفي خدمة الوفود إلى بيت الله الحرام على الطريق .

فُرم بالأمر الشريف - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه - أن تُفوض إليه النيابة بالنيح على عادة من تقدمه وقاعدته إلى آخر وقت :

فليقدم تقوى الله في كل ما تقدم ، ويقف مع حكم الشرع الشريف فإنه المهيم المقدم ؛ وليستوص بالهجاج خيراً فإنهم وفد الله وهو عليه سيقدم ، وليؤمن الطريق فإنه بين حرمين : بيت الله ومسجد رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وليحفظ أمانة الله فيما يحل ويخلف عنده الهجاج كتب الله سلامتهم من وداعه ، وليأخذ بقلوب الجلابة فإنهم في توسيعهم على أهل الحرمين كالتصدقين وإن كانوا تجاراً يضاعه ؛ ويوصل من تأخر من أبناء السبيل إلى مأمنهم ، وليخص بالعدل أهل بلده ليستقروا آمنين في موطنهم ، والرفق فهو الذي بحله يزين ، وبحله يستحسن ، والتأني في معرفة الحق من الباطل فإن به الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الباطل بين ؛ ولزوم الطاعة ، التي أوجبها الله لنا على عباده ونذب إليها ، وملازمة الجماعة ، التي يكفيه من بركانها أن يد الله عليها ؛ وإقامة الخدمة فيما قبله من البلاد ، وكل حاضر وباد ، وكل من كاد أو كاد ، أو تعرض لعناد العباد ؛ فن أقدم على محذور ، أو تقدم إلى محذور ، أو ارتكب في الخلاف أمراً من الأمور ؛ جره بالبغي إلى مصرعه ، وحرك السيف لمضجعه ، ودع الرمح الذي اعتقله للشقاق يبكي للإشفاق عليه بأدمعه ؛ وقد رأيت كيف

(١) مراده «وديمة» ولكن اضطره السجع الى موافقة اللغة العامية . فتنبه .

طَرِيقَتَنَا الْمُثَلَّى، وَسِيرَتُنَا الَّتِي لَا تَجِدُ لَهَا مِثْلًا؛ فَاسْأَلْكَ هَذِهِ الْمَحَجَّةَ، وَحَسْبُكَ أَنْ تَتَّخِذَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ حُجَّةً؛ وَفِي هَذَا عَنِ بَقِيَّةِ الْوَصَايَا غَنَى، وَاللَّهُ يُزِيلُ عَنْكَ الْخَوْفَ
فِي الْخَيْفِ وَيُيَلِّغُكَ الْمُنَى فِي مَنَى؛ وَالْأَعْتَادُ

القسم الرابع^(١)

(مما يُكْتَبُ مِنَ الْوَالِيَّاتِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ
بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ - مَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ النُّدُورِ، وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ فِي حِينِ
مِنَ الْأَحْيَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ نَظِيرٌ)

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حُسن التوسل": "ويحتاج الكاتب فيه
إلى حُسن التصرف على ما يقتضيه الحال .

[فمن ذلك] ما يُكْتَبُ بِهِ لِلنِّيَابَةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَمْلُوكَةِ إِذَا رَغِبَ فِيهَا مُتَوَلِّيُهَا .

وهذه نسخةٌ تُقْلِدُ شَرِيفَ مِنْ ذَلِكَ، كَتَبَ بِهِ الْمَوْلَى الْفَاضِلُ شِهَابُ الدِّينِ مَحْمُودُ
الْحَلَبِيُّ لِمَتَمَلِّكَ سَيِّسَ، بِإِقْرَارِهِ عَلَى مَا هُوَ قَاطِعُ النَّهْرِ مِنْ بِلَادِهِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ أَيَّامَنَا الزَّاهِرَةَ، بِاصْطِنَاعِ مُلُوكِ الْمَلَلِ، وَفَضَّلَ دَوْلَتَنَا
الْقَاهِرَةَ، بِإِجَابَةِ مَنْ سَأَلَ بَعْضَ مَا أُرْزِقَتْ لَهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ؛ وَجَعَلَ مِنْ خِصَائِصِ
مُلْكِكَ إِطْلَاقَ الْمَمَالِكِ وَإِعْطَاءَ الدُّوَلِ، وَالْمَنَّ بِالنَّفُوسِ الَّتِي جَعَلَهَا النَّصْرُ لَنَا مِنْ جُمْلَةِ
الْخَوْلِ؛ وَأَغْرَى عَوَاطِفَنَا بِتَحْقِيقِ رَجَاءِ مَنْ مَدَّ إِلَى عَوَارِفِنَا كَفَّ الْأَمَلِ، وَأَفَاضَ
بِمَوَاهِبِ نِعْمَاتِنَا، عَلَى مَنْ أَنْابَ إِلَى الطَّاعَةِ حُلَّ الْأَمْنِ بَعْدَ الْوَجَلِ؛ وَاتَّرَعَ بِالْآثِنَا،

(١) تقدم له تقسيمه الى ثلاثة أقسام فقط كما ورد في الصفحة ١٣٤ من ج ١١ من هذه الطبعة فيكون

هذا زائدا على الأقسام .

لمن تَمَسَّكْ بَوْلَانِنَا ، أَرْوَاحَ رَعَايَاهُ مِنْ قَبْضَةِ الْأَجَلِ ، وَجَعَلَ بَرْدَ الْعَفْوِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ بِالطَّاعَةِ تَبِيحَةً مَا أَذَاقَهُمُ الْعِضْيَانُ مِنْ حَرَارَةِ الْعَضْبِ : إِذْ «رُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ» .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ عَفْوَنَا مِمَّنْ رَجَاهُ قَرِيبًا ، وَكَرَمَنَا لِمَنْ دَعَاهُ بِإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ مُجِيبًا ، وَرَبَّنَا لِمَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ مِثْيَابًا بِوَجْهِ الْأَمَلِ مُنِيبًا ، وَبَأْسَانَا مُصِيبًا لِمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ فِي التَّمَسُّكِ بِمِرَاحِمِنَا نَصِيبًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَعَصِمُ دَمًا مِنْ تَمَسُّكِ بِذِمَامِهَا ، وَتَحْسِمُ مَوَادًّا مِنْ عَانَدِهَا بِانْتِقَامِ حُسَامِهَا ، وَتَقْصِمُ عُرَا الْأَعْنَاقِ مِمَّنْ أَطْعَمَهُ الْغُرُورُ فِي أَنْفِصَالِ أَحْكَامِهَا وَأَنْفِصَامِهَا ، وَتَقْصِمُ مَنْ قَصَدَ إِطْفَاءَ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهَا وَأَقْطَعَ مَا قَضَاهُ مِنْ دَوَامِهَا ، وَتَجْعَلُ كَلِمَةَ حَمَلَتِهَا هِيَ الْعُلْيَا وَلَا تَزَالُ أَعْنَاقُ جَاهِدِيهَا فِي قَبْضَةِ أَوْلِيَائِهَا وَتَحْتَ أَقْدَمِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ ، الْمَنْعُوتُ فِي الْكُتُبِ الْمَنْزَلَةِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، الْمَخْصُوصُ مَعَ عَمُومِ الْمَعْجَزَاتِ بِتَحْسِنٍ : مِنْهَا الرَّعْبُ الَّذِي كَانَ يَتَقَدَّمُهُ إِلَى مَنْ قَصَدَهُ وَيَسْبِقُهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى مَنْ أَمَّهُ ، الْمَنْصُوصُ فِي الْكُتُبِ الْحَكِيمَةِ عَلَى جِهَادِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَمْ يَتَمَسَّكْ مِنْ طَاعَتِهِمْ بِذِمَّتِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا بِدَعْوَتِهِ الْمَمَالِكَ ، وَأَوْضَحُوا بِشَرْعَتِهِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَالِكَ ، وَجَلَّوْا بِنُورِ سُنَّتِهِ عَنْ وَجْهِ الزَّمَنِ كُلِّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأُورِدُوا مِنْ كَفَرِ بَرَبِّهِ وَرُسُلِهِ مَوَارِدَ الْمَمَالِكِ ، وَوَرِقُوا بِمَا وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهُ حِينَ زَوَى لَهُ ذَلِكَ ؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرُحُ ذِكْرُهَا مُغَيَّرًا فِي الْأَفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ مَا اسْتَفْتَحَتْ أَلْسِنَةُ الْأَسِنَّةِ النَّصْرَ بِإِقَامَتِهَا ، وَأَبَادَتْ أَعْدَاءَهَا بِاسْتِدَامَتِهَا ؛ وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا آتَانَا اللَّهُ مُلْكَ الْبَسِيطَةِ ، وَجَعَلَ دَعْوَتَنَا بِأَعْنَةِ مَمَالِكِ الْأَقْطَارِ مُحِيطَةً ؛ وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنْهَضَنَا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ ،

وجعل كل يوم تُعرض فيه جيوشنا من أمثلة يوم العرض ، وأظلتنا بوادر الفتوح ،
وأظلت على الأعداء سيوفنا التي هي على من كفر بالله وكفر النعمة دعوة نوح ؛
وأيدنا بالملائكة والروح ، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة : فانتصر بالأب والأبن
والروح ؛ وألقت إلينا ملوك الأقطار السلام ، وبذلت كرائم بلادها وتلاذها رغبة
في الالتجاء إلى ظل أعلى من الأعلام ؛ وتوسل من كان منهم يُظهر الغلظة بالدلة
والخضوع ، وتوصل من كان منهم يُبدي القوة بالإخلاص الذي رآوه لهم أقوى
الجن وأوقى الدروع - عاهدنا الله تعالى أن لا نردّ منهم آملا ، ولا نصدّ عن مشاريع
كرمنا ناهلا ؛ ولا نحيب من إحساننا راجيا ، ولا نخلي عن ظلّ ربنا لاجيا ؛ علمنا
أنّ ذلك شكر للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل ، ووثوقاً بأنه حيث كان
في قبضتنا متى نشاء نجح عليه الأنايل ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك اللأجى للغلّ مسرا ،
وعلى عداوة الإسلام مُصرا ؛ فيكون هو الجاني على نفسه ، والجاني على موضع
رّمسه ، والمفرط في مصلحة يومه وغده بتذكير عداوة أمسه .

ولما كان من تقدّم بالملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله ، وعقد بجبال
الغرور آماله ؛ وحسن له التمسك بالتأثر الذين هم بمهابتنا محصورون في ديارهم ،
مأسورون في حبال إذارهم ؛ عاجزون عن حفظ ما لئيمهم ، قاصرون عن ضبط
ما استلبته السرايا المنصورة من يديهم ؛ ليس منهم إلا من له عند سيوفنا تار ، ولها
في عنقه آثار ، ومن يعلم أنه لا بد له عندنا من خطي خسف : إما القتل أو الإيسار .

وحين تهادى المذكور في غيه ، وحمله الغرور على ركوب جواد يغيه ، أمرنا
جيوشنا المنصورة بفحاست خلال تلك الممالك ، وداسّت حوافر خيلها ما هنالك ،
وساوت في عموم القتل والأسريين العبد والحُرّ والمملوك والمالك ؛ وألحقت روايى

جبالهم بالصعيد ، وجعلت حُصاتهم كزُرُوعِ فَلَاتِهِمْ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ؛ فَاسْلَمَهُم
 الشَّيْطَانُ وَمَرَّةً ، وَتَرَكَهُمْ وَقَرْبًا ، وَمَا كَرَّمَهُمْ وَمَا كَرَّمَ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَوْعِدَهُمُ السَّاعَةُ وَالسَّاعَةُ
 أَذْهَى وَأَمْرًا ؛ وَأَخْلَفَهُمْ مَا ضَمَّنَ لَهُمْ مِنَ الْعَوْنِ ، وَقَالَ لَهُمْ : ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي
 أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ .

وكان الملكُ فلانٌ ممن تدبَّرَ طُرُقَ النِّجَاةِ فلم يرَ لِيهَا سِوَى الطَّاعَةِ سَيِّلا ، وَتَأَمَّلْ
 أسبابَ النِّجَاحِ فلم يجدَ عليها غيرَ صِدْقِ الْإِنْتِمَاءِ دَلِيلًا ؛ فَأَبْصَرَ بِالْخِدْمَةِ مَوْضِعَ رُشْدِهِ ،
 وَأَدْرَكَ بِسَعْيِهِ نَافِرَ سَعْدِهِ ؛ وَأَرَاهُ الْإِقْبَالَ كَيْفَ ثَبَّتَ قَدَمَهُ فِي الْمَلِكِ الَّذِي زَلَّتْ عَنْهُ
 قَدَمٌ مِنْ سَلْفٍ ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْإِشْفَاقَ عَلَى رَعَايَاهُ مِصَارِعَ مِنْ أَوْرَدِهِ سُوءَ تَدْيِيرِ أَخِيهِ
 مَوَارِدِ التَّلَفِّ ؛ وَعَرَفَهُ التَّمَسُّكُ بِإِحْسَانِنَا كَيْفَ أَحْتَوَتْ يَدَهُ عَلَى مَالِمْ يُبْقِي غَضَبُنَا فِي يَدِ
 أَخِيهِ مِنْهُ إِلَّا الْأَسَى وَالْأَسْفَ ؛ وَحَسَّنَتْ لَهُ الثَّقَّةُ بِكُنَّا كَيْفَ يُجْمَلُ الطَّلَبُ ،
 وَعَامَّتَهُ الطَّاعَةُ كَيْفَ يَسْتَنْزِلُ عَوَارِفُنَا عَنْ بَعْضِ مَا غَلَبَتْ عَلَيْهِ سِيُوفُنَا : وَإِنَّمَا الدُّنْيَا
 لِمَنْ غَلَبَ ؛ وَأَتَمَّتْ لِيُنَا فِصَارَ مِنْ حَدَمِ أَيَّامِنَا ، وَصَنَائِعِ إِنْعَامِنَا ، وَقَطَعَ عِلَاقَتَهُ مِنْ
 غَيْرِنَا ؛ فَلَجَأَ مِنَّا إِلَى رُكْنِي شَدِيدٍ ، وَظِلِّ مَدِيدٍ ، وَنَصْرٍ عَتِيدٍ ؛ وَحَرَمِ تَأْوِي الْمَلَّةِ إِلَيْهِ ،
 وَكَرَمِ تَقَرُّ نِضَارَتِهِ نَاطِرِيهِ ، وَإِحْسَانِ يُمْتَعَهُ بِمَا أَقْرَهُ عَطَاؤُنَا فِي يَدِيهِ ، وَامْتِنَانِ يَضَعُ
 عَنْهُ إِصْرَهُ وَالْأَنْثَالَ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ - أَقْتَضَى إِحْسَانُنَا أَنْ نُفَضِّيَ لَهُ عَنْ بَعْضِ
 مَا حَلَّتْ جُبُوشُنَا دُرَاهُ ، وَحَلَّتْ سَطَوَاتُ عَسَا كَرْنَا عُرَاهُ ، وَأَضْعَفَتْ عَزَمَاتُ
 سَرَايَانَا قُوَاهُ ، وَنَشَرَتْ طَلَائِعَ جُنُودِنَا مَا كَانَتْ سَتَرَهُ صَفْحُنَا عَنْهُمْ مِنْ عَوَارِثِ
 بِلَادِهِمْ وَطَوَادِهِمْ ؛ وَأَنْ نُحَوِّلَهُ بَعْضَ مَا وَرَدَتْ خِيُولُنَا مِنْهَا لَهُ ، وَوَطَّئَتْ جِيَادُنَا غَارِبَهُ
 وَكَاهِلَهُ ، وَسَلَكْتَ كُنُوسًا فَمَلَكْتَ دَارِسَهُ وَآهْلَهُ ؛ وَأَنْ يَبْقَى مُلْكُ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي
 مَضَى سَلْفُهُ فِي الطَّاعَةِ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَمِرَّ مَلِكُ الْأَرْضِ الَّذِي أَجْمَلَ السَّعْيَ فِي مِصَالِحِهِ

بيديه ؛ لَتَيْمَنَ رعاياه به ، ويعلموا أنهم آمنوا على أرواحهم وأولادهم بسببه ، عن طوية مخلصه ونفس مطيعة ، ولا تخشى عليه يد جائره ، ولا سرية في طلب الغرة سائره ؛ ولا تطرق ككاسه أسد جيوش مفترسه ، ولا سباع نهاب محتلسه ؛ بل تستمر بلادُه المذكورة في ذمام رعايتنا ، وحضانة عنايتنا ؛ وكنف إحساننا ، ووديعه برنا وأمتاننا ؛ لا تطمح إليها عين مُعاند ، ولا يمتد إليها إلا ساعد مُساعد وعَضد مُعاضد .

فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذي هداه إلى الطاعة ، وصان بإخلاص ولآئِه نفسه ونفائس بلاده من الإضاعة ؛ وليقرن ذلك بإضفاء موارد المودة ، وإضفاء ملابس الطاعة التي لا تزادُ بحسن الوفاء إلا جدّه ؛ واستمرار المناسحة في السر والعلن ، واجتناب الخادعة ما ظهر منها وما بطن ؛ وأداء الأمانة فيما استقر معه الخلف عليه ، ومباينة ما يخشى أن يتوجه بسببه وجه عتب إليه ؛ واستدامة هذه النعمة بحفظ أسبابها ، واستقامة أحوال هذه المنّة برؤض موجبات الكدر واجتنابها ، وإخلاص النية التي لا تعتبر ظواهر الأحوال الصالحة إلا بها .



ومن ذلك ما يكتب به لحكم رمة البندق

قد جرت العادة أنه إذا كان للسلطان عناية برمي البندق ، أقام لرماته حاكماً من الأمراء الذين لهم عناية برمي البندق .

وهذه نسخة توقيع من ذلك :

الحمد لله الذي خص أيامنا الزاهرة ، باستكمال المحاسن في كل مرّام ، وجعل [من] أولياء دولتنا القاهرة ، من أصاب من كل مرّمي بعيد شاكّة الصواب حتى أصبح

حاشا فيه بين كلِّ رَامٍ ، وجمع لخواصنا من أشنات المفاسحِ ما إذا برزوا فيه للرياضة ليلاً [أعنت] قسيهم عن الأهلة ورجومها عن رجوم الظلام ، وسدّد مقاصد أصفينائنا في كلِّ أمرٍ فما شغلوا بمسرة سرّاً إلا وكانت من أقوى أسباب التمرن على خوض الغمرات العظام ، وأقتحام الحرب اللّهام ، وأشتغال جلايب الدجى في مصالح الإسلام .

نحمده على نعمة الوسام ، وأياديه الحسام ، وآلائه التي ما برحت بها تُغور المسائر دائمة الأيتسام ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من الزلل ، وتؤمن من الزنح والخلل ، وتلبس المتمسك بها من أنوار الجلالة أبهى الحلل ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزه عن الهوى ، المخصوص بالوحي الذي علمه شديد القوى ، الدال على اعتبار الأعمال بصحة القصد بقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى » . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين وفق الإخلاص مساعيهم ، ووفّر الإيمان دواعيهم ؛ صلاة دائمة الاتصال ، مستمرة الإقامة بالغدق والآصال ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنه لما كان رمي البندق من أحسن ما هتت به الحكمة ، في حال سلامها ، ومن أبهج ما حفظت به الرّماة ، حياة نفوسها وعزّة عزيمتها ؛ على ما فيه من أطراح الراحة وأجتنابها ، وأستدعاء الرياضة وأجتنابها ؛ وخوض الظلمات في الظلام ، وتونحي الإصابة في غمرات الدجى التي تخفى فيها المقاتل على حدق السهام ، وأرتقاب ظفر ، يُسفر عنه وجه سفر ، ومهاجمة خطر ، تُفضي إلى بلوغ وطر - وله شرائط تقتضى التقدّم بين أربابه ، وقواعد لا يخالفها من كان مبرّراً في أصحابه ؛ وأدوات

(١) في الأصل « في مخالفتها » ولا معنى له . تأمل .

كمال، لأبدٍ للتحلّي بهذه الرتبة منها، وحسنٍ خلال، تُهدرُ أعمالٌ من بعدٍ عليه مرأها
وقصرت مساعيه عنها؛ وعوائدٌ معلومة، بين أرباب هذا الشأن وكبرائه، ومقاصدُ
مفهومة، فيما يميز به المصيبُ الحاذقُ على نظرائه .

ولما كان الجنبُ العالى الفلانى ممن يشار إليه في هذه الرتبة ببنان الترجيح،
ويُرَجَّع إلى أقواله فيما اقتضى التعديل فيما بين أربابها والتجريح؛ ويعمل فيها
بإشارته الخالصة من الهوى والأغراض، ويعول فيها على قدم معرفته المميزة بين
أقدار الرماة مع تساوى إصابته الأغراض؛ لأحتوائه على غايات الكمال فيها، وسبقه
منها إلى مقاماتٍ حسان لا يُعطيها حَقَّها [الا] مثله ولا يُوقِّها - اقتضى رأينا الشريفُ
أن نعدق به أحكامها، ونزدَّ إلى أمره ونهيه كبراءها وحكامها .

فُرمُ بالأمر الشريف أن يكون حاكماً في البندق لما يتعين من اختصاصها
بجنايه، ويتبين من أولويته بالحكم في هذا الفن على سائر أربابه .

فليل ذلك حاكماً بشروطه اللازمة بين أهله، المعتبرة بها خلال الكمال في قول كلِّ
أحد منهم وفعله؛ المميزة بين تفاوت الرماة بحسب كيفية الرمي وإتقانه، المرجحة
في كثرة الطير بإمكانه له في وقت البروز ومكانه؛ المهذرة ما يجب بين أهل هذا
الفن إهداره، المثبتة ما يتعين في كمال الأدوات إثباته في قدم الكبراء وإقراره؛ ويعمل
في ذلك جميعه بما تقتضيه معرفته المجمع في فنه عليها، ويتقدّم فيه بما تدله عليه
خبرته التي ما برح وجه الاختيار مصروقاً إليها؛ والله تعالى يسدده في القول والعمل،
ويبلغه مراتب الرفعة في خلاله الجميلة وقد فعل؛ والخير يكون، إن شاء الله تعالى .

قلت: وربما كان المرسوم المكتتب لمن هو دون من تقدّم من أمير عشرة
أو من في معناه. فيفتح بـ«أما بعد» ويكمل على نحو ما تقدم .

وهذه نسخة ثانية للحاكم البندق، مفتحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذي لا معقب لحكمه ، ولا يعزب شيء عن علمه ، ولا فُتُوطَ من رحمته وسعة حلمه ، ملهم أهل محاربة أعداء دينه بالرياضة لها في أيام سلمه ، ومُنَجِّزُ وُعود السُّعود لمن كان النَّجم مَبْدَأَ هِمَّتِهِ ، وَالصِّدْقُ حُلَّةَ بَعِيَّتِهِ ، وَالغُرْحُلِيَّةَ أَسْمِهِ ؛ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِنُورِ مَلَكِهِ الْعَادِلَةِ مِنْ تَرَدُّي فِي ظُلُمَاتِ ظُلْمِهِ ، وَرَفَعَ مَنَارَ النُّبُوَّةِ بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ آفْتِنَاحِ التَّقَدُّمِ فِي رَتَبَتِهَا وَخَتَمِهِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَرَى كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ عَلَى نَجَائِبِ هِمَّتِهِ وَجِيَادِ عَزَمِهِ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ رُعِيَتْ لَهُ أَسْبَابُ قَدَمِهِ وَتَقَدَّمَ ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ حُكْمِهِ فِي رُتَبَتِهِ وَتَحَكُّمِهِ ؛ وَأَعِيدَ إِلَى مَكَانَتِهِ الَّتِي رَقَّاهَا بِاسْتِحْقَاقِهِ قَدِيمًا ، وَرُفِعَ إِلَى مَنَزَلَتِهِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِهَا خَيْرًا وَأَبْوَضَاعِهَا عَلِيًّا - مَنْ ارْتَقَى فِي رُتَبَتِهِ إِلَى نَجْمِ أَفْقِهَا ، وَأَقْتَدَى فِي مَنَاجِيهِ بِدَلِيلِ مَسَالِكِهَا وَطُرُقِهَا ؛ فَاتَى فِي مَصَالِحِهَا بَيُوتَ الْإِصَابَةِ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَنَقَلَ فِيهَا أَوْضَاعَ الْإِجَادَةِ عَمَّنْ كَانَ أَدْرَى بِهَا ؛ وَتَقَدَّمَ فِيهَا تَقَدُّمَ هِجْرَتِهِ وَسَبَقَ قَدَمِهِ ، وَبَلَغَ فِي مَقَامَاتِهَا الْغَايَةَ بَيْنَ وَثَبَاتِ سَاعِدِهِ وَثَبَاتِ قَدَمِهِ ؛ وَجَمَعَ مِنْ أَشْتَاتِ الطَّيْرِ مَا أَفْتَرَقَ فِي غَيْرِهِ ، وَحَوَى مِنْ السَّبْقِ إِلَى أَنْوَاعِهَا مَا حَكَمَ بِسَعْدِ نَجْمِهِ وَيُمْنِ طَيْرِهِ ؛ فَكَمَّ لَيْلَةَ أُسْفَرٍ فِيهَا أَبْرُزُوهَ عَنِ صَبَاحِ نَجَاحِهِ ، وَكَمَّ طَائِرِ زَاحِمِ النَّسْرَيْنِ بِقَوَادِمِهِ أَصْبَحَ لَدَيْهِ مَحْمُولًا بِجَنَاحِهِ ؛ وَكَمَّ أَنْزَلَتْ أَهْلَةً فَيَسِيهِ الطَّيْرَ عَلَى حُكْمِهَا ، وَكَمَّ حَكَّتْ بِنَادِقِهِ فِي رُجُومِ الطَّيْرِ الْمُحَلَّقَةِ إِلَى السَّمَاءِ أَنْقِضَاصَ نَجْمِهَا ؛ وَكَمَّ أَبْصَرَ مَقَاتِلَ الطَّيْرِ وَهِيَ مِنَ اللَّيْلِ فِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، وَكَمَّ أَشْتَغَلَ مِنَ الطَّيْرِ الْوَاجِبِ بِنَدْبِ رَمِيٍّ لَمْ يَسْغَلْهُ مِنْ إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ لِلْجِهَادِ عَنِ الْفَرَضِ ؛ حَتَّى كَادَ النَّسْرُ الطَّائِرَ إِذَا تَوَهَّمُ أَنَّ الْهِلَالَ قَوْسُهُ يَغْدُو كَأَخِيهِ وَاقِعًا ، وَالْمَرْزَمُ الْحَلَقُ فِي الْأَفْقِ يُمَسِّي لِإِشَارَةِ

بنادقه الصمّ متبعا ؛ حتى أصبح وهو الكبير في فنه بأداب التعريف ، وأضحى وهو الخبير بنوعه بطريق النقل والتوقيف .

ولمّا كان فلانٌ هو كبير هذا الفنّ وخيره ، ومقدّم هذا النوع الذى لم يزل بجلائه عظيم كلِّ عصر وأميره ؛ وقديم هذا المرعى الذى جُلُّ المراد به الحدُّ لا اللبّ ، وأليف هذا المرام الذى ينشط إليه اللاعبُ ويستروحُ إليه التعبُ - أقتضى الرأى الشريف أن نجعله حاكماً في هذه الرتبة الجليلة بما علم أو علم منها ، فأصلاً بين أهلها بمعرفته التى ما برحت يؤخذ بها في قواعدها ويتقلّ عنها - فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكماً في البندق .

فليستقرّ في هذه الرتبة التى تلقّاها ، يمين كفايته ويمنه ، وأرتقاها ، بتفرّده في نوعه وتقدّمه في فنه ؛ وليعتمد الإنصاف في أحكام قواعدها ، وإجراء أمر أربابها على أحوالها المعروفة وعوائدها . ويتأفّف المعروفين بها على التحلّي بأدائها ، والتأمّسك من المروءة والأخوة بأفضل أهدائها ؛ ويُنصف بينهم فيما يعتدُّ به من واجبها ، ويُلزِم الداخل فيها بالمشى على المألوف من طرقها والمعروف من مراتبها ؛ ولا يحكم في التقديم والتأخير بهوى نفسه ، ولا يقبل من لم يحتر الصدق في يومه أنّه قبل منه في أمسه ؛ فإنّ استدامة شروطها أمانٌ من السقوط عن درجتها ، وإذا حكمت نفوس أهلها الصدق في أقوالها وأفعالها فقد خرجت من خطّ حرجها ؛ وليرع لذوى التقدّم فيها قدم هجرتهم ، وأشتهار سيرتهم الحسنة بين أسرّتهم ؛ وقد خبر من أوصافه الحسنه ، وسابق رتبته التى لم تكن عين العناية عنها وسنه ؛ ما أقتضى استقرار رتبته على مكاتنها ومكانها ، وأكتفى له من مبسوط الوصايا بعنوانها ؛ فليتق الله في قوله وعمله ، ويجعل الاعتماد على توفيقه غاية أمله ؛ والخير يكون : إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك ما يكتبُ به في إلباس الفتوة .

إعلم أنّ طائفةً كبيرةً من الناس يذهبون إلى إلباس لباس الفتوة، ويقسمون لذلك شروطاً وأداباً جاريةً بينهم . ينسبون ذلك في الأصل إلى أنه مأخوذٌ عن الإمام عليٍّ كرم الله وجهه .

والطريقُ الجارى عليه أمرهم الآن أنه إذا أراد أحدهم أخذَ الطريق عن كبيرٍ من كبراء هذه الطائفة، أجمع من أهلها من تيسر جمعه، وتقدم ذلك الكبير فيلبس ذلك^(١) ثياباً، ثم يجعل في كوز أو نحوه ماءً ويخلطُ به بعض ملح، ويقوم كلُّ منهم فيشربُ من ذلك الماء وينسبه إلى كبيره . وربما اعتنى بذلك بعض الملوك . وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ألبس السلطان واحداً من الأمراء أن يكتبَ له بذلك توفيقاً .

وهذه نسخةٌ توقيع بفتوة، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وهو :
الحمد لله الذي جعل أنساب الفتوة، متصلةً بأشرف أسباب النبوة، وأفضل من أمده منه بكلِّ حيلٍ وقوة، وأسعد من سما فكان علياً على كلِّ من سام علوه .

نحمده حمداً تغدو الأفواه به مملؤه، ونشكره على مواهبه آيات الشكر المتلوه؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من جعل إلى منهج التوحيد رواجه وغدوه، ونشهد أن محمداً عبده وسوله الذي شد الله أزره بنجر من أفتى وفتى؛ فقال كلُّ فتوى من الفتيان به شرف الأبوّة والبسوة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصروا وليه وخذلوا عدوه، صلاةً موصلةً إلى نيل الأمانى المرجوه .

(١) بياض بالأصول، ولعله : المرید أو نحوه .

وبعد، فإن خير من اتصل به رجاء الرجال الأجواد، وطوى البعيد إلى تحصيل مرآته كل طود من الأطواد، وأماط به عن مكارم الأخلاق لئلا كل جود وأمتطى ظهر خير جواد، وأستمسك من ملابس الشرف بما يؤمن ويؤمل وما يشد به من كل خير لباس التقوى، وما تؤيد به عزيمته فتقوى، وما يتقيد به على رؤوس الأحزاب، وما يتنزل به عليه أحسن آية من هذا الكتاب - من أشتهر بالشجاعة التي تقدم بها على قومه، وحمد أممها في يومه، وبالشهامة التي لها مال السهام من تفويق، ولزرق الأسنه من تحديق، وليبيض الصفاح من حدة متون، وللسمهرية من أزدحام إذا أزدحمت المنون، ومن صدق العزيمة، ما يشهد به كرم الشيمه، ومن شد الباس، ما يجتمع [به] على طاعته كثير من الناس، ومن صدق اللهجة واللسان، ما أتصف عفافه منهما بأشرف ما يتصف به الإنسان، ومن طهارة النفس ما يتنافس على مثله المتنافسون، ويستضيء بأنواره القابسون، ويرفل في حلال نعمائه اللابسون، و[كان] من الذين أبانوا عن حسن الطاعة وأنابوا، وإذا دُعوا إلى استنفار جهاد وأجتهد لبوا وأجابوا، والذين لا يلبون ألبتاهم عن الصدق، ولا يولون وجوههم عن الحق، والذين لا يقعدهم عن بلوغ الأوطار مع إيمانهم حب الأوطان، وإذا نفذوا في حرب حرب الأعداء لا ينفذون إلا بسطان.

ولما كان فلان ذو المفانح، والماتر، أمير الفتيان، مُميز الإخوان والأعيان، هو صاحب هذا المحفل المعقود، والمدوح بهذا المقال المحمود، والمنوح بهذا المقام المشهود، والثناء الذي سر باله بما سر به أنواب العزة والفخار، والأعتناء الذي استخيرا لله في أصطفائه واختياره في ذلك فخار - أقتضى حسن الرأي الشريف - كرم الله أنصاره، وأعلى مناره - أن يجيب وسائل من وقف في هذا القصد وقفة سائل، لينال بذلك كل إحسان وإحسان كل نائل، ودعا إلى الكريم العام بالإنعام،

والدعاء لسُلطان يُدعى له ويدعو كل الأنام ، فقال : أسأل الله وأسأل سُلطان الأرض ، ملك البسيطة إمام العصر ، رافع لواء النصر ، ناصر الملة المحمديّة ، محيي الدولة العباسيّة ، فاتح البلاد والقلاع والأمصار ، قاهر الكفار مُبيد الفرنج والأرمن والتتار ، سُلطان الزمان ، حُسرّوان إيران ، شاهنشاه القان ؛ سُلطان العالم وارث الملك ، سُلطان العرب والعجم والتُّرك ؛ الذي آتبه إليه عن أمير المؤمنين الإمام الأواب ، المغوار ، عليّ بن أبي طالب ذي الفَخار ، شرف الفتوة وآتصال الأنساب .

قلت : هذا ما وقفتُ عليه من نسخة هذا التوقيع . وقد ذكر الشيخُ شهاب الدّين محمود الحلبيّ في كتابه "حسن التوسل" نسخةً تقلد أنشأه في الفتوة ، أسقط منه أول الخطبة وهو : - وابتدأ منه بقوله :

نحمدُه على ما منّنا من نعم سقّا ، وهبنا من علمٍ وحلمٍ غدونا بهما أشرف من أفتى ، وآنانا ملكٍ خلال الشرف الذي لا ينبغي لغير ما آختصنا به من الكمال ولا يتأتّى ، وخصّنا به من رفيع أهل الطاعة إلى سماء النعم يتبوءون من جنان الكرم حيث شاءوا ؛ وغيرهم لا يفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتّى ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من آتني في فخار أبوة التقيّ إلى حسب عليّ ، وآتني في بأوة البُنوة إلى سبب قویّ ونسب زكيّ ، وآرتدي حلال الوقار بواسطة الفتوة عن خير وصي عن أشرف نبيّ ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي نور شريعته جليّ ، وجاه شفاعته مليّ ، وبسيفه وبه حاز النصر من آتني وفاء إليه : فلا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ .

وبعد ، فإن أولى من لبيّ إحساننا نداءً وده ، وربّي أمتنا نتاج ولائه الموروث عن أبيه وجدّه ، ورقاه كرمنا إلى رتبة علاء يقف جواد الأمل عن بلوغها عند حده ؛

وَتَلَقَّتْ كَرَامُنَا وَفَدَ قَصْدِهِ بِالترحيب ، وَأَنْزَلَتْ جَارَ رَجَائِهِ مِنْ مِصْرٍ نَصَرَهَا بِالْحَرَمِ
الْأَمِينِ وَالرَّبِيعِ الْخَصِيبِ ، وَأَدْنَتْ لِأَمَلِهِ مَا نَأَى مِنَ الْأَغْرَاضِ حَتَّى بَلَغَهُ بِفَضْلِهَا سَهْمُ
أَجْتِهَادِهِ الْمُصِيبِ ، وَأَعَدَّتْ لَهُ مِنْ حُلِيِّ الْجَلَالَةِ مَا هُوَ أَجْمَعُ مِنْ رِذَاءِ السَّمَاءِ الَّذِي
تَزْدَادُ عَلَى الْأَيْدِ جِدَّةُ بُرْدِهِ الْقَشِيبِ ؛ وَخَصَّصَتْهُ لِابْتِنَاءِ الْمَجْدِ بِأَجَلٍ بِنُورَةٍ جَعَلَتْ لَهُ
فِي إِرْثِ خِلَالِ الشَّرَفِ أَوْفَرَ حَظٍّ وَأَوْفَى نَصِيبٍ - مِنْ سَمْتِ مَنْابِرِ الْمَجْدِ بِذِكْرِهِ ،
وَأَبْتَسَمَتْ أَسْرَةَ الْمَجْدِ بِشُكْرِ أَوْصَافِهِ وَوَصَفِ شُكْرِهِ ؛ وَأَخْتَالَتْ مَوَادُّ النَّوَاءِ بِحَسَنِ
خِلَالِهِ ، وَأَخْتَارَتْ كَوَاكِبَ السَّنَاءِ إِقْبَالَ طَوْلَعِهِ بِطَوْلَعِ إِقْبَالِهِ ؛ وَتَمَسَّكَ مِنْ طَاعَتِنَا
بِأَمْثَلِ أَسْبَابِ الْهُدَى ، وَأَعْتَصَمَ بِعُرْوَةِ بِنُورَةِ الْأَبْنَاءِ فَأَوْطَاهُ التَّوْتُقُ بِهَا رِقَابَ الْعِدَاءِ ،
وَأَتَّصَفَ بِمَحَاسِنِ الشِّيمِ فِي مَوَدَّتِنَا فَأَضْحَى فِي السَّنِّ كَهْلَ الْحِلْمِ يَهْتَرُّ لِلنَّدَى ؛ وَأَنْتَمَى
إِلَيْنَا فَأَصْبَحَ لَدَيْنَا مَلِكًا مَقْرَبًا ، وَأَوْجِبَ مِنْ حُقُوقِ الطَّاعَةِ عَلَيْنَا مَا أَمْسَى بِهِ لَدَيْنَا
- مَعَ جَلَالَةِ الْأَبْنَاءِ - أَبْنَاءً وَغَدَوْنَا لَهُ - مَعَ شَرَفِ الْأَبَاءِ - فِي نَسَبِ الْفَخْرِ الْعَرِيقِ أَبَاءً ،
وَنَشَأُ فِي مَهَادِ الْمُلْكِ فَسَمَا بِهِ لِلْعِلْمِ وَالْعَلَمِ ، بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَالْبَأْسِ وَالْكَرَمِ ، وَأَعْتَرَى
إِلَى أُبُوَّةِ حُنُونًا بِبِنُورَةِ رَجَائِهِ قَتَشَبَهُ بَعْدَ أَيَّامِنَا : « وَمَنْ يُسِبِّهِ أَبَاهُ فَا ظَلَمٌ » ؛ وَتَحَلَّى
بِصَدْقِ الْوَلَاءِ وَهُوَ أَوْلَى مَا يُطَلَبُ فِي سِرِّ هَذَا النَّسَبِ وَيُعْتَبَرُ ، وَتَحَلَّى لِنِكَايَةِ عَدُوِّ
الْإِسْلَامِ بِلُطْفِ مُكَايَدَةِ : السِّيُوفِ تُجْزُ الرِّقَابِ « وَتَعَجَّزَ عَمَّا تَنَالِ الْإِبْرَ » .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي زَانَ بِمُؤَالَاتِنَا عُقُودَ مَجْدِهِ ، وَزَادَ فِي طَاعَتِنَا عَلَى مَا وَرِثَ
مِنْ مَكَارِمِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ ؛ وَزَانَ الْمُلُوكَ فِي إِقْبَالِ شَبَابِهِ ، وَصَانَ مُلْكَ أَبِيهِ عَنْ عَوَارِضِ
أَوْصِيَاءِهِ بِاتِّبَاعِ مَا أَوْصَى بِهِ ، وَأَنْفَتَ صَوَارِمُهُ أَنْ تَكُونَ لغيرِ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مُعَدَّةً ،
وَعَزَائِمُهُ أَنْ تَتَّخِذَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُ أَوْلِيَاءَ تُلْقَى إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ ؛ وَسِهَامُهُ أَنْ تُسَدَّدَ
[الـ] إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَاءِ ، وَأَسِنَّتُهُ أَنْ يُبَيَّلَ لَهَا مِنْ غَيْرِ مَنْاهِلِ صُدُورِ الْكُفْرِ صَدَى ؛
مَعَ أَجْتِمَاعِ خِلَالِ الشَّرَفِ لِشَرَفِ خِلَالِهِ ، وَأَفْتِرَاقِ أَسْبَابِ السَّرَارِ عَنْ هَالَةِ كَمَالِهِ ؛

وَسْؤَالِهِ مَا لَيْسَ لغيرِهِ أَنْ يَمْدَّ إِلَيْهِ يَدًا ، وَأَنْتِيسَاهُ مِنْ كَرَمِنَا الْعَمِيمِ أَجَلًا مَا نَحَلَّ وَالِدٌ
وَلَدًا ؛ وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَى قَدَمِ الرَّجَاءِ الثَّابِتِ ، وَمَتَّ بِقَدَمِ غُرُوسِ الْوَلَاءِ الَّتِي أَصْلَهَا
فِي رَوْضِ الْمَوَدَّةِ نَابِتٌ ؛ وَقَالَ : أَسْأَلُ اللَّهَ وَأَسْأَلُ سُلْطَانَ الْأَرْضِ ، التَّائِمَ لِجِهَادِ
أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسُّنَّةِ وَالْفُرْضِ ، فَاتَّخِ الْأَمْصَارَ ، الَّذِي لَمْ تَرَلْ سُيُوفُهُ تَهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
عَنْ عَمُودِهَا إِلَى أَنْ صَارَ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ أَنْصَارٌ ؛ الَّذِي كَرَّمَ اللَّهُ شَرَفَ الْفُتُوَّةِ
بِأَنْتَائِهَا إِلَيْهِ ، وَأَعْلَى قَدْرَ بِنَوَةِ الْمُرُوءَةِ بِاتِّصَالِهَا بِهِ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَنْ أَبِي أَوْابٍ
عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ وَأُورَثَهُ مِنْ خُلُقِهِ الْكَرَمِ
وَالْبَأْسِ فَتَحَلَّى مِنْهُ بِأَجَلٍ مُوَافٍ مُوَافِقٍ ، وَمَنْعَهُ بِحِفْظِ الْعَهْدِ مِنْ خِصَائِصِهِ مَاعَهَدَ بِهِ
إِلَيْهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ مِنْ أَنَّهُ مَا يَجِبُهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ؛ أَعَزَّ اللَّهُ سُلْطَانَهُ ،
وَأَوْطَأَ جِيَادَهُ مَعَاقِلَ الْكُفْرِ وَأَوْطَانَهُ ؛ أَنْ يَتَقَبَّلَ قَصْدِي بِقَبُولِ حَسَنِ ، وَيُقْبَلَ
بِوَجْهِ كَرَمِهِ عَلَى أَمَلِي الَّذِي لَمْ يَقْعُدْ بِهِ عَنْ فُرُوضِ الطَّاعَاتِ وَسُنَنِهَا وَسَنِّ ؛ وَيَنْظِمَنِي
فِي سَلَكِ عَقُودِ الْفُتُوَّةِ مُلْتَمِزًا بِأَسْبَابِهَا ، مُقْتَدِيًا بِطَاعَتِهَا الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ أَنْسَابِهَا ؛ مَتَّصِفًا
بِمَوَالَاتِهَا الَّتِي لَا يَثْبُتُ لَهَا حُكْمٌ إِلَّا بِهَا ، آتِيًا بِشُرُوطِ خِدْمَتِهَا الَّتِي مِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا عَلَى
مَا يَجِبُ فَمَا أُنَى الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا .

فَاسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي عَقْدِ لُؤَاءِ هَذَا الْفَخَّارِ لِحُجْدِهِ نَفَّارًا ، وَنَظْمُنَاهُ لِعَقْدِ هَذَا الْمَقَامِ
الْكَرِيمِ وَاسْطَةَ لِمَثَلِهِ كَانَ يَزِينُهَا الْأَدِّخَارُ .

فُوسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ جُودِهِ يُعَلِي الْجُودَ ، وَيُوطِدُ لِأَبْنَاءِ مَلُوكِ الزَّمَنِ
مِنْ رُتَبِ الشَّرَفِ فَوْقَ مَا وَطَّدَتِ الْآبَاءُ وَالْجُودُ - أَنْ نِصَلَ سَبَبَهُ بِهَذَا السَّبَبِ
الْكَرِيمِ ، وَنَعْقَدَ حَسَبَهُ فِي الْفُتُوَّةِ بِأَوْاخِي هَذَا الْحَسَبِ الصَّمِيمِ ، وَنَعْدَقَ نَسَبَهُ بِأَصَالَةِ
هَذِهِ الْأَبُوتِ الَّتِي هِيَ إِلَّا عَنْ مِثْلِهِ عَقِيمٍ ، وَيُقَاضِ عَلَيْهِ شِعَارُ هَذَا الْخُلُقِ الْمُتَّصِلِ عَنْ
أَكْرَمِ وَصِيِّ بْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ : (إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

فليحلَّ هذه الهضبة التي أخذت من مرافق العزِّ بالمعاقيل ، ويحلَّ هذه الرتبة التي دون بلوغها من نوع الفراقد ألف راقِد ، ويجرِّ رداء الفخر على أهداب الكواكب ، ويُرَاحمُ بها كعب مجده النجوم على ورود نهر المجرة بالمناكب ؛ وليصل شرف هذه النسبة من جهته بمن رآه أهلاً لذلك ، وليُقيت في الفتوة بما علم من مذهبنا الذي انتهى فيه منّا إلى مالك ؛ وليطل على ملوك الأقطار ، بهذه الرتبة التي تفانى الرجال على حبها ، ويصل على صروف الأقدار ، بهذه العناية التي جعلته - وهي حلية خرب الله - من خربها ؛ وليصل سر هذا الفضل العميم بإيداعه إلى أهله ، وأتراعه ممن لم يره أهلاً لحمله .

قلت : وما تقدم مما يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية والممالك الشامية ، لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وغيرهم : من التكاليد ، والتفاويض ، والتواقيع ، والمراسيم : المكبرة والمصغرة ، ليس هو على سبيل الاستيعاب ، بل على سبيل التمثيل والتذكير ، لينسخ على منواله ، وينسخ على نهجه . فإنَّ استيفاء ما يكتب في ذلك مما يشق ، ويقف القصدُ دونه . بل لا بد من حوادث تحدث لم يسبق لها مثال يقتفى أثره . فيحتاج الكاتب إلى حُسن التصرف في إيراد ما يلائم ذلك ويناسبه . وكلُّ كاتب ينفق من كسبه ، على قدر سعته ، والله تعالى هو الموفق إلى نهج الصواب ، والهادي إلى طريق الحق في الأمور كلها ، بمنه وكرمه .

الفصل الثالث

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فما يكتب من الولايات عن نواب السلطنة؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقدمات هذه الولايات، ويتعلق بها مقاصد)

المقصد الأول

(في بيان من تصدر عنه الولايات: من نواب السلطنة)

إعلم أن نواب السلطنة بالديار المصرية لا تصدر عنهم ولاية في جليل ولا حقيير، بل التولية والعزل منوطان بالسلطان، والكتابة في ذلك معدومة به، سواء في ذلك النائب الكافل، ونائب الإسكندرية، ونائب الوجهين: القبلي والبحري، إلا ما يكتب عليه النائب الكافل من القصاص في صغائر الولايات: من نظر الأوقاف وغيرها، ثم تعين ويكتب بها توقيع سلطانية.

أما نواب السلطنة بالممالك الشامية: وهم نائب السلطنة بالشام، ونائب السلطنة بحلب، ونائب السلطنة بطرابلس، ونائب السلطنة بجماعة، ونائب السلطنة بصفد، ونائب السلطنة بغزة، إذا كانت نيابة لا تقدمه عسكر.

(١) يظهر أن هنا سقطا ولعله «فصدر عنهم الولاية» أخذا مما تقدم.

المقصد الثاني

(في بيان الولايات التي تصدر عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قد تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالممالك الشامية ، أن نواب هذه الممالك يَسْتَبِدُّون بتولية ولاية الأعمال ، وقد يَسْتَبِدُّون أيضا بتولية صغار النواب ، كالقلاع والبُدان التي تكون نيايتها إمرة عشرة . وربما استبدوا بتولية بعض النيابات التي تكون نيايتها إمرة طبلخاناه ، إلا أن تولية العشرات عن النواب أكثر ، وتولية الطبلخاناه عن السلطان أكثر . أما النيابات التي تكون نيايتها مقدمة ألف ، فإنها مخصصة بالسلطان . والنيابات التي يكون متوليها جندياً أو مقدم حلقه فإنها مخصصة بالنواب . وأن تولية أكبر أبواب الأقاليم : كتاب السر ، والوزير بالشام ، حيث جعلت وزارة ، وناظر النظار ، حيث جعلت نظرا ، وأصحاب دواوين المكاتب ، ونظار المال بسائر الممالك ، ونظار الجيش ، وقضاة القضاة بها - فإن التولية في ذلك تختص بالسلطان دون النواب . وما عدا ذلك يولى فيه السلطان تارة ، والنواب أخرى . وربما حصلت الولاية في بعض ذلك من بعض النواب ثم يكتب من الأبواب السلطانية بالحميل عليها ، على ما تقدم بسط القول فيه هناك ، فليراجع منه .

المقصود الثالث

[في افتتاحات التوقيع والمراسيم بتلك الولايات]

تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنه يراعى فيها براعة الاستهلال في الافتتاح وأن الافتتاح فيها بـ«الحمد لله» أعلى من الافتتاح بـ«أما بعد» والافتتاح بـ«أما بعد» أعلى من الافتتاح بـ«رسم بالأمر الشريف» وأن لفظ «أما بعد» أعلى من لفظ «وبعد» وأنه يراعى في الولايات وصف المتولى والولاية، ويؤتى لكل أحد من ذلك بما يناسبه من صفات المدح، ثم يقال: «ولما كان فلان هو المشار إليه بالصفات المتقدمة، اقتضى حسن الرأي أن يستقر في كذا ونحو ذلك». ثم يؤتى من الوصايا بما يناسب مقام الولاية والمتولى لها، ثم يؤتى بالاختتام: من المشيئة والتاريخ، والحمدلة، والتصلة، والحسبة.

والأمر فيما يكتب عن التواب جار على هذا المنهج إلا في أمور قليلة:

منها - أن جميع ما يكتب عن التواب بالشام يقال فيه «توقيع» ولا يقال فيه «تقليد» ولا «تفويض» وربما قيل «مرسوم» في أمور خاصة.

ومنها - أن التوقيع يوصف بـ«الكريم» لا بـ«الشريف» فيقال: «توقيع كريم» أن يستقر فلان في كذا» أو «مرسوم كريم فلان بكذا» بخلاف ما يكتب عن الأبواب السلطانية، فإنه يوصف بكونه «شريفًا» فيقال: «تقليد شريف» و«تفويض شريف» و«مرسوم شريف» و«توقيع شريف» على ما تقدم ذكره.

ومنها - أن الكاتب يأتي بنون الجمع [جاريا] في ذلك على من تصدر عنه الولاية، كما أن الولايات عن الأبواب السلطانية [يجرى فيها على] العادة في الكتابة

(١) ذكر هذا في المخالف سهو فانه موافق لما يكتب عن السلطان أو الملك كما لا يخفى. (٢) يباض بالأصل.

عن الملوك . وكأنهم راعوا في ذلك أن المكتوب عنه هو السلطان في الحقيقة ،
وفعل النائب كأنه فعله نفسه ، كما يقال : هزم الأمير الجيش ، وفتح السلطان
المدينة ، والذي هزم وفتح إنما هم جنده لا هو في نفس الأمر .

ومنها - أنه إذا أفتح التوقيع بـ «رسم بالأمر» - لا يوصف بـ «الشريف» بل
بـ «العالى» على ما تقدم . فيقال : «رسم بالأمر العالى ، المولوى ، السلطانى ،
الملكى ، الفلانى الفلانى» . وكذلك إذا أتى بذكر «رسم» بعد الأفتح بـ «الحمد لله
وأما بعد» فإنه يقال فيه : «العالى» دون «الشريف» .

قلت : هذا ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم كما أشار إليه المقر الشهابي
ابن فضل الله في «التعريف» . ثم استقر الحال على وصف الأمر بـ «الشريف»
فيقال : «رسم بالأمر الشريف العالى» إلى آخره ، كما يكتب عن السلطان .

ومنها - أنه يقال في آخر التوقيع : «والاعتماد على الخط الكريم أعلاه» ولا يقال :
«على الخط الشريف» ، كما في السلطان .

ومنها - أنه لا يذكر في تواقيع التواب مستند كتابتها ، كما يكتب فيما يكتب
عن السلطان .

المقصد الرابع

(في بيان الالقاب)

قد تقدم في المقالة الثالثة ، في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب
السلطانية أن أعلى ما يكتب لأرباب السيوف «المقر الكريم» ثم «الجناب
الكريم» ثم «الجناب العالى» ثم «المجلس العالى» ثم «المجلس السامى» بالياء ، ثم
«المجلس السامى» بغير ياء ، ثم «مجلس الأمير» ثم «الأمير» .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية : « الجناح العالى » ثم « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية : « المجلس العالى » . ثم أستقر أعلى ما يكتب لهم : « الجناح العالى » و « المجلس العالى » بعده ، ثم « السامى » بالياء ، ثم « السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » على ما تقدم فى أرباب الوظائف الديوانية ، إلا فيما يقع الاختلاف فيه من الألقاب والتعوت الخاصة بكل منهما .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف السوفية : « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس الشيخ » ثم « الشيخ » .

وأنه يكتب لأرباب الوظائف العادية : « المجلس السامى ، الصدر الأجل » أو « مجلس الصدر » أو « الصدر » .

وأنه يكتب لزعماء أهل الذمة ألقابهم المتعارفة . فيكتب لرئيس اليهود : « الرئيس » ولبطاركة النصارى : « البطرک » ونحو ذلك .

فأما ما يكتب عن تواب الشام ، فعلى أصناف ، كما تقدم فى الألقاب التى تكتب عن الأبواب السلطانية ، مع اختلاف فى بعض الألقاب بزيادة ونقص ، وعلو وهبوط .

الصنف الأول

(أرباب السيوف، ولألقابهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقرُّ الشريف . وبذلك يُكتب للطبقة الأولى من مقدّمي الألوْف بالشَّام، وحَلَب، وطَرابُلُس، إذا وُتِّيَ أحدٌ منهم نَظَرًا ووقف، أو نحو ذلك . أمّا غير هذه الممالك الثلاث ، فقد تقدّم أنّه ليس في شيءٍ منها تقدمةُ ألف، ويقال فيه عندهم : « المقرُّ الشريف، العالى، المولوى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادى، العونى، الغياثى، الزعيمى، الظهيرى، المخدومى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، عون الأمة، كهف الملّة ، ظهير الملوك والسلطين ، فلان الفلانى : أعز الله تعالى أنصاره » .

المرتبة الثانية — المقرُّ الكريم . وبذلك يكتب للطبقة الثانية من مقدّمي الألوْف، ويقال فيه : « المقرُّ الكريم ، العالى ، المولوى » . بنحو الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — المقرُّ العالى . وبه يكتب للطبقة الثالثة من مقدّمي الألوْف، ويقال فيه : « المقرُّ العالى ، المولوى » بنحو الألقاب المتقدمة أيضا [كما]^(١) يكتب لنقيب الأشراف بحلب ، وهى : « المقرُّ العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، النقيبى ، الحسبى ، النسيبى ، العريقى ، الأصيلى ، الفاضلى ، العلامى ، العارفى ، الحججى ، القدوى ، الناسكى ، الزاهدى ، العايدى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ، جمال الفضلاء البارعين ، نحر الأمراء الحاكمين ، زين العترة الطاهرة ، شرف الأسرة

(١) بياض بالأصول .

الفائز، حجة العصابة الهاشمية، قُدوة الطائفة العلوية، نُحبة الفرقة الناجية الحسنية، شرف أولى مراتب، تقيب ذوى المناقب، ملاذ الطلاب الداعين، بركة الملوك والسلاطين، فلان: أسبغ الله عليه ظلاله .

المرتبة الرابعة — الجنباب الكريم . وبه يُكتب للأُمراء الطباخانا، ويُقال فيه : « الجنباب الكريم، العالى، المولوى، الأُميرى، الكبيرى، العَضدى، النَّصيرى، المجاهدى، المؤيدى، الذُخرى، الظهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأُمراء فى العالمين، نُصرة الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، فلان: أعزَّ الله تعالى نُصرته .

المرتبة الخامسة — الجنباب العالى . وبه يُكتب لأُمراء العَشريات، ويُقال فيه : « الجنباب العالى، الأُميرى، الكبيرى، الذُخرى، النَّصيرى، المجاهدى، المؤيدى، الأُوحدى، الأُكلجى، الظهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأُمراء فى العالمين، نُصرة الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، فلان أدام الله تعالى نِعَمته .

المرتبة السادسة — المجلس العالى . وبه يُكتب لأُمراء العَشرات، ويُقال فيه : « المجلس العالى، الأُميرى، الكبيرى، الأُجلجى، المُجاهدى، العَضدى، النَّصيرى، الهامى، الأُوحدى، الذُخرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأُمراء فى العالمين، نُصرة الغزاة والمجاهدين، عَضد الملوك والسلاطين، فلان: أدام الله تعالى رِفَعته .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بالياء . وبه يُكتب لمقدِّمى الحلقة، وأعيان جُند الحلقة، ويُقال فيه : « المجلس السامى، الأُميرى، الأُجلجى، الكبيرى،

المجاهدى، الأعزى، الأخصى، الأكلى، الأوحدى، الفلانى، مجد الأمراء، زين الأكار، ذخر المجاهدين، فلان: أدام الله توفيقه .

المرتبة الثامنة — المجلس السامى بغيرياء . وبه يكتب للطبقة الثانية من جند الحلقة، ويقال فيه: «المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الغازى، المجاهد، المرتضى، المختار، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، زين الأمراء، نحر المجاهدين، عمدة الملوك والسلطين، فلان: أعزه الله تعالى» .

المرتبة التاسعة — مجلس الأمير . وبه يكتب للطبقة الثالثة من جند الحلقة، ويقال فيه: «مجلس الأمير، الكبير» . بنحو ألقاب السامى بغيرياء .

المرتبة العاشرة — الأمير . وبه يكتب لجند الأمراء ونحوهم، ويقال فيه: «الأمير الأجل» .

الصنف الثانى

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الديوانية، وفيهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبه يكتب لكاتب السر بالشام، وصاحب ديوان الرسائل بحلب، ومن في معناهما .

وهذه ألقاب كتب بها لكاتب السر بدمشق بولاية مشيخة الشيوخ، وبولغ فيها جد المبالغة، إلا أنها ليست حسنة التأليف، ولا راتفة الترتيب؛ وهى: «المقر الشريف، العالى، المولى، القاضى، الكبيرى، العالى، العالى، العلامى، الإمامى، الفريدى، المفيدى، القدوى، الحجى، الأجلى، الحبرى، المحققى،

المُدَقِّقِيّ، الزَاهِدِيّ، العَارِفِيّ، الخَاشِعِيّ، النَّاسِكِيّ، المُسَلِّكِيّ، العَايِدِيّ، المُرْشِدِيّ،
 الرَّبَّانِيّ، الوَرَعِيّ، المَهْدِيّ، المَشِيدِيّ، المُشِيرِيّ، السَّفِيرِيّ، اليَمِينِيّ، المَلَّادِيّ،
 الشَّيْخِيّ، الفَلَانِيّ، جَلَّالُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الأَكْبَرِ والرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ،
 عَوْنُ الأُمَّةِ، صِلَاحُ المِلَّةِ، جَمَالُ المَمْلَكَةِ، نِظَامُ الدَّوْلَةِ، عِزُّ المُلْكِ، لِسَانُ المَمَالِكِ،
 زَيْنُ الأَوْلِيَاءِ، مُظْهِرُ أنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ وَنَاصِرُهَا، مُؤَيِّدُ الحَقِّ والمُعِينُ عَلَى إظهارِهِ،
 قَامِعُ البِدْعِ وَمُخَفِّى أَهْلِهَا، رُحْمَةُ الحُقَافِ، عِلْمُ المُفَسِّرِينَ، حُجَّةُ الطَّالِبِينَ، سَيْفُ
 المُنَاطِرِينَ، قُدْوَةُ العِبَادِ والزُّهَّادِ، مَلْجَأُ الصَّالِحِينَ والعَارِفِينَ، حَسَنَةُ الأَيَّامِ، قَرْدُ
 الزَّمَانِ، غُرَّةُ وَجْهِ الأَوَانِ، شَيْخُ المَشَايِخِ، مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَاحِلِ، مُوَصِّلُ السَّالِكِينَ،
 مُرَبِّي الأَتَقِيَاءِ والمُرِيدِينَ، كَثْرُ السَّالِكِينَ والمُرْشِدِينَ، مُمَهِّدُ الدُّوَلِ، مُشِيدُ المَمَالِكِ،
 مُجَمِّلُ الأَمْصَارِ، مَدَبِّرُ أُمُورِ سُلْطَانِهِ فِي اللَّيْلِ والنَّهَارِ، مُجْهِدُ نَفْسِهِ فِي رِضَا مَوْلَاهِ،
 مُعِينُ الخَلَائِقِ عَلَى حُقُوقِهِمْ، مُدْلُّ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، مَلِكُ البَلْغَاءِ والمُتَكَلِّمِينَ،
 خُلَاصَةُ سَلَفِ القَوْمِ المُبَارَكِينَ، بَرَكَةُ المَمْلُوكِ والسُّلْطَانِ، وَلِيُّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، فُلَانُ
 الفَلَانِيّ: أَسْبَغَ اللهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ» .

المرتبة الثانية — المقرّ الكريم. وبه يُكْتَبُ للطبقة الثانية من أرباب الوظائف
 الديوانية. ويقال فيه: «المقرّ الكريم، العالى، المولوى، القاضوى». بِتَحْوِ الألقاب
 السابقة مع «المقرّ الشريف» .

المرتبة الثالثة — الجناب الكريم. وبه يُكْتَبُ للطبقة الثالثة من أرباب الوظائف
 الديوانية. وهذه ألقابُ كُتِبَ بِهَا لِبَعْضِ الكُتَّابِ بِكُتَابَةِ الإنشاءِ والجيشِ بِحَلَبَ،
 وهى: «الجناب الكريم، العالى، المولوى، القضاى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى،
 البارعى، الكاملى، الماجدى، الأوحدى، الأيبرى، الأئبلى، الأصيلى، القوامى،

النَّظَامِيّ، الْفُلَانِيّ، ضِيَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، أَوْحَدُ الْفُضَلَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، فَلَانٌ : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى . وبه يُكْتَبُ لِكُتَّابِ الدَّسْتِ وَنَحْوِهِمْ . وَهَذِهِ أَلْقَابُ كُتُبِهَا لِبَعْضِ كُتَّابِ الدَّسْتِ بِالشَّامِ، وَهِيَ : «الجنب العالى، القضائى»، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الأتكلى، البارعى، الأوحدى، القوامى، النظامى، المفوهى، الرئيسى، الماجدى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء فى العالمين، أوجد الفضلاء الماجدين، قُدوةُ البُلغَاءِ، جمال الكُتَّابِ، زَيْنُ الْمُنْتَشِئِينَ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، فَلَانٌ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى . وَهَذِهِ أَلْقَابُ كُتُبِهَا لِكَاتِبِ دَرَجٍ بِالشَّامِ جَلِيلِ الْقَدْرِ، وَهِيَ : «المجلس العالى، القضائى، الأجلّى، الكبيرى»، العالمى، الفاضلى، البارعى، الكاملى، الرئيسى، الأوحدى، الأثيرى، الأصبلى، العريقى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء فى الأنام، حُجَّةُ الْبُلغَاءِ، قُدوةُ الْفُضَلَاءِ، أَوْحَدُ الْأَمْنَاءِ، زَيْنُ الْكُتَّابِ، رَضِيَ الدَّوْلَةُ، صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، فَلَانٌ : أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء . وَهَذِهِ أَلْقَابُ كُتُبِهَا لِبَعْضِ كُتَّابِ دِمَشْقَ بِنَظَرِ الرَّبَاعِ وَهِيَ : «المجلس السامى، القضائى، الأجلّى، الكبيرى»، الرئيسى، الأوحدى، الأتكلى، الماجدى، الأثيرى، الأئبلى، الأصبلى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، أوجد الفضلاء، صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عُلُوَّهُ .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغير ياء . وَهَذِهِ أَلْقَابُ كُتُبِهَا لِكُتَّابِ دَرَجٍ بِالشَّامِ، وَهِيَ : «المجلس السامى، القاضى، الأجل، الكبير، الفاضل، الأوجد،

الأئير، الرئيس، البليغ، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء، أوجد الفضلاء، زين الأعيان، نحر الصدور، نجل الأكابر، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتة .»

المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضى ، الاجل ، الكبير »
والباقي من نسبة ألقاب السامى بغيرياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . ويقال فيها : « القاضى ، الاجل » . وربما زيد على ذلك قليلا ، كما تقدم فى السلطانيات .

الصنف الثالث

(من أرياب الولايات بالممالك الشامية — أرياب الوظائف

الدينية ، وفيه مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب لقضاة القضاة ومن فى معناهم .
وهذه ألقاب كتب بها قاضى القضاة المالكي بدمشق بتصدير ، وهى : « المقر الشريف ، العالى ، المولوى ، القضاى ، الكبيرى ، الإمامى ، العالمى ، العلامى ، الفريدى ، المفيدى ، الخاشعى ، الناسكى ، الرحلى ، القدوى ، الملاذى ، العابدى ، المحققى ، المدققى ، المحسنى ، الحاكمى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء فى العالمين ، قدوة البارعين ، سيد المناظرين ، لسان المتكلمين ، ملاذ الطالبين ، كثر المتفهمين ، إمام الأئمة ، حجة الأمة ، ناصر الشريعة ، فرد الزمان ، أوجد الوقت والأوان ، رحلة القاصدين ، حكم الملوك والسلاطين ، فلان : أسبغ الله ظلاله » .

المرتبة الثانية — المقرُّ الكريم . وبه يُكتب لمن دُونه من هذه الرتبة .

وهذه ألقابُ كتبِها لقاضى القضاة بجلب بوظيفة دينية ، وهى : « المقرُّ الكريم ، العالى ، المولوى ، القاضوى ، الكبيرى ، العالى ، العادلى ، الأصيلى ، العريقى ، القوامى ، النظامى ، الإمامى ، العلامى ، القدوى ، المفيدى ، الشيخى ، الركنى ، الصاحبى ، الحاكمى ، المحسنى ، الفلانى ، فلان الإسلام والمسلمين ، شرف الفضلاء فى العالمين ، قُدوة العلماء العاملين ، لسان المتكلمين ، برهان المناظرين ، صدر المدرسين ، رُحلة الطالبين ، بقية السلف الكرام الدارجين ، بركة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان : أعزَّ الله تعالى أحكامه » .

المرتبة الثالثة — الجنب الكريم . وهذه ألقابُ كتبِها لبعض المشايخ بتدريس بالشام ، وهى : « الجنبُ الكريم ، العالى ، المولوى ، القضاى ، الكبيرى ، العالى ، الفاضلى ، المفيدى ، الفريدى ، المحققى ، المدققى ، الأوحدى ، الأكلى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء فى العالمين ، جمال الفضلاء المدرسين ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أسبغ الله تعالى ظلّه » .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى . وهذه ألقابُ من ذلك كتبِها لقاض من قضاة العسكر بالشام ، وهى : « الجنبُ العالى ، القضاى ، الكبيرى ، العالى ، الفاضلى ، الرئيسى ، الأكلى ، الإمامى ، العلامى ، المفيدى ، المحققى ، الفريدى ، البارعى ، المدققى ، الأوحدى ، القدوى ، الحبرى ، الحافظى ، الأصيلى ، الأثيرى ، النَّاسكى ، الورعى ، العلامى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، زين الحكام فى العالمين ، حجة المذهب ، إمام البلغاء ، مفتى المسلمين ، مفيد الطالبين ، قطب الزهاد ، ملاذُّ العباد ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى نعمته » .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى . وهى : « المجلس العالى ، القضاىء ، الأجل ، الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الرئيسى ، الأوحدى ، الأثيرى ، الأئبل ، الأصلى ، العرىق ، الفلانى ، مجد الإسلام ، شرف الرؤساء فى الأنام ، محبة الفضلاء ، صدر المدرسين ، مرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى علوه » .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء . وهى : « المجلس السامى ، القضاىء ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الأوحدى ، الأصلى ، العرىق ، المحققى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، أوحده الفضلاء فى العالمين ، صدر المدرسين ، أوحده المفيدين ، مرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله سعادته » .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغير ياء . وهى : « المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الكبرى ، الأحد ، المرتضى ، الأكل ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الفضلاء ، أوحده العلماء ، رضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله عزه » .
المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضى ، الأجل » بخو الألقاب المذكورة فى « السامى » بغير ياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . وهى : « القاضى الأجل » على ما تقدم .

الصنف الرابع

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية - مشايخ الصوفية)

ولم أقف على شئ من ألقاب ما كتب من هذا الباب . سوى [ما كتب] فى مشيخة الشيوخ بالشام لكاتب السر ، وقد تقدم ذكره فى أول الألقاب الديوانية

هناك . وألقاب الجنب العالی فیما كُتِبَ به فی مشیخة الزاویة الأمینیة بدمشق ، وهی :
 « الجنبُ العالی ، الشیخُ ، العالی ، العالیُّ العَلَمیُّ ، الأوحدیُّ ، القُسدویُّ ،
 العابدیُّ ، الزاهدیُّ ، الورعیُّ ، الناسکیُّ ، الخاشعیُّ ، المسلكیُّ ، المرقیُّ ، الربانیُّ ،
 الأصبلیُّ ، الفلانیُّ ، مجد الإسلام ، حسنة الأيام ، قُدوة الزهاد ، ملاذ العباد ، جمال
 الورعین ؛ مریُّ المریدین ، أوحد السالکین ، خلف الأولیاء ، بركة السلاطین ،
 فلان : أعاد الله تعالی من بركته » .

ومن هذا یؤخذ ما حدث كتابته مما هو فوق ذلك أودونه .

الصنف الخامس

(من أرباب الولايات بالممالك الشامیة - أمراء العربان)

ولم أقف علی شیء مما كُتِبَ به من ألقابهم ، سوى ألقاب « السامی » بغيراء
 لبعض أمراء بنی مهديّ ، وهی : « المجلس السامی ، الأمير ، الأجل ، الكبير ،
 المجاهد ، الأصبیل ، العریق ، الأوحد ، فلانُ الدین ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ،
 شرف العربان ، زین القبائل ، عمدة الملوك والسلاطین ، فلان : أعزّه الله
 تعالی » . وعليه یقاس ما عساه یكتب من هذا النمط .

الصنف السادس

(من أرباب الولايات بالممالك الشامیة - أرباب الوظائف)

العادیة ، كراسة الطبّ ونحوها)

وألقاب رئیس الطبّ : « المجلس العالی ، القضائی » علی نحو ما تقدّم
 فی الدیوانیات .

الصنف السابع

(من أرباب الولايات بالنيابات الشامية - زعماء أهل الذمة)

وهي راسة اليهود، وبطركية النصارى .

أما رئيس اليهود، فالذى رأيتهم من ألقابه في عهد قديم، كتبه ابن الزكي في الدولة الأيوبية . قال في ألقابه: «الرئيس، الأوحُد، الأجل، الأعز، الأخص، الكبير، شرف الداووديين، فلان» .

وأما بطرك النصارى، فرأيتهم فيه طريقتين :

الطريقة الأولى: «البطرك المحتشم، المبجل، فلان، العالم بأموار دينه، المعلم أهل ملته، ذخر الملة المسيحية، كبير الطائفة العيسوية، المشكور بعقله عند الملوك والسلطين، وفقه الله تعالى» .

الطريقة الثانية: «مجلس التسييس، الجليل، الروحاني، الخطير، المتبتل، ابن المطران، الناصب، الخاشع، المبجل، قدوة دين النصارية، فخر الملة العيسوية، عماد بن المعمودية، جمال الطائفة القلانية، صفة الملوك والسلطين، فلان: أدام الله تعالى بهجته» .

المقصد الخامس

(في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب)

عن نواب الممالك الشامية)

قد تقدم في المقالة الثالثة، في الكلام على مقادير قطع الورق، أن الورق المستعمل

في دواوين الممالك الشامية على ثلاثة مقادير: قطع الطلحية الشامية الكاملة، وهو

في عَرْضِ الطَّلْحِيَّةِ المَعْبَرِ عنها بِالْفَرَحَةِ وَطَوْلِهَا . وَقَطَعَ نِصْفَ الحَمْوِيِّ ، وَهُوَ فِي نِصْفِ عَرْضِ الطَّلْحِيَّةِ الَّتِي فِي قَطْعِ الحَمْوِيِّ وَطَوْلِهَا ، وَرُبَّمَا نَقَصَتْ فِي الطَّوْلِ . وَقَطَعَ العَادَةَ ، وَهُوَ عَلَى نَحْوِ مَنْ قَطَعَ العَادَةَ البَلَدِي . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

فَمَا كَانَ مِنْهَا فِي طَوْلِ الشَّامِيِّ الكَامِلِ كُتِبَ بِقَلَمِ التَّلْثِ . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ نِصْفِ الحَمْوِيِّ كُتِبَ بِقَلَمِ التَّوْقِيعَاتِ . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ العَادَةِ كُتِبَ بِقَلَمِ الرَّقَاعِ . ثُمَّ مَا كَانَ فِي قَطْعِ الطَّلْحِيَّةِ ، أَفْتَتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ نِصْفِ الحَمْوِيِّ ، أَفْتَتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ» . وَمَا كَانَ فِي قَطْعِ العَادَةِ ، أَفْتَتَحَ مَا يَكْتُبُ فِيهِ بِ«رُسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ» سِوَاءَ فِي ذَلِكَ عِلَّتِ الأَلْقَابُ أَوْ أُنْحَطَّتْ ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا كُتِبَ بِ«المَقَرَّرِ» فِي قَطْعِ العَادَةِ ، أَعْتِبَارًا بِحَالِ الوَظِيفَةِ .

المقصود السادس

(في بيان ما يكتب في طرة التوقيع)

اعلم أنَّ التَّوَابَ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ عَادَتُهُمْ فِي العِلَامَةِ كِتَابَةُ اسْمِ النَّائِبِ ، كَمَا أَنَّ السُّلْطَانَ فِيمَا يَكْتُبُ عَنْهُ مِنَ الوَلَايَةِ يَكْتُبُ فِي العِلَامَةِ اسْمَهُ . وَحِينَئِذٍ فَيَحْتَاجُ الكَاتِبُ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ فِي أَعْلَى الدَّرَجِ فِي الوَسْطِ مَا صَوَّرْتَهُ : « الأَسْمُ الكَرِيمُ » ثُمَّ يَكْتُبُ مِنْ أَوَّلِ عَرْضِ الدَّرَجِ مَا صَوَّرْتَهُ : « تَوْقِيعُ كَرِيمٍ بِاسْتِقْرَارِ المَقَرَّرِ الشَّرِيفِ أَوْ الكَرِيمِ ، أَوْ الجَنَابِ الكَرِيمِ أَوْ العَالِي ، أَوْ المَجْلِسِ العَالِي أَوْ السَّامِي ، أَوْ مَجْلِسِ الأَمِيرِ أَوْ القَاضِي ، أَوْ الشَّيْخِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فِي كَذَا وَكَذَا إِلَى آخِرِهِ » . فَإِنْ كَانَ فِيهِ مَعْلُومٌ كُتِبَ آخِرًا : « بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهَ الدِّيْوَانِ المَعْمُورِ ، أَوْ الشَّاهِدِ بِهَ كِتَابُ الوَقْفِ » وَنَحْوِ ذَلِكَ ثُمَّ يَكْتُبُ : « حَسَبَ مَا رَسَمَ بِهِ عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ » . وَلَفْظُ :

«حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ» مما جَرَتْ بِهِ عَادَةُ كُتَّابِهِمْ ، بِخِلَافِ مَا يَكْتُبُ بِهِ مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وهذه طُرَّةٌ تَوْقِيعٌ بِنِقَابَةِ الْأَشْرَافِ بِحَلَبِ الْحَرُوسَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ « غِيَاثِ الدِّينِ أَحْمَدَ » بنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْمَدُوحِ ، وَهِيَ :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بِاسْتِقْرَارِ الْمُقْتَرِّ الْعَالِي ، الْأَمِيرِيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الشَّرِيفِيِّ ، النَّقِيبِيِّ ، الْحُسَيْنِيِّ ، الْأَصِيلِيِّ ، الْعَزْزِيِّ ، بَرَكَةِ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، أَحْمَدَ بْنَ الْمُقْتَرِّ الْعَالِي ، الشَّرِيفِيِّ ، النَّقِيبِيِّ ، الشَّهَابِيِّ ، أَحْمَدَ الْحُسَيْنِيِّ ، أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَالَهَا ، فِي وَظِيفَةِ نِقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ ، وَنَظَرَ أَوْقَافَهَا ، وَالْحَكْمَ فِي طَوَائِفِهِمْ عَلَى آخْتِلَافِهِمْ أَجْمَعِينَ ، عِوَضًا عَنْ وَالِدِهِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ بِرِضَاهِ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، وَتَعَالِيهِ الْمُسْتَمْرَةِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ بِمَقْتَضَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طُرَّةٌ تَوْقِيعٌ بِكَشْفِ الصَّفِيقَةِ الْقَبْلِيَّةِ بِالشَّامِ ، مِمَّا كُتِبَ بِهِ لـ«غُرسِ الدِّينِ خَلِيلِ النَّاصِرِيِّ» وَهِيَ :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بِأَنَّ يَسْتَقَرُّ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي ، الْمَوْلِيُّ ، الْأَمِيرِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْغُرْسِيُّ ، ظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، خَلِيلِ النَّاصِرِيِّ ، آدَامَ اللَّهِ تَعَالَى نِعْمَتَهُ ، فِي كَشْفِ الْبِلَادِ الْقَبْلِيَّةِ الْحَرُوسَةِ بِالشَّامِ الْحَرُوسِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، حَسَبَ مَا رُسِمَ بِهِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طُرَّةٌ تَوْقِيعٌ بِالْمِهْمَنْدَارِيَّةِ بِالشَّامِ الْحَرُوسِ ، كُتِبَ بِهِ لـ«غُرسِ الدِّينِ خَلِيلِ الطَّنَاحِيِّ» وَهِيَ :

توقيع كريم باستقرار الجنب العالى، الأيمرى، الكبيرى، الغرسى، عضد الملوك والسلاطين، خليل الطناحى، أدام الله تعالى نعمته، فى وظيفة المهندارية الثانية بالشام المحروس، عوضاً عن حسام الدين حسن بن صاروجا، بحكم شعورها عنه، لما آتفق من الغضب الشريف عليه، وأعتقاله بالقلعة المنصورة بحلب المحروسة، على أجهل عادة، وأكمل قاعدة، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بتصدير الجامع الأموى بالشام، كتبت به للقاضى «ناصر الدين» بن أبى الطيب كاتب السرب بالشام، وهى :

توقيع كريم بأن يستقر المقر الشريف، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العمري، العثمانى، الشافعى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، عظم الله تعالى شأنه، فى وظيفة التصدير بالجامع الأموى المعمور بذكر الله تعالى، عوضاً عن القاضى صدر الدين عبد الرحمن الكفرى الشافعى، بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى، بماله من المعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بإعادة مشيخة الشيوخ بالشام إلى القاضى «ناصر الدين ابن أبى الطيب» المذكور أعلاه، وهى :

توقيع كريم بأن تفوض إلى المقر الشريف العالى، المولوى، القاضوى، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العمري، العثمانى الشافعى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، أعاد الله تعالى من بركاته، وأسبغ

ظلاله ، مشيخةُ الشيوخ بالشام المحروس ، وظيفته التي خرجت عنه ، المرسومُ الآن
إعادتها إليه ، عوضاً عن هي بيده ، بمعلومه في النظر والمشیخة ، الشاهد بهما ديوانُ
الوقف المبرور ، إلى آخر وقت ، على أجمال العوائد ، وأكمل القواعد ، حسب ما رسم
به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرةٌ توقيعٍ بالتحمل على النزول والتقرير الشرعي ، بالزاوية الأمينية ، بالقدس ،
كُتب به للشيخ «برهان الدين الموصلي» وهي :

توقيعٌ كريمٌ بأن يُحمل الجنب العالی ، الشيخي ، البرهاني ، إبراهيم ابن سيدنا
المرحوم الشيخ القطب ، تقى الدين أبي بكر الموصلي ، رضي الله عنه وأعاد من
بركاتهما ، في وظيفتي النظر والمشیخة ، بالزاوية الأمينية بالقدس الشريف ، على حكم
النزول الشرعي ، وأستمرار ذلك بمقتضاها ، ومنع المنازع بغير حكم الشرع الشريف ،
حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرةٌ مرسومٍ برُبیعٍ تقدمةِ إمرةِ بني مهدي ، كُتب به لـ«عيسى بن
حناس» وهي :

مرسومٌ كريمٌ بأن يستقر المجلس السامی ، الأمير ، شرف الدين ، عيسى بن
حناس (?) ، أعزّه الله تعالى ، في رُبیعٍ تقدمةِ بني مهدي ، على عادة من تقدمه ، حملاً
على ما بيده من التوقيع الكريم ، على ما شرح فيه .



وهذه طرةٌ توقيعٍ ببطركيةِ النصاري الملكية بالشام ، كُتب به لـ«دأود
الخورى» وهي :

توقيع كريم بان يستقر البطريك ، المحتشم ، المبجل ، داود الخورى ، المشكور بعقله لدى الملوك والسلاطين ، وفقه الله تعالى ، بطريك الملكية بالملكة الشريفة الشامية المحروسة ، حسب ما اختاره أهل ملته المقيمون بالشام المحروس ، ورغبوا فيه ، وكتبوا خطوطهم به ، وسألونا تقريره دون غيره ، حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .

المقصد السابع

(في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع)

قد جرت عادة كتّاب هذه النيابات أن تُكتب الطرة بأعلى الدرج كما تقدم . ثم يترك وصلان بياضاً بما في ذلك من وصل الطرة ؛ ثم تُكتب البسمة في أول الوصل الثالث ، ثم يُكتب تحت البسمة على سمت الجلالة : « الملِكُ الفلانيُّ » ثم يخلّي بيت العلامة نحو ستة أصابع معترضة ، ثم يكتب السطر الثاني ويوافق كتابة السطر ، ويكون ما بينهما بقدر أصبعين ، والباقي على نحو ما تقدم في السلطانيات .

الطرف الثاني

(في نسخ التواقيع المكتوبة عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قد تقدم في المقالة الثانية أن بالبلاد الشامية سبع نيابات : دمشق ، حلب ، وطرابلس ، وحمّة ، وصفد ، وغزة إن كانت نيابة ، والكرك . وأن أعلاها دمشق ، ثم حلب ، ثم طرابلس . وفي معنى طرابلس حمّة وصفد .

وقد اقتصر في نسخ التواقيع على ما يكتب في ثلاث نيابات [تقديمها]^(١)

على ما عداها .

(١) بياض بالأصل .

النيابة الأولى الشام

(والتواقيع التي تُكتب بها على خمسة أصناف)

الصنف الأول

(ما يكتب بوظائف أرباب السيوف، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو بمحاضرة دِمَشق، وهو على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ«الحمد لله» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة تَوقِيع بولاية دِمَشق :

الحمد لله الذي جعل هذه الأيام الزاهرة تنقل أولياء آلائه الشريفة إلى أعلى
المراتب، ويُجزل لهم من منته الجمّة المواهب، وتضاعف لهم النعمة بكرمها الذي إذا
انهمل كان كالغيث السّاب .

نحمده على أن جعل نظرنا يلمح أهل الهِمَم ويراقب، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة يبلّغ قائلها بركتها المنى والمآرب، وتهون عليه كل
المصاعب؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله بيعته الحق
في المشارق والمغرب، وأثار به ظلم الغياهب؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
شيدوا منار الإسلام وأقاموه بالسيوف القواضب؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ المناصب بمتولِّيها ، والمعالي بمعلِّمها ، والعُقود لِنِسْتِ بمن نُحَلِّيهِ بل
 بمن يُحَلِّيها ؛ وأطيب البقاع جناباً ما طاب أرجأ وثمارا ، وبُحْرٌ خِلالَهُ كُلُّ نَهْرٍ « يروع
 حِصاه حَالِيَةَ العَدَارِي » ورُحَّتْ معاطفُ غُصُونِهِ سُلَافُ النِّسَمِ فتراها سُكَّارِي ،
 وتمتدُّ ظلالُ الغُصُونِ فيخال أنها على وجنات الأنهار عَدَارا .

ولمَّا كانت دِمَشْقُ المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صَفَاتِهَا تَهَبُّ نَسَابِتُ
 [هذه] السَّاتِ ، لم يَتَّصِفْ غيرها بهذه الصفة ، [ولا اتفق أولو الألباب إلا على
 محاسنها المختلفة]^(١) وكان الجَنَابُ الكَرِيمُ هو من أعيان الدَّوْلَةِ وأُمَائِهِمْ ، ووُجُوهُ
 رُؤَسَائِهِمْ وأفاضلهم ؛ وله في طاعتها آسَترسَالُ الأَمْنِ من سُوءِ مَوَاطِنِ المَخَافِ ،
 وَوَصَلَ في وَلائِهَا القَدِيمَ بالحديث والتَّالِدَ بالطَّارِفِ ؛ وَتَوَلَّى مُهَمَّاتِ الخِدمِ فأبانَ
 في جميعها عن مَضَاءِ عَزْمِهِ ، وكان من حُسْنِ آثارِهِ فيها ما شَهَرَ غُفْلَهَا بِوَسْمِهِ ؛ فمن
 نَواهُ من أَقْرانِهِ أَرَبِيٌّ عليه زَاد ، ومن بَارَاهُ من أنظارِهِ أُنْسِيٌّ ذِكرُهُ أو كاد .

فلذلك رُسمَ بالأمر الشَّريفِ أن يستقرَّ في ولاية مدينة دِمَشْقِ المحروسة .

فلبيا شر هذه الولاية : عاملاً بتقوى الله تعالى التي أمر بها في مُحْكَمِ الكِتَابِ ،
 حيث يقول : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ . ولْيَشْمَلْ
 كافَّةَ الرعايا بالحِفظِ والرَّعايةِ ، ويُنزِلْ حَظَّهُمْ من الملاحظة والعناية ؛ وليساوِ في الحقِّ
 بين ضعيفهم وقويهم ، وفقيرهم وغنيهم ؛ وليلزِمَ أتباعه بحِفظِ الشوارع والحارات ،
 وحِرَاسَتِها في جميع الأزمنة والأوقات ؛ مع مواصلة التَّطَوُّافِ كُلِّ لَيْلَةٍ بِنَفْسِهِ في أوفى
 عَدَّهِ ، وأظهر عُدَّهُ ، مُنتهياً في ذلك وفيما يُجاريهِ إلى ما يَشْهَدُ باجتهاده ، ويُعَرِّبُ عن
 سَدَادِهِ ، ويُعلِّمُ منه صَوَابَ قَصدِهِ وأَعْتادِهِ ، وبَدَلُ مُناصِحَتِهِ في إصْدَارِهِ وإيرادِهِ ؛
 واللهُ تعالى يُعِينُهُ على ما وَاوَّاهُ ، ويَحْفَظُهُ عليه ما نَوَّاهُ وأَوْلادَهُ ؛ مِنهُ وكرمه .

(١) الزيادة مما تقدّم في الصنف الثالث في توابع أرباب الوظائف في حاضرة دمشق ليستقيم الكلام .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَنَظَرِ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، لصاحب سَيِّفٍ : كُتِبَ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ
الظَّاهِرِيَّةِ « بَرْقُوقِ » لِنَاصِرِ الدِّينِ « مُحَمَّدِ » ابْنِ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ، عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ الْحَاجِبِ، عِنْدَ مُصَاهَرَتِهِ الْأَمِيرِ بَطَا الدُّوَادَارِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدَّمَ أَعْظَمَ الْأَمْرَاءِ لِيَعْمَّ مَوَاطِنَ الذِّكْرِ بَنَظَرَهُ السَّعِيدِ، وَأَقَامَ لَتَعْظِيمِ
بَيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ، [أَمِيرًا] فِي الْأَكْتِسَابِ لِلْأَجُورِ أُسْرِعَ مِنَ الْبَرِيدِ، وَأَطْرَبَ
الْمَسَامِيعَ لِسِيرَتِهِ فِي أَحْسَنِ مَعْبَدٍ جَلِيَّتِ فِيهِ عَرُوسٌ مَهْرُهَا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَالنُّورُ مِنْ
زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ وَمَرَّتِي عَلَيْهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .^(١)

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَحَلَّ نَاصِرَ الدِّينِ بِجَمَالِهِ الْأَسْنَى أَشْرَفَ الْمَرَاتِبِ، وَبَوَّأَهُ الْمَحَلَّ الرَّفِيعَ
الَّذِي بَلَغَ بِهِ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ الْمَأْرَبِ، وَسَارَ خَبْرَ سِيرَتِهِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَبَلَغَ
بِمُشَارَفَةِ نَظَرِهِ السَّعِيدِ الشَّاهِدِ وَالْعَائِبِ ؛ حَمْدًا نَرْفَعُهُ عَلَى النَّسْرِ الطَّائِرِ، وَنُمَثِّلُ بِقَوْلِ
الْقَائِلِ : كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي
خَلَقَ الْعِبَادَ لِعِبَادَتِهِ، وَفَضَّلَ بَعْضَ الْمَسَاجِدِ عَلَى بَعْضٍ لِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مِنْ إِرَادَتِهِ ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي سَنَّ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَعَمَرَ
الْمَسَاجِدَ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا زُمُوا الْمَسَاجِدَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَحَضُّوا عَلَى الْجَمَاعَةِ
إِلَى يَوْمٍ تَكُونُ الْجِبَالُ فِيهِ كَثِيبًا مَهِيلًا ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَلَمَّا كَانَ جَامِعُ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ رَابِعَ الْمَسَاجِدِ، وَمَوْطِنَ كُلِّ رَاكِعٍ
وَسَاجِدٍ؛ وَتَقَصَّدَهُ الْأُمَّمُ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَلَمْ يَحُلْ مِنَ الْعِبَادَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَرَوَاتِبُ
حُكَّامِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ، وَالْعُلَمَاءُ الْأَعْلَامُ تَبَّتْ فِيهِ الْعُلُومُ وَتَأَوَّى إِلَيْهِ؛ وَغَالِبُ الْمَسَاجِدِ

(١) فِي الْأَصْلِ « وَمَرْزِيَّةٌ » وَلَمْ تَقْهَمْ مَعْنَاهُ .

إلى سِمَاطٍ وَقَفِهِ مُضَافَهُ ، وَخَطَابَتُهُ تُضَاهِي مَرْتَبَةَ الْخِلَافَةِ ؛ وَهُوَ أَجْلٌ مُعْجَبٌ
الدُّنْيَا الَّتِي وُضِعَتْ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ، وَبِهِ يَفْتَحِرُ أَهْلُ الْهُدَى عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ - تَعَيَّنَ
أَنْ يَكُونَ النَّاطِرُ فِي أَمْرِهِ مِنْ عَظَمِ قَدْرًا ، وَطَابَ ذِكْرًا ؛ وَفَتَحَ لَوْفَهُ بَابَ الزِّيَادَةِ
عَلَى مُضَى السَّاعَاتِ ، وَجَمَعَ أَمْوَالَهُ بَعْدَ الشَّنَاتِ ؛ وَوَصَلَ الْحُقُوقَ لِأَرْبَابِهَا الَّذِينَ
كَانَتْهُمْ جَرَادًا مَنَشَرًا ، وَلَمْ يُضْعَ مِنْ مَالِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ وَمَنْ قَالَ : إِنَّهُ صَدَقَهُ فَيَوْمَهُ يَوْمٌ
عَسِرٌ ، وَعَمَّ جَمِيعَ الْمَسَاجِدِ الْمِضَافَةَ إِلَيْهِ بِالْفَرَشِ وَالتَّنْوِيرِ ، وَبَدَأَ الْأُمَّةَ وَالْمُؤَدِّينَ
وَالْخِدْمَةَ بَعْدَ الْعَارَةِ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ .

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي يَقُومُ فِي هَذَا الْأَمْرِ
أَحْسَنَ مَقَامًا ، وَيَصْلِحُ لَهُ فِي مَصْلَحَتِهِ الْكَلَامُ .

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِي ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، الظَّاهِرِي ، السَّيْفِي - لِأَزَالِ
هَذَا الدِّينِ الْقِيَمَ قَائِمًا بِمُحَمَّدِهِ ، وَالْمَسَاجِدُ الْمَعْمُورَةُ [مَعْمُورَةٌ] بِإِكْرَامِ مَسْجِدِهِ -
أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ النَّاصِرِيُّ الْمَشَارِئِي فِي النَّظَرِ السَّعِيدِ عَلَى الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ الْمَعْمُورِ
بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَوْقَافِهِ الْمَبْرُورَةِ ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ ؛ بِالْمَعْلُومِ
الشَّاهِدِ بِهِ دِيوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ ، إِلَى آخِرِ وَقْتِ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ : لِمَا يَعْرِفُ مِنْ فِعَالِهِ الْحَسَنَةِ ، وَخِبْرَتِهِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا مِنَ الْحَاوِرِ
الْأَفْوَاهُ وَمِنَ الْأَقْلَامِ الْأَلْسِنَةَ ؛ وَلِمَا حَازَهُ مِنْ فَضِيلَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَأَعْمَالِي الَّتِي
بَدَتْ لِلْمُهْتَدِي بِهَا كُنُوزٌ لَا نَارَ عَلَى عِلْمٍ ؛ وَلِيَعْمَرَ مَا دَثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَيُؤْصَلَ الْحُقُوقَ
إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَيُسَدِّعَ الْأَمْوَالَ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهَا ؛ وَيُكْفِ كَفَّ الظُّلْمِ وَيُسَبِّغَ
الْمُسْتَحَقَّ الْمَآرِبِ ، وَيُجْجِبِ الْخَوْنَةَ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ بِجِدِّهِ فَهُوَ بِجَدِّهِ
حَاجِبٌ ؛ وَلْيَبْدَأْ بِالْعَارَةِ وَالْفَرَشِ وَالتَّنْوِيرِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ ، وَأَرْبَابِ الصَّلَاةِ

وَالصَّلَاتِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ بِهَا أُذْرَى ، وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِلَاكُهَا وَلَا زَالَ يُفِيدُهَا كَمَا يَعْلَمُ الشَّجَاعَةُ زَيْدًا وَعَمْرًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُجْعَلُهُ أَبَدًا لِلدِّينِ نَاصِرًا ، وَيُصَلِّحُ عَمَلَهُ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .

المرتبة الثانية

(ما يفتتح به «أما بعد حمد الله» وفيها وظائف)

وهذه نسخة توقيع ... الزكاة ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهي :
 (١)
 أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مُسْعِدٍ مِنْ زَكَاةِ عَمَلِهِ ، وَوَفَّاهُ وَعَدَّ الْخَيْرَ أَمَلَهُ ، وَمُضْعِدٍ مِنْ وَفَّتْ فِي تَدْيِيرِ الْوُضَائِفِ تَفَاصِيلُ أَمْرِهِ وَوَفَّرَتْ فِي تَمْيِيرِ الْأَمْوَالِ جُمْلَهُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَشَفَى جَانِبَ الدِّينِ الْقِيمِ مِنَ الشَّكَاةِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ الْقَوْمِ سَائِرُهُمْ ، وَتَرَكَ - وَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ - مُنْجِدُهُمْ وَغَاثَرُهُمْ - فَإِنَّ أَحَقَّ الْوُضَائِفِ أَنْ يُنْدَبَ لِحِمَايَتِهَا الْحُسَامُ ، وَيَتَرْتَبَ لِكِفَايَتِهَا مَنْ تَحَلَّتْ بِالْحَمَامِ شِمِّهِ الْجِسَامِ - وَظِيفَةُ الزَّكَاةِ الَّتِي وَصَلَتْ سَبَبَ مَكَانِهَا بِإِمَّاكَانِهَا ، وَبُنِيَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَحَدِ أَرْكَانِهَا ، وَمُدِحَّتْ الْمَمْلُوكَةُ بِعَالِي الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ الْمُنْتَظَمَةِ مِنْ دِيَوَانِهَا .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ مِّنْ زَكَتِ صِفَاتِهِ ، وَسَمَّتْ بِالْجَمِيلِ سِمَاتِهِ ؛ وَوَضَحَّتْ كِفَايَتُهُ وَدِرَائَتُهُ ، وَصَلَحَتْ حِمَايَتُهُ الْحُسَامِيَّةَ وَوَقَايَتُهُ ؛ وَكَانَ الْيَمْنُ فِي قَبْضَةِ مَضَائِهِ ، وَتَجْرِيدُهُ وَأَنْتِضَائِهِ ، وَكَانَ نَفُوزُ أَمْرِهِ وَاقْفًا عِنْدَ حُدُودِهِ وَاقْفًا عَلَى وَفْقِ أَرْضِيَّاتِهِ - تَعَيَّنَ أَنْ يُوَصَلَ سَبَبُ الشَّدِّ بِأَسْبَابِهِ ، وَيُرْجَعَ إِلَيْهِ فِي الزَّكَاةِ الْمُسْتَحَقِّ نِصَابُهَا حَتَّى يُقَالَ : رَجَعَ الْحَقُّ بِالْحُسَامِ إِلَى نِصَابِهِ .

(١) بياض بالأصل ولعله : بتولية وظيفة الزكاة الخ .

فلذلك رُسِمَ أن يرتب علماً بأنه الكافي الذي إذا شدَّ سَدًّا، وإذا قَصَرَ رأيه على الصُّنْعِ الجميلِ مَدًّا؛ والجبيرُ الذي إذا جَمَعَ مَالًا وَعَدَّه كان مَشْكُورًا ، وإذا فَرَّقَهُ في مُسْتَحَقِّهِ كان خِلافَ الغَيْرِ بالخَيْرِ مَدَّ كُورًا ؛ والنَّاهِضُ الذي ما تَبَرَّمَ بِمَضَائِقِ المِهْمَّاتِ ولا شَكَاها، والمِهْيَبُ الذي قد أَمَّنَ مَنْ سارَ بالبِضَاعَةِ إليه وقد أَفْلَحَ مِنْ زَكَّاهَا .

فليستَقِرَّ في هذه الجِهَةِ اسْتِقْرَارًا يَزِيدُ مَكَانَهُ وإِمْكَانَهُ ، ويُثَمِّرُ عَمَلَهُ وِدْيوانَهُ ، وليُوصِلْ كُلَّ ذِي حَقٍّ إلى حَقِّهِ فإنَّما بُسِطَتْ أَيْدِي وِلاَةِ الأُمُورِ لِيَسُطَّ عَدْلُهُ مُتَوَلِّيًا وإِحْسَانَهُ . وتقوى اللهُ تَعَالَى هي العُمْدَةُ : فليَحْتَقِ بِاعْتِمَادِها فِيهِ ظُنُونَ الرَّاغِبِينَ ، وليَسْتَعِنْ بِها على رِضا المُسْتَمْتَهِّضِينَ له وعلى رِضا المُحْتَاجِينَ ، واللهُ تَعَالَى يُلْهِمُهُ الخَيْرَ في ذَوِي الصِّبَادِرِ وَالوَارِدِ حَتَّى يَكُونُوا إلى خَيْرٍ «لَاجِينَ» خَيْرِ لَاجِينَ .



وهذه نسخةٌ تُوَقيع بِسَدِّ الحِوْطَاتِ بِدِمَشْقَ . كُتِبَ به لِشَرَفِ الدِّينِ يَحْيَى بنِ العَفِيفِ ، [باجرائه] على عادته، وحمله على ما بيده من التَّوَقُّيعِ الشَّرِيفِ ، وهى :
أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الَّذِي سَهَّلَ الخَيْرَاتِ بِأسبابِها ، وأَقَرَّ في الوِظائِفِ السَّنِيَةِ كُفَاةَ أَرْبابِها ، وَكَلَّ أَدْوَاتِ مِنْ حَنَكْتِهِ التَّجَارِبُ في المُبَاشِرَاتِ حَتَّى دَخَلَ المَنَاصِبَ العَلِيَّةَ مِنْ أبوابِها ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الأَتَمِّينَ الأَكْمَلِينَ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي جَاءَ بِرِشْدِ الشَّرِيعَةِ وَصَوَابِها ، وَعَرَفَ بِحَسَنِ الصَّنِيعَةِ وَثَوَابِها ؛ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعِزَّتِهِ الطَّاهِرِينَ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ لَفَتْنَا إِلَيْهِ جِيدَ الإِحْسَانِ ، وَأَلْقَيْنَا إِلَيْهِ طُرْفَ التَّكْرِيمِ فَبَلَغَ الأَمَانِيَّ وَالأَمَانَ ، وَلَحَظْنَاها بِعَيْنِ عِنَايَتِنَا فَنالَ مِنْ فَضْلِنَا ما أَنْجَلَ الغَيْثَ الهَتَّانَ ؛ وَمَتَّحْنَاهُ مِنْ بَرِّنا ما شَرَحَ له صَدْرًا ، وَأَسْتَصَحَبْنَا له ما أَلْفَهُ مِنْ كَرَمِنَا وَجَعَلْنَا له بَعْدَ

عَسْرِيَسْرًا ، وَأَيْقَظُنَا حَظَّهُ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَغْفَى ، وَأَطْلَعْنَا كَوَكَبَ سَعْدِهِ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَغْفَى - مِنْ أَلْفَتْ مُهَمَّاتُنَا مِنْهُ الْهَمَمَ الْعَلِيَّةَ ، وَسَلَكَ بَيْنَ أَيْدِينَا الْمَسَالِكَ الْمَرْضِيَّةَ ، وَأَثْمَنَ عَلَى أَمْوَالِ الْحَوَاطَاتِ الدِّيَوَانِيَّةِ فَنَمَتَ بِحُسْنِ أَمَاتِهِ ، وَشَكَرَتِ الدَّوْلَةُ جَمِيلَ تَدْيِيرِهِ وَدِرَايَتِهِ .

وكان المجلس العالى فلان - أدام الله عزه - هو الذى أخبر عنه الوصف بما أنبته العيان ، وأظهر الاختبار منه حُسن السيرة والسريرة والسجايا الحسان .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - أعلاه الله تعالى ، وضاعف إحسانه على أهل الهمم ووالى - أن يستمرَّ المشارُ إليه فى شدِّ الحَوَاطَاتِ الدِّيَوَانِيَّةِ بِدِمَشْقِ المحروسة ، على عادته ، ومُسْتَقْبَرِ قَاعَدَتِهِ ، وحمله على ما بيده من التوقيع الشريف المُسْتَمَرَّ حُكْمُهُ .

فليباشِرْ هذه الوظيفة على أجهل عوائده ، وليعدِّ إليها على أكمل قواعده ؛ إلا أن التذكرة بتقوى الله تعالى لأبد من اقتباس ضيائها ، والتنبية على سلوك سبيل هداها ؛ فلنكن قاعداً أماله ، وخاتمة عمله . والاعتماد فى معناه ، على الخطِّ الكريم أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من توابع وظائف أرباب السيوف بدمشق - ما يُفتتح به «رُسم

بالأمر العالى » وفيه وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بشدِّ مراكر البريد ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن بُنَّاتة ، كتب

بها لمن لقبه «بدر الدين» فى سنة ثلاث وأربعين وسبعائة ، وهى :

رُسم بالأمر العالی - لا زالت البرد سائرة بأوامرِ عدله المدید ، وهوامرِ جوده
المجید ، وسوائر الأخبار عن بأسه ونداه المروی سندهما عن ثابت ویزید ، ولا برحت
جوامع عطایاه وقضایاه : هذه فاتحة لمصالح الآمال باب الزیادة وهذه فاتحة لمصالح
الإسلام باب البرید - أن يستقر المجلس علی عادته الأولى ، وقاعدته التي ما برحت
قدم مساعیه فيها المقدمة وید أمانته الطولی ؛ علمًا بكفائه التي شهدت بها حتى
الخیل المائلات خرسًا فأفصحت ، المواصلات سعيًا فأنجحت ، الموریات قدحًا
إلا أن ألسنة الأحوال فی شهادتها ما قدحت ، المغیرات علی السرى صبحًا ما دار علیها
شفق العشی فأغتبت ، حتى دار علیها شفق الفجر فأصطبحت . ومرأى الطرق
التي حتمها مهابتة فكأنها مرأى كالأسل ، ومرأى كض السبل ، كل وإد منها وما حمل
وكل حدب وما نسل ، وأعمادًا علی سداد عزمه الذي وافق خبره الخبر ، ورشاد سعيه
الذي كل أوقاته من وجوه الإجادة ووجوه الحیاد عرر ؛ ورؤنا إلى أنه الكافي
فما يعتمده ویراه ، الساری فی المهمات لا یمل وهیمات أن یمل البدر من سراه ؛ كم
أعان الإسلام علی ما آتخذ من قوة ومن رباط الخیل ، وكم جاد علی الحیاد علی الغیث^(١)
حتى سارت بین یدیه كالسبیل ، وكم حفظ علیها قوتها وقوتها فبعد ما كانت تموت
بالعدد صارت تعيش بالخیل .

فلیبشر ما عول فیهِ علیه ، وأعید من حقه وإن كان نخرج عنه إليه ، ولیطلق ید
أمره ونهیهِ بما یسرّه أن یقدمه بین یدیه ؛ حریصًا علی أن تتطرق هذه الدواب
الخرس غداً بثنائه ، مجریا اقوائها وللإقامة بها علی عادة إجرائه ؛ متخیرًا لها كل
حسن الإمرة والسیاسة عند رحیلها وقدمها ، ومن إذا عرّضت علیه بالعشی
الصفافات الحیاد طفق مسحًا ولكن بإمطة الأذی عن جسومها ؛ موسعًا علیها من

(١) لعله زائد من قلم الناسخ .

المباني والأحوال كلَّ مَضِيْقٍ ، أمرًا بما يحتاج إليه نَوْعُهَا البَدِيعُ من صِنَاعَتِي تَرَشِيحٍ
وَتَطْيِيقٍ ، مُسْتَأْمِنًا من الأَيْدِي من يَرُدُّ عَنْهَا الأَيْدِي الضَّائِمَةَ ، ومن يُسَاوِي بِهَا
في الأَقْوَاتِ حَتَّى لَا تَكُونَ كَمَا قَالَ الأَوَّلُ : « خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ » ، مُتَحَرِّبًا
في تَكْفِيئِهَا أَجْمَلَ الطَّرِيقِ وَالطَّرَائِقِ ، مُسْتَجَلِبًا صُنُوفَ العَلِيقِ فَلَا تَنْقَطِعُ من بَرِّ
العَلَائِقِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بَعُونَهُ وَرَشَّدَهُ ، وَيَجْعَلُ عَزْمَهُ سَابِقًا إِلَى التَّوْفِيقِ « سَبَقَ
الجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى أَمَدِهِ » ؛ بِمَنَّةٍ وَكِرْمِهِ .



وهذه نسخةٌ تَوَقِّعُ بِنِقَابَةِ النُّقْبَاءِ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا ،
كُتِبَ بِهَا لِشَهَابِ الدِّينِ « بولاق » عوضا عن أبيه ، في سنة أربع وثمانمائة ، وهى :
رُسِمَ بِالْأَمْرِ العَالِي - لِأَزَالِ بِإِنْعَامِهِ يُسْفِرُ عَنْ وَجْهِ الأَمَلِ نِقَابَهُ ، وَيَحْفَظُ لِكَافِي
الْخِدْمَةِ أَعْقَابَهُ ، وَيَلْوِي بِاسْتِمْرَارِ النِّعَمِ أَدْوَارَ الزَّمَانِ وَأَحْقَابَهُ ، وَيُطْلِعُ فِي آفَاقِ دَوْلَتِهِ
شَهَابَ كُلِّ عَزْمٍ تَحْمَدُ عَسَاكِرُهُ المَنْصُورَةَ أَرْتِقَاءَهُ وَأَرْتِقَابَهُ - أَنْ يَرْتَبَّ المَجْلِسُ
السَّامِي ، الأَمِيرُ : عِلْمًا بِأَوْصَافِهِ الحَسَنَةِ ، وَأَوْضَاعِهِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ الحَكْمُ
بِفَضْلِهَا إِلَى إِقَامَةِ بَيْنِهِ ، وَكِفَايَتِهِ الَّتِي تَنْطِقُ بِهَا أَلْسِنَةُ الأَحْوَالِ المُؤْمِنَةِ وَقُلُوبُ
العَسَاكِرِ المُؤْمِنَةِ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي إِذَا وَقَفَتِ المَوَاقِفُ عَلَى الأَعْدَاءِ عَرَفَتْهُ أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ
مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ ، وَتَصَدِّقًا لِدَلَالَةِ عَزْمِهِ الوَاعِدِ ، وَتَحْقِيقًا لِحِمَايَةِ شِهَابِيهِ الوَاقِدِ ،
وَرُكُونًا إِلَى قِيَامِهِ مَقَامِ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللهُ فِي الخِدْمَةِ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَفْقِدْهُ مِنَ الحَيْشِ
فَاقِدٌ ؛ وَأَنَّهُ لِدَرَجَاتِ الأَسْتِحْقَاقِ رَاقِي ، وَأَنَّهُ العِوَضُ عَنِ أَبِي لَاقِي مَنِيَّتِهِ وَكُلِّ
أَمْرِي لَاقِي المِنِّيَّةِ وَأَبْنُ لَاقِي ؛ وَأَنَّهُ كُفُّ هَذِهِ المَنْزِلَةِ كَمَا حَكَمَ الرَّأْيُ وَأَقْتَضَى ، وَكَمَا
شَهِدَ (؟) لِعَزَّتِهِ بَغْرَرِ الفَوَائِدِ وَكَيْفِ لَوْ هُوَ ابْنُ النُّقْبِ المُرْتَضَى ! .

فَلْيَتَّقِ بِشَاهِدِ الْمِضِيِّ هَذَا الْمَطَّلَعَ الْأَسْنَى، وَلْيَقُمْ فِي هَذِهِ الْوِظِيفَةِ عَلَى قَدَمِ الْخِدْمَةِ
صُورَةً وَمَعْنَى؛ مُقَدِّمًا عَلَى النَّبَاءِ تَقْدِيمَ إِمَامِهِمْ، مُعَلِّمًا لِحُنْدِ الْإِسْلَامِ مَعْلُومَ مَقَامِهِمْ؛
مَالًا بِإِتْقَانِ مَعْرِفَةِ الْحِلِّيِّ سَمْعَ مَنْ أَسْتَمَلَاهُ، مُحْظِيًا لِلْجُنْدِيِّ مُعِينًا لَهُ عَلَى حُصُولِ الْخَيْرِ
حَتَّى يَشْكُرَهُ شُكْرًا مِنْ أَطْعَمَهُ وَحَلَّاهُ؛ نَاطِمًا لِلْوَاكِبِ عَقْدَ مُجْتَمَعِهَا التَّمِينِ، مُصَاحِبًا لَهَا
صُحْبَةً يُنْتَبِئُ بِهَا عَلَيْهِ وَحَسْبُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ مُرْتَبًا لَهَا أَحْسَنَ تَرْتِيبِ،
مُنْتَقِبًا عَنْ مَحَاسِنِ تَجَمُّلِهَا : فَإِنَّ أَسْمَ النَّقِيبِ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّنْقِيبِ . وَلْيُكَاتِرْ حَمَلَةَ
السُّيُوفِ فَإِنَّهُ حَامِلٌ سَيْفٍ وَعَصَا، وَإِنَّهُ بِهَذِهِ مُحَلِّصٌ حَقُوقَ مَنْ أَطَاعَ وَبِهَذَا مُوَبِّقٌ
نَفْسَ مَنْ عَصَى؛ وَلْيَجْرِضْ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِوَعْدِ الْأَجْتِهَادِ الْمُتَجَزَّ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ
سَيْفَ تَحْرِيطِضِ عَلَى جَرْحَى الْأَعْدَاءِ مُجَهِّزًا، وَعَلَى أَنْ يَحْصُلَ فِي مَوَاطِنِ الْجِهَادِ عَلَى
الْأَجْرَيْنِ : أَجْرِ الْمُقَاتِلِ وَأَجْرِ الْمُجَهِّزِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِئِدُ فِي الْخَيْرِ طَرَائِقَهُ، وَيُؤَيِّدُ عَزْمَهُ
الْجَيْشِيَّ حَتَّى تَلْهَجَ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَعْلَامِ الْخَافِقَةِ؛ وَالْأَعْتَادُ



وهذه نسخة توقيع بشد خزائن السلاح، من إنشاء ابن نباتة أيضا، وهي :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ أَسِنَّةُ نَجُومِ السَّعْدِ مِنْ سِلَاحِهِ، وَصَوَّاعِقُهَا مِنْ
أَعْوَانِ صِفَاحِهِ، وَسِمَاكُهَا الرَّاحُ مِنْ أَنْصَارِ رِمَاحِهِ؛ وَلَا بَرَحَ يُعْمَلُ مَعَادِنَ الْأَرْضِ
حَتَّى يَفْنَى ذَهَبُهَا وَحَدِيدُهَا عَلَى يَدَيْ بَأْسِهِ وَسِمَاحِهِ - أَنْ يَرْتَبَّ لِأَنَّهُ النَّاهِضُ
الَّذِي تَتَرَيْنَ الْوِظَائِفَ بِسَمْتِهِ وَبِأَسْمِهِ، وَتَتَعَيَّنُ الْمَصَالِحُ وَالْمَنَاسِجُ بِعَزْمِهِ وَحَزْمِهِ؛
وَالْمُسَدَّدُ مِنْ آرَائِهِ سِمَامًا، وَالْمُجْرَدُ مِنْ أَهْتَامِهِ كُلِّ مَاضِي الْحَدِّ إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَهْتَامِ
كَبْهَامًا؛ وَالْوَقِيُّ فِي شَدِّ الْجِهَاتِ قَوْلًا وَعَمَلًا، وَالْمَلِيُّ بِجَمَلِ السِّلَاحِ وَأَسْتَعَالِهِ عَلَى رَغْمِ
الْقَائِلِ : «أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا»؛ وَالْخَبِيرُ بِمَحَاسِنِ الْأَقْتِرَاحِ، وَالْكَافِي وَلَا

عَجَبَ إِذَا سَلَّمَتْ لَهُ دَوُوَ الْوِظَانِفِ وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ السَّلَاحَ ! ؛ دُوَ الْعَزْمِ الْأَشَدِّ ، وَالرَّأْيِ الْأَسَدِّ ، وَالذِّكْرِ الَّذِي إِذَا تَنَاوَلَ بَعْضَ الْأَسْلِحَةِ وَأَنْتَسَبَتْ شَجَاعَتُهُ رَأَيْتَ الْقَوْسَ فِي يَدِ عَطَارِدٍ فِي بَيْتِ الْأَسَدِ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمٍ أَقْطَعَ مِنْ حُسَامٍ ، وَأَمَانَةٍ أَقْوَمَ مِنْ أَلِفٍ وَصِيَانَةٍ أَحْصَنَ مِنْ لَامٍ ؛ مُعْتَبِرًا لِأَحْوَالِهَا ، مُقَرَّرًا لِمَطَالِبِ مَا لَهَا مِنْ مَالِهَا ؛ مُؤَفَّرًا مِنْ أَسْلِحَتِهَا الَّتِي تَتَوَفَّرُ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ سِهَامُهُ ، مُنْصَفًّا لِمُنَاعِيهَا الَّذِينَ يُحْمَدُ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِمْ صَنِيعُهُمْ وَأَهْمِيَّتُهُمْ ؛ مُكْتَفِرًا لِخِرَائِنِهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُدَدِ ، مُجَهِّزًا لِجِيُوشِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَادَّةِ عَمَلِهَا بِأَنْفَعِ مَدَدٍ : مِنْ قِسِيٍّ تَقْضِي أَهْلَهَا بِقَطْعِ أَعْمَارِ الْعِدَا ، وَسُيُوفٍ صَقِيلَةٍ إِذَا نَادَتْ دِيَارَ النَّاكِثِينَ أَجَابَتْ النَّدَا ؛ وَدُرُوعٍ تَمْوِجُتُ غُدْرَانُهَا إِلَّا أَنَّهَا فِي مَهَالِكِ الْحَرْبِ لَا تَقُورُ ، وَرِيْمَاجٍ أَطْرَدَتْ كَعُوبِهَا فَكَلَّهَا عَلَى عِدُوِّ الْإِسْلَامِ كَعَبُّ مَدَوَّرٍ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُدُلُّ عَلَى عَزَمِهِ الْحَمِيدِ ، وَيَقْضِي لِلنَّعْمَةِ عَلَيْهِ بِالْمَزِيدِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَّقِفُ عَزَمَهُ ، وَيُوفِّرُ مِنَ السَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ سَهْمَهُ .



وهذه نسخة توقيع بشد الجوالى ، من إنشاء ابن نبأته أيضا ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت سعوذ أوامره واضحة الأدله ، نافذة الحكم على كل مله ، قائمه لخصب البلاد بالعدل مقام السحب المستهله - أن يرتب فلان فى شد الجوالى بدمشق المحروسة : لما ظهر من نجابته ، وأشتهر من حزمه ومهابته ؛ وبدا من هميه العوالى ، وعزائمه التى تجلو صدا همم الجوالى ، وإذا قيل لحاسده : له ولأبيه إمرة الخيل قال : والجوالى لى ، وأنه الكافى الذى إذا استنهض كانت عزائمهم شابهه ، ونفحات ذكره الجميل هابه ؛ ونجل الهام الذى أشهد على كفاءته النهار وعلى

تَعْبِدَهُ اللَّيْلُ ، وَأَعَدَّ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ؛ وَأَنَّ مَرْبَاهَ بَجِيلٍ ، وَمُنْشَاهُ فِي مَنَازِلِ الْخَيْرِ دَلِيلٌ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمٍ يُتَمَرَّ مَالَهَا ، وَيَقَرَّرْ عَلَى السَّدَادِ أَحْوَالَهَا ؛ وَيَسْتَخْلِصِ الْحَقَّ مِنْ أَهْلِ الْاِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ ، وَيَسْتَخْرِجِ الْوَفْرَ مِنْ أَهْلِ الْجَلَدِ الْمَاطِلِ ؛ فَلَا نَصْرَانِيًّا إِلَّا وَهُوَ يَتَضَرَّعُ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ مِنْ بَاسِهِ ، وَلَا يَهُودِيًّا إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو الصَّفْرَاءِ فِي رَأْسِهِ ، وَلَا سَامِرِيًّا إِلَّا وَالنَّارُ الْجَمْرَاءُ مُطْلَعَةً عَلَى أَنْفَاسِهِ ، حَتَّى تَكُونَ أَوْصَافُ شِدَّةِ مَتَلُوهُ ، وَعَزَائِمُهُ فِي الْجَوْلَى مَجْلُوهُ ؛ وَهَمُّهُ جَارِيَةٌ عَلَى إِيْلَافِهَا وَمَأْلُوفِهَا ، مَجْزُئَةٌ لِأَقْلَامِ الْحِسَابِ وَالذَّرَاهِمِ عَلَى حُرُوفِهَا ؛ صَحِيحَةٌ الْوِزْنِ غَيْرَ مَنُوكٍ ، آخِذَةٌ الدِّينَارِ مِنْ وَازِنِهِ وَهُوَ كَالْمَأْخُودِ مِنْهُ مَصْكُوكٍ ؛ شَدًّا تَتَعَقَّدُ عَلَى آخْتِيَارِهِ الْخُنَاصِرِ ، وَكَمَا أَنَّ لِلْإِسْلَامِ مِنْهُ قُوَّةٌ فَلْيَكُنْ لِلْوَظَائِفِ الدِّينِيَّةِ مِنْهُ نَاصِرٌ .

الضرب الثاني

(من يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب

السيوف - من هو بأعمال دمشق، ومواضعهم على ثلاث مراتب أيضا)

المرتبة الأولى

(ما يُفْتَتَحُ بِـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» وَفِيهَا وَظَائِفٌ)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بناية بعلبك كتب بها لركن الدين «عمر بن الطحان» وهي :

الحمد لله الذي جعل بحاسن زينه من استحق الصعود إلى أعلى المنازل، وجعل نجم سعدة بارتقائه إلى سماء المناصب طالعا غير آفل، وصان بعقله الراجح أحصن المعاقل .

نحمده على إحسانه الواصل ، وغيث جوده الذي هو على الدوام هاطل ؛ حمداً
ينطق بمدح معدته كل لسان قائل ، ويزيد خيره على كل عام قابل ؛ ونشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي ألحق جيات الأواخر بالأوائل ، وجعل أجمل
الأمراء يفوق البدور الكوامل ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جعله
لديه أعظم الوسائل ، وتلازم هو وجبريل في علو المنازل ، والتقدم في المحافل ؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سادات العشائر والقبائل ، والمجاهدين في سبيل الله
بالبياض البواتر والسمر الدوابل ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فلما كانت بعلبك المحروسة من أعز بلاد الإسلام ، وأبهج مدن الشام -
تعيّن أن نعيّن لها حاكماً دينياً خبيراً ، أميناً أميراً ؛ شجاعاً مهتاباً ، بطلاً برمجاً وسيفه
في صدور الأعداء ورقابهم طعاناً صرّاباً ؛ وكان الجناب الكريم فلان : - ضاعف الله
تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهجته - من بيت كان على التقوى أساسه ، وعدت
لدفع المضلات أناسه ، وأشتهرت همّتهم فلا يردّ لهم سهم ولا يُطاق بأسه ؛ طالما
نفوا عن الدين الحنيفي خبث الكفر بعد ما تمكنت أدناسه ، وشمروا عن ساعد
الاجتهاد فمحي بسيفهم ضلال الشرك وأرجاسه ؛ وهو أعزه الله تعالى ممن شجى
بشجاعته ، خلوق الكئاب ، ووقى بعدله وحسن سياسته ، حقوق المناصب ؛ وقام
في خدمة الدولة الشريفة أحسن قيام ، وهدّيته بمرورها الليالي والأيام ؛ وتأهل
لحلول الرتب العلية ، وتعيّن لأرتقاء المراتب السنية ؛ فأردنا أن نختبره فيما نوليه ، ونخبر
عزّمه فيما نوليه .

فذلك رسم بالأمر العالی - لزال أمره مستمر الإحسان ، مجزلاً لدوى
الأستحقاق عوارف النعم الحسان - أن يستقرّ الجناب الكريم المشار إليه - ضاعف

(١) في الأصل «مهابا» ولم يحنى من هذه المادة فعل رباعى بهذا المعنى بل الوارد هابه وآهتابه .

الله تعالى نعمته - في نيابة السلطنة الشريفة بعبك المحروسة والباقين المعمورين، على عادة من تقدمه في ذلك، ومستقر قاعدته، بالمعلوم الذي يشهد به الديوان المعمور، إلى آخر وقت .

فليأشر هذه النيابة الشريفة بخاطر منفسح حاضر، وقلب منشرح على الخيرات مشارب، وليتخذ الشرع الشريف إماما، وليتوخ أواصره ونواحيه نقصا وإبراما، وليقف عند حدوده المشروعة، ولا يتعدّها ومن يتعدّ حدود الله فيده من الإيمان مزووعه؛ وليلن جانبه للرعيه، وليحملهم من العدل والإنصاف على المحجة الواضحة الجليله؛ فإنهم الرعية الضعفاء الصالحون الذين أنعم الله عليهم بتفويض أمورهم إليه، وليعرفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم من ولي من [أمور] أمتي شيئا فرقق بهم فارقق به ومن شق عليهم فاشقق عليه»؛ وليعمر البلاد، وليقمع أهل الفساد؛ وليهدم البقاع، وليحي موات الضياع؛ وليقم على القلعة المنصورة الحرس، ولا يغفل عن حفظها بمعرفته التي أكّدت له من السعادة سببا، والله تعالى يبلغه من إحساننا أربا، ويُنحّ له من فضلنا طلبا، ويحرسه بسورتي فاطر وسبا؛ والاعتماد في معناه، على الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بكشف البلاد القبلية، كتب به لغرس الدين خليل الناصري في الدولة الظاهرية «برقوق» وهي :

الحمد لله الذي جرد من أولياء هذه الدولة الشريفة سيقا تحميم مواد الفساد، وتبيد أهل الزيغ والعناد، وتعم ببايسها وبعدها البلاد . حمدا مستمرا على الآباد،

(١) في الأصل : العلماء، والتصحيح من الرسالة الآتية بعد .

(٢) الزيادة من الرسالة الآتية بعد .

مَزُودًا غَرَسَهَا النَّافِعَ وَنِعْمَ الزَّادُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ الْعِبَادِ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا عَمَلَتْ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَأْغَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَقْصَى الْمُرَادِ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الْخَلَائِقِ : الْآلَافِ وَالْمِائِينَ وَالْعَشْرَاتِ وَالْآحَادِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ ، بِسُيُوفِهِمُ الْحِدَادَ ، وَطَرَقَتْ رِمَاحُهُمْ مِنْ مُخَالِفِي دِينِهِمُ الْقَوِيمِ الْقُلُوبَ وَالْأَجْبَادَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الْقَبِيلِيَّةُ جُلَّ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ ، وَبِهَا أَرْزَاقُ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَةِ ؛ وَطَرِيقُ الْحَاجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزِيَارَةُ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَإِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، الَّتِي هِيَ عَلَى الْخَيْرَاتِ مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَإِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَةِ ، وَمَمَرِّ التَّجَارِ قَاصِدِينَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ؛ وَمَنَازِلَ الْعُرْبَانِ ، وَمَوَاطِنِ الْعِشْرَانِ - (١) - وَجِبَ أَنْ يُفَوَّضَ حُكْمُهَا إِلَى مَنْ عُرِفَ بِالشَّهَامَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْيَقَظَةِ الَّتِي لَا يَغْفُلُ بِهَا عَنْ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ سَاعَهُ ؛ مِنْ أَمْرِ غَرَسَهُ وَمَا يَفُوهَ ، وَأَيْنَعَ بِالْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ ؛ وَتَقَدَّمَ فِي الْكَمَالِ عَلَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَأَضْرَمَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ نَارًا أَحْرَمَ مِنَ الْجَمْرِ .

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ الْمَشْهُورَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَالْمَنْعُوتِ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَحُسْنِ الْأَدْوَاتِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ يُنْمِرُ غَرَسًا ، وَجُودُهُ يُسْرِ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ الْبِلَادِ الْقَبِيلِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى مَنَوَالٍ مِنْ تَقَدَّمِهِ وَعَادَتِهِ ، وَحُدُودِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ .

(١) لم يرد هذا الجمع فيما بأيدينا من كتب اللغة ولعله ارتكب القياس في اللغة فجعله كزغيف ورغفان وقطعان .

فليباشِر ذلك بهِمته العَلِيَّة ، وشجَاعته الأَحْرَمِيَّة ، ونَفْسِه الأَيِّبِه ، وليُبَيِّض وجهه
 في هذه النَّوْبَةِ حَتَّى يَطْرَبَ النَّاسَ بِالنَّوْبَةِ الخَلِيلِيَّة ؛ وليُعِدِّل في الكبير والصغير ،
 وليَقْمَعَ رءُوسَ عَشِيرٍ آتَخَدُوا رَأْسَهُمْ مَوْتَى : فَلَيْسَ المَوْتَى وَلَيْسَ العَشِير ؛ وليُدْفَع
 أَدَى العَرَب ، وليُحَدِّرَهُمْ شَرًّا أَقْتَرَب ؛ وليُكْثِر الرُّكُوبَ إلى المعاملات ، ولا يُحْشِ
 من كَثْرَةِ الحَرَكَاتِ ، وليَعْلَمَ أَنَّ كَلَّ ما هُوَ آتٍ آت ؛ وليَتَّخِذِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إمامًا ،
 وليَتَوَخَّ أوامِرَه ونَوَاهِيَه نَقْضًا وإِرامًا ؛ وليَقِفْ عند حُدُودِه المَشْرُوعِه ، ولا يَتَعَدَّها :
 ومن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فيدُه من الإيْمَانِ مَنزُوعِه ؛ وألِين جَانِبَه للرَّعِيَّة ، وليُحْمِلْهُمْ من
 العَدْلِ والإِنصَافِ على المَحَبَّةِ الواضِحَةِ الجَلِيَّة ؛ فإنَّهُم الرِّعِيَّةُ الضُّعْفَاءُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ
 عَلَيْهِمْ بِتَقْوِيضِ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ ، وَلِيَعْتَمِدَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ مِنْ
 وَلِيٍّ مِنْ أُمُورِ أُمَّتِي شَيْئًا فَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ فَارْفُقْ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ » ؛ والوصايا
 كَثِيرَةٌ وَتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ نِظَامُهَا وَقِوَامُهَا ، وَأَتَّبِعْ سُنَّةَ نَبِيِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَادُهَا وَزِمَامُهَا ، وَالاعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الخَطِّ الكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بكشف الرملة ، كُتِبَ بِهِ لِأَبِي بَكْرٍ « أمير علم » ، في الدولة
 الظاهرية « برفوق » وهي :

الحمد لله الذي قلَّد أجياد المُجَاهِدِينَ ، سَيْفَ نَصْرِهِ ، وَأَكَّدَ بعزائم أهلِ اليَقِينِ ،
 حِمَايَةَ حَوْزَةِ الإِسْلَامِ وَصِيَانَةَ ثَغْرِهِ ؛ وجعل ألسنة أسنة المرابطين في فم الثغر زينا إذا
 أزدان بغيره بدره ، وأنزل بأعداء الذين قوادح نِقْمِهِ وَقَوَارِعَ قَهْرِهِ .

أحمدُه أَن حَمَى بِأَوَّلِي النَّجْدَةِ والبأسَ للمسلمين حَمَى ، وَأشكُرُه عَلَى ما هَمَّعَ مِنْ صَيِّبِ
 نِعْمَائِهِ وَهَمَى ؛ وَأشهدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شهادَةً أُتِّخِذُها عِنْدَ اللهِ

ذُنُحْرًا ، وَأَرْجُو بِهَا فِي الْعُقْبَىٰ أَجْرًا ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي آيَدَيْدَهُ
بِالسَّيْفِ وَأَمَدَّهُ أَيْدَاءٌ ، وَعَلَىٰ آلِهِ الَّذِينَ حَلَّ بِهَمٍ لِلْإِسْلَامِ جِيدًا ، وَصَحْبِهِ الَّذِينَ جَلَّ
بِبَوَارِقِ صِفَاحِهِمْ ، وَخَوَارِقِ رِمَاحِهِمْ ؛ غَمَمَ الْمَجَالَ ، وَغَمَمَ الْقِتَالَ ، فَلَمْ يُهْمَلِ الْأَعْدَاءُ
وَلَمْ يُهْمَلْهُمْ رُؤْيَا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَىٰ مَنْ جُعِلَ فِي نَحْرِ الْبَحْرِ هُمَامًا صَارِمًا ، وَأَشَدَّ مَنْ قَاطَعَ أَعْدَاءَ
الدين وصارمًا ؛ مَنْ نُضْرِبُ بِشِجَاعَتِهِ الْأَمْثَالَ ، وَيُورِدُ فِي صُدُورِ الْأَبْطَالِ صُمَّ
الأسل النَّهَالَ ؛ وَيَجِي حِمَى الثَّغْرِ فَلَا يَدْعُ عَدُوًّا وَلَا يَرْهَبُ نَهْبًا ، وَيَرِقُّ رِقَابَ الْكُفْرِ
فِيؤْمِنُونَ وَإِنْ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا .

ولما كان الجَنَابُ الْكَرِيمُ فَلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي أَخْلَصَ
فِي الطَّاعَةِ ، وَنَصَحَ سُلْطَانَهُ حَسَبَ الطَّاقَةِ وَالْأَسْتِطَاعَةِ - رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ
الْعَالِي - لِأَزَالِ سَيْفِ عَدْلِهِ مَاضِيًا ، وَكُلُّ بِحُكْمِهِ رَاضِيًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ الْمَشَارُ
إِلَيْهِ كَاشِفًا بِالرَّمْلَةِ الْمَعْمُورَةَ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مُعَمَّرًا تِلْكَ الْبِلَادَ بَعْدَلِهِ ، مُجْتَمِدًا عَلَىٰ إِيْصَالِ الْحَقِّ إِلَىٰ أَهْلِهِ ؛
وَلْيَتَّخِذِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إِمَامًا ، وَلْيَتَوَخَّ أَمْرَهُ وَنَوَاحِيَهُ نَقْضًا وَإِبْرَامًا ؛ وَلْيُقِفْ عِنْدَ
حُدُودِهِ الْمَشْرُوعَةَ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا : وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَيُدْهِمُ مِنَ الْإِيمَانِ مِزْوَعَةً ؛
وَلْيَلِينْ جَانِبَهُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَلْيَحْمَلْهُمْ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ عَلَى الْمَحْجَةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيلَةِ ؛
[فَإِنَّهُمْ الرِّعْيَةُ الضُّعْفَاءُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِتَقْوِيهِمْ مِنْ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ] ^(٢) وَلْيَعْتَمِدْ فِيهِمْ قَوْلَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ مِنْ وَلِيِّ مِنْ أُمُورِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَّقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ
وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ» . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَهْمُهَا التَّقْوَىٰ فَلْيَلْزَمْ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا

(٢) الزيادة مأخوذة مما تقدم .

(١) وقف عليه بلمة ربيعة .

تَحْفَظُهُ ، وبالسيادة والسعادة تَلَحُّظُهُ ؛ والله تعالى يَكْتَلُ تَوْفِيقَهُ ، ويسهّلُ إلى مُجْحِجِ المقاصد طَرِيقَهُ ؛ والأَعْتِمَادُ في معناه ، على الخَطِّ الكَرِيمِ أَعْلَاهُ .

قلتُ : ومن تَأَمَّلَ وصايا هذه التواقيع الثلاثة المتقدمة الذكر ، علم ما كان عليه كُتَّابُ الزمان ، من آتِزَاعِ الفقراتِ من تَوْقِيعِ ، وتَرَصِيعِهَا في تَوْقِيعِ آخَرَ ، من غير تَغْيِيرِ لَفْظٍ في أَكْثَرِهَا .

المرتبة الثانية

(من تواقيع أرباب السيوف ممن بأعمال دِمَشْقٍ - ما يُفْتَتِحُ بِهِ «أما بعد حمد الله» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخةُ تَوْقِيعِ بِنْيَابَةِ بَعْلَبَكْ لمن دون من تَقَدَّمَ في المَرْتَبَةِ الأولى ، من إِنْشَاءِ الشَيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لمن لَقِبَهُ «ناصر الدين» : وهى

أما بعد حمد الله الذى لم يُحِلْ مَمْلَكَةً إِسْلَامِيَّةً من قُوَّةٍ ولا ناصِر ، ولم يُحِلْ أَمْرَهَا على ذى عَزَمٍ قاصِر ، ولم يُحِلْ وَجْهَهَا إِلا بنِ نُسَيْبٍ به القَدِيمُ وشَهِدَ له المَعاصر ، ولم يَلْقَ مَقَالِيدَهَا إِلا لمن وَصَّحَ بِرَأْيِهِ الإِبْهَامُ وثَبَّتَ بِفَضْلِهِ الشَّهَادَةَ وَعُقِدَتْ على ذِكْرِهِ الخِناصِر . والصلوة والسلام على سيدنا محمد الذى شَيَّدَ معالمَ الدِّينِ وأركانَهُ ، وجَدَّدَ مَكَانَ الحَقِّ وإمكانه ؛ وعلى آلِهِ وَصَّحِيحِهِ الذين تابعوا فى الخَلْقِ عَدْلَهُ وإِحسانَهُ ، وشايَعُوا فى النَّصْرِ نَصْلَهُ وَسِنانَهُ ؛ ما أَسْتَنابَ الوَدْقُ فى سَقِيَا الرِّياضِ غُدرانَهُ ، وخَلَعَ على الغُصُونِ خِلَعًا خَطَرَ فيها الزَّهْرُ بأَكْمامِهِ وَعَقَدَ من الثَّمَرِ تِيجانَهُ - فَإِنَّ شَرَفَ الأَماكِينِ بساكنيها ، وجُسُومِ الدِّيارِ بِنُفُوسِ قاطِئِها ؛ والمنازِلَ بكواكبها ، والمناصبَ

بَنَصِيْبِهَا مِنَ الْكِفَاءَةِ وَنَائِبِهَا ؛ وَإِنَّ مَدِيْنَةَ بَعْلَبَكَّ عِلْمٌ فِي الْمَدَائِنِ مَرْفُوعُ الْحِطَّةِ ، وَجِسْمٌ
 مِنْ جُسُومِ الدِّيَارِ قَدْ آتَاهُ اللهُ بَسْطَهُ ؛ بِنِيَّةِ سَلِيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهِيَ بِالْمَلِكِ قَدِيْمَةٌ
 الْاِخْتِصَاصِ ، وَمُبْتَنَى الْجَانِّ الْمُنْسُوبَةُ عَقُودُهَا الْعَلِيَّةُ وَالذَّرِّيَّةُ إِلَى كُلِّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ؛
 وَشَامُ الشَّامِ الْمُعْجِبَةُ ، وَرَوْضَةُ نَدَاهُ الْمُعْشَبَةُ ؛ وَثَنِيَّةُ تَفْرَهُ الْبَاسِمُ ، وَعَرَفُ أَعْرَاقِ
 حَيَاهِ النَّاسِمِ ؛ وَمَاوَى صَلْحَاتِهِ أَحْيَاءٌ بَيْنَ أَوْطَانِهَا ، وَأَمْوَاتًا بَيْنَ صَفِيحِ لُبْنَانِهَا ؛
 لَوْ عَرَضَتِ الْبِلَادُ مَحْبُوبًا لِقَلِيلٍ لَسَحَابِهَا : يَا كَثِيْرَ الْمِنَنِ ، وَلَوْ صُوِّرَتْ أَنْاسِيٌّ لِقَلِيلٍ
 لِإِنْسَانِهَا : يَا طَيِّبَ النَّجْرِ وَاللَّبَنِ ؛ لَا يُمْنَعُ مَا عَوْنُهَا ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَوْنُهَا عَنِ الْبِلَادِ وَمَا
 أَدْرَاكُ مَا عَوْنُهَا ؛ وَلَا تَلِيْقُ مِنَ النَّوَابِ إِلَّا بِكُلِّ سَرِيٍّ الْعَزْمِ وَالْهِمَمِ ، عَلَيَّ الْآرَاءِ
 فِي الْمَلِيْمَةِ الْمُدْهِمَةِ ؛ نَاجِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، صَالِحِ الْأَنْ يُنْتَى عَلَى نِيَابَتِهِ الْبَعْلَبَكِّيَّةِ صَالِحُو
 الْمَدِيْنَةِ وَالْحَبْلِ ؛ مُكْمَلِ لِسُلُوكِ الْحَقِّ الْأَنْجِيِّ وَالْعَزْمِ الْأَنْجِدِ ، مُؤَهِّلِ لِارْتِقَاءِ الرَّتَبِ
 الَّتِي تَمَاحَدْنَا وَلَهَا الْأَمْجِدُ .^(١)

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ جُمْلَةٌ هَذَا التَّفْصِيْلِ ، وَجَمَالَ هَذَا التَّفْصِيْلِ ؛ وَكُفَّ هَذِهِ
 الْعَقِيْلَةَ ، وَسَعَدَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي مَدَّتْ بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ذِرَاعَهُ وَنَظَّمَتْ مِنَ الْبِنَاءِ
 إِكْلِيْلَهُ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيْفِ - لَا زَالَتِ الْمَالِكُ بِمَحَاسِنِ أَيَّامِهِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِيَادِ ،
 وَبِالْبِلَادِ ذَاتِ الْخِصْبِ السَّنِيِّ لَا ذَاتِ السَّنَةِ الْجَمَادِ - أَنْ يَرْتَبَ فِي نِيَابَةِ بَعْلَبَكَّ
 الْمَحْرُوسَةَ : مُجَدِّدًا بَهْمَتِهِ الْعَالِيَةَ عَلَوُ صَرْحِهَا ، وَحِمَايَةَ سَرْحِهَا ؛ وَرِعَايَةَ جَبَلِهَا وَسَفْحِهَا ،
 مُوْرِيًّا فِي مَصَالِحِهَا زِنَادَ فِكْرِهِ الَّتِي لَا تَمْتَكِنُ أَقْوَالُ الْعُدَاةِ مِنْ قَدْحِهَا ؛ مُصْرَفًا أَوْامِرَهُ
 كَيْفَ شَاءَتْ ، مُنْصَفًّا لِلْأَحْوَالِ الْمُنُوْطَةِ بِرِعَايَتِهِ إِنْ دَنَّتْ أَوْ تَنَاءَتْ ؛ بِاسِطًا لَعْدِلِ
 قَلَمِهِ عَلَى الْمُجِيدِينَ ، وَسَطَوَاتِ سَيْفِهِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ ، وَازِعًا بِمَهَابَتِهِ مَنْ جَاوَرَ جِبَالَ

(١) لعله "التي إذا دخلت من ماجد تناوها" الخ .

العَمَل من الضَّالِّين ، (فَعَسَىٰ أَوْلَتْكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وَلِيَتَّبِعُوا مِنْهَا مَعْقِلًا
يُحْمَدُ الْمُنَاصِرَ وَالْمُهَاجِرَ ، وَلِيَحْظُ مِنْهَا نَعْرًا مَسَاوِيكُهُ الْأَسْلُ وَالْمَسْعَىٰ إِلَيْهِ عَلَى الْمَاجِرِ ؛
وَلِيُجْرَ أُمُورَ الدِّيوانِ عَلَى سَنَنِ التَّمْيِيرِ وَالتَّمْمِيرِ ، وَلِيَدَبِّرَ الْأَوْقَافَ الْمَبْرُورَةَ بِحَاسِنِ
التَّنْدِيرِ ، وَلِيُشَارِكَ أَهْلَهَا فِي الْأَجْرِ الْأَوَّلِ بِالْأَجْرِ الْأَخِيرِ ؛ وَالْأَسْوَارُ هِيَ وَقُلُوبُ الرِّجَالِ
مَنْ أَمَّهُمْ مَا يُعْمَرُهُ ، وَوُفُورُ الْحَوَاصِلِ وَالسَّلَاحِ مِمَّا لِلوَلِيِّ وَلِقَاءِ الْعُدُوِّ يَدْحِرُهُ ، وَتَقْوَى
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا لَا يَزَالُ لِسَانُهُ يَسْتَحْلِي الْقَوْلَ فِيهِ فَيُكْرَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّ بِإِعَانَتِهِ
وَلُطْفِهِ ، وَيُكْفِيهِ مَا أَمَّهُمْ مِنَ الْأُمُورِ فَسَاكُنِي مَنْ لَمْ يَكْفِهِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية الولاية بالشام المحروس لمن لقبه «عز الدين» من إنشاء
الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا ، وهي :

أَمَّا بِمَدْحِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِلْوَلَاةِ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ عِزًّا يَتَجَدَّدُ ، وَعِزًّا مَا يَتَشَدَّدُ ،
وَمَعَالًا يَتَعَدَّى إِذَا حَكَمَ وَزِيدًا لَا يَتَعَدَّدُ ، وَكَفَافِي وُلَاةٍ يَتَلَدَّدُ الْوَاصِفُ بِذِكْرِ
أَهْتَامِهِ الَّذِي إِذَا أَهَمَّ لَا يَتَلَدَّدُ ، وَإِذَا أَعْتَبِرَ عِزُّهُ وَحَرَمُهُ فَهَذَا فَضْلٌ يَتَجَدَّدُ ، وَهَذَا
وَصِفٌ لَا يَتَجَدَّدُ . وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْعِزِّ
الْمُؤَبَّدِ ، وَالْعِزْمِ الْمُؤَيَّدِ ، مَا كَتَبَ قَلَمُ الْغَيْثِ الْجَائِدِ عَلَى طَرَسِ الرُّوضِ بِخَوْدٍ - فَإِنَّهُ
لَمَّا كَانَتِ الْوَلَاةُ فِي خِدْمَةِ الْبِلَادِ جَيْشًا يَحْمُونَ سَرْحَهَا ، وَيُعْمَرُونَ صَرْحَهَا ، وَيُحْصِبُونَ
بِالْمَدَلِّ قَبْلَ الْعَارَةِ سَفْحَهَا ، وَيَحْكُمُونَ فِي رَعَايَاهَا ، وَيَتَمَكَّنُونَ فِي قَضَايَاهَا ، وَيَقْرَعُونَ
تُغُورَهَا وَيَقْرَعُونَ ثَنَايَاهَا - تَعَيَّنَ أَنْ تَقَدَّمَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ الْمَذْكُورِ أَمِيرًا يَقْرُرُ
أَمْرَهَا ، وَيُنَسِّقُ مِنْ مَيْمَنَتِهِ وَمَيْسَرَتِهِ يَمْنَهَا وَيُسْرَهَا ؛ وَيُجَرِّدُ مِنَ الرَّأْيِ سِلَاحَهُ ،
وَيُسْرِ قَلْبَهُ بِالتَّنْدِيرِ وَيَرِي شُجْرَةَ جَنَاحِهِ .

(١) كذا في الأصل بالاهمال ولعل صوابه «وفعلا اذا حكم لايتعدى ورايا لايتعد» .

وكان المجلس السامى هو الأمير الدال عليه هذه الإمارة ، المعنى بهذه الشارة
والإشارة؛ المستحق بشريف نفسه مدارج الارتقاء ، ومباهج الانتقاد والانتقاء ؛
المسبل أذبال مفاخره أى إسبال ، المرقوم بأسمه ورسمه على أرجاء الولايات : «عز
يدوم وإقبال» ؛ المقيم من أمانته ومهاتبه بين حريز ، الشهم الذى لا يذل وهو من
تعه ومنتسبه بين عزين ؛ الصمصام الذى شمر [به] يد من آرتضاه وانتضاه ،
والماشى على الحق الظاهر حتى يقال : أهذا وإلى الولاية أم قاضى القضاء ؟ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه - أن يستقر اعتماداً
على شهامته التى يمثلها تمهد البلاد ، وكفاءته التى توضح بالخيرات السنية السنة
الجماد ؛ وصرامته التى تشد على أيدى الولاية فيردون الحقوق من أيدى الأغصاب ،
ودريته التى يتسبون إليها فينشدون :

وكأ كالسهم إذا أصابت * مراميا فراميا أصاب .^(١)

فليأشر هذه الرتبة بكفها : من العزم العالى ، والقدر العالى ؛ والمعدلة التى تمسك
منها الأحوال بأوثق العرا ، وتتلو سيارتها المرفقة : (وما كماً مهلكى القرى) .
مراعياً لجميع الأحوال ، متمراً لمربع الأموال ؛ والياً على ولاية إن شكوا فى صنع الله
فألهم من الله من وآل ، ماشياً من تقوى الله تعالى فى كل أمرٍ على أقوى وأقوم
منوال ؛ والله تعالى يخلص البلاد بغمام رأيه الصيب ، ويطيب الأماكن المنبئة
بمثله : « وكل مكان ينبت العز طيب » .



وهذه نسخة توقيع بولاية البلقاء والصلت ، من إنشاء ابن نبأته ، وهى :

(١) الرواية : أصابا بألف الإطلاق ، وحذفت هنا مراعاة الفاصلة .

أما بعد حمد الله مُصَاعِفِ النِّعْمَةِ ، ومُرَادِفِ رُبِّ الإِحْسَانِ لِمَنْ أخلص
 فِي الخِدْمَةِ ، ومُجَدِّدِ مَنَازِلِ العِزِّ لِمَنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُ أَهْمَامِهِ فِي آفَاقِ الأُمُورِ المُوْهِمَةِ ،
 ومُؤَكِّدِ سِهَامِ الخَيْرِ المَقْتَسَمَةِ ، لِمَنْ سَدَّدَ فِي شَرَفِ الأَغْرَاضِ رَأْيَهُ بِلِ سَهْمِهِ .
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي هادي الأمة ، وعلى آله وصحبه حُماةِ
 الدِّينِ مِنَ العَوَارِضِ المِلْمَةِ ، صلاةٌ تَكُونُ بَيْنَ أَرْوَاحِهِمُ الرِّكِيَّةَ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً - فَإِنَّ
 أَحَقَّ الأَوْلِيَاءِ بِمَزِيدِ الآلَاءِ المُنْتَصِلَةِ ، وتَجْدِيدِ النِّعَمِ المَقْبِلَةِ وتَقْدِيمِ المَسَاعِي التي
 لا تَلْبَسُ حُلَّ القِضَارِ إلا مُكْتَمِلَةً - مِنْ وَصَحَتْ فِي صِفَاتِ الفَضْلِ آيَاتُهُ ، وَتَقَابَلَتْ
 فِي حَاتِي التَّدْبِيرِ سَطَاهُ وَأَنَانُهُ ، وَرَوَى عُلَّةَ البَلَدِ الخَائِفِ نِفَاضِ عَلى المُعْتَدِينَ
 جَدُولَ سِيفِهِ وَجَرَتْ بِالدَّمِ قَنَاتُهُ ؛ وَقَامَ عَلى قَدَمِ الأَجْتِهَادِ ، وَقَسَمَ بَيْنَ جَفْنِهِ وَجَفْنِ
 سِيفِهِ السَّمَادِ .

ولما كان المجلس هو المقصود بهذه الحكاية ، والمشهود له في طابق هذه
 الغاية ، والعالى بهمه على ذوى الأرتقاء ، والوالى الذى إذا ركب الولاة لأشهار
 ذكري كان من بينهم فارس البلقاء ، والنهض بشمير الأموال عمم رأيه الصيب ،
 والطيب سياسته محل الولاية : « وكل مكان ينبت العز طاب » - تعين أن تتريد
 منصبه إذا تزيدت المناصب ، وأن تستمر مرتبته إذا مرت لذهابها المراتب ؛
 وأن يشتمل فى استمرارها عليه ، وأن يكون فى إعراب الدولة القاهرة مضافاً
 ومضافاً إليه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى أبداً عماده ، وجعل لولاة أيامه
 الحسنى وزيادته - أن يستمر على ولاية البلقاء على عادته ، وأن تضاف إليه ولاية
 الصلت^(١) : جمعا له بين الأختين حلالا ، والذروين منالا ، والرايتين نهوضاً بهما

(١) لم يذرها القاموس ولا ياقوت وفي تقويم البلدان هي بلدة وقلعة من جند الأردن .

وَأَسْتِقْلَالًا ؛ وَعِلْمًا بِوَفَاءِ عَزْمِهِ الَّذِي أَمَرَ أَمْرَهُ ، وَرَفَعًا لِقَدْرِهِ الَّذِي حَسُنَ أَنْ يَقُولَ لِمَنْصِبِ الْبَلَاءِ : « لَنَا الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي سَارِدِ كُرْهُ » ، وَتَيْمَنًا بِغَرَّةِ الصَّلَاتِ فَإِنَّ الصَّلَاتَ هُوَ الْجَبِينُ الْوَاضِحُ بَشْرِهِ ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الْكَافِي الَّذِي جَمَعَ مَالَ الْجِهَاتِ فَأَوْعَى ، وَقَسَمَ فُنُونِ الْمَصَالِحِ جِنْسًا وَنَوْعًا ، وَحَسَمَ أَدْوَاءَهَا بِجُسَامِ رِفْقِهِ كَرَمًا وَطَوْعًا .

فَلْيَا بَشْرَ بِالْعِزِّ وَالْيَمِينِ جِهَتَيْهِ ، وَلْيَأْخُذْهُمَا بِكَلْتَا يَدَيْهِ ، وَلْيَفِضْ وَجْهَ عَزْمِهِ فِي أَرْضِ الدَّوْلَةِ حَتَّى يَكُونَ شَبَهَ الْبَلَاءِ الْإِلْزَامِ لِأَحَدِي وَلَا يَتِيهِ ؛ مُحَصَّنًا بِسِمَاكِي سَيْفِهِ وَقَلَمِهِ فَنِعْمَ الْبَلَدَتَانِ ، مُتَمَرًّا بِسَدَادِ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَتَانٌ ؛ مُؤَفِّيًا لِلْحَقُوقِ ، مُعْفِيًا لِأَعْتِرَافِ النِّعْمَةِ مِنَ الْعُقُوقِ ، رَاقِيًا بِهَمَّتِهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى رُتَبٍ لَوْ رَامَهَا نَجْمُ الْأَفْقِ لِعَاقِبَةِ الْعَيْقِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَقْوَى اللَّهِ مَعْدُوقٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ لِرَأْيِهِ أَجْمَلَ الطَّرَائِقِ ، وَيُنَجِّحُ عَلَى الْبَلَاءِ وَغَيْرِهَا سَعْيَهُ السَّائِقِ ، وَفِكَرَهُ السَّابِقِ ؛ بِمَنِّهِ وَكِرَمِهِ ! .



وهذه نسخة توقيع بولاية نابلس ، من إنشاء ابن نباتة أيضا ، وهى :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا هُنَا مِنَ الْمَوَاهِبِ ، وَهَيَّا مِنْ عَلَيِّ الْمَرَاتِبِ ، وَأُنْجِزْ مِنْ وُجُودِ السُّعُودِ بَعْدَ مَطَالِ الْمَطَالِبِ ، وَزَيِّنْ مِنْ سَمَاءِ الْوِظَائِفِ عِنْدَ إِزْهَائِهَا بِزِينَةِ الْكُوكُوبِ ، وَعَمِّرْ مِنْ صُدُورِ الْوَلَاةِ وَالْوَالِيَةِ بَعْلِي تَنْبِي عَلَيْهِ الرِّعِيَّةُ «لَوْ سَكَّتُوا أَثْنَتَ عَلَيْهِ الْحَقَائِبِ» . وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي جَرَدَ لِنَصْرِ الْإِيمَانِ حَدَّةَ الْقَاضِبِ ، وَحَزَبَهُ الْغَالِبِ ، وَنَدَبَ لِإِحْيَاءِ الْحَقِّ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا هَمَّتْ بِهِ النَّوَادِبِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَمَاتِ جَمَالَ الْكُتُبِ كَمَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ

بِحَمَالِ الْكَنَائِبِ ؛ صَلَاةٌ تَعَطَّرُ بِنَفْحَاتِهَا الصَّبَا وَتَنْقَطِرُ مِنْ خَلْفِ سُرَاهَا الْجَنَائِبِ - فَإِنَّ عَقَائِلَ الْوِلَايَاتِ أَوْلَى بِخُطْبَةِ أَكْفَائِهَا ، وَرَغْبَةِ السَّرَاةِ مِنْ ذَوِي أَحْصِطْفَائِهَا ، وَنِسْبَةِ مَنْ يَقُومُ لِلْأُمُورِ الْمُعَلَّلَةِ بِقَانُونِهَا وَشِفَائِهَا .

ولما كانت بلد نابلس المحروسة من أعلى عقائل البلاد قدرا ، وأمرها الجهات أمرا ، وأسرى الولايات محلا وذكرا ، وأوفى النواحي من زمان بنى أيوب على تكاليف الملك صبورا ، وأنزله الإقاع التي لو رآها الملك المصيري لما استغلى غوطة الشام بشبرين من شبرا ؛ بلد أعارته الحمامة طوقها وحملت الشتاء فوق طوقه ، ونجم نبات واديها الزهر حتى تساوى النجان من تحته ومن فوقه - تعين أن يُختار لولاياتها من تعين ولأوه ، وتمكن في الرتب علاؤه ، وتبين في مصالح الولايات احتفاله وأحفاؤه ، وشهر وفأوه بالخدمة فلا شرف بسعى إلا له منه شينه ورائه وفأوه ؛ من شهدت السواحل الشامية في مباشرته أنه أجرى منها المال بحرا ، وأفاض الوصف دزا ، وشهدت الزكاة - وديوانها المادح - أنه أفلح من زكاتها خبرا وخبرا .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يُرتب فلان علما بأنه الأوحد الذي جمع الأوصاف المتقدمة ، وأسمع من الحامد نديجة لها من كلاً قوله وفعله مقدمة ، وأطلع في آفاق الوظائف كنجوم الجوزاء الثلاثة رأيه وسيفه وقلمه ، وأطلع على محاسن التدبير فكان في رعايا بلده ممن تواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ؛ وأنه الكافي الذي إذا ولي ثمر ، وإذا صال على المفسدين دمر ، وإذا شامت المهمات بارق عزيم ، أسبل وإذا شامت قواه شمر ؛ وأنه الأمين إذا تصرف ، والمأمون إذا تعرف ، والشجاع إذا تحصنت البلاد بنسبه الحصني : فسواء في شمول الأمن ما توسط منها وما تطرف .

فليباشر هذه الولاية المباركة بعزم يوضح بشرها ، ويشرح أمرها ، ويقيم في خطبة علاه عدرها ؛ وحزم يبرر مالها وغلالها ، وينقع غلتها ويضع أغلالها ؛ وبأس يدع

المُفْسِدَ من سَيْفِهِ أَوْ قَيْدِهِ فِي طَوْرِ أَوْ حِجْلِ ، وَيَذُرُ السَّارِقَ وَالْمَارِقَ يُسِيرُ بِلا كَفِّ
وَيَسْعَى بِلا رِجْلِ ؛ مُشِيدًا لِنَوَاحِيهَا بِالْتَرغِيبِ وَالتَّرهيبِ عَلَيَّ أَوْ تَقِ الْمَبَانِي ، مُصَلِحًا
بَيْنَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ حَتَّى لَا يَضُرَّ قَوْلُ الْقَائِلِ : «رَفِيقَكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي» ؛ مُتَفَقِّدًا
مِنَ الْأَحْوَالِ كُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ ، نَاهِيضًا فِي تَلَقِّي الْمَهْمَاتِ عَلَيَّ قَدَمَ التَّقَدُّمِ بِالْعَزْمِ
الْأَثِيرِ ، جَاعِلًا مَن لَدَى حَجَجَةِ عَمَلِهِ لِصَلَاحِ الْعَشِيرَةِ نِعْمَ الْعَاشِرِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ
تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ وَإِلَيْهَا بِالْحَدِيثِ يُسِيرُ .



وهذه نسخة توقيع بشد الدواوين بغزة ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ بِهِ
لـ«علاء الدين بن الحصني» المقدم ذكره في التوقيع قبله ، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَيَّ كُلِّ نِعْمَةٍ جَلَّتْ ، وَنِعْمَةٍ فِي أَهْلِهَا حَاتٍ وَحَلَّتْ ، وَرَبَّةٍ
بِانْتِسَابِ كَافِيهَا وَبِاسْمِهِ تَحَصَّنْتُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَتَعَلَّمْتُ ؛ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيَّ سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ خَيْرٍ مَن سَأَمْتُ عَلَيْهِ الْأُلسِنَةُ وَصَلَّتْ ، وَسَلَّتْ بِهِ سِيُوفُ النُّصْرِ وَصَلَّتْ ؛ صَلَاةً
دَائِمَةً مَا أُمْلِيَتْ عَلَى الْأَسْمَاعِ فَمَلَّتْ ، وَلَا قَابَلَتْهَا وَجْهُ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا تَهَلَّلَتْ وَلَا سَجُبَ
الرِّضْوَانِ إِلَّا أَنَهَلَتْ - فَإِنَّ مَنزِلَةً يُسْتَقَى [مِنَ] مَهْمَاتِ الدَّوْلَةِ خَبَّرَهَا ، وَيُسْتَدْعَى مِن جَانِبِي
مِصْرَ وَالشَّامَ سَبْرُهَا ، وَيُحْمَدُ إِلَيْهَا مِن نَاحِيَّتِي السَّاحِلِ وَالْحَبْلِ سُرَاهَا وَسَيْرُهَا ؛ وَتِلْكَ
وِظِيفَةُ شَدِّ الدَّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ بِغَزَّةِ الْمَحْرُوسَةِ الَّتِي تُتَلَقُّطُ مِن سَاحِلِ بَحْرِهَا دُرُّ الْخَيْرِ
الْمُقْتَبَلِ ، وَتَقْوَلُ الْمَهْمَاتِ الشَّرِيفَةَ لِسْرَاةٍ أَسْتِنَهَاضِهَا : يَاسَارِيَةُ الْجَبَلِ - حَقِيقَةٌ
أَنْ يُتَخَيَّرَ لَهَا مِنَ الشَّاكِرِينَ مَن يُحْمَدُ أَجْتِهَادُهُ وَجِدُّهُ ، وَمِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْمَقَاصِدِ مَن
يَحْسُنُ - كَمَا يُقَالُ - تَقْرِيْبُهُ وَشَدُّهُ ؛ وَمَن شُكِرَتْ فِي الْوِلَايَاتِ الْآلَاؤُهُ ، وَمَن إِذَا عَلَا
نَظْرُ رَأْيِهِ فِي الْمَصَالِحِ قِيلَ : دَامَ عَلَاؤُهُ ؛ وَمَن إِذَا دَبَّرَ جَهَّةً قَالَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ :
لَقَدْ زَادَ فِي الْمَصَالِحِ حُسْنًا ، وَلَقَدْ تَحَصَّنْتُ بِانْتِسَابِ ذِكْرِهِ فَلَا عِدَمْتُ مِنْهُ حِصْنًا .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر لما عُرف من حزمه
وعزيمه ، ولما جُدد في مقدمات القدر من رفعه وفي إعلاء المهّمات من جزمه ؛
ولما عُهد من هممه في جهات دبرها ، وفي ولايات تمرها ؛ وفي وظائف شدّها :
أما على العتاة فشَدَّدها وأما على المُستحقِّين فیسرَّها ؛ ولما أشتهر من ذكره الذى
لا يبرح علياً ، ولما ظهر من درايته التى جعلت كوكب سعده وسعيه درياً ، ولما
بهر من تميزه الذى إذا هزَّ عصاه بيد تساقط على المقاصد رطباً جنيًا .

فليأشِرْ هذه الوظيفة المباركة مباشرةً تبيّض لها وجهًا وعرضًا ، وإذا أمضى عليه
المُنهى تبرعًا كافاه حتى يكون قرضًا ؛ مجتهدًا فى تَمَيُّر الأموال والغلال ، ضابطًا لأُمور
الديوان حتى لا يشكو الخلة ولا الاختلال ؛ قائمًا بحق الخدمه ، مُستريدًا - بشكر
الأقوال والأفعال - لما يرسخ له من أقسام النعمه ، عليًا على كلِّ حالٍ إذا وفّت
الفكر قدره وإذا ذكر اللسان اسمه .

المرتبة الثالثة

(من توابع أرباب السيوف بأعمال دمشق ما يفتح بـ «رسم» وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بناية قلعة القدس ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كُتب
بها لشرف الدين «موسى الردادى» وهى :

رُسم - لا زالت ولاة أيامه عالية الشرف ، سامية المستشرف أويّه من جنات
خير الدنيا والآخرة إلى عُرف من فوقها عُرف - أن يستقر المجلس السامى ...
علمًا باهتمامه الوفى ، وأعتزاه المتيقظ إذا نام حدُّ المشرفى ؛ وأستنادًا إلى رأيه الذى

يقول نَجْمُ الطَّلَعِ: «مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي»!!؛ وإرشادِ سَعِيهِ إِلَى أَنْ
أَتَّخَذَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ دَارًا، وَمِنْ حَرَمِهِ الشَّرِيفِ جَارًا، وَأَتَّقَادِ ذَهَبِهِ وَشَجَاعَتِهِ
اللَّذِينَ آتَسَ بِهِمَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا؛ وَكَيْفَ لَا؟ وَقَدْ قَالَتْ هَمَّتُهُ: يَا مُوسَى
أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ، وَأَخْرِجْ يَدَكَ الْبَيْضَاءَ فِي النَّيَابَةِ تَكُنْ أَحَقَّ مِنْ اعْتَرَفَ بِهَا الْإِحْسَانَ
وَاعْتَرَفَ .

فَلْيَبْشُرْ مَا فُوِّضَ إِلَيْهِ مُبَاشَرَةً يَعْلُو بِهَا شَرَفُ اسْمِهِ وَمُسَمَّاهُ، وَيَبْدُو لِاخْتِيَارِ
وَالِاخْتِبَارِ فَضْلُ التَّقَدُّمِ الَّذِي إِذَا بَدَأَ لَهُ كِفَاؤُهُ، وَلِيُجْرِبَ بِهِذِهِ الرُّتْبَةَ رَأْيًا حَسَنَ الْإِحْكَامِ،
وَلْيُؤَاطِبْ عَلَى حِفْظِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الَّتِي فُتِحَ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ فُتُوحِ الْإِسْلَامِ؛
وَلْيَمُدَّ عَلَيْهَا مِنْ كِفَايَتِهِ سُورًا حَوْلَ سُورِهَا، وَلِيَتَفَقَّدَ رِجَالَهَا وَعُدَدَهَا تَفَقُّدَ الشُّهْبِ
فِي دَيْجُورِهَا، وَلِيَرُدَّ عَنْهَا بَعْزِمَهُ الرَّدَادِيَّ عِيُونَ الْأَعَادِي الزُّرْقَ حَتَّى لَا يَرَاعَ فِي أَرْضِ
الْحَرَمِ وَلَا حَامَاتِ طُيُورِهَا. وَلِيَشْكُرْ نِعْمَةَ أَوْتَاهُ إِلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ الطَّاهِرَةِ، وَلِيَقْرُبَ لِيَدِ
أَمَلِهِ طَلَبَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلِيَقْدِّمَ مِنَ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي عَنْ أَصْلِهَا تَتَفَرَّغُ
نِعْمَةُ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، حَتَّى يَجْعَلَ لَهُ فِي الْوَادِي الْمُقَدَّسِ رِبْعًا مَانُوسًا، وَجَمْعًا
مَحْرُوسًا، وَأَحَادِيثَ حَسَنَةً تَقُولُ لِمُسْتَمِعِ مِثْلِهَا فِي الْآفَاقِ: (هَلْ أَنَاكَ حَدِيثُ مُوسَى).
وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِإِعَانَتِهِ، وَيُلْهِمُهُ شُكْرَ مَا رَزَقَ مِنْ فَضْلِ مَكَانِهِ وَمَكَانَتِهِ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمَةٍ!



وهذه نسخة توقع بنبأ قلع صرخد لمن لقبه «جمال الدين» وهي :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَخْتَرُ لِقَلَاعِهِ النَّائِبَ وَيَخَيِّرُ مِنَ النَّائِبَةِ، وَيُمِدُّهَا بِسَحَابِ رِيٍّ^(١)
وَفِكْرِهِ الصَّابِيَةِ، وَيَنْدُبُ لِحُدُومَتِهَا كُلَّ سَيْفٍ يُرِضِي النَّادِبَ وَيُقِيمُ عَلَى غَيْرِهَا النَّادِبَةَ -

أَنْ يُرْتَّبَ مَجْلِسُ الْأَمِيرِ ... لِأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي تُسَرُّ الْحُصُونُ بِأَمْثَالِهِ، وَتَبْتَسِمُ شُرَفَاتُ
الْفَلَاحِ لِإِقْبَالِهِ، وَتَشْرِحُ مَنَازِلَهَا بِتَنْقِيلِ نَجُومِ الْهُدَايَةِ مِنْ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ؛ وَالْمَلِيُّ بِأَدَاءِ
إِخْلَامِهِ، وَالْمُرْتَجِعُ لِمَا هُوَ أَوْفَى وَأَوْفَرُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ .

فَلْيَبِشُرْ نِيَابَةَ هَذِهِ الْقَاعَةِ الْقَدِيمِ أَثَرُهَا، وَالشَّهِيرِ خَيْرِهَا وَخَبَرُهَا؛ بِعَزْمَةِ سَيْفِ
قَاطِعِهِ، وَوَحْدَةِ بَأْسِ ذَائِعِهِ، وَمَهَابَةِ ذِكْرِ لَشِيَّاطِينِ التَّفَاقُحِ عَنْهَا رَادِعِهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ بِنَاءِ
الْمُرْدَةِ: فَلْيُرِدَّ عَنْهَا أَفَّةَ جِنْسِهَا، وَلْيَحْطُ بِرُوقِ عَزَائِمِهِ حَوْلَ نَفَاسَتِهَا وَنَفْسِهَا؛ وَلْيَجْرِ
أَمْرُهَا عَلَى السَّدِّدِ، وَلْيَبْنِهَا بِلُزُومِهِ الْمَهْدِيِّ أَوْثَقَ مِمَّا بَنَاهَا أَوْلَتْكَ بِالصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ،
وَلْيَرِضِ الْآثَارَ السَّلْيَانِيَّةَ بِسَامِعَانِ بَيْتِ الْمَلَاذِمَةِ عَلَى طُولِ الْأَبَدِ، وَلْيَجْتَهِدْ فِيهَا هُوَ
بِصَدْدِهِ حَتَّى تُدْمَرَ بِتُدْمَرِ جَوَانِحِ الْحَسَدَةِ بِالْكَدِّ؛ مَكْتَرًا بِذِكْرِي مَهَابَتَهُ لِعَدَدِهَا،
مُوفِّرًا لِعَدَدِهَا، مُسْتَوْجِبًا لِاسْتِجْلَابِ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِاسْتِجْلَابِ مَدَدِهَا .



وهذه نسخة توقيع نبياة قلعة الصببية، وهي :

رُسم بالأمر العالى - لازال إحسانه يُعيد إلى الحصون ناصرها وزينها، ويُفيد
أصحاب الهمم صونها، ويحرسها بن إذا نظر فيها وحماها كان عونها وعينها - أن يستقر
المجلس السامى الأميرى ... لما ألقته هذه القلعة المنصورة من تحصينه
وتحسينه، وعرفته من ترتيبه فى عمارتها وتزيينه؛ ولأنه الأدرى بالمصالح العائد نفعها،
والأدرى بمناجحتها الحميد وقعبها؛ الذى باشرها من قبل فأحسن السلوك، ونصح
هذه الدولة القاهرة فأثنى على سيرته ملوك الحصون وحصون الملوك .

فليعد إلى هذا المعقل المنيع عود الماء إلى مشاربه، وليسر فى أرجاء أبراجها
مسير القمر بين كواكبه؛ وليتفقد أمور رجالها المستخدمين، وليستجاب قلوب

(١) السدد [بالتحريك] الاستقامة كالسداد .

حَفَظَتْهَا الْأَقْدَمِينَ ؛ مُتَعَاشِيًا مِنْ رَأْيِ الْقَاصِرِ الذِّيَّ ، قَائِمًا بِالْمِهْمَاتِ الَّتِي تُرَاحِمُ مِنْهُ
بَسْخِ لَا تُرَاحِمُ بَصِيَّ ؛ مُقِيًّا عَلَى رَفْعِ الْأُدْعِيَةِ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ، مُسْتَرِيدًا بِالشُّكْرِ
لِنِعَمِ اللَّهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، مُجْتَهِدًا مُعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي جَعَلَتْ لَهُ مَكَانًا
مَكِينًا فِي الدُّنْيَا وَطَرِيقًا سَهْلًا إِلَى الْآخِرَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِئُ قَصْدَهُ ، وَيَتَقَبَّلُ جِهَادَهُ
وَجُهْدَهُ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! .

قُلْتُ : هَذَا كَانَ شَأْنَهَا حِينَ كَانَ يُوَلَّى بِهَا مَقْدَمَ حَلْتَةٍ أَوْ جُنْدَى مِنَ الشَّامِ .
لَكِنْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ أَنَّهَا أَسْتَقَرَّتْ
فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ «فَرَج» فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَثَمَانِمِائَةَ [وَلَايَةَ] ^(١) .

وَحِينَئِذٍ فَكَوْنُ وَلَايَتِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . فَإِنْ عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ
أَوَّلًا ، عَادَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة حمص ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
وهي :

رسم بالأمر - لا زال يندب لخدمة قلاع كل سيف محبب، ومجرب عبرت عليه
العبر، ومؤد لفرائض الخدمة : إما بقيام عند الصبا وإما بقعود عند الكبر - أن
يرتب فلان في نيابة قلعة حمص المنصورة إجابة لسؤاله فيما سأله : من التوفر على
مواصلة الصلوات ، ورفع الدعوات ، وجمع ثوابي الجهاد والخلاوات ، وتقضى باقي
العمر وأدعا ، متنسكا طائعا ، إذا بكى بجواره حتى النه العاصي رقى عليه فما يعدم
منه بكا .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من بقية الكلام وما تقدم .

فليباشر نيابة هذه القلعة العليّ خبرها ومخبرها، الملىّ سماعها ومنظرها؛ المِطْلَةُ
على مراكر الرّماح المشهوره، وههناّ الرياح : إِمَّا بغيث السّمام مُمِطْرَةٌ وإِمَّا بسهم
الغيث مطوره، المِجَاوِرَةُ لسيّف الله «خالد» فهى بإعراب المِجَاوِرَةِ مَنْصُورَةٌ غير
مَكْسُورَةٌ، مُعْتَمِرًا لأحوالها، مُسْتَدْعِيًا لما تُحْتَاج إليه من عددها وعدد رجالها،
مُحَصِّنًا باستدعاء السّلاج وسِلاح الأُدعيّة الجديريّن بأمثالها.



وهذه نسخة توقيع بنيابة قلعة جعبر، قبل أن تُنقل إلى حلب، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى فى سماء الملك كوكابه، ونصر فى أقطار
الأرض كُتبه وكتّابه، وصرف بأوامره العالیه كلّ نائبٍ وفرّق بها كلّ نائبه -
أن يُرتّب علمًا بأنّه الكافي الذى تُعقد على همته الخناصر، ويُنبنى
على تقديم عزائم القديم والمُعاصِر، وتقوى الجهات وتُنصر باسمه بعد أن كانت
بغير قُوّة ولا ناصِر؛ وأعتادًا على كفاءته النافعه، وشهامته الرّائقة الرّائمه، ودرأيته
التي تُضئ بها القلعة وتُسّمو حتى يقول الاستيقان : ما هذه شمس هذه شمس
طالعاه .

فليباشر هذه القاعة القديم أثرها، الحميد خبرها وخبرها، المصغر تصغير التحبيب
والتّحسين اسمها ومنظرها، المنفرد مهلهلها بذيل الآفاق فتتمسك بسحبها، المنشدة
لأرتقاب نهضة حال من علم ابن منصورها، راقياً صرحها، راعياً بالمصالح

(١) كذا فى الأصل وصوابه شمسية .

(٢) هذا الوصف يناسب قلعة الصبيبه فانها هى المصغرة .

(٣) فى الأصل «تمسكا» .

سَرَحَهَا ؛ مُجْتَهِدًا فِيمَا يَقْضِي لَقَدْرَهُ بِالرَّفْعِ ، وَلِرَأْدِ أَمَلِهِ بِخِصْبِ التَّجَعِّهِ ، جَاعِلًا هَذِهِ
الْمَنْزِلَةَ أَوَّلَ دَرَجَاتِهِ : وَحَسْبُهُ بِمَنْزِلَةِ يَكُونُ أَوَّلَ دَرَجَاتِهَا قُبَّةَ قَلْعِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُ
عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ ، وَيُجَمِّدُ فِي الْكُفَاةِ خَبْرَهُ كَمَا أَحْمَدَ فِيهِمْ أَسْمَهُ ؛ بِمَنْهُ وَكْرَمَهُ ! .



وهذه نسخة توقيع نبياة مغارة زلايا، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يَزِيدُ قِلاَعِ الْإِسْلَامِ عِلاَاءً فِي السَّمَةِ وَالْأَسْمِ ، وَفِي الْقُوَّةِ
وَالْحِسْمِ ، وَفِي أَعْتِنَاءِ يَجْمَعُ لِعَقِيلَتِهَا بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْقِسْمِ - أَنْ يُرْتَبَ مَجْلِسُ الْأَمِيرِ
لِقِيَامِهِ بِوَأَجِبِ الْخِدْمَةِ ، وَمُلَازِمَةَ فَرَايِضِهَا الْمُهِمَّةِ ؛ وَعَزْمَتَهُ الْوَفِيَّةِ فِي النَّهْسِ ، الزَّائِدِ
وَصَفُوحًا عَلَى الْأَمْسِ ، الْعَلِيِّ نَسَبُهَا وَحَسَبُهَا : قِتَارَةٌ إِلَى الْعَلِيِّ وَتَارَةٌ إِلَى الشَّمْسِ .

فَلْيَبْشِرْ هَذِهِ الْقَلْعَةَ الَّتِي عَلَتْ بِنَفْسِهَا مَحَلًّا وَسَكَنًا ، وَقَالَ سَاكِنُ مَغَارِهَا لِشَانِي
أَتَيْنِ مِنْ حَزْمِهِ وَعَزْمِهِ : (لَا لِحِزْنَ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) ؛ وَأَسْتَعْلَى نَيْتِهَا فَأَنْشَدَ :
«أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاعِ الثَّنَائِيَا» ، وَنَادَى بِقَعْتِهَا : هَذَا عَزْمِي وَحَزْمِي لَا يُقَالُ وَلَا يَزَلَّ يَا بَا
مُجْتَهِدًا فِي سَدَادِ أُمُورِهَا ، وَتَحْصِينِهَا بِالْمَهَابَةِ الْقَائِمَةِ مَقَامِ سُورِهَا ؛ مُسْتَجَابًا مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ وَمَا يُرْتَبُ مِنْ عُدَّةٍ ، مُلَازِمًا لُرُومِ الْخَمْسِ لِأَوْقَاتِ مُبَاشَرَتِهَا لِأَيُوصَفُ بِالزُّوَالِ
بَلْ يُطَوَّلُ الْمُدَّةُ .



وهذه نسخة توقيع بولاية القدس، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر لا زال يَشْمَلُ بِظِلِّهِ وَفَضْلِهِ ، وَيَجْمَلُ بِإِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ ،
وَيُنْقَلُ شَمْسُ الْوِلَاةِ مِنَ الْبُرْجِ الظَّاهِرِ إِلَى مِثْلِهِ - أَنْ يُنْقَلَ فَلَانٌ مِنْ كَذَا إِلَى الْوِلَاةِ

القدس الشريف : علماً بكفائته التي تقدّمت ، وشهامته التي تحكّمت ، وإمامته التي سلّمت فيما سلّمت ؛ وهيمته التي وضّحت شمساً فلا تُنْفَس ، وقالت لقيامه في المصالح :
 ﴿أَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ .

فليباشِر هذه الولاية مباشرةً تمحو بضيائه شمسَه ظمأً وظلاماً ، وتقولُ لنارِ الحوادث في المشاهدةِ الجليلةِ : ﴿يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ ؛ مجتهداً فيما هو بصَدَدِهِ ، عارِفاً بوجوه المصالح حتى يكونَ السُّكُنُ أَعْرَفَ بِسَمْسِ بَلَدِهِ ؛ ناهضاً بأُمُورِ الدِّيوانِ جليهاً وخفيهاً ، وعبءِ المهماتِ حافِلهَا وحَفِيهاً ؛ مستزيداً بالشكر لمبادئِ النعمِ ، قائلاً في محلِّ البَلَدِينِ الْمُبَارَكَيْنِ : ماسرتُ من حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ .



وهذه نسخةٌ توقع بولاية غزّة ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يُنْشِئُ في رِياضِ الإِحْسَانِ غَرْسًا ، وَيُحَقِّقُ في أَسْتَحْقَاقِ الكُفَاةِ حَدْسًا ، وَيُقَدِّمُ من لا تزال الِوَلَايَاتُ تُحْمَدُ له يَوْمًا وتَدَّكِرُ لِقَوْمِهِ أُمْسًا - أن يُرْتَبَ لِمَا عُرِفَ من عَزَمِهِ الذي جَرَّدَ منه الأَخْتِيارَ والأَخْتِيارَ جَمِيلًا ، وَكَيْلِ شَخْصِهِ الذي آتَخَذَهُ التَوْفِيقُ فلم يَقُلْ : ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ ؛ وَأَعْتَادَهُ الذي يُصْبِحُ في الحامدِ وَيُؤْمِسُ ، وَيَنافِسُ مَرْبَاهُ فُهَذَا يَقُولُ : تَمَرَى وهذا يَقُولُ :
 غَرْسِي .

فليباشِر هذه الولاية بعزيمٍ مقْتَبِلِ الشَّيْبَةِ ، وَحَزْمٍ لَا يُعِيدُ الرَّأْيَ المَحْسُلُ تَجْرِيدَهُ في المصالحِ وَتَجْرِيئِهِ ؛ وَنَفْعٍ في المِهْمَاتِ وَرَدْعٍ لِلْفُسْدِينِ تُحْمَدُ مَوَارِدُهُ وَمَصَادِرُهُ ، وَذِكْرِهِ حَسَنٍ تُلْتَقَطُ من ساحلِ الشَّامِ جَوَاهِرُهُ ؛ مُسْتَزِيدًا لِمَا رَسَّخَ له من درجات

الأمر المهمّ ، مُرَّةَ العَرِضِ عن كلِّ لائِمَةٍ مُرَجَّحًا تَقْوَى اللهِ تعالى في كلِّ مَلَمَّةٍ ، واللهُ تعالى يُجِدُّ في الخِدمة آثاره ، ويُعزِّزُ في ولاية حربه الساقَةَ إذا هانت الحرب على النَّظاره .



وهذه نسخةُ توقيعِ بولايةٍ لُدِّ ، لمن أسَمه «نجم الدين أيوب» وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت نُجومُ أوامِرِهِ سَعِيدَةٍ ، وظلالُ غوارِفِهِ مَدِيدَةٍ ، ومنازلِ الولاياتِ حَامِدَةٌ لمن يُقدِّمه وطوالِيعُ أُنُقِها حَمِيدَةٌ - أن يُرتَّبَ اعتماداً على كَفائَتِهِ التي تُسَيِّدُ له مَجْدًا ، وتُعقِبُ مَسعاه جَمْدًا ، وتكفِي من هذه الجهة وأهلها بَلَدًا وقومًا لُدًّا : لما أحتوى عليه من موجباتِ الأصطناعِ ودواعِيهِ ، وفاتَ باستقلالِهِ أمدَ مساجِلِهِ ومناوِيهِ ؛ وأشتمَلَ على الخِلالِ التي قَضَتْ بتقدِيمِهِ ، والأفعالِ التي أَسَدَعَتِ المبالغةَ في تَفخِيمِهِ وتكْرِيمِهِ ؛ وسَلَمَكَ من الخالصةِ ما يُوجبُ الأَسْتِحْقاقَ والأَسْتِجابَ ، ويُوصلُ حَمِيدَ مَسعاه إلى بُلُوغِ الآمالِ وإدراكِ المَحابِّ .

فليباشِرْ هذه الولايةَ : عاملاً بتَقْوَى اللهِ تعالى فيما يُسِرُّه ويُعلِنُه ، مُعتمداً فيها غايةً ما يَسْتَطِيعُهُ المُكَلَّفُ ونهايةً ما يَمِكنُهُ ؛ وليُسَوِّ بين القَوِيِّ من أهلِ هذه الولايةِ والضعيفِ ، ولا يجعلُ في الحقِّ فَرَقًا بين المَشروفِ والشَّرِيفِ ؛ ويمُدَّ على كَافِئِهِم رِواقَ السُّكونِ والأمانَةِ ، وليَجْرِهِم في المَعْدِلَةِ على العادةِ الجميلةِ الحَسَنَةِ ؛ وليأخُذْ في الأمورِ الدِّيوانِيَّةِ بالأجتهادِ مُراعياً في ذلك حالَ العِمارَةِ ، آتياً من الإحسانِ إلى الرِّعيَةِ ما يكونُ للعدْلِ شارةً ؛ وإفياً في ذلك كلَّهُ بالمَطْلُوبِ ، صابراً على تكاليفِ المُهمَّاتِ ولا يُنكِرُ الصَّبْرَ لأَيُّوبِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية بيسان، لمن لقبه « شهاب الدين » من إنشاء آبن
نبأته ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت شهب أوقاته سعيدة ، وسحب هباته ساحبة الجود
مديده ، وبحور نعمائه الحقيقية كبحور الأعارِ بوض المجازية : كاملة منسرحة مديده -
أن يستقر أعتماداً على عزمه المنير شهابه ، الكثير توقده في أوقات المهمات
والتهايه ، وأستناداً إلى كفاءته التي يشهد بها ولاؤه في الخدمة وولايته ، وشهامته
التي يجزم بها في الأمر رأيه وترفع في الخدمة ولايته ومهابته ؛ وعلماً بسياسته
التي يجمع بها أهل الفساد ، وتكاد تفخر بيسان بفضلها كما فخرت بـ «فاضلها»
على البلاد .

فليقم في وظيفته على قدم اجتهاده ، وكرم ارتياده واعتياده ؛ شافياً لأحوال أهل
ناحيته من الوصب ، مُمثراً الغلال والأموال بعزم قد ارتفع وانتصب ؛ ظاهراً
في الخدمة بجهوده ، مليئاً لحديد من عصى عليه في عمله كما أورثه داووده ؛ والله
تعالى يوفقه .



وهذه نسخة توقيع بولاية صيدا، لمن لقبه « شجاع الدين » بـ «المجلس العالى»

وهي :

رسم بالأمر العالى - أنفذه الله في الأقطار، ونجم بولاته أيام الأوطان والأوطار،
وأجرى بشكره سفن الركائب وركائب السفن إذا سَفَّ وإذا طار - ان يستقر
فلان : ركوناً إلى عزمه وحرمه ، وسكوناً إلى اهتمامه الذى حكم فيه الاختبار

بِعَالِمِهِ؛ وَعَلِمًا أَنَّ لَلْوَلَايَاتِ بِهِ الْإِنْتِفَاعَ، وَلِحُصُونِهَا الْإِمْتِنَاعَ وَالْأَرْتِفَاعَ؛ وَأَنَّهُ إِذَا
وَلِيَ رَعَىٰ وَإِذَا أَقْوَىٰ كَانَ أَعْصَمَ رَاعٍ، وَإِذَا فَكَّرَ فِي الرَّأْيِ وَوَقَّبَ فِي الْمِهْمِ كَانَ
نِعْمَ الشُّجَاعَ .

فَلْيَبْشُرْ وِلَايَةَ عَمَلِهِ نَاهِيًا بِأَعْبَائِهِ ، رَافِعًا بِالْعَدْلِ لِأَرْجَائِهِ وَرَجَائِهِ ، حَرِيصًا عَلَىٰ
طَيْبِ الْأَخْبَارِ الْمُنْتَشِرَةِ مِنْ كَأْفُورِ صُبْحِهِ وَمِسْكِ مَسَائِهِ . وَلْيَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ بَرِّهِ وَبَحْرِهِ ،
وَيَتَقَبَّظْ لَذَلِكَ الْبَرِّ وَجَهْرِهِ ، وَذَلِكَ الْبَحْرِ وَسِرِّهِ ؛ حَتَّىٰ يَتَحَدَّثَ الْبَحْرُ عَنْ عَزْمِهِ
وَلَا حَرَجَ ، وَيَسِيرَ ذِكْرَهُ كَنَسِيمِ الرَّوِضِ لِأَضَائِعِ الصَّنْعِ وَابْكِنِ ضَائِعُ الْأَرْجِ ؛ وَيَعْتَمِدْ
مِصَالِحَ النُّوَاحِي وَسُكَّانِهَا ، وَالْأَمْوَالِ وَدِيَوَانِهَا ، وَالْجِلْهَاتِ وَضُمَانِهَا ، وَنُجُومِ التَّقْسِيطَاتِ
فِي الْبَلَدَةِ وَتَحْرِيرِ مِيزَانِهَا ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالشَّدَةِ بِسِيَاسَةٍ لَا يَخْرُجُ بِهَا الرَّأْيُ عَنْ
إِبَانِهَا ، وَتَقْوَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ هِيَ الْعِمْدَةُ فَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُ ، وَعَلَىٰ رُكْنَيْهَا يَسْتَنْدُ ؛ حَتَّىٰ تَجْعَلَ
لَهُ عَلَىٰ الْمِصَالِحِ أَيْدًا ، وَحَتَّىٰ تَنْتَبِهُ نَحْوَ الشَّاءِ عَلَيْهِ عَمْرًا وَزَيْدًا ، وَحَتَّىٰ تَجْعَلَ لَهُ بَأْسًا
فِي الْأَعْدَاءِ يَكِيدُ كَيْدًا ، وَحُسْنَ ذِكْرٍ فِي الْبَلَدِ يَصِيدُ «صَيْدًا» .



وهذه نسخة توقيع بولاية قاقون، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يندب لمصالح الولايات سُيُوفًا ، ويقدم ظنًا في الكفافة
يعلم أنه سيوفي، ويُدني من ثمرات الإنعام والإرغام لأيدي المجتنبين قُطُوفًا - أن
يستقر... .. اعتمادًا على همته الشائده، ودرأيته السائده، وأمانته الشاهده،
وصفات عزمه التي هي في الولايات «معن» وهي «زائده»؛ مجتهدًا على أن يثمر عمل
ولايته فتركو أعماله، وترد عليه المهمات فتلقاها بالكفاءة أفعاله المعروفة وأقواله،
وتشهد منه الأحوال معني بل معاني يثبت بها في الأذهان قبوله وإقباله .



وهذه نسخة توقيع بولاية صرّخد، من إنشائه، لمن لقبه «جمال الدين» وهي :

رُسم بالأمر أعلاه الله تعالى، وبلغ بأيامه الرتب وأهلها آمالا، وزان الولايات بما يُنتج من مُقدمة فعله وقوله جمالا - أن يُرتب مجلس الأمير..... لأنه الكافي الذي عُرفت في المهمّات همته، وألفت عزمته، وأديرت أوصافه عقارا صرّخديّة ولا عجب أن سرت بالنواحي خدمته، والناهض الذي وفي الولاية حقها، وأدى الأمانة وسلك طرقها، وأطلع في سماء الولايات شهب رأيه فخمى وزان أفضها.

فلباشر هذه الولاية بعزم سنى، وحرّم سرى، ومهابة تأخذ للضعيف من القوى، وديانة تمشى من الكفاءة والأمانة على صراط سوى، مُمرا للمال والغلال، راقبا لحليل الذكّر بحسن الخلال، مُحسنا لذكّر ولايته حتى يجمع لها بالوصف والنعت بين الحسن والجمال، وإياه والجنّ عن المهمّات فما كل جنّ صرّخدى محمود العاقبة والمآل .



وهذه نسخة توقيع بولاية سلمية، من إنشائه، كتب به ل«شهاب الدين الحجازي» وهي :

رُسم..... - لزال يُطلع شهب الولاة مُشرقه، ويُشئ سُحب الإحسان مُغدقه، ولا برحت أقلام علائمه كالغصون بأحسن ثمرات الدوح مُثمرة مُورقه - أن يُرتب..... علما أنه الناهض الذي إذا ولي كفى، وإذا طبّ الولاية المعتلة بتقديم المعرفة شفى، ورُكونا إلى عزمه الذي أبى لشمابه أن يُجهد، وكفائه التي

قَضَتْ لاسْمِهِ بِالْعُودِ : فَإِنَّ الْعُودَ أَحْمَدُ ؛ وَاعْتِمَادًا عَلَى سِيرَتِهِ الْحَسَنَةِ السَّمْعَةَ ، الْحَقِيقَةَ بِالرَّفْعَةِ ، وَعَلَى سَطْوَتِهِ بِالْمُقْسِدِينَ الَّتِي حَسَنْتُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ : « لَقَدْ أَوْفَعَ الْجَحَافُ بِالْيَشِيرِ وَقَعَهُ » ^(١) .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ بَعَزِمِهِ الْمُتَوَالِي ، وَاجْتِهَادِ رَأْيِهِ الَّذِي يُطْرِبُ بَارِقَهُ الْمُتَعَالِي ؛ جَارِيًا عَلَى عَادَةِ سَدِّدِهِ ، مُجْتَمِدًا فِيهَا هُوَ بَصَدِّدِهِ ؛ مُسَدِّدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، مَانِعًا لِنَاحِيَتِهِ الْأَعْرَابِيَّةِ مِنْ تَطَرُّقِ الْخَلَلِ وَتَطَرُّفِ الْجَلَالِ ؛ مُصَاحِبًا بِالتَّدْبِيرِ عَمَلٍ مَا يَشْهَدُ بِعَزَائِمِهِ الْوَفِيِّهِ ، وَهَمِّهِ الْجَلِيلَةِ الْجَلِيَّةِ ، وَإِذَا سَأَلَ عَنْ شِدَّةِ الْوَلَاةِ وَاحِدًا قِيلَ : سَلْ مِئَةَ عَنْ سَلَمِيَّةِ .



وهذه نسخة توقيع بشد متحصل فامة، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر - بسط الله تعالى على الأمم مهابته وظله ، وبأسه وفضله ، ووجه إليه آمال الخلق من كل قبله ، وأعلى آراءه التي يقال لعد لها : « لَقَدْ جُدَّتْ حَتَّى جُرَّتْ فِي كُلِّ مَلَّةٍ » - أَنْ يُرْتَبَ مضافاً لما بيده ، وأستناداً إلى صحيح خبره في الكفاءة وعلو سنده ، وأرتياداً لهيمته التي إن رواها مسلم عن طوعه رواها نصراني عن تجلده ؛ وسكوناً إلى حركته التي تُحْصَلُ مَالًا ، وَتَصِلُ إِلَى مَالًا ؛ وَتَسْتَخْرِجُ الْوَفْرَ مِنْ مَكْمَنِهِ ، وَتَأْخُذُ الْحَقَّ [مِنْ] قُدَّامِ يَدَيِ الْمَائِلِ وَمَنْ خَافَ أُذُنَهُ ؛ وَطَلَمًا أَنْ مَالَهُ مَتَحْصَلُ فُؤَادَةٍ مِثْلُ عَزْمِهِ الْخِتَارِ ، وَرَفْقِهِ الَّذِي يَسْتَنْزِلُ دَرَّ الْقَصْدِ الْمِدْرَارِ ، وَاجْتِهَادِهِ الَّذِي زَرَعَهُ الْمُسْتَمْتِضُونَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوَضِيفَةَ بِشِدَّةٍ وَلِينٍ يَجْعَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي مَوْضِعِهِ وَمَقَامِهِ ، وَحَقٌّ مُنِيرٌ يَجْعَلُ سَبْتَ نُورٍ كُلَّ لَيْلِيَةٍ وَأَيَامِهِ ؛ وَأَمَانَةٌ مُدَلَّةٌ ، وَكِفَاءَةٌ مُظَلَّةٌ ؛ وَصِيَانَةٌ

(١) صدر بيت للأخطل وقامه « ألى الله منها المشكى والمعول » والجفاف أسم رجل والبشر أسم جبل .

تُوجِبُ مَزِيدَ الْخَيْرِ إِذَا لَهَ ، وَمَهَابَةَ إِذَا أُدْخِلَتْ مُسْتَخْرَجَ فُؤَادِهِ أَصْلَحَتْهُ وَجَعَلَتْ
 أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذْلَهُ ، لَا يَثْنِي هِمَمَهُ النَّفْسِيَّةَ ، وَلَا يَلْتَفِتُ - كَمَا يُقَالُ - لِتَبْخِيرِ الْكَنْيَسَةِ ؛
 بَلْ يَسْتَعْمَلُ فِرَاسَةً تَرُوعُ مِنْ حَمَلٍ عَنْ أَدَاءِ الْحَقِّ بُهْتَانًا ، وَمِنَاقَشَةً تَكْشِفُ عَنْ
 جِبَالِ التَّجَلُّدِ أَكْثَانًا ، وَرَأْفَةً مَعَ ذَلِكَ بِالظَّاهِرِيِّ الْعَجْزِ : ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيْسِينَ
 وَرُهْبَانًا ، وَمَتَابَعَةً لِلضَّرَائِبِ الْقَدِيمَةِ لَا يُصْرَفُ عَنْهَا ، وَأَسْتِخْلَاصَ مَا عَلَى الرَّأْسِ حَتَّى
 يُقَالَ : « لَيْسَ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ أَخْضَعُ مِنْهَا » ؛ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ أَهْلَ مَعَامَلَتِهِ
 أَهْلُ ذِمَّةٍ ، مُجْتَهِدًا فِي اسْتِحْقَاقِ مَا يَتَرْتَبِعُ لَهُ مِنْ وِلَايَاتِ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ .

الصنف الثاني

(مما يكتب لأرباب الوظائف بدمشق - تواقع أرباب
 الوظائف الدينية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن هو بحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(مايفتح بـ«الحمد لله»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

تَوَقِّعُ بِنَظَرِ الْحِسْبَةِ بِالشَّامِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي « نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ »

بـ«الجناب الكريم» وهو :

الحمد لله الذي جعل مقام الأولياء علياً، ورفق بهم إلى طور العناية فأشرق نورهم سنيماً، ووقفهم للأمر بالمعروف فلم يزل غيث الندى بهم ولياً، وزند سبل الرشد والحكمة ورياً .

نحمده حمداً كثيراً طيباً زكياً، ونشكره شكراً لا يزال غصنه بالزيادة جنيماً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نكرها بكرة وعشياً، ونسلك بها صراطاً سويماً، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده الذي اختاره صفيماً، وقربه نجياً، ورسوله الذي قام به الحق وأصبح به الباطل خفياً؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة ينال بها المؤمن يوم العطش رياً، ويجوز بها في جنة المأوى حلاً وحلياً، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فإن أولى ما يلزم الفكر [فيه] ويتعين، ويتم التبحر بحسن النظر فيه ويتبين - أمر الحسبة الشريفة : فإنها المنصب الذي به صلاح أحوال الرعية، وقوام إقامة الحدود الشرعية؛ تسلك العامة لمستوليه سبل صنائعه ذللاً، وتكسو بياتقائها أنواع بضائرها حلاً؛ ويتفجع بمعرفته الأمر والمأمور، وتخطط المعاش عن غشيان الغش من حرمة بسور؛ وتطمئن القلوب بإصلاح المطاعم وتتمنى، وتقول الأئمة : شكراً لمن سن هذه السنة الشريفة وسنى، وردع ذوى الغش عن غوايتهم : فمن غشنا ليس منا؛ لا سيما بدمشق فإنها شامة البلاد المحروسة، وموطن البركة الماثورة والبهجة المانوسة؛ بلد شاع ذكرها في المغارب والمشارك، وإن محاسنها لن تقاس بغيرها : والجامع الفارق .

وكان فلان من تحلى من عقود المحامد بجواهرها، وأزادت من حلال المآثر بمفانحها؛ وعرف بالهضة والعفاف، وأتصف بحمائل المعرفة والإنصاف؛ وحسنت سيرته في أحكامه، وحمدت قواعد تعدده ونضارة نظامه .^(١)

(١) لعله "تعهد" .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لازل يُولى جَمِيلاً ، ويُوَلَّى فى الوظائف السَّنيَّة جَلِيلاً - أن يستقرَّ المشارُ إليه فى نَظَرِ الحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ بالشَّامِ المحرُوسِ ، على عادة من تقدَّمه فى ذلك ، والقاعدة المستمرة ، بالمعلوم المستمرِّ للوظيفة المذكورة ، إلى آخر وقت : وضِعاً للشئ فى محلِّه ، وتفويضاً لجميل النَّظَرِ إلى أهله .

فليباشر ذلك أمرًا بالمعروف وناهياً عن المنكر ، سالِكًا من حُسن الطريقة ما يُحمد به ويُشكر ، ويسره حين تُتلى سورٌ محاسنه وتُذكر ، متفقِّدًا أحوال العامة ومعايشها فى كلِّ آن ، ملتفتًا فى أمر ما يكالُ أو يُوزنُ إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا وَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ . مُشمرًا عن ساعده فى الإجراء على العوائد المُستحبة ، مُحترزًا فيما يأمر به : فإنَّ الله تعالى لا يُخفى عليه مثقالُ حَبَّةٍ ، ولينظر فى الدقيق والجليل ، والكثير والقليل ، وليستكثر الأخبار ، وليستعلم الأسعار ، ولا يعفل عن تعاهد السوقِ آناء الليل وأطراف النهار ، وليلاحظ أمر السَّكَّةِ السلطانية بإصلاح العيار ، وضبط أحوال النقود بمقدار ، وليقيم من خدَمته رقيقًا على من آتم فى صنعته أو استراب . وليبالغ فى النظر فى أمر المآكل والمشارب فإنَّ أكثر الداء من الطعام والشراب ، وليزجر بتأديبه من أقرئ ، أو تلقى الرُّبجان أو غدا فى الأقوات مُحترًا ، وليعلم أنه قلد أمر هذه الوظيفة المباركة : فليحتر من يسديب ، وليبصر كيف يسلك برعايته من حكم عليه فما يلفظ من قوبٍ إلا لديه رقيب ، والوصايا كثيرة وأصلها التقوى التى هى أجل ما يقتنى المؤمن . ويكتسب ، وأجدر بالزيادة : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . والله تعالى يُديم علاه ، ويتولاه فيما تولاه .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجامع الأموي، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة،
كتب به للقاضي «عماد الدين بن الشيرازي» في الدولة الصالحية «صالح بن الناصر
محمد» بـ«الجاب الكريم» وهي :

الحمد لله الذي أذن لبيوته أن ترفع فرجع عمادها، وأعاد أحسنها إلى نظر من صرف
أمورها بما حسن وصرفها عما دهي، وأحيا الآثار الأموية حتى غدت كالهشمية
تدعو أجوادها وتبجأها، وأنجز وعد أهلها بمن أشارت إلى مباشرته أعلام أعلام
المنابر بالأصابع ونصت المآذن أجيادها .

نحمده على ماهياً من الفوائد، وهناً من العوائد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة يقوم بها الخطاب شاهداً ويقوم بها الخطباء في المشاهد، ونشهد
أن محمداً عبده ورسوله الذي أوتى الجوامع من الكلم وجعلت له الأرض من
المساجد؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عمروا بيوت العبادات بهدأيته،
وظهروا في مجال الجمع وسجال الجموع تحت رأيته؛ صلاة متصلة السير كالسيل،
مسبلة الغمام كالذيل، واضحة كدع الخلق لدلوك الشمس فائحة كفتيت المسك
إلى غسق الليل .

وبعد، فإن أولى الأمور الدينية بتقديم الأهتمام، وتقرير الاعتناء إلى الاعتزام؛
وتسمير ساعد الرأي وزهراته على الأكام - أمر تكون إقامة الصلوات أحد
أركانها، وتذير المصالح مشيراً إلى علوشانه، وأرزاق العلماء والصلحاء تستدر من
هطاله وهتانه .

وكان الجامع الأمويّ بدمشق المحروسة لهذه الأركان بمنزلة الأسّ الراسخ تمكينه ،
والفرع الشامخ في وجه السحاب عزينته ؛ وبئية زمان بنى أمية الذين عفا شرف
مفاجرهم وما عفا شرفه ونخره ، ووكر الإسلام الذي مضى لبد أمثاله وما بقي إلا نسر
السماء ونسره ؛ ذو المرأى الشارح والفضل المشروح ، والحسن الذي إن تعالى
في وصف الجوامع قوم قيل : باب الزيادة مفتوح ؛ تفخر به دمشق وحق
لها على كل مضر أن تفخر ، وتبعث نظرات حسنه الفخر من حملة فصوص
الترخيم إلى الأسود والأحمر ؛ يحمّد المجاور به مغناه وغناه ، ويسع أرباب العلم
والمقاصد نأديه ونأده ، ويطالع المسك سطور مياهه المتجددة فأول ما يقرأ من
تنبيهه عزمه باب المياه ؛ وقد عهد أن يتولى نظره كل سنيّ المفاجر ، سرى
المآثر ؛ كريم الفرع والأصل ، ماضى العزم كالنصل ، حائز من أقلامه أمد العلياء
وقصب الخصل .

ولذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال وجه الفضل بدولته الشريفة وإسما ،
وميزان العدل والإحسان راجحا ، ولا زال في كنف من من به على الدين والدنيا
وآتاهما صالحا - أن يفوض إلى فلان نظر الجامع الأمويّ المذكور : لما عرف
من أنه الرئيس الذي ماسد سدى ، والكامل الذي إذا انس [سار] نار فكرته وجد على
النار هدى ؛ وأنه باشر نظر هذا الجامع قديما جملة ، ورصد سنه فكله ، وأستشهد
في محضر ديوانه على الزاهة أقلامه المعدلة ، وتدبيره المعدله ؛ وكثر أوقافه وكانت
قد أضحلت ، وشيد عمائر وكانت قد استقلت ، وملا حواصله وكانت أقلام
المكتسبة تُشدد : «أسائلها أيّ المواطن حلت» ؛ ولما ألف هذا الجامع المعمور من
عواطفه ، وعرف من عوارفه ، وشهد من جلوسه لمصالح ووقفه أحسن الله مكافأة
جالسه وواقفه ؛ فأنبت في صدر الحافل أن الله تعالى قد رزقه من الفضل جسيما ،

وكتب له من شرف الأكتساب والانتساب حديثاً وقديماً ، وألقى إلى يده قلم كفاءة وأمانة كان كرمها للاملين حصيناً وكان قلمها لثائنين خصياً ؛ كم وفر به المصالح فوقى ، وكم جمع بهمته المحاولة مالا يفجز به من جند الدعاء صفاً ؛ كم سر بمناقبه سرأة سلف مامنهم إلا جواد لا يرضى في سبق المكارم بحاتمته ، وكتب يكبر عن قول الواصف : إن يا قوتنا في قص خاتمته ؛ ورئيس هو أجل ما أهدت شيراز إلى دمشق من عالي طراز الفضل وعالمه .

فليباشر ما فوض إليه بعزم لا تغفل مضاربه ، ورأي لا تأفل كواكبه ، ومعدين وفاء بالمنصب لا تبرح لحناة الحيانة مهالكه ولحناة الحنان مطالبه ؛ ناظراً في حسن وظيفتها بأجتهاد لا يميل من النظر ، ثمراً لأوقافها بغضن قلمه الذي لا ينكر لأصله الصائب أطيب الثمر ، ملاحظاً لمباني هذا الجامع بسعادته : وإن السعادة لتلحظ الحجر ، صارنا لذوى الاستحقاق مستحقة كما عهدوا من إمام براعته المنتظر ؛ مجتهداً على أن يرضى الوظيفة والقوم ، معيناً عدوى أنامله الخمس على عددها من فريضة الليلة واليوم ؛ عالم أن الله تعالى قد أحيا هذا الديوان فإنه كما علم أصل في بابه ، أمراً بما يقترح لنظام هذا الديوان وكتابه ، منتقداً حال من إذا عمر دواة في وقف كانت سبباً لعمرانه أو سبباً - والعياذ بالله تعالى - لخراجه ، مطالباً من ظن أن حسابه يهمل في دهر هذه المباشرة « فكان حساب الدهر غير حسابه » ؛ متخيراً من الكفافة كل ما ثور الفضيلة ، ومن الأمانة كل ما مؤن الرذيلة ، ومن القوام كل من لا يقعد عن الواجب ، ومن الوقادين كل من لا يعاب بطول الفتيلة ، جامعاً تقوى الله تعالى في كل ما يأتي ويدرس سائقه إلى الفوز ودليله ؛ والله تعالى يمدد بالسداد ، ويصل مفاخره بالسند ويجرس شرف بيته من السناد ، ويجعل كل منصب كريم باسمه وقلمه كما قال الأول : « رفيع العباد طويل التجاد » .



وهذه نسخة توقيع بنظر مدرسة الشيخ أبي عمر، من إنشاء ابن نباتة، كتب به للقاضي «تقى الدين» بالجناب العالى، وهى :

الحمد لله الذى عمّر عهد التّقى بتقيّه ، وأقرّ نظره بمشاهدة أبيض العريض نقيّه ، وأخصب منازل الأولياء بمن يتوب تمييره وتديره عن الغيث مناب وليّه ، ومن إذا شهد مقام الزهاد بمعرفه شهد سداد العزم بسريّه .

نحمده على جلى اللطف وحفيّه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وإنى الحق وفيّه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده أكرم بعبدته ونبيّه ، ورسوله وصفيّه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يمزج أرجها كأفور صباح النهار بمسك عشيه .

وبعد ، فخير النظر ما كان به الثواب مأمولا ، والعمل مقبولا ، والآخرة لناهض فيه خيرا من الأولى ، وتخير الأكفاء لمناصبه الدينية سببا لخير الدارين موصولا .

ولما كانت المدرسة الصالحية بجبل الصالحية المعروفة بالشيخ العارف أبي عمر: رضى الله عنه وأرضاه، وسقى سبل الغيث آثاره الطاهرة وثرأه؛ مما يتعين فى مصالحتها حسن النظر، ويتبين فى القيام بأمرها فضل الآراء والفكر؛ إذ هى زاوية الخير النافعه ، ومدرسة الذكر الجامعه ، وعش القرآن المترنمة أطياره بحفة قان القلوب الخاشعه؛ وصفة الفقراء الذين لا يسألون الناس إلخافا، والأصفياء من الطمع الذين لا يتقاضون الدهر إنصافا وإن صافى؛ ومرتكض سوابق الأعمال والأقوال، ومقر

الْقُرَاءَ وَالْقِرَاءَةَ عَلَى مَمَرِّ اللَّيْلِ الطَّوَالَ، وَمَعْدِنُ التَّلَاوَةِ الْمَأْتُورِ غَنَاؤُهَا فِي ذَلِكَ الْحَبْلِ
وَمَا كُلُّ الْمَعَادِنِ وَلَا كُلُّ الْحِبَالِ؛ وَالْبَيْئَةُ لِلَّهِ وَتَحْتَاجُ مَنْ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ فِي وَقْفِهَا،
وَيَحْفَظُ مَسَالِكَ جَمْعِهَا وَصَرَفِهَا، وَيَتَمَّى حَالَ دِرْهِمِهَا بِتَدْيِيرِهِ الْوَاقِي: فَرُبَّمَا أَبْقَتْهَا
الْأَحْوَالُ مِنْهُ عَلَى نِصْفِهَا .

وكان فلانٌ ممن لحظَّ أمورَها على بُعْدِ فَشَغَفِ الْمَلْحُوظِ بِاللَّاحِظِ، وَحَفِظَها عَلَى
نَأْيٍ فَكَأَنَّمَا رَوَتْ بِالْإِجَازَةِ عَنِ الْحَافِظِ؛ وَأَدَارَ عَلَيْهَا مِنْ رَشَفَاتِ قَلَمِهِ نَفْبَةَ السَّاقِي،
وَأَنهَلَهَا شَرْبَةً مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ تَعَدُّدِ الْمَالِ: وَفِي الْجَرَائِدِ بَاقٍ يَطْلُبُ الْبَاقِي؛
وَسَأَلَ أَهْلَهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَلَازِمَتَهُ لِلنَّظَرِ فَلَزِمُوا، وَرَفَعُوا قِصَصَهُمْ فِي طَلْبِهِ لِهَذِهِ الْوِظِيفَةِ
بِجَزْمٍ، وَكَيْفَ لَا؟ وَهُوَ نِعْمَ النَّاطِرُ وَالْإِنْسَانُ، وَفِي مِصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ذُو الْيَدَيْنِ
وَاللِّسَانِ، وَذُو الْعِزَائِمِ الَّتِي تَقَيَّدَتْ فِي حُبِّهِ الرُّتْبُ: «وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ»؛ وَالْمُتَقَدِّمُ
فِعْلُهُ وَرَأْيُهُ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَالْمَاءُ وَالزُّنْبُ الَّذِي يُعْزَى إِلَى عَقِيلَةِ نَسَبَةِ الرَّشِيدِ
وَلَا عَجَبَ أَنْ يُعْزَى الْمَأْمُونُ إِلَى مَرَّاجِلِ^(١)، كَمَا جَرَتْ أَلْسِنَةُ الْأَوْقَافِ بِأَوْصَافِهِ، وَكَمْ
رَوَى الْجَمِيعُ الصَّحِيحُ خَبْرًا عَنْ مُسَلِّمٍ عَفَافِهِ، وَكَمْ جَدَّدَ لِبِنَائِهِ زُحْرًا بَعْدَ مَا كَادَ نَادِبُ
الرُّسُومِ يَقِفُ عَلَى أَحْقَافِهِ؛ كَمْ وَقَّرَ عَلَى الْإِيْتَامِ مِيرَاثَ وَفَرَّهَا، وَكَمْ قَالَ آخِيبًا الْمَلُوكِ
الْبَاقِيَةَ: «لَأَشْكُرَنَّكَ مَا حَيِّتُ» فَقَالَ مَا ضَى الْمَلُوكِ ذَوِي الْأَوْقَافِ: «وَلتَشْكُرَنَّكَ
أَعْظَمِي فِي قَبْرِهَا» - فَاقْتَضَى الرَّأْيُ أَنْ يُجَابَ فِي طَلْبِهِ الْمُهِمِّ سَوَالُ الْقَوْمِ، وَأَنْ يَتَّصَلَ
أَمْسُ الْإِقْبَالِ بِالْيَوْمِ؛ وَأَنْ تَبْلُغَ هَذِهِ الْوِظِيفَةُ أَمَلَهَا فِيهِ بَعْدَ مَا مَضَتْ عَلَيْهَا مِنَ الدَّهْرِ
مَلَاوَهُ، وَهَذِهِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي لَوْلَا تَدَارُكُهُ لَكَانَتْ كَمَا قَالَ الْخِرَازِمِيُّ: «مَدَارِسُ آيَاتِ
خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَتِهِ» .

(١) يشير إلى المأمون بن هرون الرشيد العباسي وأمه مراحيل .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُراعى مصالح المؤمنين - أن يفوض إليه النظرُ على هذه المدرسة المعمورة، وأوقفها المبرورة؛ إجابةً لسؤال من فيها من جماعة الفقهاء ورغبتهم فيه، وأرتقايمهم لعزمه الذى إذا نظر حالها الأول تلا فيه تلافيه؛ على أن يتبع في أمرها شرط الواقف برأى غير قاعد، وإن كان لا يزيد فيها على أربعمائة نفرٍ إلا أن يزيد ربع الوقف وهو - إن شاء الله - ببركته وهيمته زائد.

فليباشر ما فوض إليه مباشرة من إذا بدأ أعاد، وإذا دُعِيَ لمثل هذا الحال الضعيف طبَّ وعاد؛ مثمرا لها - على عادة غضن قلبه الأخضر - أثمارا، مستخلصا للبواقى من أربابها التى تنهب العين وتدعى لقراتها أنكسارا؛ قائلا في حال هذه المدرسة بالعطف، مساويا في المواساة بين فقراءها عند الميزان والصرف، نازلا بنور بشره وودّه بينهم منازل القلب والطرف؛ مجهزا لجيش عسرتهم فإنهم جمع للتلاوة والصلوات، متطلعا لخبرهم فإنهم أجناد صفوف الأستحار وسلاحهم الدعوات؛ وتقوى الله تعالى مشتق منها اسمه فلتكن شقيقة نفسه فى الخلوات؛ والله تعالى يحفظ عليه حظا نفيسا، وقدرا للنجوم جليسا، ويحيى به ميت الوظائف حتى يقال: أسليان أنت أم عيسى؟



وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع الأموى، من إنشاء ابن نباتة، كتبت به باستمرار القاضى تاج الدين «الجناب العالى» وهى:

الحمد لله الذى رفع للناس ررأسا باستقرار تاجها، وجمع لصدور الحارِب شملا بعوائد أبتهاجها، وزين مواقع النعم بالتكرار كما تران لآلى النظام بازدي واجها، وبين مطالع الفرج بعد النعم: وما الدهر إلا ليل عممة ثم صبح أنفراجها.

نحمدُه على معادِ الآمالِ ومعاجِها ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له شهادةً تَمشى البصائرُ إلى الحقِّ بسراجِها ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله القائمُ على المنابرِ لمداواةِ الفُهومِ وعلاجِها ، ومُدارةِ الخُصومِ ومُحاجِها ، القائلُ له تَأْدِيبُ رَبِّهِ : (وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) آيَةٌ يَسْرِي الفَظنُ على مِنْهاجِها ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه بِجُورِ النِّعمِ والنِّعمِ عَديها وأُجاجِها ، وبُدُورِ مساجِدِ الثَّقِيٍّ ومُشاهدِ الوَعْيِ عندَ عِجاجِ لَيْلِها وَلَيْلِ عِجاجِها ، صلاةٌ كَصَلَاتِهِمْ أَمَنَةٌ مِنْ خِداجِها ، ما مَدَّتْ نَفَحَاتُ الرُوضِ إلى مَحالِطَةِ سَيْرِهِمْ يَدَ اِحْتِجاجِها ، وما زَجَّتْ مَعاليهِمُ النُّجومَ فُحْسِنَ بِكَاسِ الثُّرَيَّا شَرَفُ اِمْتِراجِها .

وبعدُ ، فإنَّ أَوْلَى الناسِ باستقرارِ مَناصِبِ الدِّينِ العَرِيقَةِ ، وأَسْتِمْرارِ عُلُوِّ الدَّرجاتِ : إمَّا من المراتبِ مجازًا وإمَّا من المنابرِ حَقِيقَةً ، وأَسْتِمْرارِ الوِظانِ بِعبادةِ فَضلهِ ولا سِيما أَعوادِ الخُطابَةِ ، وأَسْتِبصارِها بِلَفْظِهِ ولا سِيما إذا سُلِّمَتِ الرِايَةُ العِباسِيَّةُ مِنْ نُظفِهِ لِعِرابِهِ - مِنْ دَرَجٍ مِنْ عُشِّ فُرُوعِها خافِقًا عليه جَناحًا عَلمِيهِ ، وَصَعِدَ إلى عَرَشِها مُقَبَّلَةً بِنِظَرَاتِ الجُفُونِ المِتساميةِ آثارَ قَدَمِيهِ ، وأُعْرِقَ نَسَبُهُ في مَوطِنِ مَكانِها المِكينِ ، وَبَلَغَ مَقامَهُ مَقامَ سَلَفِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً في الطُّلُوعِ بأُفُقِها المِئينِ ، وقالَ اسْتِحْقاؤُ مِيراثِهِ : ”وماذا تَدْرِي الخُطباءُ مَنِي“ * ”وقَد جَاوَزْتُ“ بِمَقامِ السَلَفِ ”حَدَّ الأَرْبَعِينَ“ ؛ وَمَنْ إذا سَمِعَتْ خُطابَتَهُ قالَ الحَفَلُ : لا فِضُّ فُوه ، ولا عُدَمَ البَيْتِ ولا بَنُوهُ ، وَمَنْ إذا طَلَعَ دَرَجَ المِنبَرِ قالَ المِستَجِلُّونَ لِسَناءِهِ : أهْلَ البَدْرِ؟ قِيلَ لَهُمْ : أخُوهُ ؛ وَمَنْ إذا قامَ فَرِيدًا عَدَّ بِألفٍ مِنْ فَرائِدِ الرِجالِ تُنظَّمُ ، وإذا أَقبَلَ في سِوادِ طَيْسَانِهِ واحِدًا قِيلَ : جاءَ السِّوادُ الأَعْظَمُ .

(١) الرواية الشعراء وهو ثر بيت لسحيم الرياحي .

ولما كان فلان هو معنى هذه الإشارة ، وحقوى هذه العبارة ، وصدر هذا التصدير : ومن سواه أحق بصفات الصدارة ؟ ، ومن إذا ضرب المثل بالخطابة النبائية في حلب قال نخطابته بدمشق : «إياك أعني فاسمعي بإجاره» ، ومن نشأ في محل نخار طيب المعاهد ، ومن وضع رجله على المنابر ومدّ عزمه إلى الفراقيد ، ومن شمر في أوائل عمره إلى العلياء وحيدا وخلف دونها من أنداده ألف راقد ، ومن إذا صعد للخطابة أنشد الحفدة :

ولما رأيت الناس دون محله * تيقنت أن الدهر للناس ناقد

وكانت خطابة الجامع الأموي المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة هو الذي كل بنان إلى حسنه يُشير ، وكل ذي مذهب إذا عاين تصنيف وضعه قال هذا لفته المحاسن هو الجامع الكبير ، ميزابه (؟) المسلم لرشده ، المعلم بطرازي نسبه ورشده ، المقدم ليد نصرته سيف خطابه لا يخرج بيد الاستحقاق عن حده ، تكاد المنابر تعود للنشأة الأولى طربا لسجع بيانه ، يسهب ويقول الناس ليته لا اختصر ، ويودون لو ليس كل يوم سواد أهبتة وزيد فيه منهم سواد القلب والبصر ، وعارضه من العزاء الكفاة من نوى بدلا فابي حنوا الدولة إلا عظفا ، ونارله وأرد من القضاء ولكن أنزل الله عليه مع القضاء لطفًا .

ولذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر على عادته في خطابة الجامع المذكور ، وما يتعلق بذلك : من تدريس وتصدير ، وتقرير وتقدير ، وتأثيل وتأثير ، ومحكوم بالتفويض إليه ومحكم ، ومرسوم لا يُغير عليه ما رسم به وما رسم به ، وأن يمنع دليل

(١) الكلام هنا غير مستقيم ولعل الصواب «ولما كان فلان هو معنى الخ وكان الجامع الأموي هو الذي

الخ تعين أنه المسلم ليده .

الاعتراض ويُدفع، وَيَكْفَ حَتَّى تَتَّصِلَ الْعِنَايَةُ بِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ مِنْ بَيُوتِ أَدْنِ
 اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ قَوْمًا أَحْسَنُوا صُحْبَةَ الدُّوَلِ فَسَعِدُوا، وَنَبَّهُوا عَهودَ الْخِدْمَةِ
 لِأَعْقَابِهِمْ وَهَجَّدُوا، وَحَتَّى يَقُولَ هَذَا النَّجْلُ الظَّافِرُ بَعْدَ آبَائِهِ وَأَخِيهِ: لَيْتَ أَشْيَانِي
 بِيَدْرِ شَهْدُوا .

فَلْيَعِدْ حَدِيثَ مَنْصِبِهِ الْقَدِيمِ، وَلْيَقِمْ إِلَى تَشْدِيدِ الْأَسْمَاعِ مِنْ تَنْبِيهِ لَفِظِهِ بِأَهْمِيٍّ مِنْ
 الْعَقْدِ النَّظِيمِ، وَلْيَفْكَ أَسْرَى الْقُلُوبِ بِرَوَاتِبِ إِشَارَتِهِ: فَإِنَّهُ «الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ»؛
 وَلْيُبْسِكِ الْعْيُونَ بَوَعْظِهِ وَإِنْ أَقْرَاهَا بِمُشَاهَدَتِهِ، وَلْيَحْرُصْ عَلَى نَخْرِ الدُّوَلَةِ الشَّرِيفَةِ بِهِ
 كَمَا نَخَّرَ سَيْفُ الدُّوَلَةِ بَابِنِ نُبَاتَتِهِ .

ووصايا هذه الرتبة متشعبة وهو على كل حال أدرب وأدرى بها، وما استقرت
 على قبض سيوفها يده إلا ورجعت الحقوق إلى نصابها؛ وكذلك ما هو معسوق
 بوظائفه: من مدارس علوم، ومجالس نظر طالما نظر في كتبها وهو الصحيح نظرة
 في النجوم - لا يحتاج فيها إلى مطالعة الوصايا فإنه من كل أبوابها دخل، ولا يمر بها
 على أذنه فم المبلغ فإنها من فمه أحلى ومن تسويغ فمه أحل؛ ولكن التذكار بتقوى الله
 تعالى فيما يأتي ويذر أس جليل، ووجه تفاضل وجوه الألفاظ من ذكره على لفظ
 جميل، وألفاظ الخطيب المتقى إذا وصلت من القلب إلى القلب وقت برى الغليل؛
 والله تعالى يمدّه بالظافه، ويحريه على عوائد إسعاده وإسعافه، ويروى بصواب
 كلمه الأسماع وبصوب الغمام عهود أسلافه .



وهذه نسخة توقيع بندريس المدرسة المسرورية بدمشق، من إنشاء الشيخ صلاح
 الدين الصفدي، كتب به للشيخ «تقي الدين السبكي» ب «المقر الكريم» وهي:

الحمد لله الذى جعل تقيِّ الدينِ عليًّا، وأوجده فردًا فى هذا الملالِ فكان بكلِّ علمٍ مليًّا، وأظهر فضله الجليلِ فكان كالصباحِ جليًّا .

نحمده على نِعَمِهِ التى تكاثرت فأنجلت العائم، وتوفرت الألسنةُ على حمدِهِ فتعلمتْ أُنجاعها الحائم، وتأثرت بموافقها الأحوالُ فأنحلت زهر الخمايلِ فى الكائم . ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شبهة تُعكّر ما صفا من جُحَّتِها، ولا ريبَةَ تُوعرُ ما تسهل من حَجَّتِها ، ولا ظلمة باطلٍ تُكدر ما أثار من حُجَّتِها . ونشهدُ أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذى جُمعت فيه مكارم الأخلاق ، وتقرّد بمزايا منها أنه حبيبُ الخلاق ، وشارك الأنبياء فى معجزاتهم وزاد عليهم بما أُتيح له من تخمسٍ لم يعطهنَّ غيره منهم على الإطلاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تفقّهوا فى الدين ، وحازوا الأجورَ لما جروا إلى جرّ الغلاصم من المُلحدّين ، وأنزلوا لما نازلوا أبطال الباطل والمعتدين من المعتدين ؛ صلاةً يفوحُ نسيمُ رِيّها المتأرجح ، ويلوحُ وسيمُ حِيّها المتضرج ، ما فوّج العلماءُ مضايق الجدلِ فى الدروس ، وقبّلت تُغور الأفلامِ وجنات الطُروس ؛ وسلمت تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

وبعد ، فإنّ المدارس - عمرها الله تعالى بالعلماء - لوأقفيها شروط ، ولأهلها هم أنزلها بالنجوم منوط ؛ يغوصون بجور البحوث فى طلب الآلى ، ويقطعون ظلّ الظلام بالسهر فى حبّ المعالى ؛ سُمي المدرسةُ المسرورية : فإن واقفها - أتابه الله تعالى - شرط فى المدرّس بها شروطًا قلّ من يقُلّها ، أو يتحلّى بعقودها أو يحلّها ؛ وكان مفرقها قد تحلّى بتاج تجوهر ، ومغلقتها قد ضمّ منه فاضلاً تمهدت به قواعد المذهب لما تمهر ؛ فأعرض عنها ، ونقض يده منها ؛ رغبةً فى الإقبال على شأنه ، وأقطعا إلى مالك الأمر وديّانه ؛ نغلا ربّعها من أنسه ، وكادت تكون طللاً بعد درسه .

وكان فلانٌ - أسبغ الله ظله - قد وافق بعض ما فيه شرط الواقف ، وشهد
 بنشر علومه البادية والعاكف ، وطاف بكعبة فوائده كل طائف ، ينصرف عنه
 باللطائف ؛ أما "التفسير" فإنه فيه آية ، وأما "الحديث" فإنه الرحلة في الرواية
 والدراية ؛ وأما "الأصول" فإنه زار بـ«الرازي» حتى آخفني ، وأما "الفقه" فلو شاء
 أملي في كل مسألة منه مصنفًا ؛ وأما "الخلاف" فقد وقع الاتفاق على أنه شيخ
 المذاهب ، وأما "العربية" فـ«الفارسي» يعترف له فيها بالغرائب ؛ إلى غير ذلك من
 العلوم التي هو لها حامل الرأي ، وله بالتدقيق فيها أتم عناية ، وإذا كان أهل كل علم
 في المبادئ كان هو في الغاية .

فلذلك رسم بالأمر العالی - أعلاه الله تعالى - أن يفوض إليه كذا وكذا : وضعا
 للشيء في محله ، ومنعاً لتاريخ ولاية غيره أن يفجأ في غير مستهله ؛ فالآن أمسى
 الواقف مسروراً على الحقيقة ، والآن جرى الخلاف فيها على أحسن طريقه ؛ وهو -
 أسبغ الله تعالى ظله - أجل خطراً من أن يذكر بشيء من الوصايا ، وأعظم قدراً
 من أن تدل المعية على نكته الخفايا ؛ لأنه بركة الإسلام ، وعلامة الأعلام ،
 وأوحد المجتهدين والسلام ؛ والله تعالى يمتع المسلمين ببقائه ، ويعل درجات أرتقائه ؛
 والخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بمقتضاه ؛ إن شاء
 الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الناصرية الجوانية ، من إنشاء الصلاح
 الصفدي أيضاً ، كتب به للقاضي ناصر الدين «محمد بن يعقوب» كاتب السر يومئذ
 بالشام ، حين عاد إلى تدريسيها بعد انفصاله عنه ، بـ«المقر الكريم» وهي :

الحمد لله الذى بدأ النعم وأعادها ، وأفاء المنن وأفادها ، وزان المناصب السنية
 بمن يليها وزادها ، وشاد عماد المعالى بأربابها وصانها عما دهي .

تحمد على نعمه التي بدأت بالمعروف وتمت ، وخصصت بالإحسان وعممت ،
 وبرأت من النقائص وسلمت ، وفلت بالألطف الحفية صوامر الحوادث وثامت .
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تضىء بها الحنادس ، وتركو
 بأنوائها منابت الإيمان والمعارس ، وتسمو بأقتنائها إلى عليين النفوس النفائس ،
 ويرغم المؤمنون بإعلائها من الكفار المعاطس ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
 الذى تم للناس مكارم الأخلاق ، وأحجل بجود كفه الفيض صوب النيت الدفاق ،
 وفضح البدر اللياح فى الدجى بنور جبينه البراق ، وتقدم النبیین والمرسلين فى حلبة
 الشرف على جواد فضله السباق ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أعلى من نصبوا
 للهدى أعلاما ، وأرقى من أصبح العلم لفضلهم الباهر رقاما ، وأحلى من كان الزمان
 بوجودهم وجودهم للعفة أحلاما ، وأقوى من كان الإيمان بهم إذا استنجد على
 الكفر أقراما ؛ صلاة لا ينقذ لها أمد ، ولا يقضى لها مدد ، ما شب بارق ونحمد ،
 وشفى الغام طرف زهر من الرمد ؛ وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن مدارس العلم الشريف لها الذكر الخالد ، والشرف الطارف والتألد ؛
 بها تبتين فوارس الجلال فى مضائق الحدال ، وتتحلى بدور الكلام فى مطالع الكمال ،
 وتبدو شموس الجمال فىها من فسيح المجال ؛ والمدرسة الناصرية - أئاب الله تعالى
 واقفها - هى الواسطة فى عقودها ، والذرة الثمينة بلا كفاء لها بين قيم تقودها ؛
 قد تدبج فيها البناء ، وتأرج عليها الثناء ، وتخرج عنها الحسن فإن له بها مزيد
 اعتناء .

وكان المقرُّ الفلانيُّ قد نَفَضَ يَدَهُ مِنْ عِنَانِهَا ، وَرَفَضَ عَنْ آخْتِيَارِ بَهَاءِ جِنَانِهَا ؛ وَنَحَى طَلِبَتَهُ عَنْ مُحَاوَرَتِهَا ، وَرَمَى أُمْنِيَّتَهُ مِنْ مُجَاوَرَتِهَا ؛ فَسَاءَ مَنْ بَهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِرَاقُهُ ، وَأَوْحَشَهُمْ وَجْهَهُ الَّذِي أَنْجَلَ الْبُدُورَ رَوْنَقَهُ وَالْبَحْرَ أَنْدِاقَهُ ، وَفَقَدُوا مَكَارِمَهُ الَّتِي مَسَمِعَ «السَّمْعَانِيُّ» بِمَثَلِهَا وَلَا وَصَلَتْ إِلَى «الصُّوَلِيِّ» وَلَا ضَمَّتْهَا أَوْ رَاقَهُ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي أَنْ يُعَادَ إِلَى تَدْرِيسِهَا : لِأَنَّ الْعَوْدَ أَمْدَحُ وَأُحْمَدُ ، وَالرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ أَسْعَفُ وَأُسْعَدُ .

فَلِيَا شَرُّ مَا فُوِّضَ إِلَيْهِ مَبَاشَرَةُ الْفِتَنِ مِنْ كَمَالِ أَدْوَاتِهِ ، وَعُرِفَتْ مِنْ جَمَالِ ذَاتِهِ ؛ نَاشِرًا أَعْلَامَ عُلُومِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَفَضَّائِلَهُ الَّتِي تَقْصُرُ عَنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهَا أَنْفَاسُ الرِّيَاضِ الْمُتَضَوِّعَةِ ؛ فَلَوْ عَاصَرَهُ «أَبْنُ عَطِيَّةَ» أَمْسَكَ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِهِ ، أَوْ «صَاحِبُ الْكَشَافِ» لَغَطَّى رَأْسَهُ مِنْ تَقْصِيرِهِ ؛ أَوْ «الرَّافِعِيُّ» لِأَصْبَحَتْ رَايَةُ رَأْيِهِ فِي الْفِقْهِ حَافِضَةً رَافِعَهُ ، أَوْ «النَّوَوِيُّ» رَحِمَهُ اللَّهُ لِاسْتِعَارِ مِنْهُ زَهْرَاتِ رَوْضَتِهِ الْيَانِعَةِ ؛ أَوْ «الْأَمِيدِيُّ» لِمَا أَمْتَدَّتْ لَهُ مَعَهُ فِي أَصُولِهِ خَطْوَهُ ، أَوْ «أَبْنُ الْحَاجِبِ» لِمَا كَانَ لَهُ مَعَ ابْنِ الْحَاجِبِ حُظُوهُ ؛ أَوْ «أَبْنُ يَعِيشَ» لِمَاتِ ذِكْرُهُ فِي النَّحْوِ فَكَانَ فَقِيدًا ، أَوْ «أَبْنُ مَالِكٍ» لِأُمْسَى «تَسْمِيْلَهُ» تَعْقِيدًا ؛ أَوْ «السَّبِيلِيُّ» لِعَلِمِ أَنَّهُ مَا شَبَّ لَهُ فِي التَّصْرِيفِ مِثْلُ شَبْلِهِ ، أَوْ «أَبْنُ عَرَبِيِّ» لِأَعْرَبَ عَنِ عُجْمَةٍ وَمَا تَمَسَّكَ صُوفِيٌّ بِجَبَلِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ إِنْشَاءِ إِنْشَاءٍ سَادَ فِيهِ الْعَبْدِينَ : «عَبْدُ الْحَمِيدِ» وَ«عَبْدُ الرَّحِيمِ» ، وَنَظْمِ كُلِّمَا نَظْمًا إِلَى رَشْفِهِ طَافَتْ عَلَيْنَا قَوَائِمُهُ بِكَأْسٍ مِنْ أَجْهَاهُ مِنْ تَسْنِيمِ ، وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَتَفْصِيلُ مَعَارِفِهِ يَضِيقُ عَنْ فَضْلِهَا فَضَاءُ هَذَا التَّوْقِيعِ الْكَرِيمِ ، وَسَرْدُ مَحَاسِنِهِ لَا تَتَسَعُّ لَهُ حَوَائِثُ هَذَا الْبُرْدِ الرَّقِيمِ ؛ وَلَكِنْ أَشَارَتْ أُمَّلَةُ الْقَلَمِ مِنْهَا إِلَى نُبْدِهِ ، وَعَلِمْنَا أَنَّ الْقُلُوبَ تَسْتَأْتِي إِلَى أَوْصَافِهِ فَقَلَدْنَا لَهَا مِنْ ذَلِكَ فَلِذِهِ .

وأما الوصايا فمِثْلُهُ لا يَدَّ كُرْبَيْيٍ مِنْهَا ، ولا يقال له : دَعْ هَذِهِ الْوَدْعَةَ وَهَذِهِ الدَّرَّةَ صُنْمًا ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَإِذَا أُطْلِعَ بُدُورٌ وَصِيَّةً ضَوْأً أَحْوَالَ الدِّيَابِجِي الْحَوَالِكِ ؛ وَلَكِنْ تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذِكْرُهَا فِي كُلِّ تَوْقِيعٍ طِرَازِهِ الْمُعْلَمِ ، وَنُكْتَتِهِ الَّتِي طَوَّدَهَا لَا يَثُلُ وَحَدُّهَا لَا يُثْمُ ، فليَكُنْ مُسْتَصْحَبَ حَالِهَا الْحَالِي ، مُسْتَصْعِبَ فِرَاقِهَا الَّذِي يُهَوِّنُهُ الْبَالُ الْبَالِي ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُحْجِلِي رُبُوعَ الْعِلْمِ مِنْ أُنْسِهِ ، وَيَجْعَلُ سَعْدَهُ فِي غَدِّ زَائِدًا كَمَا زَادَ فِي يَوْمِهِ عَلَى أَمْسِهِ ، وَالخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ فِي ثُبُوتِ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة النورية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي الْقَضَاةِ «نجم الدين الحنفى» بترول والده عنها بـ«الجناب الكريم» وهى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنْمِيَ أَهْلَهُ الْعِلْمَ فَأَبْدَرْتُ ، وَفُرُوعَهُ فَأَثْمَرْتُ ، وَنُجُومَهُ فَاسْتَقَلَّتْ مَطَالِعُهَا التُّورِيَّةُ وَتَنَوَّرَتْ ، وَلَا إِلَهَ فِي بِحَارِ الْأَلْفِظِ وَالْفَضْلِ فَتَجَوَّهَرَتْ ، وَأَنْهَارَهُ الَّتِي أَخَذَتْ فِي الْمَدِّ مَاخِذًا تِلْكَ الْبِحَارِ فَاسْتَرْحَبَتْ وَأَسْتَبَحَّرَتْ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي قَرَّتْ وَقَرَّتْ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً إِذَا خَصَلَهَا الْيَقِينُ وَفَرَّتْ ، وَإِذَا نَصَلَهَا الْإِخْلَاصُ مَضَّتْ فِي أَوْدَاجِ الْبَاطِلِ وَفَرَّتْ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْحَاكِمُ فِي فَضْلِ الْأَفْضِيَّةِ لَمَّا شَجَّرَتْ ، وَالنَّاظِمُ دُرَّرَ الْإِيمَانَ حَتَّى زَهَتْ فِي أَعْنَاقِ الْعَقَائِدِ وَزَهَرَتْ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِتْنَةَ الْحَقِّ الَّتِي ظَهَرَتْ وَطَهَّرَتْ ، وَعِصَابَةَ الْإِسْلَامِ الَّتِي سَرَتْ خَلْفَهَا

(١) مستعار من نصل السيف والريح والسهم ركب فيه النصال وهو حديد .

سرايا الدين فهاجرت في الله ونصرت، صلاة طيبة تحلوا إذا تكررت، وتحيية باقية
تشرق شمسها إذا الشمس كورت، وتعقب نفحات نثرها إذا الصحف نثرت .

أما بعد، فإن منازل العلم من خير ما أبقى الآباء للأعقاب، وأجلى ما ذخر لنجباء
الأبناء على مدى الأحقاب، وأعدل ما شهد بلسان حاله المتمثل أن وكر العقاب
لأبن العقاب؛ وكانت المدرسة النورية الكبرى بدمشق المحروسة هي الواسطة
والمدارس دُرر، والصبح وأوطان العلم غرر؛ ومنزلة الحكم الأرفع، وبيت القضاء
الذي أذن الله لقدرة أن يرفع، ومكان ذي اليد الماضي سيف حكمه إذا قرعت
العصا لذي الإصبع؛ وذات العباد التي أدخرها لنجليه، وأعدت فضلها في العباد والبلاد
لفضله؛ وكان ذلك قد نزل لولده فلان عن الحكم على هذا الحكم، ونطق بمزية
الاستحقاق وقلوب بعض الأعداء صم بكم؛ ورغب - أجله الله - فيما يرغب فيه
من الانقطاع ذو السن العالی، والقدر العالی، وانتظم تقليده الشريف فكان أجود
حلية على أحسن جيد حالي؛ ثم التوقيع بتدريس هذه المدرسة التي زكيت في أهل
الفضل شهيدها، ونظرها الذي خلف في حكمه ولي عهد من أبيه: فله أمين هذه
الخلافة ورشيدها .

ولذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إلى فلان تدريس المدرسة النورية
ونظرها: لاستحقاقها لها بسفعة منصب الحكم العزيز، ومنشأ الفضل الحريز،
وجيز النزول المكتتب، وقبول هبة والده الذي يعتاد أن يهب الجليل لمن يهب؛
وتشريفه بإنعامها النفيس، وإجلالها بها على مرتبة حكمه وبساط نظره وسجادة
تدريس؛ وعلمًا بأن نجم ذلك النير أولى بهذه المنازل، وشبهل ذلك الأسد أحق

(١) لعله «وكان ذلك الامام الموصوف» أي والد نجم الدين .

(٢) نص أهل اللغة على أن السن بمعنى العمر مؤنثة .

بهذا الغاب المائل ؛ وأنه كوكب هذا المذهب المنير، وإمام جامعيه المعروفين : كبير
وصغير ؛ وصاحب شبيبة العزم المقتبل ، والرأي الموفى على قياس الأمل ؛ وتجنيس
الجود والإجاده ، وتكميل بحري العلم والبر واجتهاد الزيادة ؛ وأنه ممن آتاه الله رفعة
في القدر والأسم ، وزاده بسطة في العلم والحسب ؛ وأحكم بديهته علمه فما تستوقف
الأسماع رويته ، وأعلاه وعظمه فما هو النجم الذي تستصغر الأبصار رؤيته .

فليباشر تدريس هذه المدرسة ونظرها بعزمه الباهر وصفا ، التالي بلسان الحمد :
(وإبراهيم الذي وفى) ؛ جارياً على أعراق نسيه المشهور ، فائض اللفظ والفضل فإنه
بحر من البحور ؛ مظهرًا من مباحثه التي تقلد العقول بأبهى مما تقلد البحور ، مهتدياً
من رأيه ومن بركة الواقف - رضى الله عنه - بنور على نور ، والله تعالى يزىن بجمه
أفق السيادة ، ويزيد فيما وهبه من الفضل إن كان التمام يقبل زياده .



توقيع بتدريس المدرسة الريحانية الحنفية ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به
للقاضى «عماد الدين الحنفى» بـ«الكتاب الكريم» وهو :

الحمد لله الذى جعل مدارس العلم بدات عمادها ، وصاحب نفلها واجتهادها ؛
ومُنشِر عهدها ومُنشئ عهادها ، وواصل مناسبتها التى لو آدعاه دونه زيد لكنت
دعوى زيادها ، ومُفصح فتاويها على منبر قلم أهرت عوده ونفع وأطرب : فناهيك
بثلاثة أعوادها ! .

نحمده على نعمه التى قصى الحمد بأزديادها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تُعدها النفس لمعادها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله هادى الأمة

إلى سبيل رشادها ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِحَارِ الْعِلْمِ وَأَطْوَادِهَا ، مَا قَامَتِ
الطُّرُوسُ وَالسُّطُورُ لِعُيُونِ الْأَلْفَاظِ مَقَامِ بَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا .

أما بعد ، فإنَّ لمذاهبِ الْعِلْمِ رِجَالًا يَوْصَحُونَ طُرُقَهَا ، ويمدُّون في المباحثِ طَلْقَهَا ،
ويعمِّرون مَدَارِسَهَا : فيألفها من ذاتِ دُرُوسٍ يكون العُمُرَانُ مُعْتَلِقَهَا وَمُعْتَنِقَهَا ! .

ولمَّا كانت المدرسةُ الرَّيْحَانِيَّةُ بِدِمَشقٍ في أيدي الْعُلَمَاءِ مُجَنَّبَةً رِيْحَانِيَّةً ، وَشَقِيْقَةً
نَفْسٍ نُعْمَانِيَّةً ؛ مأهولةً الْمَنَازِلِ وَالْمَنَازِرِ بِكُلِّ ذِي فَضْلٍ جَلِيٍّ ، وَعِلْمٍ مَلِيٍّ ؛ وَوَصِفٍ
كَرِيمٍ ، وَنَفْسٍ نَفِيسٍ يَتَلَقَّاهُ مِنْهَا رَوْحٌ وَرِيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نُعِيمٍ ؛ وَخَلَّتِ الْآنَ مِنْ إِمَامٍ
كُرِّمَتْ خِلَالُهُ ، وَعَظُمَتْ خِصَالُهُ ، وَمَضَى وَتَمَضَى وَمَا بَقِيَ إِلَّا اللهُ جَلَّ عَنْ الْحَوَادِثِ
جَلَالُهُ - فَتَعَيَّنَ أَنْ نَخْتَارَ لِتَدْرِيسِ مَكَانِهَا مِنْ يَفْتَخِرُ بِهِ الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ ، وَيَتَشَيَّدُ
بِزِيَادَةِ عِلْمِهِ لِصَاحِبِ مَذْهَبِهَا أضعافُ مَا شَاهدَهُ زِيَادَ اللَّعْنَانِ ؛ مِنْ شَيْدِ الشَّرِيعَةِ
الشَّرِيفَةِ مَقَالَهُ وَمَقَامَهُ ، وَعِلَاقِ عِمَادِهِ إِلَى عُقُودِ الشُّهْبِ فَتَنَّهُ مُرَادُهُ وَمِرَامُهُ ، مِنْ
لَوْعِ عَصْرِهِ «أَبْنِ الْحُسَيْنِ» لِحَسَنِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِقُدْرَةِ الْجَلِيلِ ، وَقَالَ عِنْدَ مُحَاضَرَةِ بَحْثِهِ
كَمَا قَالَ «أَبُو يُوْسُفٍ» : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ؛ وَأَسْتِرَادُ «شَمْسِ الشَّرِيعَةِ» فَكَيْفَ «السَّرَاحُ»
مِنْ لَمْعَةِ الْبَرِيقَةِ ، وَقَالَ «أَبْنُ السَّاعَاتِيِّ» : مَا رَأَيْتُ أُرْفَعُ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ دَرَجَةً
وَلَا أُبَدَعُ مِنْ هَذَا الذَّهْنِ دَقِيقَةً .

ولذلك رُسمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِإِزَالِ عَالِيًا بِأَمْرِهِ كُلِّ عِمَادٍ ، زَاهِيًا بِمُحَامِدِ مُلْكِهِ
كُلِّ نَاطِقٍ وَجَمَادٍ ، أَنْ يَفُوضَ لِفُلَانٍ لِأَنَّهُ الْمَعْنِيُّ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَوْصَافِ
الْحُلُوءَةِ إِذَا تَكَرَّرَتْ ، وَالْمَقْصُودُ بِالْفَظَائِحِ إِذَا تَعَنَّوَتْ الْأَفْهَامُ وَتَيَسَّرَتْ ؛ وَالْمَعْوَدَةُ فَرَايِدُ
مِبَاحِثِهِ الْمَفْرَقَةُ بِ «إِذَا الْكَوَاكِبُ أَنْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ جُمُحِرَتْ» ؛ وَإِمَامُ الْمَذْهَبِ
الْحَنْفِيِّ وَالْحُكْمُ الْأَحْنَفِيُّ ، وَحِصَاةُ الْقَلْبِ الَّتِي تَنْسِفُ بِإِشَارَتِهَا جِبَالَ «النَّسْفِيِّ» ،
وَلِسَانُ النَّظَرِ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى بُعْدِهِ فَأَخْتَفَى فِي قُرْبِهِ الْمَشْرِفِيُّ ؛ وَصَاحِبُ الْفُنُونِ وَمَا

وَسَقَّتْ ، وَأَفْنَانِ الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ ، وَمَا بَسَقَتْ ، وَنُعُوتِ الْفَضْلِ وَالْفَضَائِلِ ، وَمَا عَطَفَتْ
من البيان وَنَسَقَتْ .

فَلْيَتَوَلَّ تَدْرِيسَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَعْمُورَةَ مُؤَيِّدَ الْوَلَايَةِ ، مُجَدِّدَ الْبَدَايَةِ لِحَنِيفِيَّتِهَا
وَالنَّهَائِيَةِ ، سَاجِدًا قَلَمُ الْفَتَاوَى وَالْفُتُوَّةِ كَمَا تَلَا كَرْمَهُ وَكَلِمَهُ آيَةً بَعْدَ آيَةٍ ، مُنْفِقًا مِنْ
أَلْفَاظِهِ حَتَّى يَسْتَفْنِي عَنْ "الْكَنْزِ" وَصَاحِبِهِ ، وَيُرَدِّدَ فَرَعَ الْمَقَالِ عَلَى الْأَصْلِ وَطَالِبِهِ ،
وَيُعْرِضُ عَنْ أَعَارِيضِ "الْبَسِيطِ" ، وَيُغْرِقُ فِي أَفْكَارِ وَارِدِهِ "المحيط" . وَيَمُدُّ سَمَاطِ
الْعِلْمِ الَّذِي وَفَى بَعْدَ «الْقُدُورِيِّ» ، وَمَا حَانَ ، وَتَفَخَّرَ بِقَاضِيهَا أَعْظَمُ مَدِينَةٍ فَمَا يَضُرُّهَا
فَقَدْ « قَاضِي خَانَ » ، وَتَتَذَكَّرُ الْمَقْدَمِيَّةُ مِنْ طَلَبَتِهِ فَوَائِدَ الْحَلَقَةِ ، وَيَنْتَقِلُ الْجَنَابِ
الْكَرِيمِ مِنْ تَقَدِّمَتِهَا إِلَى مَا هُوَ أَوْفَى فِي الْغَرَضِ وَأَوْفَرُ فِي النَّفَقَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ رَتَبَ
الْعِلْمِ بِهِ سُرُورًا ، وَيَجْعَلُ لَهُ بِاسْتِطْلَاعِهَا كِتَابَ حُكْمٍ وَحِكْمٍ يَلْقَاهُ مَنْشُورًا .



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي ، كتبت به لفاضل القضاة «علم الدين
أبن القفصي» قاضي قضاة دمشق بـ «المقر الشريف» وهي من تافيق كتاب
الزمان . على أنها بالمدرس أليق منها بالمصدر ، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَى عِلْمِ أُمَّةِ الدِّينِ إِلَى أَعْلَى الْعُرْفِ ، وَمَيَّزَهُم بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي
يَسْمُو شَرْفَهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ، وَأَوْصَحَ بِهِمْ مَنَهِجَ الْحَقِّ الْقَوِيمِ فَعَمَلًا بِإِرشَادِهِمْ سَيِّدِلُ
الْهُدَى وَأَنْكَشَفَ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَفَاضَ مِنْ نِعَمِهِ الْمَتَوَاتِرَةِ كُلِّ حِينٍ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى إِحْيَاءِ مَعَاهِدِ
الْمَعَاهِدِ بَيْنَ حَدَا حَدَوِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ ، حَمْدًا يُظْهِرُ الْآيَاتِ الْحَمْدِيَّةَ وَالْبَرَاهِينَ ،
وَيَسْبِطُ ظِلَّ مَنْ هُوَ عَنِ الْحَقِّ لَا يَمِينُ . وَنَشْمَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَيَعْلَمُ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أُوتِيَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ لِشَيْبَةَ : « اللَّهُمَّ فَهِّمْنَا فِي الدِّينِ » . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا فَكَانُوا أُمَّةً الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعُمْدَةُ عَلَى أَقْوَالِهِمُ الَّتِي نَقَلُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالْجَمْعِ وَالْأَشْهُرِ وَالسِّنِينَ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَا بَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ أَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي الْآفَاقِ مَنْشُورَةً ، وَرُبُوعُ الْفَوَائِدِ بِطَرِيقَتِهِمُ الْمُتَمَلِّئِ مَعْمُورَةً ، وَصُدُورُ الْمَعَايِدِ الشَّرِيفَةِ مَحْتَاجَةً إِلَى صِلَتِهَا بِكِفَائِهَا الْفَرْدِ مَسْرُورَةً ؛ وَكَانَ فَلَانٌ - أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ ، وَضَاعَفَ جَلَالَهُ - هُوَ الَّذِي مَلَأَتْ مُبَاشَرَتُهُ الْعُيُونَ وَالْأَسْمَاعَ ، وَأَنْعَقَدَتْ عَلَى تَفَرُّدِهِ فِي عَصْرِهِ كَلِمَةُ الْإِجْمَاعِ ، وَأَشْتَهَرَ ذِكْرُهُ الْجَمِيلُ بِأَنْوَاعِ الْمَكْرَمَاتِ وَأَطَاعَهُ مِنْ مُشْكَلِ الْمَذْهَبِ مَا هُوَ عَلَى غَيْرِهِ شَدِيدُ الْإِمْتِنَاعِ ؛ وَأَصْحَحَتْ فِضَائِلُهُ « الْمَدْوَنَةَ » وَلَقِظَهُ الْجَلَّابُ ، وَكَفَّفَهُ « الْمَوْطَأَ » لِلطَّلَبَةِ يُغْنِيهِمْ عَنْ مَعَاهِدِ « عَبْدِ الْوَهَّابِ » ؛ وَعَزِيْمَتُهُ لَا يُلْحَقُ غُبَارُهَا فِي الْمَعَارِكِ ، وَلَا يَظُنُّ خُدَامُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ إِلَّا أُمَّ مَالِكٍ وَأَبْنَ مَالِكٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَجْمَعُ مَنْ بَرَعَ فِي الْعُلُومِ مِنْ أُلُوانِ الْمَنَاصِبِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيَفْعُ قَدْرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ عَلَى التَّقْوَى مُؤْتَلِفَةٌ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي وَظِيفَةِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقِ الْحَرُوسَةِ - عَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ - عَوَضًا عَنْ فَلَانٍ مُجْتَمِعٍ نَزُولَهُ عَنْهُ بِرِضَاهُ ، حَمَلًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّرْوِيلِ الشَّرْعِيِّ ، بِالْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ ، عَلَى أَجْمَلِ عَادِهِ ، وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ مَهْنًا مَيْسِرًا أَسْوَةَ أَمَثَالِهِ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَاتِهِ الَّتِي حُقِّقَتْ بِالْعُلُومِ ، وَأَفْتَخَرَتْ بِحُسْنِ الْمَنْطُوقِ الدَّلَّالِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ ؛ وَيَمُدُّ مَوَائِدَ عِلْمِهِ الْمَحْتَوِيَةَ عَلَى أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ ،

وَلِيُبينَ مَا يَخْفَى عَلَى الطَّلَبَةِ بِأَوْضَحِ الدَّلَائِلِ ؛ وَلِيُؤَدَّ الْفَوَائِدَ الْوَاصِلَةَ إِلَى الْأَذْهَانِ عَلَى أَحْسَنِ أُسْلُوبٍ ، وَلِيُقَرِّرَ الْأَصُولَ الَّتِي أَمْتَدَّتْ فُرُوعُهَا بِقَوَاعِدِ السُّنَنِ الْمَحْمَدِيَّةِ وَفِي ثَمَرِهَا الْجَنِّيَّ تَقْوِيَةَ الْقُلُوبِ ؛ وَلِيُكْرِمَ مِنْهُمْ مَنْ يَبْضُحُ فَضْلَهُ لَدَيْهِ وَيَبِينُ ، وَلِيَبْسُطَ هَمَمَهُمْ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» . وَلِيُوضِّحَ طَرِيقَ إِرْشَادِهِ لِيَسَهِّلَ سُلُوكَهَا عَلَيْهِمْ ، وَلِيَجْعَلَ وَفُودَ فَوَائِدِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَاصِلَةً إِلَيْهِمْ ، وَلِيَتَّبِعَ «إِمَامَ دَارِ الْحِجْرَةِ» فِي مَذْهَبِهِ الْمُدْهَبِ ، وَلِيَخْلُدَ مِنْ صِفَاتِهِ الْجَمِيلَةِ مَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَلَا يَذْهَبُ ؛ وَلِيَسْمَحَ لِلْفُقَهَاءِ بِمُواصلَةِ فَضْلِهِ الْأَعْمِ ، فَإِنَّهُ أَنْ يَهْدِي بِهِ وَاحِدٌ خَيْرٌ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِنْهُ يُطَلَبُ بَيَانُهَا ، وَبِهِ تَقْوَى أَسْبَابُهَا وَيَعْلَمُ بُدْيَانُهَا ؛ وَلَكِنْ الذِّكْرُ يُتَفَعُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُظْهِرُ [بِهَا] سِرَّ خَبْرِهِمْ وَيَسْتَبِينُ ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَالْخِصْلَةُ الَّتِي بِهَا يَعْظَمُ كُلُّ وَاحِدٍ وَيَرْقَى ؛ فَلْيُؤَاطَبْ عَلَيْهَا ، وَلْيَصْرِفْ وَجْهَ الْعِنَايَةِ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ عِلْمَ عَلَيْهِ دَائِمًا فِي الْآفَاقِ مَنْشُورًا ، وَذَكَرَهُ الطَّيِّبُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْخَلَائِقِ كُلِّ أَوْانٍ مَذْكَورًا .

المرتبة الثانية

(من تواقيع أرباب الوظائف الدينية بحاضرة دمشق -

ما يفتتح بـ «أما بعد حمد الله» وفيها عدّة وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك .

توقيع بقضاء العسكر بدمشق ، كتب به للقاضي شمس الدين «محمد الإخنائي»

الشافعي ، بـ «الجناب العالي» وهو :

أما بعد حمد الله تعالى مضاعف النعمة، ومُرَادِفِ رَبِّ الإحسان لمن أخلص في الخدمه، ومُجَدِّدِ مَنَازِلِ السَّعْدِ لمن أطلعت كواكب أهتامه في آفاق الأمور المهمة؛ والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على سيدنا محمد وآله الذي بشر بنصر هذه الأمة، ووعد بأن سيكشف به غمام كل غمه، وأنه يتجاوز عن أهلها بشفاعته وكيف لا؟ وقد أرسل للعالمين رحمه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تجزل لقائلها نصيبه من الأجر وتوفر قسمه - فإن أحق الأولياء من تأكدت له أسباب السعاده، وكافأناه بالحسنى وزيادته، وبلغناه من إقبالنا غاية مآربه ومطالبه؛ وعرفت منه العلوم التي لا ينسك فيها، والنباهة التي لا يقدر أحد من أقرانه يوفياها؛ والخبرة الوافية الوافره، والديانة الباطنة والظاهره؛ وسار بعلمه المثل، وسلك مسلك الأولياء في العلم والعمل؛ وأعتبرت أحواله التي توجب التقديم، وأختبرت فعاله التي ضاعفت له مزيد التكريم .

وكان فلان - أدام الله تعالى نعمته - هو الذي أثنى العلوم بحجاً وتهذيباً، وبرهن عن المسائل الشرعية بأفهام تزيدها إلى الطالين تقريباً؛ وأوضح عويص مشكلاتها، وصحح من ألسن العرب لغاتها .

فلذلك رسم بالأمر العالی - لا زالت تسمسه بالعباية مشرقه، وأنواء فضائل أوليائه مغدقه - أن يستقر فلان في وظيفة قضاء العساكر المنصورة الشامية : حملاً على ما بيده من النزول الشرعي، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته، ومعلومه الذي يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت . فهو الحاكم الذي لم يزل للعساكر المنصورة نعم الصاحب، والمورد على سمعهم من الأحكام الشرعية ما يقتدي به الحاضر والغائب؛ والقائم بأعباء العساكر المنصوره، والحافظ لنظام الملك الشريف على أحسن صورة .

فليباشِرْ هذه الوظيفة المباركة وليحل في قضاء العساكر المنصورة بطلعة السنية ،
وليفصل بينهم في الأسفار كل فضيه ، وليعرفهم طرق القواعد الشرعية ؛ وليحترز
في كل ما يأتيه ويذرّه ، ويقصده ويحدره ، ويورده ويصدره .

والوصايا كثيرة ومنه تستفاد ، وإليه يرجع أمرها ويعاد ، ولكن لا بد للقلم
من المرح في ميدان التذكار ، والتنبية على منهاج التقوى التي هي أجمل شعار ؛
والله تعالى يمنحه من إحساننا جزيل العطاء والإيثار ، ويُسمعه من أبناء كرمنا كل
آونة أطيب الأخبار ؛ بمنه وكرمه ! .



توقيع بنظر جامع يلغا الجياوى ، كتب به للامير جمال الدين «يوسف شاه»
العمرى الظاهرى بـ «الجناب الكريم» وهو :

أما بعد حمد الله الذى أظهر جمال الأتقياء في كل مشهد وجامع ، وقدمه بما أولاه
على كل ساجد وراكع ، وخصه من فضله بما قصرت عنه الآمال والمطامع ؛
والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على سيدنا محمد عبده ورسوله مؤلى الخير الواسع ،
والإحسان المتتابع ، ومن أحيأ جود جوده النفوس وسر القلوب وأطرب ذكر
عظاته المسامع ؛ وعلى آله وصحبه النجوم الطوالع ، والذين أودعهم العلم الذى آتاه
لإقامة دينه من لا تحيب لديه الودائع ؛ والتشريف و [الإكرام] ، والتبجيل
والإعظام - فإن أولى من رعيناهه حق الخدم ، ووقوفه فى الطاعة الشريفة على
أثبت قدم ، من قام بما لم يقم به غيره ، وحسنت سيرته وسيره .

وكان فلان أدام الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهجته ؛ ممن جعل المالك
ودبرها ، وضبط أموال الأوقاف وحررها ؛ وأرتفع على الرؤوس ، وحصل أموال

الأوقاف التي فطر تحصيلها أجداد أخوانه وسر من مستحقها النفوس - تعين أن نعرف له مقدارَه الذي لا يخفى، ونوفيه بعض حقه فإنه الذي بالإحسان قد أوفى .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُقبل على فضل وليه ، ويضاعف له البرّ المستمطر من غيث جوده ووليه - أن يستقر فلان في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فليأشِر هذه الأوقاف ، وليسلك فيها طرق العدل والإنصاف ، وليتبع شرط وأقفاه - رحمه الله تعالى - المجمع على صحته من غير خلاف ؛ وليحى ما تشعث وتخرّب في الجامع المشار إليه وأوقافه بعين بصيرته ، وليقم بالمعروف من معرفته ؛ وهو أعزه الله تعالى أولى من باشره ، وعمر دائره ، وأخرى من تحرى مباره ومآثره ؛ وميز أوقافه ، وتدارك بتلافيه تلافه . وهو غني عن شرح الوصايا فإنها من آدابه تُعرف ، ومن بحر أدواته تُعرف ؛ وملاكها تقوى الله تعالى الرؤف ، فيلكن على مستحق هذا الوقف عطوف ؛ والله تعالى يجزل له أجرا ، ويجعل له ما يفعله من الخير دُجرا .



توقيع بنظر ثربة أرغون شاه ، كُتب به « لقعجا السيفي بوطا ، بـ بالجناب العالی »

وهو :

أما بعد حمد الله الذي بلغ الأولياء من مبراته الأمل والإرادة ، وألقى مقاليد الأمور إلى من استحق بحسن مباشرته الزيادة ، والصلاة والسلام الأتمين الأتكلين على سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب لواء الحمد والنصر ، ومن جاءت آيات تفضيله كفاتق الصبح وجملت محاسنه كل عصر ؛ وعلى آله وصحبه الذين نصره فنصرهم

الله ، وحجبه بأنفسهم عن البأس ولم يحبوه عن الناس لخفيض جناحه لمولاه ؛
والتشريف والتكريم ، والتبجيل والتعظيم .

ولما كان فلانٌ - أدام الله تعالى نعمته - هو المعروف بالأوصاف الجميلة ،
والمنعوت بالنعوت التي أتت في وصفه بكل فضيلة .

فلذلك رسم بالأمر العالى - لازال إحسانه عمياً ، وفضله لذوى الاستحقاق أبداً
مقيماً - أن يستقر فلانٌ في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومُسْتَقْرَعَاتِهِ ،
بالمعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فليأشُر ذلك بهمة العلية ، ونهسه الأبيّة ، والوصايا كثيرة وأهمها التقوى :
فليلازم عليها فإنها تحفظه ، وبالسيادة تحفظه ، والله تعالى يكمل وظيفته ، ويسهل
إلى نجاح المقاصد طريقه ؛ بحمد وآله ! .



توقيع بتدريس الجامع الأموى عوداً إليه ، من إنشاء جمال الدين بن نباتة ،
كتب به للقاضى «نخري الدين المصرى» وهو :

أما بعد حمد الله معيد الحق إلى نصابه ، والغيث إلى مصابه ، والليت - وإن
غاب - إلى مستقر غايه ، وشرف المكان إلى من هو أحق وأولى به ، وبجر العلوم
إلى دوائر محافيه فى الدروس وإلى قوى أسبابه ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذى هاجر فرجع بغنيمته وإيابه ، وطلع من ثنابات الوداع طلوع البدر المشرق
فى أنباء صحابه ؛ وعلى آله و صحبه الشائين سبيل صويه السالكين سبيل صوايه ،
ما قطف من غصون أقلام العلماء ثمر «البيان والتبيين» متشاهاً وغير متشاه -

فَإِنَّ شَرَفَ الْكَوَاكِبِ فِي سَيْرِهَا وَرُجُوعِهَا ، وَنَمُوَّ تَسْعُلِهَا مَا بَيْنَ قَتْرَةٍ مَغِيْبِهَا
وَطُلُوعِهَا ؛ لَا سِيَّامَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِمْ ، وَيُقْتَدَى بِأَنْوَارِهِمْ ، وَمَصَابِيحُ الْحَقِّ
الَّتِي تُقَدِّحُ وَلَا يُقَدِّحُ فِي أَرْزِدَةِ أَفْكَارِهِمْ .

وَكَانَ مِنْ قُصِدِ بَهَذَا التَّلْوِيحِ ذِكْرُهُ ، وَعُرِفَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ نَخْرُهُ ؛ قَدْ
حُمِدَ بِمَجَالِسِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ سَلَفِ أَعْيَانِهِ ، وَقَامَ بِوُجُودِ الدَّلِيلِ
عَلَى وُجُودِ مَاضِي بُرْهَانِهِ ، وَجَادَلَ لِسَانُهُ وَقَلَمُ يَدِهِ عَنِ الشَّرِيعَةِ : وَغَيْرُهُ مِنَ الْعِيِّ
لَا مِنْ يَدِهِ وَلَا مِنْ لِسَانِهِ ؛ ثُمَّ هَجَرَ مَكَانَهُ هِجْرَةً عَلَى الْعُنْدِ مَحْمُولَةً ، وَهَاجَرَ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ
تَعَالَى وَحَرَمِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِجْرَةً مَقْبُولَةً ؛ وَرَأَى بَعْضُ الصَّبِيَّانِ التَّقَدُّمَ إِلَى
رَتْبَةِ الشَّيْخِ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَأَنَا مِنْ مَخْطُوبَاتِ الْأَكْبَرِ فَمَا أَنَا مِنْكَ وَلَا أَنْتَ
مَنِّي ؛ ثُمَّ حَضَرَ إِلَى مَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ مِنْ غَائِبٍ ، وَرَجَعَ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ الْأَمْثَلِ بِهِ : وَمَا كَلَّ
حَمْرَةَ أَسَدِ اللَّهِ فَلَيْسَ كُنُ فِي ذَلِكَ الْغَائِبِ .

فَلذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ صَلَاتُ مَرَامِيهِ جَمِيلَةَ الْعَوَائِدِ ، جَلِيلَةَ
الْفَوَائِدِ ؛ وَأَقْلَامُهَا أَغْصَانُهَا مَمْدُودَةٌ بِهَا الرِّزْقُ فَهِيَ عَلَى الْوَصْفَيْنِ مَوَائِدُ - أَنْ يَسْتَمْتَرَ
عَلَى عَادَتِهِ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَإِبْطَالُ مَا كُتِبَ بِهِ لغيره : عَمَلًا بِاخْتِبَارِ الْحَاضِرِ ، وَاخْتِبَارِ
نَظَرِ النَّاضِرِ ؛ وَعَلِمًا أَنَّ هَذِهِ الْمُرْتَبَةَ لَمَنْ لَهُ إِتْقَانٌ عَقْلُهَا وَنَقَالُهَا ، وَتِلَاوَةٌ فِي مَوْضِعِ
الْوَقْفِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ .

فَقُولُوا لِلْمَنْعُوقِ : مَا كُلُّ عِزٍّ بِدَائِمٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي طَلَبٍ بِكَمَالِ الْوُجُوبِ قَائِمٌ ؛ وَمَنْ
أَيْنَ لِهَذِهِ الرَّتْبَةِ مِثْلُ هَذَا الْكُفِّ الَّذِي أَشْتَهَرَ نَخْرَهُ ، وَزَهَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْصَارِ شَامَهُ
وَمِصْرَهُ ؟ ؛ وَهَذَا الْإِمَامُ ، وَكُلُّ مُضَاهٍ مَأْمُومٍ ، وَهَذَا الْمَقْدَامُ ، تَحْتَ عِلْمِ الْعِلْمِ وَكُلِّ
مُبَاهٍ مَهْزُومٍ ؛ وَهَذَا النَّابِتُ وَكُلُّ نَدٍّ مُشَرَّدٍ ، وَهَذَا الْكَامِلُ وَكُلُّ ضَدٍّ مُبَرَّدٍ .

فليستمر على عادته الجميلة مجللاً لزمانه ومكانه ، مكملًا في وشائع العلم ما يشي
 « ابن الصباغ » من ألوانه ؛ مالِكًا لما حرره « الشافعي » ، جازما بفعل مانصبه
 « الرافعي » ، ساميًا عن وفاء الواصف : فسواء في ذكره إسراف بيان أو إسراف عي ؛
 شاملًا للطلبة المعتادين بعطفه ، مقابلًا للمستفتين بطائفه وأطفه ؛ باحثًا عن دُرر
 الحدال بفكره إذا بحث قلم بعض المجادلين عن حثفه بظلفه ، داعيًا لهذا الملك
 الصالحى فإنَّ دعاء العالم الصالح سور من بين يديه ومن خلفه ؛ والله تعالى يُجريه
 على خير العوائد ، ويمده باقبال النعم الزوائد ؛ بمنه وكرمه ! .



توقيع بتدريس المدرسة الدماغية بدمشق ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به للقاضي
 جمال الدين « أبو الطيب ، الحسن بن علي » الشافعي ، وهو :

أما بعد حمد الله رافع مُنادى العلم بمُفردِه ، وبيتِ التقي بقافية سُودده ، ونظم
 المفارحين إذا قيل : « أبو الطيب » أصغى الحفل لمنشده ، ومشهد الفضل بإمامه :
 وحسبك من يكون « الحسن بن علي » إمام مشهده ؛ والصلوة والسلام على سيدنا
 محمد عبده ورسوله سيد الخلق وسنده ، وعلى آله وصحبه السائرين في العلم والحلم على
 جدده ، ما تحب نسييم الروض برده وأفتت لعس السحاب عن تغر برده - فإنَّ للعلم
 أبناء ينشئون في ظلاله ، ويسكنون في حلاله ، ويفترقون للخلق بين حرام المنشئه
 وحلاله ، ويجمّلون وجه الزمان : فلا عدم الزمان منهم جمال وجهه ولا وجه جماله ؛
 ترتسِف شفاه المدارس من كلمهم كلَّ عذب المساع ، وتُسافه منهم كلُّ ذى فضل
 ما هو عند البلاغ ببلاغ ، وتُشاهد ما خصّوا به من الشرف والرأسه فلا عجب أن
 محلّهم منهما محلّ الدماغ ! .

وكانت المدرسة الشافعية الدماغية بدمشق المحروسة رأساً في مدارس العلم، وهامة في أعضاء منازل ذوى الحُكم والحلم؛ لا تسمو همّتها إلا بكلّ سامى العِامة، هَامى الفضل كالغامة، ساجع اللفظ إلا أنه أبهى وأزهى من طوق الحمامة، كائد للمُحَد مكرّم للطالب ولا كَيَد لابن الخطيب ولا كرامة - واسطة بين العادلية والأشرفيّة تليق بمن يكون عقْدُ كلامه المُثمن، ونظامه الأمكن، وبيانه المنشد "أجارة بيتيّنا" يعنى بيت النسب وبيت المسكن .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازال يجدد لوجوه العلم جمالا، ولوجوب الحمد نوالا، ولوجود الفضل كرما ما قال قط ولا نوى: لا - أن يفوض إلى فلان - أيد الله بحمده، وحرس للسلامين أباه وأعلى بالسعادة جدّه - تدرّس المدرسة الدماغية المذكورة: لأنه جمال العلم المعقودة على خطبته الآمال، المعدوقة بمقدمات فضله وفضله نتائج الأقوال الصالحة والأعمال؛ المحبوبة إلى الله والخلق سيأه وشيّه ولا نُكر: فإن الله جميل يُحبُّ الجمال؛ ولأنه العالم الذى إذا قال لم يترك مقالاً لقائل، وإذا شرح على قياسه أتى بما لم تستطعه الأوائل؛ وإذا جارى العلماء كاد «إمام الحرمين» يقول: أنا المُصَلّى وأنت السابق، «والغزالي»: من لى أن أنسج على منوال هذا اللفظ الرائق؟ «وآبن دقيق العيد»: كَيْت لى من هذه الدقائق بلغته؟، و«آبن الصّبّاغ»: هذا الذى صبّغه الله من المهّد عالماً! ومن أحسن من الله صبّغه؟؛ ولأنه العالم الذى أحيا ذكر «آبن نُقطة» بعد مادارت عليه الدوائر، وأغنى وحده دمشق عن أتى فى النسب «بعساكر»، ولأنه فى البيان ذو الانتقاد والانتقاء، والعربى الذى إن كان لرقاب الفضلاء «آبن مالك» فإن قوينه «أبو البقاء»؛ والكامل حسباً، ومثل جيده المنقود لا يهرج، والواصل تسبباً، ومثل فرعه بعد أصله: «ولله أوس آخرون ونخرج» .

فليباشر هذا التدريس بعزائم سرّيه، ومباحث تُستنار منها معارف القول التبرّيه،
وطرائف لا تُحسب بدمشق على تقدّاتها المصريه؛ ولينصّر مذهب الإمام الشافعي
رضي الله عنه فإنّ قومه الأنصار، وليخفّض جناحه للطّلبة فطالما خفّضت الملائكة
أجنحتها ليصير فلا تعجب أن صار!؛ وليفدّ وأفديه وهو قاعدٌ أضعاف ما أفادهم صاحب
المكان وهو واقف، وتقوى الله عزّ وجلّ أولى ما طالعه في سرّه وجهره من "عوارف
المعارف" والله تعالى يمدّه بإسعاده ولطفه، ويجوّهه بمعقبات من بين يديه ومن
خلفه؛ ويضيء ببارق كلمه الصيّب، ويطرب أسماع الطّلبة بالطّيب من معاني
«أبي الطّيب» .



توقيع بتدريس المدرسة الركنية الحنفيّة بظاهر دمشق، كتب به للقاضي
بدر الدين «محمد بن أبي المنصور» الحنفيّ بـ«المقرّ العالی» وهو :

أما بعد حمد الله الذي أطلع بدر الدين مشرقاً في منازل السعود، وحرس سماء
مجدّه فلا يطيق من رام جنابها الاستطراق إليها ولا الصعود؛ وجعل ركنه الشديد
في أيامنا الزاهرة المشيد وظلّه الممدود؛ والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على
سيدنا محمد نبي الحوض المورود، والكرم والجود؛ وعلى آله وصحبه نجوم الهدى
وأعيان الوجود، ما أورد عود، ومحمدت عقي الصدر والورود؛ صلاة دائماً
إلى اليوم الموعود - فإنّ أعلام الهدى لم تزل منشورةً بمعالِم العلماء، وأقطار الأرض
ما برحت مشرقةً بمن تستغفر لهم الحيتان في البحر والملائكة في السماء، وطول
الأرض إلى فضائلهم أشدّ اضطراباً وأحوج إلى القرب إليهم والانتفاء؛ وكان فلان -
أدام الله تعالى تأييده - من بيّت شهدت الأيام مفانحه، وحمد الأنام أوائله وأواخره،

وأصَحَّتْ عيُونَ الزمانِ إلى ماثره نَظَرَه ، وَغُصُونُ الفُنونِ بِفرائِدهِ ناضِرَه ، وَأوصافُه
الجليلةُ للأبصارِ والبصائرِ باهرَه ، وَأصنافُ الفَضائلِ من إِملائِه واردةٌ صادِرَه .

فذلك رُسمٌ بالأمرِ العالی - زاده اللهُ تعالی على العلماءِ إقبالا ، وضاعفٌ إحسانَه
إليهم ووالی - أنْ یستمرَّ المشارُ إليه فيما هو مستمرٌّ فيه : من تَدريسِ المدرسة
الرُكنيةِ الحَنَفِیَّةِ ، بظاهرِ دِمَشقِ المحروسَةِ ، حملاً على ما بيده من الولايةِ الشرعیةِ
والتوقيعِ الشريفِ : رِعايةً لِحائِنِه وتوقیراً ، وإجابةً لِقَصْدِه الجمیلِ وتوقیراً ، واستمراراً
بالأحقِّ وتَقْرِیراً .

فلیباشِرْ ذلك مباشرةً ألفتُ منه ، وأشتهرَ وصفُها الزِکیُّ عنه ؛ ولِیوضِّحْ لِلطَّلَبَةِ سُبُلَ
الهدایه ، ولِیوصِّلَهم من مقاصِدِهم الجمیلةِ إلى الغایه ؛ ولِیسَلِّکَ طریقةَ والدِه ، فإنَّها
الطریقةُ المثلی ، ولِیتحلَّ من جواهرِ فرائِدهِ ، فإنَّها أعلى قِیمةً وأغلی ، ولِیتملَّ علی
الأسماعِ فضائلَه التي لا تُتملُّ حین تُتملُّ .



وهذه نسخةٌ توقيعٍ بتدريسِ المدرسة الخاتونية البرانية الحنفية بدمشق، كتب بها
للشيخ صدر الدين «علي بن الآدمي» الحنفي بـ «الجناب الكريم». وكأنه في الأصل
لمن لقبه . «بدر الدين» لأنَّ البدر هو المناسب لهذا الأفتتاح؛ فنقله بعض جهلة
الكتاب إلى «صدر الدين» كما تراه . وهذه نسخته :

أما بعد حمد الله الذي زان أهل العلم الشريف بصدر أخفى نوره الشمسوس ،
وأعلاه - لما حازه من الشرف الأعلی - على الرؤوس ، وجعل كل قلب يأوي إلى
تبيان بيانه يوم الدروس ؛ والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على سيدنا محمد الذي
أذهب الله ببركته عن هذه الأمة كل مكروبوس ، وخصهم في الدنيا بطيب

الحياة وفي الآخرة بسرور النفوس ، وعلى آله وصحبه صلاة مُمَثِّرة الغُروس - فإنَّ أوَّلِيَّ من تَتَّصِرُفُ إليه الهِمَمُ ، من تَبَدُّو دلائلُ علمه كُنُورٌ لا نارٍ على علمٍ ، وتَسِيرُ فضائلُه في الآفاقِ سِيرَ الشُّمُوسِ والأقمارِ ، وتَبَرُّزُ إذا يُبَدِّها صَدْرُه من حُجْبٍ وأَسْتار .

وكان فلائناً - ضاعف الله تعالى نعمته ، وحرس من الغيرِ مُهَجَّته - هو الذي أُشِيرَ إلى ما حواه صَدْرُه الكَرِيم من الفضائل ، وأشتهر في دُرُوسِه بإقامة الحجج وإيضاح الدلائل ؛ وبرع في العلوم الدِّينية ، وفاق أبناءَ عَصْرِه في الصِّناعة الأدبِيَّة ؛ وأنفق كثرَه على الطُّلابِ ، فأصبح «عمدةَ المُحدِّثين» وأُمسَى «مُختارَ الأصحاب» ، «أبو يعلى» ينزلُ ببابه ، و «أبنُ عقيل» يرتدُّ على أعقابِه ؛ و «أبنُ الحاجب» يرفعه على عينه ، و «الرَّازِي» يذخر كسبَه لوفاء دينه ؛ و «أبنُ بطة» يطيرُ من مواقعِ سِهَامِه ، و «مُقَاتِلُ» مجروحٌ بحمدِ كلامه ؛ و «أبنُ قدامة» متأخِّرٌ عن مجاراته ، و «الأثرم» يَحْرَسُ عند سماع عباراته .

فذلك رُسم بالأمرِ العالی - لازال يجمعُ لمن برع في العلوم من ألوانِ المناصب المُختلفة ، ويرفعُ قَدْرَ القومِ الذين قلوبُهم على التَّقوى مُؤْتَلَفَه - أن يستمرَّ الجَنابُ الكَرِيم المشارُ إليه بالمدرسة الخاتونية البرانية الحنفيَّة ، حملاً على ما بيده من التَّزولِ الشَّرعيِّ والولايةِ الشرعيَّة : لأنَّه الخِلاصَةُ التي صَفَّتْ من الأقدارِ ، والعُدَّةُ ليومِ الجِدالِ إذا وُلِّيَ غيرُه الأَدبارُ ، والمُختارُ الذي جَنَحَتِ المناصبُ السَّنيَّةُ إلى آخِثارِه دون من سِواه ، رَغْبَةً فيما آذَنه من الفضائلِ وحوَاهُ ؛ «بِدايَتُه» «نِهايةُ الطُّلابِ» ، وعلومه «مُحَفَّةُ الأصحاب» ؛ إن حُدِّثَ «بِأبنِ معين» بصحَّةِ نقله يَحْيَا ، أو فَسَّرَ «فُجَاهِدُ» عن مجاراته يَحْيَا ؛ و «الرَّزْمُشَرِيُّ» يبعُدُ عن الحِوَارِ ، و «البَغَوِيُّ» يبتغي الوقوفَ على الآثارِ ؛ و «سيبويه» عند ما يُحَوِّقُ يقصدُ «التَّسْهِيلَ» من لفظه المُعْرَبِ المُعْرَبِ ، و «أبنُ عُصْفُورٍ» يكاد يطيرُ طَرَباً لما يُبَدِّيه من «المُرْفِصِ المُطْرِبِ» ؛

و « أبو يوسف » أصبح بصُحْبَتِهِ مَنْصُورًا ، و « محمد بن الحَسَن » أضحى برفعتِهِ مَنْصُورًا ؛ هو في القَدْر « علي » وفي الطريفة « محمود » وفي العلوم « محمد » ، وفي النطق والحركة « سعيد » وفي النظر « أسعد » ؛ وفي النَّصْرَة « النعمان » و « طاوس » يتحلَّى جزءًا من كمالِ خِصَالِهِ ، و « الحَسَنُ » يفتدى بحسنِ فعَالِهِ ؛ نَشَأَ فِي العِقَّةِ وَالصِّيَانَةِ ، وَكَفَلَهُ التَّوْفِيقُ وَزَانَتْهُ الأَمَانَةُ ؛ فهو بَحْرُ العُلُومِ ، وَمُسْتَخْلِصُ دُرِّهَا الْمَكْنُونِ وَمُظْهِرُ سِرِّهَا الْمَكْتُومِ ؛ لو رآه « الإمام » لُقِيَ بِعُلَاهِ بِالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ، ولو عاصر الأَصْحَابَ لَعَدَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِهِ قَرِيرَةً .

فَلْيَبَاشِرْ هَاتَيْنِ الوَظِيفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَكْتَسَبَتْهُ بِه بَعْدَ نُورِ الشَّمْسِ جَلَالًا ، وَلْيَلِيقِ عُلُومَهُ الَّتِي يَقُولُ الْفَائِلُ عِنْدَ سَمَاعِهَا : هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَابَ ، وَلْيُعَلِّمِ الطَّلَبَةَ إِذَا أَدْهَشَتْهُمُ كَثْرَةُ عُلُومِهِ أَنْ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ، وَلْيَتَكَرَّمْ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ الإِفَادَةِ فَإِنَّ عَلِيًّا هُوَ الْكَرِيمُ ، وَلْيَفُقْ فِي مَبَاشَرَةِ النَّظَرِ كُلِّ مَثِيلٍ وَنَظِيرٍ ، وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ، وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى عِمَارَةِ مَعَاهِدِهَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَدَاءِ الوَظَائِفِ بِحَسَنِ مَلاحِظَتِهِ : لِيَزِدَادَ عِنْدَ الخَلِيقَةِ جَلَالًا ؛ وَفِيهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَا يُغْنِي عَنِ تَأْكِيدِ الوَصَايَا ، وَيُعِينُ عَلَى السَّدَادِ وَفَصْلِ القَضَايَا ، وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الخَيْرُ بِمَا يَأْتِي وَيَذَرُ ، وَالصِّدْرُ الَّذِي لَا يَعْدُو الصَّوَابَ فِي وِرْدٍ وَلَا صَدْرٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسِّرُ القُلُوبَ بِعُلُومِ مَرَاتِبِهِ ، وَيُقِرُّ العُيُونَ بِمُقَاصِدِهِ وَمَآرِبِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكِرْمَةٍ ! .



تَوْقِيعٌ بِخَطَابَةِ جَامِعِ جِرَاحٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لـ « شَرَفِ الدِّينِ بْنِ عَمْرُونَ » بِـ « الْمَجْلِسِ الْعَالِي » وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي قَسَمَ لِلنَّابِرِ شَرَفًا يَتَجَدَّدُ ، وَعَطَفَنَا مِنَ الفَصْحَاءِ يَتَأَكَّدُ ؛ وَعَلَمًا مَرْفُوعًا لَا يَتَعَدَّى وَعَلَمًا مَنْصُوبًا لَا يَتَعَدَّدُ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ التَّنْقِيَنِ

وصاحبِ القِبْلَتَيْنِ مُحَمَّد ، وعلى آله وصحبه القَانِتَيْنِ القَائِمِينَ الرُّكَّعِ السُّجَّدِ ؛ مَا عَظَّمَ
خَطِيبٌ وَمَجَّد ، وبدا في حِلْيَةِ سِيَادَةِ وَأَهْبَةِ خُطَابَةٍ وهو على الحالينِ مُسَوِّد - فَإِنَّ
لَصَهَوَاتِ المَنَابِرِ فُرْسَانَا ، ولُصُدُورِ المَحَارِيبِ أَعْيَانَا ، وَلِعْيُونِ المَشَاهِدِ أَنَا سَيِّ يُرَاعِي
مِنهَا الِاسْتِحْقَاقُ لِكُلِّ عَيْنٍ إِنْسَانَا .

ولمَّا كَانَ جَامِعُ المَعْمُورِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى مِمَّا أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ، وَوُسِمَ
بَاهِلِ الرُّهْدِ سِمَةً إِذَا ضَعُفَتِ السَّمَاتُ تَقْوَى ؛ جَمَعَ الصُّلَحَاءِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَمُتَّجِعِ
الْفُقَرَاءِ : فَنِعِمَّ الجَامِعُ لَهُمُ وَنِعْمَتِ الرَّأوِيهِ ! ؛ وَمَفْرَعُ العُظَاءِ عِنْدَ اسْتِدْفَاعِ حَرْبٍ
وَكَرْبٍ ، وَمَطْلَعُ نُورِ الهُدَاةِ الَّذِي أَغْرَبَ فَاطَعَ نُجُومَهُمْ مِنَ الغَرْبِ - تَعَيَّنَ أَنَّ
نُخْتَارَ لَهُ الخُطَبَاءَ وَالأئِمَّةَ ، وَنَلْتَخِبَ لِمَنْصِبِهِ مِنْ أَفْضَلِ الأُمَّةِ ؛ وَتَتَنَاسَبَ حُضَارَ مَنْبَرِهِ
بِصَاحِبِ عُلُومِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ ، وَإِمَامِهِمْ ، المَسْرُورِينَ بِهِ يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ أَنَاْسٍ بِإِمَامِهِمْ .

فُرْسِمَ بِالأَمْرِ - لَازَلَتْ أَعْوَادُ المَنَابِرِ بِذِكْرِهِ أَرْجَاهُ ، وَأَعْلَامُهَا كَالأُنْسِنَةِ بِجَمْدِهِ
لَهْجَةٍ - أَنْ يَفُوضَ لِفُلَانٍ عِلْمًا بِاسْتِحْقَاقِ شَرْفِهِ لِهَذِهِ الرَّتَبَةِ ، وَصُعودِ
هَذِهِ الذَّرْوَةِ وَالمُهْضَبَةِ ؛ وَلِأَنَّهُ الأَوْلى بِدَرَجَاتِ الرَّتَبِ النَّفَاسِ ، وَالأَجْدَرُ بِجَنَى فِرْعَوِيهَا
المَوَائِسِ ؛ وَالإِمَامُ عَلَى الحَالَيْنِ إِذَا قَامَتِ صُفُوفُ المَسَاجِدِ وَإِذَا قَعَدَتِ صُفُوفُ
المَدَارِسِ ، وَالعَرَبِيُّ الَّذِي إِذَا رَفَى ذِرْوَةَ مَنْبَرٍ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ لَفْظَةُ فَارِسٍ ؛ وَالوَرَعُ
الَّذِي آثَرَفِي مَنَاصِبِهِ البَاقِيَةَ عَلَى الفَانِيَةِ ، وَمَنَابِرِ الحِكْمِ المُضِيئَةِ عَلَى مَرَاتِبِ الحُكْمِ
المَاضِيَةِ ؛ وَعَلَى مَجَالِسِ الدَّعَاوَى بِمَجَالِسِ الدَّعَوَاتِ ، وَعَلَى مَقَامِ الصَّلَاتِ مَقَامِ
الصَّلَوَاتِ ؛ وَعَلَى القَضَاءِ القَرَضِ ، وَعَلَى الرَّحْبَةِ (١) وَلَوْ كَمَفْجِحِ القَطَاةِ مِنَ الأَرْضِ ؛
وَعَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا القَلِيلِ جَوْهَرَ القُضْلِ الكَثِيرِ ، وَعَلَى "كِتَابِ أَدبِ القَاضِي"
"كِتَابِ الجَامِعِ الصَّغِيرِ" .

(١) لعله وعلى الرحبة المحل الأرق ولو الخ

فليباشر هذه الوظيفة المباركة : خطيباً تدرأ موعظه الخُطوب ، وأعظاً من قلبٍ
تقى تصلُّ هدايا ثقاه إلى القلوب ؛ فصيحاً تكاد المنايرُ تهترُّ طرباً ببيانه ، نجيحاً تكاد
أجنحةُ أعلامها تطيرُ فرحاً بمكانه ؛ شاملاً بنفحات فضله النواسيم ، كاملاً ! لو تقدم
زمانه لم يقل : « فلا الكرجُ الدنيا ولا الناسُ قاسم » ؛ والله تعالى يسدّد أقواله
وأفعاله ، ويرفعُ على المنابر والرُتب والمراتب مقامه ومقاله ، ويمتعه بهذه الرتبة التي
أشبهت معنى في الخلافة : « فلم يكن يصلحُ إلّا لها ولم تكن تصلحُ إلّا له » .

المرتبة الثالثة

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بحاضرة دمشق -

ما يفتتح بـ «رسم بالأمر» وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بالتدريس بالجامع الأمويّ والإفتاء به ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
أبن نباته ، كتب بها للشيخ «نخر الدين المصري» آسماً ، بـ «المجلس العالي» وهي :
رسم بالأمر الشريف - لا زال لدولته الفخر على الإطلاق ، والمن على الأعناق ،
والكرم لطالبي الأفراد والإرفاق ، والتكريم والتقديم لذوي التأهيل والأستحقاق ؛
ولا يرحت النعم الثابتة للساجدين بمدحه المطرب قائمة مقام الأوطاق - أن يستقر
فلانٌ نفع الله ببقائه ، ورفع عيون الأنجم لدرجات ارتقائه ؛ : لفوائده
التي شملت الوري ، وعلت الذرا ، وحمدت الأفهام عند صباحها السرى ، وقعد بها
مسيل ذيل الحياء وسار بذكره من لا يسير مشمراً ؛ ومنزلته التي نصبت للهدى
علماء ، وألفاظه التي أعربت عن بدائع بهرت فما فتح بمنيلها العلماء ثما ؛ وأسنباطه

الذى يقول للأول : قال وقتم ، وأقام وزُلتُم ؛ واحتياطه الذى يقول للسائلين :
 أهبطوا من أنتساب حلقته مضراً فإن لكم ما سألتُم ؛ وأنه الفاضل الذى ما استنار
 بعلمه فتى فتاه ، والنافع الذى ما استطب بكلماته سقيم ذهن فلما تحركت شفتاه
 شفتاه ؛ كم جلس للأشغال فتى أنفَس المارة عن أشغالها ! ، ونصر العلم فى حلقته
 المجنّدة فكان من أمرائها المنصور ولم يكن للأنداد من رجالها ! ؛ كم سلّم لبيان بجته
 الحقيقى والمجازى ! ، وكم سَطَّرت لمناظرته الحمديّة مع أهل الزبيج سير ومغازى ! ،
 وكم خلاص دينار فهمه المصيرى على النقد فهيات أن يروز مثله «الرازى» ! ؛ كم نفرت
 مضراً بانتسابه ! ، ودمشق بسقيا سخابه ! ، وكم قال الرازى : لیت لی هذا الفخر
 فأروى فى الأول بقى خطيبه وفى الآخر بقى خطابه .

فليستمر - نفع الله به - على وظيفته المأثوره ، وحلقته التى نصبت على مصابيد
 كلماته المشهوره ، ومائدة علمه المنصوبة وذبول منافعها فى الآفاق مجروره ؛
 وليواظب على جلوسه بالجامع المنشرح المشروح ، ودرسه المتضمن فتح أبواب العلوم
 وغيره كما يقال : على المفتوح ؛ سالكا من نهج الإفادة مسالكه ، مكثرأ بأجنحة فتاويه
 الطيارة ما يبسط لديه من أجنحة الملائكه ؛ متصرفأ على عادة عبادته فى مواطن العلم
 والعمل ، مستندأ فى جلسته إلى سارية يقول لها وقاره وحلمه : يا سارية الجبل
 الجبل ، داعياً لهذه الدولة الشريفة : فإن دعاء العالم مثله طائر لآفاق القبول من
 أوكار القبل ؛ والله تعالى يمدّه بعونه ولطفه ، ويحوط مجالس علمه بالملائكة المقرئين
 من بين يديه ومن خلفه ؛ بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة القضاة ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به
 لفخر الدين «أحمد بن الفصيح» الحنفى المقرئ بـ«المجلس السامى» وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يقدّم من العلماء أنخرهم ذكراً، وأخدمهم أمراً،
وأفصحهم نسب فضائل وفضائل نسب يقول الاستحقاق : كِلَاهُمَا وَتَمْرًا - أَنْ
يرتّب فلانٌ ... : لما شهِر من علومه السنيّة ، وفوائده السريّة ، ووجوه فضائله
الحسنة ، وعيون كلماته المتيقّظة إذا كانت بعض العيون مستوسّنه ؛ ولأنّه غريب
في الوصف والمكان ، وصاحب علم لا يكاد يوجد له شقيق وإن كان منسوباً إلى
« النعمان » ؛ وإمام قراءات ثبتت له فيها على « أبي علي » الحجّه ، وتوصّحت ببيانها
الحجّه ؛ وتعيّن محله الأثير ، وروى الطالب من علمه عن « نافع » ومن ذهنه
في الفوائد عن « ابن كثير » ؛ وأنه نخر الحنفية القائم في السّمعة مقام « رازيها » ،
المطلّ بمنسّر قلبه على المعاني إطلالاً بازياها ؛ « الأكل » الذي له من علوم صدره
خزانه ، « الصدر » الذي كل صدر يشهد له بعلوّ مكانه .

فلباشر تدرّس هذه المدرسة المباركة : حقيقةً يجلس صدرها ، خليقاً بتجديد
شرفها وذكورها ؛ مظهرًا للبايات النكت في زواياها ، جديرًا بأن يكون في خفايا
المسائل ابن جلاها وطلاع ثناياها ؛ يملأ بيان بحوثه فكر الواعي وسمعه ، ويُسِيرُ
بندان قلم فتياه ما يتجدّد له من رفعة ، وينسّط إدلال الطلبة حتى يأكلوا في القصّاعية
معه في القصّعة ؛ والله تعالى يسره من مدارس الحنفية بهذه البدايه ، ويقرّه بما
يتجدّد من وظائفها التالية : (وما نريهم من آية) بمته وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدرّس المدرسة الطرخانية ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به
للقاضى جمال الدين « يوسف الحنفى » بزوي من والده ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لازالت مواطن العلم مكملةً يذكره ، مبعلةً بأمره ،
 مؤهلةً لكل يوسفى الجمال يذكر عزيز شامه عزيز مضره - أن يستقر فلان في كذا ،
 بحكم ما قرره مجلس الحكم العزيز الشافعى ، ونعم المالك لمذهب شافع ، وأتباعاً لما
 حرره الجناب الشريف القوي ذو النسب الصحابي الذي كل أمره لأمره تابع ،
 وعملاً بما رآه رأيه الكريم الذي إذا كان الجمال شافعاً كان هو للجمال شافع ، وإذا
 أنشأ من أبناء العلماء فروعاً [لا] تمل عليهم الأيام ميله ، وإذا وقفت في طريقهم
 الأنداد قال اقتصار نسبه الأنصارى : يابى الله ذاك وبنو قيلة ؛ وقبولاً لتزول^(٢)
 هذا الولد الذي أعرقت في آفاق العلم مطالعه ، وإقبالاً على هذا الولد الذي نجحت
 في استحقاق التقديم مطامعه ؛ وعملاً بنجابه هذا الفاضل الذي طاب أصلاً وفرعاً ،
 وقدم نفسه والديه وترأ وشفعاً ؛ وهذا البادي الشيبية الذي يأمر بفضائله على
 الشيب وينهى ، وهذا الواضح الدلالة على مفانر قومه : حبدا الدعوى وبيتها
 منها ؛ وهذا النجيب الذي قدمه أبوه منجبا ، وذكاؤه معجبا ؛ وقلمه في الأوراق
 معشبا ، وأشتغاله : إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت من محفوظات كُتبي
 ما يقارب أحد عشر كوكبا ؛ وإذا درس كان لطلبته ملاذا ، وإذا عانده معانداً قال
 برفيع همته : يوسف أعرض عن هذا ؛ وإذا قرأ كتب فصاحت أذهل ذوى
 الألباب ، وإذا فتح لتفسير كتاب الله فأنحة ، عوذ بفضل : ((ألم ذلك الكتاب))
 وإذا روى الأحاديث أطربت حقيقته السماع ، وإذا أخذ في دقائق النقل والعقل
 علم وعقل أن الفكرة صناع .

(١) في القاموس «أهله لذلك رآه له أهلا» .

(٢) هي قيلة بنت كاهل أم الأوس والخزرج .

فلبيا شر هذه المدرسة المباركة ببيان عربي وإن كان نَسَبُهَا طَرْخَانِيًّا، وَعِلْمُ رَوْضِيٍّ
لَا يَعْرِفُ الْعُلَمَاءُ شَقِيْقَهُ وَإِنْ كَانَ مَذْهَبُهُ نَعْمَانِيًّا ؛ وَمَبَاحِثُ تَذَكِّي نَارِ قَرِيْحَتِهِ : فَكَمْ
طَبِخَ لِأَنْدَادِهِ مِنْ أَصْحَابِ «الْقُدُوْرِيِّ» قِدْرًا ، وَلُزُومِ دَرَسِ يَسْرُ أَبَاهُ بِمَذْهَبِهِ : فَإِنَّهُ
الْقَاضِي «أَبُو يُوْسُفَ» خَبْرًا فِي الْحَقِيْقَةِ وَخُبْرًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُصَوْنُ شَيْبَتَهُ الْمَقْبَلَةَ مِنْ
طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ ، وَيَنْفَعُ بَعْلُومَ بَيْتِهِ الَّتِي مِنْ شَكِّ مِنْهَا فِي الْحَقِّ فَكَأَنَّهُ مِنَ الْحَدَثَانِ .



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأمويّ، من إنشاء ابن نباتة، كُتِبَ بِهِ
لـ«شمس الدين بن الخطيب» وهي :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ نِعْمُهُ ظَاهِرَةً الْفَضْلَ كَالشَّمْسِ ، طَاهِرَةً
الْوَضُوحِ مِنْ دَنَسِ اللَّبَسِ ، وَأَفْرَةَ النُّوِّ فَيَوْمَهَا قَاصِرٌ عَنِ الْغَدِ زَائِدٌ عَلَى الْأَمْسِ - أَنْ
يَرْتَبَ فَلَانٌ فِي كَذَا وَيَرْتَبَ لَهُ كَذَا عَلَى الْمَصَالِحِ ، فَكَمْ لِلْسَّلَامِيْنَ فِي جَامِعِ عِلْمِهِ مَصَالِحٌ ،
وَفِي مَنَافِعِ قَصْدِهِ مَنَاحِحٌ ؛ وَفِي فَوَائِدِهِ نَصِيْبٌ ، وَفِي طُرُقِ هُدَاةِ مَعَالِمِ : وَلَا تُشْكِرُ
«الْمَعَالِمَ» لِابْنِ الْخَطِيْبِ ؛ لِيَتَنَاوَلَ هَذَا الرَّأْيَ الْمُسْتَقَرَّ مِنْ أَحَلِّ الْجِهَاتِ وَأَجَلِّهَا ،
وَتَكُونَ شَمْسُهُ الْمُبَارَكَةُ خَيْرَ شَمْسٍ تَجْرِي لِمُسْتَقَرِّهَا ؛ عَوْضًا عَمَّا نَزَلَ عَنْهُ مِنْ تَدْرِيسِ
الْحَلَقَةِ الْمَعْدُوقَةِ بِصَاحِبِ حِمِّصٍ وَتَصْدِيرًا بِالْجَامِعِ الْأَمْوِيِّ يَسِيْطُ بِهِ أَنْوَارُهُ
الشَّمْسِيَّةِ ، وَيَنْقَلُ أَسْمُهُ إِلَى إِمْرَةِ الْعِلْمِ بِدِمَشْقَ عَوْضًا عَنِ الْحَلَقَةِ الْحِمِصِيَّةِ ؛
فَلْيَعْتَمِدْ مَا رُسِمَ بِهِ ، وَلَا يَتَحَوَّلْ عَمَّا قَضَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ بِمُوجِبِهِ .

الضرب الثاني

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بالشام -
ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق ، وهو على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يُفتح بـ «أما بعد حمد الله» وفيها وظائف)

توقيع بتدريس المدرسة النورية بدمشق ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
كتب به للقاضي زين الدين «عمر البلقاني» بـ «المجلس العالي» وهو :

أما بعد حمد الله الذي جعل لأوجوه العلم زينا وأى زين ، وأقر لأما كتبها عينا
بمن يكون التنبيه على فضل مكانته فرض عين ، ونشر أحاديثها بمن إذا حدث عن يد
تمكّنه في العقل والنقل قيل : صادق «ذو الدين» ، وأحيا مذاهبها بمن إذا عقدت
الخصاصر على أمثاله العلماء كان أول العمد وثاني الغيث وثالث «العمرين» ؛
والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أوضح تبيين الهدى وسنه ،
وأرهب شبا الحق وسنه ، وعلى آله وصحبه الذين منهم «علي» مفتاح مدينة العلم
و«عمر» سراج أهل الجنة ، ما جرت أقلام العلم والجود في هذه الأيام الصالحة
طلقة العنان مطلقه الأعنة - فإن أولى العلماء بمدارس علم لا خلت ، وبجالس
فهم عزت بأهلها فلا تعزلت ، ومشاهد عقل وتبلي لأعمقت ألسنتها بعد مستحقها
ولا أنتقلت - من أضاءت مشكاتها النورية بمصابيح كلمه ، وفتحت كماؤها النورية
عن زهرات الهدى بقطرات قلبه ، وتذكرت بأوقاته الأخيرة عهود أهلها من هداة
الاسلام وأوقات ذى سلمه .

ولمَّا كان فلانٌ هو المقصودُ بـمُخْلِصَةِ هذا المعنى، والمُدودُ إليه نَظَرُ هذا الوَصِفِ
 الأُسْنَى؛ والعَالِمُ الذي تشبَّه بأسبابِ مُحَاسِنِهِ بِلَدِّ «الهِرَمِيِّينَ»، والسابقُ وإن خَلَا
 وَقْتَهُ الطَاهِرُ خَلْفَ وَقْتِ «إِمَامِ الْحَرَمِيِّينَ»؛ كَمَ أَجْتَنِي ثَمَرَ الْفَوَائِدِ مِنْ أُصْلٍ وَقَرَعُ!،
 وَكَمَ بَاتِ قَلَمُهُ مِنْ وَرَقِ قَتَاوِيهِ وَإِسكَاتِ مُنَاوِيهِ بَيْنَ وَصَلٍ وَقَطْعٍ!؛ كَمَ صَدَقَ بَرَقُ
 بَدِيئَتِهِ الْإِفْكَارِ حِينَ شَامَتْ!، وَكَمَ نَبَّهَتْ عِنْدَ لِيَالِي الْمُسْكِلاتِ (١) «عَمْرٌ» ثُمَّ نَامَتْ!؛
 وَكَمَ تَهَادَتْ نَظَرَهُ كُتِبَ الْعِلْمُ حَتَّى قَالَ «كِتَابُ الْأُمِّ»: نِعْمَ الْوَلَدُ النَّجِيبُ، وَقَالَ
 «كِتَابُ الرُّوضَةِ»: نِعْمَ أَحْوُ الْغَائِثِ الصَّابِ عَلَى رِيَاضِ الْقَوْلِ الْمُصِيبِ؛ وَقَالَ
 «الشَّامِلُ» مِنْ فَضْلِهِ: هَذَا لَطَبْتَهُ «نَهَايَةَ الْمَطْلَبِ»، وَقَالَ «التَّنْبِيهِ» عَلَى مُحَاسِنِهِ:
 لَيْتَ «النَّابِغَةَ» رَأَى فَدَرَى أَى الرِّجَالِ «المُهَدَّبِ» وَكَانَتْ الْمَدْرَسَةُ الشَّهِيدِيَّةَ النُّورِيَّةَ
 بِمَحْضِ الْحُرُوسَةِ قَدْ شَهِدَتْ مَعَ مَنْ شَهِدَ بِفَضْلِهِ، وَسَعِدَتْ بِبُئْلِهِ، وَوُئِمَّتْ بِعِلْمِ
 عِلْمِهِ، وَسَمَّتْ سُمُوَّ الشُّبُهَاءِ: هَذِهِ بِمَقَرِّ تَدْرِيسِهِ وَهَذِهِ بِمَجْلِسِ حِكْمِهِ؛ ثُمَّ زَارَ دِمَشْقَ
 زُورَةً تَشَوَّقَتْ [إِلَيْهِ] بَعْدَهَا تِلْكَ الْمَشَاهِدَ، وَتَشَوَّقَتْ إِلَى الْعَوْدِ هَاتِيكَ الْمَعَاهِدَ؛ وَقَضَى
 الْوَفَاءُ أَنْ يُعَادَ إِلَيْهَا أَحْسَنَ إِعَادَةٍ، وَأَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْأَمَاكِنِ الشَّهِيدِيَّةِ الشَّاهِدَةِ بِرَّهِ
 فَتَكُونَ مِنْهُ عَادَةً وَمِنْهَا شَهَادَةً، وَأَقْتَضَى الْأَسْتِحْقَاقُ أَنْ يَرِدَهَا بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ وَزِيَادَةَ
 وَأَحْسَنُ مَا وُردَ الْبَحْرُ فِي الزِّيَادَةِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - أَعْلَاهُ اللَّهُ وَشَرَّفَهُ، وَحَلَّى بِسِيَرِهِ الصَّالِحَةِ سَمِعَ
 الدَّهْرَ وَشَمَّغَهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فُلَانٌ فِي تَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ النُّورِيَّةِ بِمَحْضِ الْحُرُوسَةِ عَلَى

(١) يَشيرُ إلى بَيتِ بشارِ فِ مَدْحِ عَمْرِ بْنِ الْعَلَاءِ أَحَدِ عَمَلِ الْمُهَدِّيِّ .

إِذَا أَبْقَطْنَاكَ حُرُوبِ الْعَدَا * فَنَبِيهِ لَهَا عَمْرًا ثُمَّ نَمَ

وَبَعْدَهُ

فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى غُورَةٍ * وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمِ

عادته ، وعلى نهج إفاءته وإفادته ؛ بالمعلوم المقرّر له يجلس الحكم العزيز الشافعيّ
بدمشق المحروسة : رعايةً لتلك المعاهد النورية التي نتأرجح بها الآصال والبكر ، وأنوار
القبول القائلة لوّفدها الطارق : «عليك سلام الله يا عمر» .

فليعدّ إلى هذه الوظيفة عودَ الحليّ إلى العاطل ، وليقبل على رتبته المرتبة إقبال
الغيث على الماحل ، وليقل بلسان تقدّمه لمعانيه : إن كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى
خمس في قابل ؛ ولينصّر بقاعها الحصىة بجلاذ جداله فإنها من أول جند الإسلام ،
وليقيم الآن في هذه الأوقات الشامية فإنه بركة الوقت والبركة في الشام ؛ مُثمراً من
أقلام علومه أزكى الغروس ، مُظهِراً من مباحثه النفائس مُبهجاً من طلبته النفوس ،
عامراً لمعاهدها بدروسه : وياعجباً لمعاهد تُعمر بالدروس ؛ ذاكرّاً للوصايا الحسنة
التي لا تُقص عليه فهو أخبر بها ، والتي من أولها وأولها تقوى الله تعالى وهي
بأفعاله أمسك من تفاعيل العروض بسببها ؛ والله تعالى يُعضده في رحلته ومقامه ،
ويمتع الرتب تارة يجالس دروسه وتارة يجالس أحكامه ، ويروي صدّي مصر
والشام من موارد علمه : هذه بأوفى من نيلها وهذا بأوفر من غمامه .

المرتبة الثانية

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بأعمال دمشق -

ما يفتتح بـ«رسم بالأمر» ، وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بحسبة بعلبك : من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كُتب بها

لـ«شهاب الدين بن أبي النور» ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لازلَّتْ شُهْب أوامره عالية السنا والسنا، وِفِيَّةً لِدَوِي
الاستحقاق بمزيد الاعتناء والأغتناء، جليَّة البرِّ بمن شهد بحُسنِ حِسْبته حتى لسانُ
الميزان وفم الكيل وشفة الإناء - أن يستمرَّ فلانٌ ... لما ذكر من أوصافه التي
ضاعفت فيه الرُّغبه، وحالفت به سُمُو الرُّتبه، وشهدت بها حِسْبته تلو الشهود :
وحسبك من أجمعت على فضله شهادة الفرض وشهادة الحِسْبه؛ ولما صحَّ من
كفائه وتجرُّبه، ووضَّح في هذه الوظيفة من تدرِّيسه التي تدرِّى به؛ ولما تعيَّن
من استمرارِ شهابه في المنزلة التي تكسب من أضوائه وتكتسب، وهذه الرتبة التي
تعلو بمعرفته؛ وكفاه أنه يرزق من حيث يحسب ومن حيث لا يحسب؛ وأنه
فيها ذو الرأى الزائد، والتفجع الوارد، والشهاب الذي نور هده في وجه المرید وأثر
كفى حِسْبته في وجه المارد؛ وأنه وليها ولاية لا تزال تُذكر وتُشكر، وعرف بوفائها
وكان أوفى من أمر معروف أو نهى عن منكر؛ وأنه قام حق القيام حتى قال
البلد : رعى الله زمانك، وأجتهد حتى قال الاعتبار للميزان : لا تذكر الزينغ
ولا تحرك به لسانك .

فليستمر في حِسْبته المباركة استمراراً يستحل ذكره، ويستجلى في الأسم شهابه
وفي السمة بدره، وليحسب في نفع المسلمين حِسْبته يحسب بها عند الملكة ثناءه
وعند الملائكة أجره؛ سالكا على نهج العزم الجميل، جاعلاً أول نظره من أقوات
الرعية في الدقيق والجليل؛ مستبيناً لما ألتبس من غش المطاعم والمشارب فلم يستين،
حاكماً - ولا سيمياً في قاعات بعلبك - برأى يفرق بين الماء واللبن؛ حاثاً على بيع
المال كل بخرية من ملا بصره، حريصاً على أن لا ينشد لسان الداخل فيه « ومن لم
يمت بالسيف مات بغيره »؛ دافعاً ضرر المجترى البائع عن المشتري المسكين، ذكياً
فيما يدكي فيسدج بسكين ويذبح متناوله بغير سكين؛ قاضياً بالحق في كل ما يشتري

وبياح، متكئاً في أنواع الملابس وغيرها بالباع والذراع؛ وأزناً بالعدل في كل مؤزون
 ومكيول، رادعاً لكل عمال مدهين في كل مدهون ومعمول، حاملاً على الحال
 المستقيم كل حى لديه وكل من هو على آلة حدباء محمول؛ ومن زاد في الإضرار فليمنع
 زائده، ومن زاد في الأشتطاط وتجبير الشراء فليقطع بالنكال زائده؛ ومن دنس
 في الأثرية فلا يلبث أن يغلظ التأديب وأن يريقه، ومن سقى الضعفاء منها كما يقال:
 سقية فليسقه من السوط ما يكاد ينثر جسمه على الحقيقة؛ ومن عانى صناعة
 ليس له فيها يد فليزمه بما بسط في إفساده اليدين، ومن حكم في صناعة الطب بما لم
 يسغ في المسائل فليصرفه منها بحفى حنين؛ ومن تمرّد في معاملته فليرده بالقهر إلى
 صالح مرده، ومن عدا وقتاً فليعامله بما يخرج من الترح لا من الفرح من جلده؛
 مقدماً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا جرع، مستعيناً بالديوان فيما أهم:
 فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع؛ مجتهداً فيما يزيد تقدّم سعيه المشكور، وصنعه
 المبرور، منيراً لآفاق منصبه وكيف لا وهو الشهاب بن أبي النور؟؛ وتقوى
 الله تعالى هي السبيل الأقوم فليكن لها منهاجا، وليواظب على طريقة الحق: فكّم
 شرعها حاد وكم خير منها جا!



توقيع بنظر السبيل بدرج الحجاز، بالركب الشامى، من إنشاء ابن نبأته، كتب به
 للقاضى «قطب الدين السبكي» وهو:

رسم بالأمر - لا زال يُقر بالوظائف الدينية من يُحبها ويُحبه، ومن يتوارد على
 ذكره بادي الشكر وركبه، ومن إذا بدت مطالع الخير فهو نيره وإذا دار فللك الثناء
 فهو قطبه - أن يستمر ... : لما ذكر من وصفه الجميل، وأستحقاقه الذى دل عليه

البرهانُ في مُحْفَلِهِ وبرهَنَ في مَوْكِهِ الدليل ؛ ودِيَانَتِهِ التي هي لمباني الأوصاف الرِّفِيعَةِ
 أُسَاسٌ ، وكَفَاءَتِهِ التي لها من نَفْسِهِ نَصٌّ ومن نَفْسِ قومه قِياسٌ ؛ ومَرَبَاهُ في بَيْتِ
 تَقِيٍّ صَحَّتْ تَجَارِبُ مَعْدِنِهِ على السَّبْكِ ، و [دلت] مَنَاقِبِهِ على آسْتَحْقَاقِ الرَّتَبِ التي يقول
 بَشِيرُهَا : قِفَا نَبْتِمْ ! ويقول حَاسِدُهَا : قِفَا نَبْكَ ؛ وَلِمَا تَقَدَّمَ من تَسْوُفِهِ لِهَذِهِ
 العَزْمَةِ النَاجِحَةِ ، وَتَسْوُفِهِ من هَذِهِ المَبْرَةِ الشَّرِيفَةِ الصَّالِحِيَّةِ بِسُلُوكِ تِلْكَ الفِجَاجِ
 الصَّالِحِ ؛ ولأنَّ الضَّعْفَ عَاقِبَهُ عن المَاضِي فَأَطْلَقْتَهُ الآنَ هَذِهِ القُوَّةَ ، وجعلتْ له
 بأَوْفَى القَادِرِينَ على الحَسَنَاتِ والإِحْسَانِ أُسْوَهُ ، ومَكَّتَهُ في هَذِهِ الشُّقَّةِ الطَوِيلَةِ
 على سَبَبِ أَذْيَالِ المَعْرُوفِ من مَنزِلِ الكُسُوفِ إلى مَنَازِلِ ذَاتِ الكُسُوفِ .

فليباشِرْ هَذِهِ الوَظِيفَةَ المَبْرُورَةَ بعِزِّمِ بِييرِ من الوَجْدِ مَا كُنْهَ ، وَحَزْمِ بِييرِ من المَدْحِ
 المَشْكُورِ كَامِنِهِ ، ومُتَمِّعَةٍ على أَلْسِنَةِ التَذْكَارِ يَمْضَى وَتَقْبِي حَتَّى تَكَادَ تَكُونُ لِلْكَوَاكِبِ
 السَّبْعَةِ نَائِمِنِهِ ؛ مُتَّصِرًا في الإِرْفَادِ والإِرْفَاقِ ، بَآرَاءِ يُؤَيِّدُ اللهُ [بِهَا] الذِّينَ هُم رِفَاقُ
 وَأَيُّ رِفَاقٍ ؛ مُنْفِقًا في سَبِيلِ اللهِ على يَدِهِ أَعْدَلَ إنْفَاقٍ ، حَامِيًا عَدْلَهُ من لَفْظَةِ نِفَاقٍ ؛
 مُخْصِبًا بِإِنْعَامِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ في القَفْرِ المَاحِلِ ، حَامِلًا لِلنَّقْطِ على أَنهَضِ وَأَبْرِكِ
 الرِوَاحِلِ ؛ مُوَاصِلًا لِنَقْلِ الأَزْوَادِ إِقَامَتِهِ وَمَسِيرِهِ ، وبالماءِ والشَّرَابِ الطَّيِّينِ الطُّهُورِينَ
 ضَعِيفَهُ وَفَقِيرَهُ ، وبأنواعِ الأَدْوِيَةِ والعَقَاقِيرِ التي تُعْمُ مَتَابِعِ الرِّكْبِ [و] عَقِيرَهُ ، وَتَجْبُرُ
 على الحَالِينِ كَسِيرَهُ ، وبِوَفَاءِ جَمِيعِ المَسْتَحِقِّينَ تَالِيًا عن لِسَانِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ :
 ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ دَاعِيًا بِجُلُودِ مُدْكَهَا في تِلْكَ المَشَاهِدِ
 التي هي بَقْبُولِ مَصَاعِدِ الدَّعَوَاتِ وَزُؤُولِ مَوَاعِدِ البَرَكَاتِ جَدِيدِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَقَبَّلُ
 دَعَاءَهُ وَسَعِيَهُ ، وَيُحْسِنُ كِلَاءَتَهُ وَرَعِيَةَ ، بِمَنِّهِ وَكِرْمِهِ ! .

(١) يريد مكينه ولكنه اضطره السجع الى موافقة العامة .

الصنف الثالث

(من التواقيع التي تُكتب لأرباب الوظائف بدمشق - ما يكتب لأرباب
الوظائف الديوانية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن بحاضرة دمشق منهم ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ «الحمد لله» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بكتابة الدست بدمشق ، كتب به لساج الدين « عبد الوهاب »
ابن المنجا التنوخي ، عوضاً عن شمس الدين « محمد بن حميد » بالوفاة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل تاج الأولياء أيما حلّ حلّ المراتب وزانها ، وغدا على التحقيق
كفأها ووزانها ، وألبسها من براعته ويراعته عقوداً تزرُّ دررها وجمانها ، ومنح
دستها العليّ من ألفاظها المجيدة بيانها ، وزادها بأصالته نغاراً يستصحب وقتها
وزمانها ، وأرتقى ذروتها التي طالما زاد بالمعالي أركانها ، فنبوأ بمزيد المجد مكانها .

نحمده على نعمه التي أجزلت إحسانها ، وأجمت أمثانها ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها ، ويدخر القائل إلى يوم المخاف
أمانها ، ويتبؤ بها في الدار الآخرة من يخلص فيها جنانه جنانه ، ونشهد أن سيدنا
محمدًا عبده ورسوله الذي أظهر الله تعالى به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف هذه
الأمّة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبعثه رحمةً إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل

الهداية وبرهانها ، وأطفأ بنور إرشاده شرر الضلالة ونيرانها ، وأحمد بدينه القويم
وصراطه المستقيم معتقدات [طوائف] الشرك وأديانها ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين ما منهم إلا من نزه نفسه النفيسة وصانها ، وسلك في خدمته وصحبته
الطريقة المثلى فأحسن أسرار أموره وإعلانها ، صلاة دائمة باقية تجمد بالأجور
أقربانها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من جددنا رفعة تاجه ، وسددنا قوله في مجلس عدل ينشر فيه
بكلمة الحق ما أنطوى من أدرأجه ، وحددنا له محل سفارة يلحظ فيه حوائج السائل
فيغنيه عن إلحاحه ولجأجه - من هو في السؤدد عريق ، ولسانه في الفضائل
طليق ، وقلمه حلل الطروس بما يفوق زهر الرياض وهو لها شقيق ، وكان فلان
هو الذي علا تاجه مفرك الرأسه ، وجلا وصفه صور المحاسن والنفاسه .

فرسم بالأمر العالى - لا زال يولى جميلا ، ويؤتى المناصب الجليلة جليلا - أن
يستقر المشار إليه في وظيفة توقيع الدست الشريف بالشام المحروس ، عوضاً عن فلان
بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت .

فليباشر ذلك مباشرة تُشكر مدى الزمان ، ويُحمد كل وقت وأوان ، ونيملاً بالأجور
لنا صحفًا بما يُؤديه عنا من خير وإحسان ، والوصايا كثيرة وأهمها التقوى ، فليلازم
عليها في السر والنجوى ، والله تعالى يحرسه ويرعاه ، ويتولاه فيمن تولاه ،
والاعتماد



[وهذه نسخة] توقيع بنظر الخاص ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به للقاضي

«بهاء الدين بن ريان» ، وهي :

الحمد لله معلى رتب الأعيان ، ومبني أجباء السيادة على ممر الأحيان ، ومبدي
 ”بهاء“ المناصب ، بمن فضله الواضح والصبح سيان ، ومُنشى ثمرات المناقب ،
 في منابت أهلها حيث الفرع بأسق والأصل ”ريان“ .

نحمده على أن يسر البيت المعلى بحسنه ، وأيقظ جفن الآمال من وسنه ؛ ونشهد
 أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع لنا من خيري الدنيا والآخرة كرم
 المطلبين ، وشرف المنصين ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المشرق فضله
 على أهل المشرقين والمغربين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصبح النناء عليهم
 وقفا ، وأشتمال الذكر عليهم عطفاً ، صلاة تضيء آفاق القبول بشمعة صبح لا تقط
 ولا تطفى ؛ وسلم .

أما بعد ، فإن للمناصب الدينية نسبة بيوت أهل الديانة ، ونخاص الرتب تعلقاً
 بالخاص من ذوى الكفاءة والأمانة ؛ والمنازل بكواكبها المتألقة ، والحدائق بمغاريسها
 المتألقة ، ونفوس الديار بسكان معاهدها المتشوفة المتشوفة .

ولما كان الخاص الشريف والوقف المنصوري لوجه المناصب الشامية بمنزلة
 حسن الشامتين ، ولزائد الخصب من جهتي الدنيا والآخرة بمحل نفع الغامتين ؛ هذا
 على صنع البر الممدود مقصور ، وهذا لسحاب الخير سفاح لأنهر جهة لـ «المنصور» ؛
 يعلمو هذا بالناظر في دقائقه إلى أعلى الدرج ، ويتلوهذا بلسان ميزانه المنفق على
 المارستان : (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
 حرج) - لا يلبق الجمع بين رتبيهما إلا لمن يجمع بسعفه فضل الدارين ، ومن يجيد
 بنان قلمه الحلبي حلب ضرعيهما الدارين ؛ ومن نشأ في بيت سعادة أذن الله لقدره
 أن يرفع ، وأقلام بيته أن تنفع ، ولحاسن ذويه أن تشفع بحملها إلى قلوب الأولياء
 فتشفع ؛ ومن يسر برواية فضله وبرؤيته السمع والعين ، ومن يفتري شرفه وشرف

إخائه حُبَّ «الحسن» و«الحسين» ؛ ومن تَبَهَّجُ جوانحُ المحارِبِ بَتَعْبُدِهِ ، وتلهجُ
 ألسنةُ مصابيحِ المساجدِ بالثناءِ على تَرَدُّدِهِ وَتَوَدُّدِهِ ، وَتَسْتَبِقُ جِادُ عَزْمِهِ : فَيَدِينَا
 الكَيْمِيَّةُ فِي الشَّهْبَاءِ تَابِعُ أَدْبِهِ إِذَا بَانَ أَذْهَمَ رَسِيلُ تَرْهَدِهِ ؛ وَمَنْ تَقُولُ مَنَاصِبُ
 حَلَبَ : لَلَّهِ دَرُّ بَهَائِهِ الْمُقْتَبِلِ ! ؛ وَمَنْ يَنْشُدُ ثَبَاتُ وَقَارِهِ مَعَ لَطَافَةِ خُلُقِهِ : «يَا حَبْدًا جَبَلُ
 الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلِ» ! ؛ وَمَنْ تَنْفَحُ أَخْبَارُهُ مَنَاحِ الْأَزْهَارِ ، وَمَنْ يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ جَيْشُ
 الْحَرَابِ فِي اللَّيْلِ وَبِمَاشَرَتِهِ جَيْشُ الْحَرْبِ فِي النَّهَارِ ؛ وَمَنْ تَأْسَى بِلَدَةِ فَارِقِهَا فِرَاقَ الْعَيْنِ
 لِلْوَسَنِ ، وَمَنْ يَرَوِي صَامِتِ دِمَشْقٍ وَغَيْرِهَا مِنْ تَدْبِيرِهِ عَنِ «عَامِرٍ» وَعَنِ «حَسَنِ» .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال من ألقابه الشريفة صالح المؤمنين ، وعماد
 الداعين لدولته القاهرة والمؤمنين - أن يفوض للجناب العالی ... فإنه المعنى بهذه
 الأوصاف المتقدمة ، والمقصود بإفاضة حلالها المعلمة ؛ والموصوف الذي يجلو وصفه
 إذا كرر ، ويستعيد الأوصاف والأسماع إذا حرر ، والأحق برتبة عز في النظر
 مضى وأبقى ثناءه ، ومكان نظري إن لم يقل الدعاء اليوم : أدام الله عزه ! قال :
 أدام الله بهاءه ؛ والألأيق بتقرير منصب تقصردونه المطامع ، وتصديردويان إن
 انقطعت روايته عن «حمزة» فقد اتصلت روايته عن «نافع» .

فليباشرهذين المنصين المنجيين ، مجتهداً في مصالح الخاص الشريف ، والوقف
 الذي لا تحتاج همته فيه إلى توقيف ؛ حتى يكون خير الخاص عاماً ، وأمر الوقف
 تاماً ؛ ورعيهما بالبركات خير محفوف ، والمنصوري من جهة المعاوضة قد أضحى وهو
 بالعضدين موصوف .

والوصايا متعددة وهو أدرى وأدرب بها ، وتقوى الله تعالى أولى وصية تمسك
 المرء بسببها ، وشكر النعمة أدل على نبيه هميم الرجال وعلى فضل مهادبها ؛ والله تعالى
 يسدد قلمه ، ويثبت في مطالع العز قدمه ؛ بمنته وكرمه ! .



توقيع بنظر الخزانة العالمة، من إنشاء ابن نباتة، كتب به للقاضي «تقى الدين
ابن أبي الطيب» بـ«الجناب العالی» وهو :

الحمد لله الذي له خزائن السموات والأرض، وبِحكِّمته يهبُ منها ما يشاء لمن يشاء
رضى المعاند أم لم يرض، وميمته فضلت مراتب أهل التقى على الرتب كما فضل على
النافلة الفرض، وبعنايته بنيت بيوت أهل السيادة على الطول وبقى صالح عملهم
إلى العرض، وبهداياته سما إلى أعلى الخزائن من تفرُّضها أوصاف قلبه وقلم أبيه
أحسن القرص .

نحمده على ما منح من خزائن فضله، ونشكره والشكر ضامن المزيد لأهله؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يدَّعِها الإنسان لبيته وقوله وفعله،
ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جمع بقبَّيه وقرَّق ببدله، وأعطى ما لم تنطو
ضمائر الأيكاس في صدور الخزائن على مثله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
السالكين سنن فضيلته وفضله، التابعين في الكرم والبأس قياس بيانه ونص نصله،
ما أطلعت خزانة الوسمي آثار تقط الغيث كالدراهم، وخلعت على الدنيا خلع الروض
مُتقلِّسة بمُستدير الظلال من رورة بمعقود الكمام؛ وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد، فإن الرتب ذخائر قوم في خزائن الاختيار، وأخاير أهل تركو تقود شيمهم
على محك الاعتناء والاعتبار، وفروع خلف تظهر مظاهر نُصوِّها الزكية سابعة الظل
رائقة الزهر فائقة الثمار؛ إذا احتيج منهم إلى ذخيرة نفعت، وإلى أخير وقت أربى
على عزائم الأول وما صنعت، وإلى فروع شجرة سرت محامدها الضائعة: لا ممَّا
ضاعت بل ممَّا تَصَوَّعت .

ولما كانت رتبة نظارة الخزانة العالمية بدمشق المحروسة أحق بمن هذا وصفه ،
وهذا نعته في مقدمة الذكر الجميل وهذا إليه عطفه ؛ إذ هي مرتبة العلياء ومكانها ،
وزهرة سماء الملكة وميزانها ؛ ومنشأ غيوث صلاتها الهامره ، ومنبت رياض
خلعها الزاهره ؛ وأفق السعادة ومطلع نجمها المنير ، وحنة أولياء الدولة ولباسهم فيها
حرير ؛ ومعنى شرف الأكتساء والأكتساب ، ومأوى الفاضل - والحمد لله - الذي
يحفظها التحصيل بحساب ويعطيها الجود بغير حساب .

(١) وكان الجنب (١)
... .. من تضم أعطافه أنوار السعادة ، وتحف أطرافه و
السيادة ، وتنتقل جلسته : إما من تنفيذ الديوان لمرتبة وإما من تدريس العلم
لسجاده ؛ ذو الفضل والفضائل حسن التجنيس والتطبيق ، والكتابة : من حساب
وإنشاء زاكية السنر على التعليق ؛ ونفحات البر من نفحات العيش أجود ، والشبيبة
فيها النهى فكانه كما قال البحرى : نسب أسود ؛ والهيم التي حاولت منال الشهب
المنتعة ولات حين مناص ، والكلمة التي لو عاين « البصرى » فرائد نحرها لقال :
كل هذه درة الغواص ، والعزائم التي رامت المناصب فما قبلت من خزانتها سوى
الرفيع وما رصيت من ديوانها سوى الخاص ؛ كم نهبت منه المقاصد (٢) « عمر »
ثم نامت ! ، وكم أجلسته كواكب اليمن في صدر محفل ثم قامت ! ؛ كم حوى من
الحمد سنيا ! ، وملا الرباع خيرا وفيا ! ، وقبض الله للفقراء والأيتام حنانا من لدنه
وزكاة وكان تقيا .

(١) بياض بالأصل في الموضوعين .

(٢) أخذه من بيت بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم

يريد عمر بن العلاء أحد عمال المهدي وكان على طبرستان .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا بِرَحِّ صَالِحِ الدهرِ كالزهر ، مالك نفوس
الأولياء والأعداء : هاتيك بالإنعام وهاتيك بالقهر - أن يفوض إليه نظر الخزانة
العالية مضافاً إلى ما بيده من نظر الخاص الشريف : لأن مثله لا يُصرف عن وظيفة
بسنائه تُعترف ، ومن نداءه تُعترف ، وأنَّ اجتماع العدل والمعرفة قاض بأنَّ «عمر»
لا يُصرف ؛ وأنَّ الخاص الخاص الأولياء أمس مكانه ، وأنَّ الخزانة أنسب بمن
عُرف بالصيانة ؛ وأنَّ خزائن الأرض وهي مضر لو نطق نظيرها لقال : ليس لي مثل
هذه الخزانة ؛ وأنَّ عين الأعيان أولى بالنظر ، وأنَّ الأنظار لا بل الصحابة أحقُّ
بـ«عمر» ؛ لما علم من سيرته التقية ، وسريته التقية ، وصفاته التي يمتد فيها نفس
القول حتى ينقطع وفي الأوصاف بعد بقیة وبقية .

فليأثر ما فوض إليه من أعلى المراتب المنجبات ، والوظائف المعجبات المعشبات ،
والجهات التي مالها كبيت الطيب : والطيبون للطيبات ؛ مستجداً من نظر هذه
الخزانة ثوب سَعده الحديد ، مُعملاً في مصارف الذهب والفضة بصرايره الحديد ؛
منبها لها عزمه العمري ونعم من ينبهه ، مُشبهاً في الكفاءة أباه المرحوم وما ظلم من
أشبهه ؛ مقرراً من أحوالها أحسن مقرر ، مُحَرراً من أمورها أولى ما أعتد والخزانة
أولى بالمحرر ؛ حافظاً لما لها بقلم التحصيل حتى ينفذ قلم الإطلاق ، صائناً لوفرها حتى
يُنْفِقه الكرم خشية الإمساك بعد ما أمسكه الصون خشية الإنفاق ؛ مُستدعياً من
أصنافها كل ما تنوع وتصف ، وتوسع وتقف ، مُثبتاً كل ما خلع من ديوانها العزيز
وتخلف ؛ مؤلفاً للكسوى^(١) في زحلة كل صيف وشتو ، مواصلاً للأحمال من دمشق
على كل حال من جهة الكسوة ؛ مُنبها لإنعامها بقلم الإطلاق التام ، متلقفاً بعصا قلمه
في يده البيضاء ما تأفك عصا الأقلام ، حريصاً على أن يكون بأبها في الكرم كما يقال :

(١) لم يرد هذا الجمع في أيدينا من كتب اللغة . والظاهر أنه جرى العامة في استعماله .

«سهل الحجاب مؤدب الخدام» ؛ عاملاً بتقوى الله تعالى التي بها يبدأ الذكر الجميل ويختم، ويلبس بها في الدنيا والآخرة رداءً للخير المعلم ، غنياً عن تبين بقايا الوصايا التي هو فيها بحر، وابن بحر بكتاب «البيان والتبيين» ، أعلم ؛ والله تعالى يمدّه بفضله ، ويحفظ عليه الفضل الذي هو من أهله ؛ ويملاً آماله بتمام الخير الصيب . ويديم سعادة بيته الذي لا يرفع الشكر لطيبه إلا الكلم الطيب .

المرتبة الثانية

(من توابع أرباب الوظائف الديوانية بحاضرة دمشق - ما يفتح «أما بعد حمد الله»)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

[نسخة] توقيع بنظر الأسرى ونظر الأسوار، كتب بها لدوادار الأمير «سودون

الطرناي» كافي الشام، وإن كانت هي في الأصل ديوانية أو دينية، وهي :

أما بعد حمد الله الذي خص أوليائه بفضله الوافر، وعمهم بحسن نظره فأشرق صبح صباحهم السافر، وانتضى من عزائمهم لنصرة الدين سيقاً يسر المؤمن ويفيظ الكافر، وأجبتني من الكفاة من يشيد معاقل الإسلام بفضله المتظافر؛ والصلاة والسلام الأمين الأتكين على سيدنا محمد الذي أضاء برسالته الوجود، وخصه الله تعالى بالصفات الفاتحة والمآثر الحسنة والحدود؛ وعلى آله وصحبه الذين حرسوا الملة الحنيفة من جهادهم بأمنع سور، وأوهنوا جانب الكفر وأنقذوا الأسير وجبروا المكسور؛ صلاة دائمة مدى الأيام والشهور، معلية للأولياء علم النصر المنشور - فإن أولى من عدقنا به المناصب السنية، وفوضنا إليه جليل الوظائف الدينية؛

وَنُطْنَا بِهِ فَكَ رَقَبَةِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَسْرِهِ ، وَخَلَّاصَهُ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي لَا يَرِيئِي لِمُسْكَنَتِهِ
وَلَا يَرِيئِي لِكَسْرِهِ ؛ وَأَجْرَيْنَا قَلَمَهُ بِبَدَلِ الْفِدَاءِ ، وَجَعَلْنَا مِدَادَهُ دِرْيَاقًا لِمَرِيضِ الْأَسْرِ
الَّذِي يَعْدِلُ أَلْفَ دَاءٍ ، وَأَقْنَاهُ لِلْعَانِي مِنْ شَرِّ الشَّرِّكَ مُنْقِذًا ، وَلِلدَّافِعِ فِي بَيْدَاءِ الْعِدَا
بُحْسَنَ إِعَانَتِهِ مُنْجِدًا ، وَلِلْأَسْوَارِ الْمُنْعَةِ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ مُتَّقِدًا - مِنْ أَصْحَى فَضْلُهُ
ظَاهِرًا ، وَجَلَالُهُ بَاهِرًا ، وَخِلَالُهُ مَوْصُوفَةٌ بِالْمَحَاسِنِ أَوَّلًا وَآخِرًا .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي بَهَّرَتْ مَا تُرَاهُ الْأَبْصَارَ وَمَلَأَتْ الْأَسْمَاعَ ، وَأَنْعَقَدَتْ عَلَى
تَفَرُّدِهِ فِي عَصْرِهِ بِالْمَفَاحِرِ كَلِمَةُ الْإِبْجَاعِ ، وَسَارَتْ الرُّجْبَانَ بِذِكْرِهِ الَّذِي طَابَ وَجُودِهِ
الَّذِي شَاعَ ؛ وَصَفَتْ سِرِّيَّتُهُ ، فَأَصْحَى جَمِيلَ الْإِعْلَانِ ، وَحَدَّثَتْ سِفَارَتُهُ ، فَكَانَتْ
عَاقِبَةُ كُلِّ صَعْبٍ بِبِرْكَتِهَا أَنْ لَانَ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لِأَزَالِ يُؤَلِّي جَمِيلًا ، وَيُؤَلِّي فِي الْوُضَائِفِ جَلِيلًا -
أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي وَظِيفَتِي نَظَرِ الْأَسْرَى وَالْأَسْوَارِ بِدِمَشْقَ الْحُرُوسَةِ ، عَلَى
أَجْمَلِ عَادَةٍ ، وَأَكْلِ قَاعِدَةٍ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ
وَقْتٍ : وَضَعًا لِلشَّيْءِ فِي مَحَلِّهِ ، وَتَقْوِيضًا لِجَمِيلِ النَّظَرِ إِلَى أَهْلِهِ .

فَلْيَبْشُرْ ذَلِكَ مَبَاشِرَةً تُسَرُّ النُّفُوسَ ، وَتَزِيدُ بِهَا الْغِلَالَ وَتَزُكُّ بِهَا الْغُرُوسَ ؛ وَلْيُجِرْ
أَحْوَالَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ عَلَى مَقْتَضَى شَرْطِ الْوَاقِفِ وَالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَلْيَتَصَرَّفْ
فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ أَحْسَنَ تَصْرِيفٍ ؛ وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى تَخْلِيصِ الْمَأْسُورِ ، وَإِعَاثَةِ
مَنْ ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ بَسُورٌ ؛ وَيُسَارِعْ إِلَى تَشْيِيدِ الْأَسْوَارِ الْمُنْعَةِ ، وَإِتْقَانِ تَحْصِينِهَا :
لِيَتَضَاعَفَ لِمَنْ حَوَّنَهُ مَنَّا الْأَمْنُ وَالِدَّعَةُ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى
وَسُلُوكُ صِرَاطِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ : فَلْيُؤَاظِبْ عَلَيْهَا ، وَلْيُصَرِّفْ وَجَهَ عِنَايَتِهِ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُدِيمُ عُلَاهُ ، وَيَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

تَوْقِيعٌ بِصَحَابَةِ دِيْوَانِ الْأَسْرَى ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي شَرْفِ
الدِّينِ «سَلْمِ بْنِ الْقَلَاقِسِيِّ» ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَدَّدَ بَطَالِعَ الشَّرْفِ قَوَاعِدَ بَيْتِ السِّيَادَةِ ، وَمَشَاهِدَ حَوَكِ
السَّعَادَةِ ، وَمَصَاعِدَ ذُرَا الْأَقْلَامِ الَّتِي قَسَمَتْ مَجَانِي قَصَبِهَا لِلْإِفَاءَةِ وَالْإِفَادَةِ ، وَمَعَاهِدَ
الْقَوْمِ الَّذِينَ سَلَكَوا مَسَالِكَ سَلَفِهِمُ الْحُسْنَى : وَلَوْ كَانَ التَّمَامُ يَقْبَلُ هُنَا مَزِيدًا قِيلَ :
وَزِيَادَةً . وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَدَّ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ أَزْرَ الْحَقِّ وَشَادَهُ ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْأَقْدَارِ الْمُسْتَرَادَةِ الْمُسْتَجَادَةِ ، مَا أَتَّصَلَ بِحَدِيثِ الْفَضْلِ سَنَدُهُ
وَأَمِنْ بَيْتِ التَّقْوَى سِنَادَهُ - فَإِنَّ الْبُيُوتَ الْمُتَنَتِّمَةَ نَخَارُهَا ، الْمَأْمُونَةَ مِنْ عَرَوِضِ الْأَيَّامِ
زِحَافُهَا وَأَنْكِسَارُهَا ؛ أَوْلَىٰ بِأَنْ تُنْتَخَبَ لَهُمُ الْمُنَاصِبُ كَمَا تُنْتَخَبُ لِلْبُيُوتِ الْمَعَانِي ،
وَتُسْتَقْرَى الْوُظَائِفُ الْعَلِيَّةُ كَمَا تُسْتَقْرَى الْمَوَاضِعُ كَلِمَهَا الْمَبَانِي ؛ وَتُنْتَخَرُ لِنَجْلِ الْأَصْحَابِ (؟)
بَيْنَهُمْ كُلِّ جِهَةٍ مَأْمُونَةُ الصَّحَابَةِ ، مَوْقُورَةُ السَّحَابَةِ ، مَجْرُورَةُ ذَيْلِ الْخَيْرَاتِ السَّحَابَةِ ؛
مَصُونَةٌ عَنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ كَمَا يُصَانُ لِلْجِهَاتِ مُحِبِّبًا ، لِاتِّقَةِ بِالْأَفْضَلِ لِأَنَّ الْأَوْقَافَ
الْأَسْرَى بِالْفَاضِلِ نَسَبًا .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَرْتَبَ فِي كَذَا : عَلَمًا بِأَنَّهُ الرَّئِيسُ الَّذِي إِذَا وَلِيَ
وُظِيفَةً كَفَّاهَا ، وَإِذَا وَعَدَهَا بِصِلَاحِ التَّدْبِيرِ وَقَاهَا وَقَاهَا ، وَإِذَا وَصَلَ نَسَبَهَا بِنَسَبِهِ
كَانَ مِنْ إِخْوَانِ صَفَائِهَا لَا مِنْ إِخْوَانِ صَفَاهَا ؛ وَالْخَيْرُ الَّذِي آسْتَوْضَحَ بَيْنَ الرَّأْيِ
مَدَاهِبِهِ وَمَسَالِكِهِ ، وَالْعَالِمُ الَّذِي إِذَا مَشَى الْأُمُورَ بَسَطَ جَنَاحَ الرَّفْقِ وَإِذَا مَشَى بِسَطَتْ
لَهُ أَجْحَحَتِهَا الْمَلَائِكَةُ ؛ وَالْجَلِيلُ الَّذِي إِذَا نَظَرَ ذَهْنَهُ فِي الْمَشْكَلاتِ دَقَّقَ ، وَالْكَاتِبُ
الَّذِي تَعَيَّنَتْ أَقْلَامُ عَلَيْهِ وَكَفَّاهَتْهُ إِلَّا أَنْ كَلَّمَهَا فِي الْفَضْلِ مُحَقِّقٌ ؛ هَذَا وَخَطُّ عِنَارِهِ
مَا كَتَبَ فِي الْخُلْدِ حَوَاشِيهِ ، وَلَيْلُ صِبَاهُ مَا أَكْتَمَلُ ! فَكَيْفَ إِذَا أَطْلَمْتُ كَوَاكِبَ

المَشِيْبِ دِيَاجِيهِ ، وَكَيْفَ لَا؟ وَأَبُوهُ - أَعْلَى اللَّهِ تَعَالَى جَدَّهُ - صَاحِبُ الْمَجْدِ الْأَمِيلِ ، وَالْفَضْلِ الْأَصِيلِ ، وَوَكِيلُ السُّلْطَنَةِ الَّذِي إِذَا تَأَمَّلْتَ مَحَاسِنَهُ قَالَتْ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الْوَضِيفَةِ بِرَأْيِ مُسَهِّلٍ - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - عَسِيرَهَا ، وَبِقُكِّ - بَعُونَ اللَّهِ - أَسِيرَهَا ؛ وَاجْتِهَادِ سَنِيٍّ يُحْسِنُ قَلَمَهُ فِي الْأُمُورِ مَسْرُومٍ ، وَاعْتِمَادِ سِرِّيٍّ لَا يَرَى دِيْوَانُ أَسْرَى مِنْهُ أَسْرَى ؛ مُشَبِّهًا أَبَاهُ فِي عَدْلِهِ وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَسَا ظَلَمَ ، وَتَوَقُّدِ رَأْيِهِ لَدَى طَوْدِ حِلْمٍ وَعِلْمٍ «فِيَالِكَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ!» ؛ حَتَّى يَأْمَنَ دِيْوَانُ مَبَاشَرَتِهِ مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ ، وَيُسْعِلُ ذِكَاةَهُ حَتَّى يَقَالَ : عَجَبًا لِلشُّعْلِ نَارًا وَهُوَ سَالِمٌ ؛ وَيُثْمِرُ مَالَ الْجَهَةِ بِتَدْيِيرِهِ ، وَيَشْتَرِكُ لَفْظَ إِطْلَاقِ الدِّيْوَانِ فِي مَالِهِ وَأَسِيرِهِ ، وَتَنْتَقِلُ الْأَسْرَى مِنْ رُكُوبِ الْأَدَاهِمِ إِلَى رُكُوبِ الشُّهْبِ وَالْحُمْرِ مِنْ دَرَاهِمِهِ وَدَنَانِيرِهِ ؛ وَيُجَدُّ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَيَنْفِقُ خَشْيَةَ الْإِمْسَاكِ إِذَا أَمْسَكَ [غَيْرِهِ] خَشْيَةَ الْإِنْتِفَاقِ ؛ وَيَمِشِي بِتَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الطَّرِيقِ الْأَلْحَبِ ، وَيُنْسَبُ إِلَى دِيْوَانِهِ وَقَوْمِهِ فَيَقَالُ : صَاحِبٌ طَالَمَا آتَنَسَبَ مِنْ سَلَفِهِ لِصَاحِبٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُنْحِجُ لِكُوَاكِبِ رَأْيِهِ مَسِيرًا ، وَيَجْبُرُ بِهِ مَنْ صَعَفَ الْحَالُ كَسِيرًا ، وَيُكَافِي سَادَاتِ بَيْتِهِ الَّذِينَ «يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» .

المرتبة الثالثة

(من تواقيع أرباب الوظائف الديوانية بحاضرة دمشق -

ما يُفْتَحُ بِ«رُسْمِ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

(١)

نسخة توقيع من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي

«علاء الدين بن شرف الدين بن الشهاب محمود» عند موت أبيه وهو صغير ، وهى :

(١) بياض في الأصل ولعله « توقيع بكتابة السر » .

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجبرُ بيرةً مُصابِ الأبناءِ بأبائهم ، ويسرهم بما يتجدد في كواكب الشرف من علائهم ، ويعتق قلوبهم من إسار الحزن حتى ينشئوا من الصغر على أنساب عفتهم وولائهم - أن يستقر ... اعتماداً على نجاته الشاهده ، ومحايل همته السائده ، وأستناداً إلى أصالته التي لا يئدى فرعها إلا زكى الثمر ، ولا يهيدى بحرُها إلا أنفس الدرر ، ولا يخلف أفتها إلا كبيراً تستصغرُ الأبصارُ رؤيته : والدُّبُّ للطرف لا للكوكب في الصغر ، وعلماً أنه من أسرةٍ شهائية لا يهتدى في الإنشاء إلا بنورهم ، ولا يئدث بالعجائب إلا عن بحورهم ، ولا يئبت أعلام البلاغة إلا عشبهم ، ولا تُعشب روضات الصحائف إلا بحبهم ، ولا تُثبت أفلاك الكتابة إلا كُتبهم ، صغيرهم في صدور الإنشاء كبير ، وملقن آيات فضائلهم يروى أعداد الفوائد عن « ابن كثير » ، وعليهم بعد « أبي بكر » تقول المحامد لسلفه وخلفه : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ؛ وأنه اليوم لا سيف إلا « ذو الفقار » من أذهانهم ، ولا فتى إلا « علي » من ولدانهم ؛ وأن فرخ البط ساج ، وسعد القوم لا نداد ذابح ، وخواتم صُحف الجمع الظاهر أشبه بالفواتح ، والبلاغة في الدنيا كنوز والأقلام في أيديهم مفاتيح ؛ وأن الكلام حلينته وسمته ، وأنه إذا خدم دولةً بعد محلة قيل للذهاب : لقد أوحشنا وجهه وللقادم : لقد أنستنا خدمته .

فلناخذ في هذه الوظيفة بقوة كتابه ، ولتناول باليمن واليمين قلم جدّه كما تناول راية مجده عرابه ؛ ولتقلد بقلائد هذه النعم عقيب ما نزع التمام ، وليجهد في إمرار كلبه الحلو الذي أول سمائه قطر ثم صوب الغمام ؛ مجوداً خطّه ولفظه حتى تناسب عقده ، ناشئاً على كتم السر حتى كأن الفؤاد قبره والجنب لحدّه ؛ مُهندياً بالعلم الشهابي في يرّ أخيه الأكبر فإنه من بوارق المزن ، مُبتدياً مع أخيه الآخر السرور إذ ينزع

(١) في الأصل هكذا "وأن الكلا محاهم" .

عنهما لباسهما من الحزن ؛ والله تعالى يزيد في فضله ، ويتم عليه النعمة كما أتمها على
أبيه من قبله ، ويفقهه في السيادة حتى يحسن في الفخار ردّ الفرع إلى أصله .



توقيع بنظر مطابخ السكر ، من إنشاء ابن نبأته ، كتب به للقاضي « شرف الدين
ابن عمرون » وهو :

رُسم ... - لا زالت سمة المناصب في دولته الشريفة مشرفة ، وأقلام الكفاة
مُصرفة ، وألفاظ الشكر ثابتة عند ذوى الاستحقاق ومُصنفة ، والنماء المنصفة
لأمثالهم حلوة المذاقين من نوح ومن صفه - أن يستقر ... لما عرف من
شيمه المستجاده ، وهممه المستزاده ، وكفاءته اللاتي بها حسن النظر الثابت بفضائها
رقم الشهاده ، وأصاليه التي نهض أوقها بمهمات الدول فلوراها معاوية - رضى الله
عنه - لقال : يا عمرون أنت عمرو وزياده ؛ وليا ألف من مباشرته المنيفة خبرا
وخبرا ، وأنظاره السامية إلى معالى الأمور نظرا ؛ ووظائفه التي لا يكاد يبلغ العشر
منهاذو وهمم العلية ، وجهاته التي عرف بها سلفه وخلفه فلا غرو أن ليس عمامة
مفاجره بيضاء وسكريه .

فليباشر هذه الوظيفة الحلوة معنى ومدافا ، الحليّة عقدا ونطاقا ، المحسوبة على
مطالع الشرف وفقا وآفاقا ؛ جاعلا شكر النعمة من أوفى وأوفر مزاياه ، وصلف الهمة
من أولى وأول وصاياه ؛ حافظا للطابع وإن كان عادة آباءه بذلك ، مدخرا للخفان
وإن كانت سمة قراهم إزالتها ونقلها ؛ حريصا على أن لا يجعل لأيدى الأقلام الخائنة
مطمعا ، وعلى أن ينشد كل يوم للتذير لا للتبذير .

* [لنا] الجففات الغريمان في الضحى *

مُحَرَّرًا لِحَسَابِ دِرْهَمِهَا وَمَجْمُوعًا ، وَمَصْرُوفًا وَمَحْصُوعًا ؛ مُحْتَرِّزًا عَلَى مُبَاشَرَتِهِ
 مِنَ الْخَلَلِ فِي هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ ، حَذِرًا مِنْ كِفَّتِهَا وَقَبَانِهَا فَإِنَّمَا تَتَكَلَّمُ فِي الْحَمْدِ أَوْ فِي الذَّمِّ
 بِلِسَانَيْنِ ؛ بَلْ تُعَلِّنُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحَمْدِهِ الْمُقَرَّرَ ، وَتُكْرِّرُ الْأَحَادِيثَ الْحَلُوعَةَ عَنْهُ فَمِنْ
 عِنْدَهَا نَجْرَجُ حَدِيثَ الْحُلُوعِ الْمَكْرُورِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّ مَسَاعِيَهُ بِالنُّجُجِ الْوَفِيِّ ، وَيُلْهِمُ هِمَّتَهُ
 أَنْ تُنْشِدَ : « مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ! » .



تَوْجِيحُ بِنَظَرِ دَارِ الطَّرَازِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَتْ سِيرَهُ بِمَرْقُومِ الْحَامِدِ مُطَرَّزَهُ ، وَدَوَّلْتُهُ بِمَحَاسِنِ التَّائِيدِ وَالتَّائِيدِ
 مُعَزَّزَهُ ، وَنِعْمَهُ وَنِقْمَهُ : هَذِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُجَهَّزَةٌ وَهَذِهِ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ مُجَهَّزَةٌ - أَنْ يَرْتَبَ
 فَلَانَ : لِكِتَابَتِهِ الَّتِي رَقَمَتِ الطُّرُوسَ ، وَطَرَزَتْ بِالظُّلَمَاءِ أَرْضِيَّةَ الشُّمُوسِ ، وَأَثْمَرَتْ
 أَقْلَامَهُ بِمَحَاسِنِ التَّدْيِيرِ فَكَانَتْ فِي جِهَاتِ الدُّوَلِ نِعْمَ الْغُرُوسِ ؛ وَحِسَابِهِ الَّذِي نَاقَشَ
 وَنَقَشَ ، وَرَقَمَ الْأُورَاقَ وَرَقَشَ ؛ وَأَعْتَرَاهُ الَّذِي عَلَّمَ رَشَدًا ، وَسَلَّمَ طَرِيقًا فِي الْخِدْمَةِ
 جَدًّا ، وَقَوِيَّ أَسْمُهُ وَتَكَاثَرَتْ أَوْصَافُهُ فَمَا كَانَ مِنْ أُنْدَادِهِ أَضْعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا ؛
 وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا قُدِّمَ نَهَضَ ، وَإِذَا سَدَّدَ سَهْمَ قَلَمِهِ أَصَابَ الْغَرَضَ ؛ وَالسَّامِي
 إِلَى سَمَاءِ رُتْبِهِ بِالْقَلْبِ وَالطَّرْفِ ، وَالْمَنْزَهُ لِقَلَمِهِ الْحُرِّ مِنْ أَنْ يَسْتَعْبِدَ عَلَى حَرْفٍ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوَضِيفَةَ بِكَفَاءَةٍ عَلَيْهَا الْمَعُولَ ، وَأَقْلَامِ إِذَا تَمَشَّتْ فِي دَارِ الطَّرَازِ عَلَى
 الْوَرَقِ قِيلَ : « شُمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ » ؛ مُسْتَدْعِيًّا لِأَصْنَافِهَا وَمَالِهَا ، عَادِلًا
 فِي قِسْمَةِ رَجَائِهَا وَرِجَالِهَا ؛ مُعْمَلًا رَاحَتَهُ بِالْقَلَمِ فَإِنَّ كِتَابَتَهَا مُتَّبِعَةٌ ، مُهْتَدِيًّا فِي طُرُقِ
 حِسَابِهَا فَإِنَّهَا طَرُقٌ مُتَشَعِّبَةٌ ؛ مَاشِيًّا عَلَى نَهْجِ الْأَحْتِرَازِ ، سَاعِيًّا إِلَى الرُّتَبِ بِإِرْهَافِ
 عَزْمِ كَالسَّيْفِ الْجُرَازِ ، سَعِيدِ السَّعْيِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - حَتَّى يَقُولَ سَنَاءُ الْمَلِكِ

المُسْتَهْضُ له : هذا القاضي السعيد وهذه دار الطراز ؛ والله تعالى يوفقه في جميع أحواله ، ويؤيد مساعى قلبه الذى تنسج أفلام الكفاة على منواله .



توقيع بنظر الرباع ، من إنشاء الشيخ صلاح الدين الصفدى ، باسم القاضي نجم الدين « أحمد بن نجم الدين محمد بن أبى الطيب » ، وهو :

رُسم بالأمر العالى - لزال نجم أوليائه يتقد نورا ، وخاطر أوليائه يتحد بالآمال سرورا - أن يرتب المجلس السامى القضائى - أدام الله تعالى علوه - فى نظر الرباع الديوانية ، ومباشرة الأيتام - حرسهم الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته ، بالمعلوم الذى يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأنه النجم الذى بزغ فى أفق الرأسه ، وجمل ما أثره قبيله وأناسه ؛ والأصيل الذى شاد الفضل مجده ، وأحكم الفخر عقده ؛ والرئيس الذى يصدق التقرس فى شمائله ، ويحكم الظن الصائب فى أثناء مخاييله .

فليباشر ذلك مباشرة هى معروفة من هذا البيت ، مأوفاً من كبيرهم وصغيرهم : فإنهم لا لوفيهم ولا لئيت ، معتمداً على سلوك طريقة أخيه وأبيه ، مجتهداً على أتباع اعتمادهما فى توخيه الصواب أو تأبيه ؛ حتى يقال : هذا صنو ذلك الغضن الناضر ، وهذا شبل ذلك اللئث الخادر ؛ وتصبح الرباع بحسن نظره أهلةً بالأهله ، كاملةً بالمحاسن التى تسمى الأقرار منها مستهله ؛ وتعود الأيتام بمشارفته كأنهم لم يفقدوا بر والدهم ، ولم يحتاجوا مع تدبيره إلى مساعدتهم . والوصايا كثيرة وأهمها تقوى الله عز وجل فإنها الحصن الأوقى ، والمعقل المنيع المرقى ؛ فليتخذها لعينه نصبا ، وليشغل

بها صَمِيرَه حَتَّى يَكُونَ بِهَا صَبَاً ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمِيَّ غُضْنَه النَّاضِرَ ، وَيُقِرُّ بِكَالِه الْقَلْبُ
وَالنَّاطِرُ ! وَالخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، مُجَّةً فِي ثُبُوتِ الْعَمَلِ بِمَا آفَقْتَاهُ ؛
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! .



تَوْقِيعٌ بِاسْتِيفَاءِ الْمَقَابِلَةِ وَأَسْتِيفَاءِ الْجَيْشِ ، وَهُوَ :

رُسْمٌ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَتِ الْمَنَاقِبُ فِي دَوَانِهِ الشَّرِيفَةِ شَمْسِيَّةِ الْأَنْوَارِ ، قُرْشِيَّةِ الْفَخَّارِ ،
مُشْتَقَّةِ الْحَامِدِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْآثَارِ ، مُحْصَلَةٌ بِأَقْلَامِ الْيَمِينِ مَا يَسُدُّهُ الْكَرَمُ مِنْ أَقْسَامِ
الْيَسَارِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... حَسَبِ الْأَسْتِحْقَاقِ الْمُقْتَضَى ، وَالْأَخْتِيَارِ الْمُرْتَضَى ؛ وَعَيْنِ
الرَّأْيِ الَّذِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّأْيِ حَاجِبٌ ، وَتَقَدُّمِ السُّنَنِ الْقَدِيمَةِ فَإِنَّ التَّقْدِيمَ لِقُرَيْشٍ
وَاجِبٌ ؛ وَلِأَنَّ الصِّفَاتِ الشَّمْسِيَّةَ أَوْلَى بِشَرْفِ آفَاقِهَا ، وَمَنَازِلِ إِشْرَافِهَا وَإِشْرَاقِهَا ،
وَمَطَالَعِ سَعْدِهَا الْمُتَزَهِّةِ عَنِ اللَّبْسِ ، وَجَلَائِلِ قَلَمِهَا الْعُطَارِدِيِّ فِي يَدِ الشَّمْسِ ؛
وَلِأَنَّ الْمَشَارَإِلِيهِ أَحَقُّ بِمَصَاعِدِ الْمُرْتَقِينَ ، وَلِأَنَّهُ تَرَبَّى فِي بَيْتِ التَّقَى فَكَانَ اللَّهُ مَعَهُ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ .

فَلْيَبِأِشْرَهَاتَيْنِ الْوُضُوعِيَّتَيْنِ عَلَى الْعَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَزْمِهِ السَّيِّدِ ، وَمَدَّاتِ قَلَمِهِ الَّتِي
بَجَرَهَا فِي السَّبْعِ بَسِيطٌ وَظَلُّهَا فِي النَّفْعِ مَدِيدٌ ؛ وَلِيَتَمَثَّلَ بِدِيَوَانِ مُقَابَلَةٍ فَرِيدًا لَا يَرْهَبُ
مُثَالَهُ ، وَلِيَجْبُرَ أَحْوَالَهَا بِضَبْطِهِ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ ؛ وَلِيُمَدِّدَ الْجَيْشَ الْمَنْصُورَةَ
مِنْ أَوْرَاقِهِ بِأَعْلَامِهِ ، وَمِنْ قَصَبَاتِ السَّبْقِ بِرِمَاجِ تُعْرَفُ بِأَقْلَامِهِ ؛ وَلِيَسْتَرْفِعَ مِنْ
الْحُسْبَانَاتِ مَا يَحْوِي بِإِيضَاحِهِ وَتَكْمِيلِهِ مِنْ مُقَدِّمَاتِ ظُلْمٍ وَإِظْلَامٍ ، وَلِيَجْمَعَ بَيْنَ صَرَفِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَدِّدُ قُرْشِيَّتَهُ بِأَنْصَارِهِ مِنَ الْعَزْمِ ، وَتَابِعِينَ
بِإِحْسَانٍ مِنْ نَوَافِدِ نَوَافِلِ الْحَزْمِ .



تَوْقِعُ بِصَحَابَةِ دِيْوَانِ الْأَسْوَاقِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :
رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَسْوَاقُ نِعْمَةٍ قَائِمَتِهِ ، وَأَجْلَابُ كَرَمِهِ دَائِمَتِهِ ، وَلَا بَرِحَتْ
الْمَنَاصِبُ مُكَلَّمَةً بِكُفَاةِ أَيَّامِهِ الَّذِينَ يُحَقِّقُونَ ظُنُونَهَا السَّامِيَةَ وَيَرَعُونَ أَحْوَالَهَا
السَّائِمَةَ - أَنْ يَرْتَبَ فَلَانٌ : عَائِمًا بِكُتَابَتِهِ الَّتِي وَصَّيَتْ الدَّفَاتِرَ أَحْسَنَ سِمَتِهِ ،
وَأَسْتَبَقَتْ إِلَى صُنْعِ الْخَيْرِ الْمُسَوِّمَةِ ، وَكِفَاةِ تَهِ الَّتِي لَا تَرَالُ تَمُو لِيَدَيْهِ وَتَنْتَمِي ، وَيِرَاعَتِهِ
الَّتِي إِذَا سُئِلَ عَنْهَا السُّوقُ قَالَ : هِيَ عَصَايَ أَنْوَكًا عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي ، وَدِرَائِيهِ
الَّتِي تُعِينُ الْمَلِكَةَ عَلَى الْمَيْرِ ، وَيَشْهَدُ تَيْمُنُهَا أَنَّ الْخَيْلَ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرَ ، وَتُحَقِّقُ فِيهِ
الظَّنَّ وَالْأَمْلَ ، وَتَحْوِطُ السُّوقَ عَنِ الْخَائِنِ حَتَّى يَقُولَ : لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ ،
وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِنْ قَالَ أَوْ فَعَلَ كَانَ مُسَدَّدًا ، وَإِنْ ضَبَطَ دِيْوَانَ الشَّدِّ السَّعِيدِ كَانَ
عَلَى الزَّائِعِينَ مِنَ الْكُتَيْبَةِ حَرَفًا مُسَدَّدًا .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُتِمِّكِنَ الْأَسْبَابِ ، مَالِكِ الْحَزْمِ وَالرِّفْقِ حَتَّى تَكْثُرَ
لَدَيْهِ الْجُلَّابُ ، مُعِينًا لِمَيِّتِ الْمَالِ عَلَى الْإِنْفَاقِ ، قَائِمًا بِحَقُوقِ ذَوِي الْأَسْتِحْقَاقِ ،
عَالِمًا أَنَّهُ [مَتَوَلَى] أَكْثَرَ جِهَاتِ الْخَيْرِ الْمُطَاقِ فَلْيَكُنْ بِهَا مَشْكُورًا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، مُجْتَمِدًا
فِي رِضَا الْمَطَالِينِ حَتَّى يَدْبِعُوا سَنِينَ الْمُرْسَلِينَ فِي هَذِهِ [الصفة] يَا كُؤُونَ الطَّعَامِ وَيَسْتُونَ
فِي الْأَسْوَاقِ ، مُوَاطِبًا عَلَى الدِّيْوَانِ الَّذِي هُوَ بِصَحَابَتِهِ مَعْدُوقٌ ، سَالِكًا سُبُلَ الصِّيَانَةِ
وَالْكَفَاةِ فَكِلَاهُمَا نِعْمَ السَّبِيلُ الْمَطْرُوقُ ، مُحْتَرِّزًا مِنْ ذِي خِيَانَةٍ إِنْ غَفَلَ عَنْهُ طَفِيقٌ
مَسْعًا بِالسُّوقِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ عِزَائِمَهُ الَّتِي هِيَ أَشْهَرُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَهَمَّتْهُ الَّتِي قَاسَمَتْ
« أبا الطَّيِّبِ » : « وَالْخَيْلُ تَشْهَدُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ » .



نسخة توقيع بشهادة الخزانة العالية ، من إنشاء ابن نباتة ، كتبت به لجمال الدين «عبد الله بن العماد الشيرازي» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت سمة المناصب في دولته بأسماء الكفافة مجمله ،
 وخلق المفانير على بيوت السيادة مكله ، ونخائن الملك بين تقيضين من جنس واحد :
 فبينما هي بأقلام الكفافة محتفظة إذا هي بأقلام الكفافة مبدله - أن يستقر المجلس
 السامى ... : علما بحاسنه التي وضع جملها ، وتفصح في العلاء جملها ، ونجح
 في منابيت الفضل أصلها ، وشرف بكواكب اليمن أتصلها ؛ ومعالیه التي تهلل بها
 وجهه الأصله ، وكل بيت الرأسة والحلاله ، ومساعيه التي آستوفى بها أجناس
 الفضل وتوريته فما أخذها عن كلال ولا ورثها عن كلاله ؛ وسيرته التي تطوى
 نخار الأقران حين تُشر ، وهيته التي أنشدت السعادة فرعها الكريم : «مباديك
 في العلاء غايه معشر» ؛ ومكاته من بيت السيادة الرفيع عماده ، البديع سنده المنيع
 سنده ، المديد من تلقاء الحجره طنبه الثابته من حير النجوم أوتاده ؛ وأنه نجل السراة
 الذين أخذوا من الفضل في كل واد ، وأستشهدوا على مناقبهم كل عدو وكل واد ؛
 وحملوا من صناعاتهم رايات عباسية سارت بها رماح أقلامهم تحت أبداع سواد ،
 ومكوا قديم الأوطان بشرف الأخير : فسواء على شيراز محاسن « ابن العميد »
 ومحاسن « ابن العماد » ؛ وتبينت مناقبهم بهذا النجل السعيد طرق المراتب كيف
 تُسلك ، وإحراز المناصب كيف يكون لها يد أرباب البيوت أملاك ، ودرجات
 الوظائف كيف تُسم الوالد بالولد حتى يقول : لا أبلى هي اليوم لي أم لك ؟ ؛
 كم أستنص والده لجليل فكفى ، وجميل قصيد فوفى ؛ وأوقات علت حتى أضحى

إلى علاه تَنْسِبُ ، ومناصبَ رُزِقَ - بتقواه فيها - من حيثُ يَحْتَسِبُ ومن حيثُ لا يَحْتَسِبُ ؛ وجاء هذا الولدُ ذخيْرَةَ والدِه فحَسُنَتْ للخزانه الذَّخيره ، وعُضِدَتِ الأَوْلَةُ من السيادة بالأخيره .

فليأشُرْ هذه الوظيفة مباشرة هي أعلى منها وأشرفُ سيره ؛ مُجْتهدًا فيما يَبِيضُ وَجَهَ عَلَيْهِ وَنَسَبِهِ ، عارفاً قَدَرَ هذه الرتبة من أوائلِ رُتَبِهِ ، مَتَّقِظَ الأفكارِ والطَّرْفِ ، متأرجحِ المعرفةِ إذا ذَكَرُوا العَرَفَ ، زانِجًا تُرْشِدَاتِهِ على التعلُّيقِ فلا يُتَّقَدُ عليه في مُتَحَصِّلٍ ولا صَرَفٍ ؛ حَتَّى تَقُولَ الخزانةُ : نِعْمَ العِزْمُ الشاهد ! وَحَتَّى يَشْهَدَ بوفاءِ فَضْلِهِ المَضْمُونُ ، وَحَتَّى يَعْلَمَ بأمانته أَنَّ عبدَ الله هو «المأمون» ؛ وَتَقْوَى اللهُ تَعَالَى في الوصايا أولٌ وأولى ما تَمَسَّكَ بِهِ ، وَاسْتِقَامَ على شَرَفِ مَذْهَبِهِ ، وَاللهُ تَعَالَى يُسَرُّ الإسلامَ بِنَبِيِّهِ قَدْرِهِ وَيُقِرُّ الأوصافَ بِمَهْدِهِ ! .



تَوْقِيعٌ بِشَهَادَةِ الأَسْوَارِ ، وَهُوَ :

رُسمُ بالأمر - لا زال يَمُدُّ على الإسلام من عنايةِ سُورَا ، وَيَجِدُّ للأولياءِ بِرَأٍ مَيْسُورَا ، وَيُسْعِدُهُم بِكُلِّ تَوْقِيعٍ يَكُونُ بِالحِسابِ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورَا - أن يَرْتَبَ المَجْلِسُ : عِلْمًا بِعِزْمِهِ السَّاهِدِ ، وَحِزْمِهِ الشَّاهِدِ ؛ وَكِفَاءَتِهِ وَأَمَانَتِهِ التي ما كان وَصْفُهُمَا حَدِيثًا يُفْتَرَى ، وَنَظَرًا لِحالِهِ وَحالِ الأَسْوَارِ : فَيَالَهَا شَهَادَةٌ كانَ أَصْلُهَا نَظَرًا .

فليأشُرْ هذه الرتبة المباركة كما عهد منه مباشرة حسنة الآثار ، مُشْرِقةً الأنوارِ ، جاعلةً تلكَ العَمائرِ حَلِيَّةً لِدِمَشقِ : فبينما هي سُورٌ إذا هي سِوَارٌ ؛ ضابطًا لِمَتَحَصِّلِهَا وَمَصْرُوفِهَا ، مُحَرَّرًا لَوْفِهَا مُحْتَرِّزًا من وَقُوفِهَا ، جاريًا على جميلِ عادته ، زانِجًا بِكْرَمِ اللهِ

تعالى على التوفيق تبرُّشهادته ؛ حتى تشهد هذه الوظيفة بهِمته المتمكِّنة الأسباب ،
ويُضرب بين المدينة وبين من كادها بسورٍ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ؛
والله تعالى يسدُّه في كلِّ أمر ، ويحفظ هِمته وبركته «ليوم كريمةٍ وسدادٍ نغر» .



توقيعٌ بمشارفة خزائن السلاح ، لمن لقبه «جمال الدين إبراهيم» وهو :

رُسم بالأمر العالى - أعلى الله تعالى أعلام حمده ، وجعل أحكام المقادير من
جُنده ، ولا زالت أفلاك الشهب من خزائن سلاح سعده - أن يرتب ... : حملاً
على حكم النزول الشرعى ، والطُلوغ إلى رتب الاستحقاق المرعى ؛ وعلمًا بكفايته
التي بلغت أمالاً ، وجعلت للوظائف بذكره جمالا ، وتمرت بقلبه للجهات مالا ،
وأوصلته على رغم الأنداد لما لا ؛ وأعتاداً على أمانته التي أعدّها ملاذاً ، وآكفياً
بها سلاح عزمه نفاذاً ؛ وصيانتته التي طالما اعترض [لها] عرض الدنيا فقالت :
يا إبراهيم أعرض عن هذا ؛ واستناداً إلى نشأته في بيت علّت في المناصب أعلامه ،
وصدقت في المراتب حُلومه وأحلامه ، وتناسبت الآن تصرفاته السعيدة : فإما في تدبير
الجيوش وإما في تخيير السلاح أعلامه .

فليأشر هذه الوظيفة المباركة بعزم بآدى النجا والنجاح ، وقلم على حالى وظيفته^(١)
وهمته ماضى عزم السلاح ؛ مقررًا لعملها ومعمولها ، ضابطاً لواصلها ومجولها ؛ حتى
يذهب لسان سيفها بشكره ، وتطلع أهلة قسيها بيمين ذكره ، وتكون كعوب رماحها
كلها كعب مبارك بمباشرة وبشره ؛ والله تعالى يسدّد قلمه في وظيفته تسديد
سهامها ، ويوفر له من أنصبا المرائد وسهامها .

(١) هو مصدر نجا نجا بالمد وقد يقصر ،



قلتُ : وهذا توقيعٌ بوظيفةٍ بكتابة ديوانيةٍ لسامريٍّ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو :

رُسِمَ بالأمر - لا زالَ قَلَمُ أُوامِرِهِ الفِضَى يُظهِرُ مَمَرَهُ ، مُسَمِعًا حَدِيثَ الإِنْعَامِ الشَّامِلِ حَتَّى سَمَرَهُ - أن يَرْتَبَ فلانٌ في كذا : عِلْمًا بِكفائتِهِ التي يُعَدِّرُ بها في قَوْمِهِ على سُلُوكِ النَّبِيِّ ، وَحِدْقِ حِسابِهِ الذي هو أَلَدُّ مِنَ السَّلَوى مُجْتَنِدِهِ وَمُجْتَبِيهِ ؛ وَفَرِيحَتِهِ التي إِذا آخَثارها آخِيارُ قَوْمِ مُوسى فَازَ مِنَ العَمَلِ بِمَطْلُوبِهِ ، وَإِذا قِيلَ : يا سَامِرِيُّ ما قَدَّمَكَ على القُرْناءِ في الحِسابِ ؟ قالَ : بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ؛ وَأمانتِهِ التي حاطَتِ حِياطَةَ الصَّعْدَةِ السَّمراءِ ، وَرَفَعَتْ رايَتَهُ على الأندادِ قائِلَةً : ما حاطَ البِيضاءَ وَالصَّفراءَ كصاحبِ الحِمْراءِ ! ؛ وَأَعْتادًا على كِتابَتِهِ التي شَهِدَتْ بها من حُساباتِهِ الأَسفارِ المَبِينَةِ ، وإِقرأءِ لصناعاتِهِ التي سَحَرَتْ الفِكرَ حَتَّى قِيلَ : هذا من شَعْبِ القَرَّايينَ وَالكَهَنَةِ .

فليباشر هذا الاستيفاء لأوفى منه مترقيًا ، ولكلمات الاختيار متلقيًا؛ ناهضًا بخدمه ، مجددًا باعتزامه الإسرائيلي ذكر النعمة ، عارفاً قدر الإنعام الذي رعى وشمل كل ذمه ؛ سالكًا من الاجتهاد في خدمة حيايه كل طريقه ، غائظًا للحساد من أهل ملته : فيعبدون العجل مجازًا وحقيقه ؛ مجتمدًا في استئزال المن لا المنع ، معودًا آلاف الحواصل بعشر كلمات راتية منه في السمع ، معلقًا على جميعها هيكلًا من أمانته فهو أدري في الهيكل بشرط الجمع ؛ صائبا لنفسه من عدوان الحيانة حتى لا يعدو في سبت ولا في أحد ، متترها عن أكل المال مع الخونة حتى يقال : نعم السامري الذي لا يأكل مع أحد .

الضرب الثاني

(من الوظائف الديوانية بالشام - ما هو خارج عن حاضرة دمشق .

وغالب ما يكتب فيها من التواقيع مفتوح بـ«رسم»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بنظر غزّة، وهي :

رُسم بالأمر - لازال النَّصْرُ المَكْرَرُ، يَحْلُو بِذِكْرِهِ، وَالسَّعْدُ المَقْتَرُ، يَحْلُو وَجْوهَ الآمَالِ
بذَهْرِهِ، وَلَا يَرِحُ سِرَاجُ الخِدْمِ مُضِيًّا عِنْدَ لِيَالِ نَهْيِهِ الحَالِكِ وَأَمْرِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ
فَلَانٌ ... : لِمَا عُرِفَ فِي المَنَاصِبِ مِنْ نُهوضِهِ الذي رَاقَ وَرَاجَ، وَفِي المِهْمَاتِ
مَنْ رَأَيْهِ الذي يَمْتَنِي أَحْوَالِ الجِهَاتِ المَسْتَقِيمَةِ بِسِرَاجٍ ؛ وَلِمَا شَهْرِلَهُ فِي الأنظَارِ
الْمَتَعَدِّدَةِ مِنْ عُلُوِّ المَهْمِ ، وَفِي الوِظَائِفِ المَتَرَدِّدَةِ مِنَ العِزَمَاتِ التي يَقُولُ السَّدَادُ :
نَبَهُ [لَهَا] عُمْرًا ثُمَّ نَمَّ ؛ وَلِمَا وُصِفَ مِنْ أَمَانَتِهِ وَدِرَائِبَتِهِ وَهِيَ المَرَادُ [تَان] مِنْ مِثْلِهِ ،
وَرَأْسَةِ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ المُشِيدِينَ عَنِ حُسْنِ الثَّنَاءِ وَسَهْلِهِ ، وَإِتَارِهِ الحَمِيدَةِ المُنْتَقَلَاتِ
وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ المُنْتَسِبُ إِلَى سَلِيفٍ يَحْمَدُ لِسَانُ الإِسْلَامِ أَثْرَ عَقْلِهِ وَنَقْلَهُ .

فليأشر هذه الوظيفة المباركة على العادة مباشرة يُحمد أثرها ، ويُسند عن صحيح
عزمه خُبرها وخبرها، وَيُورِقُ بِغُصُونِ الأَقْلَامِ وَرَقِّ حَسَابِهَا وَيُرُوقُ ثَمَرُهَا ؛ مُجْتَهِدًا
فَهُوَ مِنْ تَسَلُّ المَجْتَهِدِينَ فِي عَوَائِدِ التَّحْصِينِ وَالتَّحْصِيلِ ، وَالتَّأْيِيرِ وَالتَّأْيِيلِ ، مَلِيًّا بِمَا
يَجْبُرُ كَسْرَ هَذِهِ البِلَادِ بِالصَّحَّةِ وَيَأْسُو بِجُرْحِهَا بَعْدَ التَّعْدِيلِ ، حَرِيصًا عَلَى أَنْ يُمِجِّي -
بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَدْيِيرِهِ - عَمَلَهَا الذي لَمْ يَبْقِ المَوْتُ مِنْ ذِمَائِهِ غَيْرَ القَلِيلِ ؛ سَالِكًا

من الزَاهَةِ والصَّبَاةِ طَرِبَقَتَهُ الْمُثَلَّى، ومن الكَفَاءَةِ والأَمَانَةِ عَادَتَهُ التِي تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ -
 إن شاء الله - إلى ما هو أعلى وأعلى؛ مُسْتَرْفِعًا لِلْحَسَابِ وَلِقَدْرِهِ فِي الخِدْمَةِ، شَاكِرًا :
 فَإِنَّ الشُّكْرَ صَمِيمٌ لِأَزْدِيَادِ النِّعْمَةِ بَعْدَ النِّعْمَةِ، سِرَاجًا وَهَاجَ الذِّكَاةِ عَلَى المَنَارِ وَلَا ظُلْمَ
 مَعَ وُجُودِهِ وَلَا ظُلْمَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَلِّي قَدْرَهُ ، وَلَا يُطْفِئُ ذِكْرَهُ .



تَوْقِيعٌ بِصَحَابَةِ دِيَوَانِ الحَرَمَيْنِ ، من إِنْشَاءِ أبنِ نُبَاتَةِ ، لَمَنْ لَقِبَهُ « شَمْسِ
 الدِّينِ » وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ نَافِذَةٌ فِي الْآفَاقِ ، عَاطِفَةٌ عَطْفَ النَّسَقِ عَلَى دَوَى
 الِاسْتِحْقَاقِ ، مُطْلَعَةٌ شَمْسِ التَّقَى وَالْعِلْمِ فِي مَنَازِلِ الْإِشْرَاقِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ المَجْلِسُ ... :
 عَالِمًا بِاسْتِحْقَاقِهِ لِمَا هُوَ أَكْثَرُ وَأَكْبَرُ ، وَأَوْفَى وَأَوْفَرُ ، وَإِطْلَاعًا لِشَمْسِهِ وَإِنْ آعْرَضَهَا
 غَمٌّ غَمٌّ فِي مَطَالَعِ شَرْفِهَا الْأَنْوَارِ ؛ وَإِعْلَامًا بِأَنَّهُ غَيْمٌ يَزُورُ وَيُزُولُ ، وَتَقْصُّ لَا يُقِيمُ
 إِلَّا كَمَا يَذْهَبُ عَارِضٌ مِنْ أَقْوَالِ ؛ وَأَعْتَادًا عَلَى مَا عَرِفَ مِنْ وَفَاءِ صَحَابَتِهِ ، وَأَلْفَ مِنْ
 سَنَاءِ دِرَائَتِهِ وَدَرَابَتِهِ ، وَوُصِفَ مِنْ أَيَّامِ دِيُونَتِهِ ^(١) بَعْدَ أَيَّامِ حُكْمِهِ بَعْدَ أَيَّامِ خَطَابَتِهِ ؛
 وَأَسْتِنَادًا إِلَى نَسَابَتِهِ فِي بَيْتِ الْعِلْمِ الْمُسْتَفَادِ ، وَالْحُكْمِ الْمُسْتَجَادِ ، وَالْفَضْلِ الْمُسْتَرَادِ ،
 وَتَرْبِيَةِ الْوَالِدِ الَّذِي كَانَ الْإِخْتِيَارَ يَحْلِفُ بِالْفَخْرِ أَنَّهُ مَا يَرَى أَظْهَرَ مِنْ ذَاتِ الْعَمَادِ .

فَلْيَبَاشِرْ صَحَابَةَ دِيَوَانِ هَذَيْنِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِأَمَلٍ مَبْسُوطٍ ، وَحَالٍ بَيْنَمَا هُوَ
 مَنحُوسٌ حَظٌّ إِذَا هُوَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَغْبُوطٌ ؛ وَأَجْتِهَادٍ مَضْمُونٍ لِحَدَوَاهِ فَضْلُ
 الزِّيَادَةِ ، وَسَيْرٍ لَا يَزَالُ بِسَمْسِهِ حَتَّى تَجْرِيَ لِمُسْتَقَرِّهَا مِنْ مَنَازِلِ السَّعَادَةِ ، وَمُبَاشَرَةٍ
 لِأَوْقَافِهَا تُعَانُ وَتُعَادُ أَجْمَلُ إِعَانَةٍ وَأَكْلُ إِعَادَةٍ ، وَصَحَابَةٍ يَتَنَوَّعُ فِي نَفْعِهَا وَيَتَعَيَّنُ حَتَّى
 تَكُونَ [مِنْهُ] عَادَةٌ وَمِنْهَا شَهَادَةٌ .

• أَيَّامُ كَانَ بِدِيَوَانِهِ . وَهُوَ لَفْظٌ سَخِيفٌ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ .



تَوْفِيعٌ بِنظَرِ الشُّعْرَا وَبَانِيَا س، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ، لِمَنْ لَقِبَهُ «صَدْرَ الدِّينِ» وَأَسْمَهُ «أَحْمَدَ» بِالْعَوْدِ، وَهُوَ :

رُسم بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ صُدُورُ الْكُفَاةِ مُنْشِرِحَةً فِي أَيَّامِهِ، مُنْشِرِحَةَ الْآمَالِ فِي إِنْعَامِهِ، وَلَا بَرَحَ عَوْدُهُ أَحْمَدًا إِلَى الْمَنَاصِبِ فِي ظِلَالِ سَيُوفِهِ وَأَقْلَامِهِ .

ومنه : فليباشر هذه الوظيفة الشاكرة له أولاً وأخيراً ، وليجتهد فيما يزيد من الاعتناء والاعتناء باطناً وظاهراً ، وليستزِدْ بِشُكْرِهِ مِنَ النِّعْمَةِ فَمَا أَخْلَفَ وَعَدُّ الْمَزِيدِ شَاكِرًا، وَلِيَحْرِضْ عَلَيَّ أَنْ يُرَى أَبَدًا فِي الْمَرَاتِبِ صَدْرًا وَلَا يُرَى عَنْ وُرُودِ الْإِحْسَانِ صَادِرًا .



تَوْفِيعٌ بِنظَرِ حَمِصٍ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ، كُتِبَ بِهِ لِابْنِ الْبَدْرِ نَاطِرٌ حِمِصٌ بِالْزُرُولِ مِنْ أَبِيهِ عِنْدَ مَا أَسَنَّ، وَهُوَ :

رُسم بِالْأَمْرِ - لَا زَالِ حَسْنُ النَّظَرِ مِنْ مَوَاهِبِهِ، وَمِنْ الظَّفَرِ مِنْ مَرَاكِبِهِ، وَسَقَى الْبِلَادَ صَوْبَ الْعَدْلِ مِنْ سِحَائِبِهِ، وَلَا بَرَحَ سَنَا الْبَدْرِ مِنْ خَدَمِهِ إِذَا أَحْسَسَ بِالسَّرَارِ أَلْقَى الْخِدْمَةَ إِلَى أَزْهَرِ كَوَاكِبِهِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ ... : لِمَا عَلِمَ مِنْ رَأْيِهِ الْأَسَدَ، وَعَزَمَهُ الْأَشَدَّ، وَمَرْبِيٍّ وَالِدَهُ حَتَّى يَبِينَ عِظْمُ الْهِنَاءِ بِالشَّبِيلِ عِنْدَ مَا وَهَنَ عِظْمُ الْأَسَدِ؛ وَرُكُونًا إِلَى نَجَابَتِهِ الَّتِي سَمَتْ أَصْلًا وَفِرْعًا، وَقَدُمْتُ غَنَاءً وَتَفَعًا، وَتَبَسَّمْتُ كَمَا تُمْ أَصْلُهَا الْمُسْتَأْنَفَةُ حَيْثُ كَادَ الزَّمَانُ يَنْعَى مِنْهُ يَنْعَا؛ وَأَسْتَنَادًا إِلَى أَنَّ الصَّنَاعَةَ شَابَهُ، وَتَسْمَاتِ التَّمْكِينِ هَابَهُ؛ وَإِلَى أَنَّ أَغْصَانَ الْعِزَائِمِ نَضَرَهُ، وَإِلَى أَنَّ مَعَ الْقُدْرَةِ قُدْرَهُ، وَإِلَى أَنَّ كَوَكَبَ الْعِزِّ فِي الْمُنْتَزِلَةِ قَدْ خَلَفَ بَدْرَهُ؛ وَأَعْتَادًا عَلَى سِيَهَامِ تَنْفِيذِهِ الصَّابِئِ،

وأحكام هممه الواجبه ، وأقلام يده التي تُحسِن إخراج الأمل فيه وكيف لا ؟ وهى الحاسبةُ الكاتبة .

فليأثر هذا النَّظْرُ المَقْوُوضُ إليه سامياً نَظْرُهُ ، زايكاً فى الخِدمة خُبْرُهُ وخَبْرُهُ ، شاكِراً هذا الإِنعامَ الذى برَّأباه وأُسعدَ جدَّه ومَزِيدَ الإِنعامِ مضمونُ المَزِيدِ لمن شَكَرَهُ ؛ عَلِمًا أَنَّ هذه المملِكةَ المَحْصِيَّةَ من أقدم ذخائر الأيام ، وأكْرَمَ ما أفاءَ اللهُ من غَنيمَتِها وظلِّها على جُنْدِ الإسلامِ ، وأنَّها من مراكز الرِّماحِ كما شُهرَ فليُمدِّها من تَدبيره برِماحِ الأَقلامِ ؛ وليوَاطِبْ بِحُسْنِ نَظْرِهِ على تَقْرِيرِ أحوالِها ، وتَقْرِيبِ آمالِها ، وتأثيرِ المِصالحِ فى أعمالِها ، ولا يَحْصِصْ أمرَها فى التَّضْيِيقِ فكفى ما حَصَّصَها الأيامُ على تَعاقُبِ أحوالِها ؛ بل يَجْتَهِدُ فى إِزاحةِ أَعذارِها بِسَدادِ الرَّأْيِ الرَّابِحِ ، وإِشاعةِ الذِّكْرِ الحَسَنِ مع كُلِّ غادٍ ورائِحٍ ، ورفَعِ الأيديَ بالأدعيةِ الصالحةِ فى تلكِ المِشاهدِ لِلْمَلِكِ «الظاهر» فى هذا الوقتِ والمَلِكِ «الصالح» ؛ حتَّى يشهدَ سَيْفُ اللهِ «خالد» بِمِضَاءِ سَيْفِ حَزْمِهِ وَعِزَمِهِ ، وحتَّى يتَوَقَّرَ من غَرَضِ الخَيْرِ والْحَمْدِ نَصيبُ سَهْمِهِ ، وتقوى اللهُ تعالى أوَّلَ الوصايا وآخِرها فَتَمُكِّنْ أبداً فى هِمَّةِ فَهْمِهِ .



تَوْقِيعُ بِنَظْرِ الرَّحْبَةِ ، من إِنْشاءِ ابنِ نُباتَةَ لمن لَقِبَهُ «تاج الدين» وهو :

رُسمُ بالأمرِ - لا زالَ مَلِيءَ السَّحابِ ، بِسُقْيَا الأمالِ الوارِدِ ، مَمْلُوءَ الرَّحابِ ، بِكُفَاةِ الأَعْمالِ السَّائِدِ ، مَحْدُومِ المِمالِكِ والأَيَّامِ بأقلامِ الدِّواوينِ الحاسِبَةِ وأقلامِ الدِّواوينِ الحامِدَةِ - أنْ يَسْتَقَرَّ... .. : لِكُفَاةِتهِ التى وافقَ خُبْرُها الخَبْرَ ، ونَشْرَ ذِكْرُها نَشْرَ الخَبْرِ ؛ وَصِناعةِ حِسابِهِ التى لوعاش «أبو القاسمِ المَعْرَى» لم يكنْ له فيها قِسيما ،

ولو عاصرها «أبن الجراح» بقدمه وإقدامه لا نقلب عنها جريح الفكر هزيمًا ؛ بل لو نأواه الشديدا الماعز لُدَّيجَ بغير سكين ، والتَّاج الطويل لرجع عن هذا التَّاج الطائل رُجوعَ المسكين .

فلباشر ما فُوض من هذه الوظيفة إليه ، وثبَّه الاختبار فيها نظره الجميل وناظره ؛ جاريًا على عوائد هيمه الوثيقه ، ماشيًا على أنجح طريق من آرائه وأوضح طريقه ، نازلًا منزلة العين من هذه الجهة التي لو صوّرت بشرًا لكان ناظرها على الحقيقه ؛ مُفرجًا لمضايقتها حتى تكون كما يقال رحبه ، مُقتحجًا من حزون أحوالها العقبة وما أدراك ما العقبة ؟ ؛ فكَّ من رقاب السفار الموقين رقبه ؛ وأطمم أرباب الاستحقاقات في يوم ذي مسغبه ، وساعف بتيسير المعلوم كل كاتب ذي متربه ؛ حريصًا على أن يُغني الديوان بوفره ، وتُغني حداة التجار بشكره ، وعلى أن يقوم رجال الاستخدام في المهمات بنصره ؛ وعلى أن تُساق بفضي قلبه الأموال أحسن سوق ، وعلى أن يكون لأهل الرحبة من إحسانه «مالك» ومن جدوى تديره «طوق» ؛ والله تعالى يوضح في المصالح منهاجه ، ويعلي على رؤوس الأوصاف تاجه .



توقيع بنظر جعبر قبل أن تُنقل إلى عمل حلب ، من إنشاء ابن نباته ، كتب به «هبة الله بن النفيس» ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زالت المناصبُ في دولته الشريفة تستقبلُ هبةَ الله بشكرها ، ونتائجُ الذِّكرِ النفيسِ بمقدماتِ نشرها وبشرها - أن يرتب : لكفاءته التي أشتهرت ، وأمانته التي طهرت فظهرت ، ومباشرته التي ضاهت نجوم السماء إذا زهرت ، ونجوم الأرض إذا أزهرت ؛ وأنه الذي جرب عزمه فزكا على

التَّجْرِبِ، وَرَقِي فِي مَطَالَعِ التَّدْرِيجِ وَالتَّدْرِيبِ، وَنَصَّ حَدِيثُ أَجْتِهَادِهِ الْمُقَرَّبِ فَكَانَ سَابِقًا عَلَى النَّصِّ وَالتَّقْرِيبِ؛ وَأَنَّ هَذِهِ الْبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ مِنْ أَطَابِ التَّأْرِيجِ خَبَرَهَا، وَقَصَّ سِيرَهَا، وَحَمَدَ صَاحِبَهَا الْعَقِيلِيَّ مِنْ قَدِيمِ أَثَرِهَا، وَعَرَفَ بِرَكَّتِهَا لَمَّا آسْتَسْقَى بِهَا مِنَ السَّمَاءِ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْحَيَوَانَ مَطَرَهَا .

فَلْيَبَاشِرْ هَذَا الثَّرَى الْمَحْرُوسَ بِكِفَاءَةِ بِاسْمِهِ، وَعَزْمَةِ كَالْحَسَامِ لِأَذْوَاءِ الْأُمُورِ حَاسِمَهُ؛ وَرَأْيِ لِلنَّجَاحِ حَسَنِ الْأَسْتِصْحَابِ، وَتَثْمِيرِ كَمَا مَلَأَ الرَّجَبَةَ فَلَيْمَلَأَ بِمُضَاعَفَتِهِ الرَّجَابَ؛ مُؤَفِّرًا الْعَدَدَ لِلْحَوَاصِلِ وَحَوَاصِلِ الْعِدَادِ، فَاتِحًا لِأَفْوَاهِ الْقُقُولِ بِذِكْرِ الْجَمِيلِ فِي التَّهَامِ وَالنَّجَادِ، مَاشِيًا فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ عَلَى سَدَادِ الطَّرِيقِ وَطُرُقِ السَّدَادِ .



تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ الْبِقَاعِ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ مِثِّي لِلْكَفَاةِ رِزْقًا، وَهَيْبِي لِتَجْدِيدِ الْمَنَاصِبِ مُسْتَحِقًّا،
وَلَا بَرِحَتِ الْبِقَاعُ بِأَيَّامِهِ الْكَرِيمَةِ تَسْعَدُ كَمَا تَسْعَدُ الرَّجَالُ وَلَا تَشْقَى - أَنْ يَرْتَبَ ...
حَسَبَ مَا تَضَمَّنَتْهُ مَكَاتِبَةُ الْجَنَابِ الْفَلَائِي: مِنْبَهَا عَلَى قَدْرِ هَذَا النَّاطِرِ الْمُهْتَدِّبِ وَصَفُهُ،
الْمُرْتَبَ عَلَى نَحْوِ الثَّنَاءِ نَعْتُهُ وَعَطْفُهُ؛ الْمَشْهُورِ بِمَبَاشَرَتِهِ أَنْتِفَاعِ الْوُظَائِفِ وَأَرْتِفَاعِهَا،
الشَّاهِدِ بِكِفَاةِهِ وَأَمَانَتِهِ مَسَالِكِ الْأَعْمَالِ وَيَقَاعِهَا؛ وَأَعْتَادًا عَلَى مَبَاشَرَتِهِ الزَّكِيهِ،
وَكِتَابَتِهِ الَّتِي لَا يَدَاهِنُهَا الْمَدَاهِنُونَ وَهِيَ نِعْمَ الْبَعْلَبَكِيَّةُ (١).

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ الْمَتَيْمَنَةَ بِمَطَالَعِ رَشْدِهِ، وَمَطَالِبِ سَدِّهِ، عَلِيمًا أَنَّ الْبِقَاعَ
كَالرِّجَالِ تَسْعَدُ وَتَشْقَى: فَلْيَكُنْ سَعْدُهَا عَلَى قَلْبِهِ وَيَدِهِ؛ مَجْتَهِدًا فِيمَا يُبَيِّضُ وَجْهَهُ

(١) نسبة الى بعلبك عند من يجعله اسما واحدا وينعنه من الصرف فأما من يضيف الأول الى الثاني ويجري الأول بوجوه الاعراب فالنسبة عنده بعلي .

شَاكِرِهِ، حَرِيصًا عَلَى آزْدِيَادِ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي عَقْدِ حِسَابِ الْعَمَلِ مَحَلَّ بِنَانِهِ
بِفَعْلِهِ الْآنَ مَحَلَّ نَظِيرِهِ ؛ مُتَمَرًّا لِأَمْوَالِ النُّوَاحِي وَغِلَالِهَا ، وَاضِعًا عَنِ أَرْبَابِ
الْأَسْتِحْقَاقَاتِ مَا عَلَيْهَا مِنْ سُوءِ التَّنْدِيرِ : مِنْ إِضْرِبِهَا وَأَغْلَالِهَا ؛ مَحْتَاطًا لِنَفْسِهِ
فِي الْحَوَاطِ حَتَّى لَا يُذَكَّرَ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا يُعْرَفَ قَلَمُهُ إِلَّا بِمَيْرٍ؛ نَائِمًا حَبَّ حُبِّهِ حَتَّى
تَهْوِي إِلَيْهِ أَلْفَاظُ الثَّنَاءِ هُوِيَّ الطَّيْرِ، جَاعِلًا تَقْوَى اللَّهِ مَقْصَدَهُ : فَإِنَّهَا السَّبِيلُ إِلَى فَوْزِ
الدَّارِينَ لَا غَيْرَ .

الصنف الرابع

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - تواقع مشايخ الخواص ،

وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو بحاضرة دمشق ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتتح به «الحمد لله»)

وهو توقيع شيخ الشيوخ بدمشق : وهي مشيخة الخاتقاه الصلاحية المعروفة
بالشميصاتية . وقد تقدم أنها يكتب بها أيضا من الأبواب السلطانية . ثم هي تُفرد
تارة عن كتابة السر بالشام ، وتارة تُضَافُ إليها .

توقيع بمشيخة الشيوخ بالشام ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب به
للشيخ «علاء الدين علي» مفردة عن كتابة السر ، وهو :

الحمد لله الذي جعل شرف أوليائه عليا، وفضلته الجليل جليا، وأتصال علائهم
كأتصال كوكب الشرف بإيلاء الخيرات مليا، وحاضر أفيقهم كغائبه إذا سطرت
دعواته وأستمطرت هباته كان على كلال الحالين وليا .

نحمده على توالى النعم الأنيقه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تستمر بأصاها فروع الحقيقة ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أجدر الخلق
بكرم الخلقه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا بهداه أحسن طريق
وسلكوا في أحسن طريقه ، صلاة دائمة لا تزال بها عقائد الإخلاص مؤنقة وألسنة
الذكر طليقة ، ونحية إذا بدت في حضرة الأدكار كانت للأعين من النور نهاره
وكانت للأبصار من القدر شقيقة .

أما بعد ، فإن أولى المراتب الدينية بتقديم العناية ، وتفخيم الرعاية ، وتكريم التولية
ولا سيما إذا كانت منتسبة إلى أهل الولاية - مرتبة مشيخة الشيوخ التي يجمع عباد الله
الصالحين نطائفا ، ويضمهم رواقها ، وتطلعهم مطالع كواكب الهدى آفاقها المنيرة
وأوقافها .

ولما حلت الآن هذه الرتبة بالشام المحروس من شيخ تدور هذه الطائفة على
قطبه ، وتجتمع على مائدة قرباته وقربه ، وتمشي على قدميه وتساخي صلاح أحوالها
عن قلبه - تعين أن نختار لها من كملت بالله أداته ، وصفت في مشاهد الحق
ذاته ، وزكت في علمي الإبانة والأمانة شهادته المفضحة ومشاهداته ، وأجمع الناس
على فوائد تسليكه وأسلاك قلبه حيث بدت في وجوه الحسن حسنة ، ووجوه
الشام شاماته ؛ لما شهر من معرفته وعرفانه ، ولما دعى له ببقاء نوح لما فاض

في العلم من طوفانه ؛ وليا قام في الأذهان من طبقة قدره الموصوف ، ولما سار من رسالة أخباره فإذا قالت الآتار : « هذا السرى » قال الإيتار : « وقضله معروف » .

فليأشر هذه المشيخة المباركة بصدر السالكين رحيب ، وير السائلين مجيب ، وقضيل يقول الرائد والمريد بدار إقامته : قفا نيك من ذكرى منزل وحيب ؛ وبشر وبشرى يملآن عين المجتلي ، ويد المجتدي ، وعطف ولطف إذا قال الذاكر لمن مضى :
 راح ماليكي ! قال المعانين : وجاء سيدي ؛ وليراع أمور الخواني الشامية ما غاب منها وما حضر ، وما سمع منها وما نظر ، وليهدب قلوب ساكنيها حتى يعود كإخوان الصفاء من المودة قوم كانوا إخوان الصفا من الحجر ؛ قائما بحق الرتبة قيام مثله من أئمة العلم والعمل ، داعيا لهذه الدولة العادلة فإنه أقصى دواعي الأمل ، معربا -
 لأن العربية من علومه - عن الإيضاح غنيا عن تفصيل الجمل ؛ وهو المسلك فما يحتاج لتسليك درر الوصايا ، الخبوء لمنل هذه الزوايا المبرورة : فنعم الزوايا المحبوة بنعم الخبايا ؛ والله تعالى يعيد على الأمة بركاته ، ويمتعمهم باستسقاء النيوث : إما بسطها عند بره ! وإما بسطها عند دعواته .



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ بالشام أيضا ، مضافة إلى كتابة السرى به ، كتب بها للقاضي ناصر الدين « محمد بن أبي الطيب » كاتب السرى بالشام « بالمقرر الشريف » وهي :

الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه بمعرفة الحق وأتباعه ، وجعلهم خواصه الذين غدوا من أتباع الحبيب وأشياعه ، ورفع ذكركم على رؤوس الأشهاد وآواهم إلى مقام الأئس في محل القرب بالتسليك المحمدي الذي أوصل إليه مزیده بانقطاعه ، وخصهم

بركات من حصّهم على الأعمال الصالحة بقصده الجميل وعلمه الغزير واتّضاعه ،
 ومنّهم بمن أوضح لهم الطّريق المستقيم بإبدائه الحقّ وإبدار إبداعه ، وغذّاهم بالحكمة
 فنشّوا بالمعرفة وصار لهم العقل السليم بالتحفّظ من الأهوية الرديّة فسلمت لهم الطّيبة
 على قانون الصّحة بحسن تركيبه وأوضاعه ، وأفاض عليهم من بحر علمه ما نالوا به الرشد
 فصاروا أولياء بملازمة أوراذه ومتابعة أوزاعه .

نحمده على ما ألهمنا من وضع الشّيء في محله ، وإيصال الحقّ إلى أهله ، وإجابة
 سُؤال الفقراء وإعانتهم بمن أغناهم عن السؤال بفضائله وفضله ، حمداً بعيد كسّاف
 الكرب على مُريديه وطلّبتيه ، ويرفع مقام من قام بشعار الدين بتعظيم قدره وعلوّ
 درجته ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي من تقرب منه ذرّاعا ،
 تقرب منه باعا ، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة وإذا تقرب إليه عبده بالنوافل
 أحبه ، (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من
 ورقة إلا يعلمها ولا حبه) . ونشهد أنّ سيدنا محمّدا عبده ورسوله الذي أضاءت
 الأكوأ من نور هديه فأهتدت به أصحاب المعارف المسامون لموجدهم الأمر
 والإرادة ، ومن هو روح الوجود الذي أحيا كلّ موجود وسلّك طريق سنّته
 المؤصّلة إلى عالم الغيب والشّهادة ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صفت
 قلوبهم من الأكدار وإلى التقوى سبقوا ، وصدقوا في المحبة فاستحقوا ثناء مولاهم :
 (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا) ؛ فمنهم من سُمّت من فيه راحة كيد مشوية من
 خشية الله ، ومنهم من حدّث بما شاهده ببصره وبصيرته على البعد ورآه ؛ ومنهم
 من أحيا ليله وأسّحيت منه ملائكة السماء ، ومنهم من آخذها إذا هو باب
 مدينة العلم وركن العلماء ؛ صلاة دائمة تطيّب أوقات المحييين ، وتطربُ بسماعها
 قلوب المتقين أهل اليقين ؛ وسلّم تسليما .

أما بعد، فإن أولى من قدمناه، إلى أهل الصلاح، ورفقناه، إلى محل القرب وروح الأرواح؛ وحكمناه، على أهل الخير، ومكّاه في حزب الله الذي غلب لما اجتهدوا على إخراج حزب الشيطان من قلوبهم وزحفوا على قراره بجيش التقوى وسمّتهم الزهد وحسن السير؛ وولّناه أجل المناصب الذي تجتمع فيه قلوب الأولياء على الطاعة، وأحللناه أرفع المراتب الذي خطبه منهم خيار الجمع لجلوة عروس الجمال في الخلوة بعقد ميثاق سنة المحبة وشهادة قلوب الجماعة - من جملة صورة ومعنى، وأنخر به أجاد ومتنى؛ وباشره على أحسن الوجوه، وبلغ كلاً من مريدية وطلبته من فضائله وفضله ما يؤمله ويرجوه؛ ومدّ موائد علومه المحتوية على أنواع الفضائل المغذية للقلوب، وجلس في حلال الرضا فكسا القوم الذين لا يشقى بهم الجليس ملايس التقوى المطهرة من العيوب؛ وظهر في محفلهم للهداية كالبدر وهم حوله هاله، وكان دليلهم إلى الحق فدّوا بتسليكه من مشايخ الرسالة؛ وجاهد في بيان معاني القرآن العظيم حتى قيل لما فسره: هذا «مجاهد»، وأستدل على تنزيهه من تكلم به - سبحانه - عن التشبيه والتعليل «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد»؛ ونقل الحديث الحمدي الذي هو «موطاً» لتفهم «الغريب» منه وميز «صحيحه» لكل «مسلم» فأطرب بسماعه الوفود، وأفاد العباد «تنبيه الغافلين» فقاموا في الخدمة فأصبحوا تعرفهم بسيماهم: (سماهم في وجوههم من أثر السجود)؛ وخفض جناحه الذي عبر به الشعري العبور والنسر الطائر، وسار إحسانه إلى طوائف الفقراء فصار مثلاً خبيداً «المنزل السائر».

وكان فلان - أعاد الله تعالى من بركاته وأسبغ ظلاله - هو الذي أقامه الله تعالى لهذه الطائفة المباركة مرة بعد مره، ودُكرت صفاته الجميلة فكان مثله للعيون قرة؛

وَأَتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي مَلَأَتْ الْأَفْوَاهَ وَالْمَسَامِعَ كَمَا مَلَأَتْ مِرْءَاتَهُ الْمُقَلَّ، وَحَصَلَ
 الْبَشَرُ بِمَعْرِفِهِ الَّذِي تَتَّبَعَهُ السَّرِيُّ أَبُو يَزِيدَ بَغْرِيًّا عَلَى عَادَةِ الْقَوْمِ الْكِرَامِ؛ وَتَبَعَتْ
 وَتَبَعَتْ عَنَاصِرُ فِضَائِلِهِ فَكَانَتْ شَرَابَ الَّذِينَ صَفَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ كَدِّهَا، وَأَمْطَرَتْ
 سَمَائِبُ عُلُومِهِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّارَةَ مِنْ سَمَاءِ الْحَقِيقَةِ فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بَقَدَرِهَا؛ وَظَهَرَتْ لَمْعَةُ
 أَنْوَارِ شَمْسِ مَعَارِفِهِ عِنْدَ التَّجَلِّيِّ عَلَى الْمُرِيدِ، وَسَاقَ نَفُوسَ الْقَائِمِينَ لِمَا عَزَّ مَطْلَبُهُمْ
 بِأَصْلِهِ الَّذِي شَرَحَ طَلَّاسِمَ قَلْبِ الْغَائِيِّ بِذِكْرِ الْبَاقِي فَعَرَفُوا فِي بَحَارِ الْحَبَّةِ ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ
 نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ يَرْفَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ إِلَى أَعْلَى مَقَامٍ ،
 وَيَبْنِي لَهُمْ فِي جَنَّاتِ الْقُرْبِ قُصُورَ الرِّضَا: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ وَمَنْ يَدُهُمُ الْإِكْرَامُ -
 أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ مَشِيخَةُ الشُّيُوخِ بِالشَّمَامِ الْحَرُوسِ : وَظَيْفَتُهُ الَّتِي خَرَجَتْ عَنْهُ ،
 الْمَرْسُومُ الْآنَ إِعَادَتُهَا عَلَيْهِ ، عَوْضًا عَمَّنْ كَانَتْ بِيَدِهِ ، بِمَعْلُومِي النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ الشَّاهِدِ
 بِيَهْمَا دِيْوَانِ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ ؛
 تَفْوِيضًا نَظَّمَتْ بِالْقَبُولِ عُقُودَهُ ، وَدَامَتْ فِي دَارِ السَّعَادَةِ سَعُودَهُ ، وَفِي دَرَجِ الْمَعَالِي
 صُعُودَهُ .

فَلْيَتَلَقَّ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ ، وَلْيَبْتَغِ الْفُقَرَاءَ مِنْ إِقْبَالِهِ الْحِمِّ الَّذِي أَلْجَمَ عُدُوهُ الْمُنَى وَالسُّوْلَ ؛
 وَلْيَعَامِلِ الْمُرِيدِينَ بِالشَّفَقَةِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ رَحْمَةِ دِينِهِ وَإِفْضَالِهِ ، وَلْيَسْمَلْ كَلَّامَهُمْ
 بِعَيْنِيَّةٍ وَطُفْهِهِ فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ أَشْفَقُهُمْ عَلَى عِيَالِهِ ؛ وَلْيَأْمُرْهُمْ بِمَلَاذِمَةِ
 إِقَامَةِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ ، وَإِذَا مَالُوا - وَالْعِيَادَ بِاللَّهِ تَعَالَى - يَوْمًا
 إِلَى مُنَافَسَةِ بَيْنِهِمْ فَلْيَقُلْ : اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا تَمِيلُوا كُلَّ
 الْمَيْلِ ؛ وَلْيَفْسَحْ لَهُمْ حَرَمَ الْخَيْرِ الَّذِي وَقُنُوا فِيهِ نُجَاهَ قَصْرِ تَعْبُدِهِ الَّذِي عَلَا بِالْجَوْهَرِ

الْقَرْدِ وَقُوَّةِ الْإِخْلَاصِ ، وَيُدْخِلُهُمْ مِنْ جَنَّةِ إِقْبَالِ فَوَائِدِهِ الَّتِي فِيهَا مِنْ أَبْكَارِ مَعَانِيهِ حُورٍ مَقْصُورَاتٍ فِي خِيَامِ أَدَائِهِ لَمْ يَطْمِئِنُّ نَاسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ وَأَعْجَزُهُ الْعَالِي وَجْوهُهُ الْعَالِي كُلُّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ؛ وَلِيَجْعَلَهُمْ لَهُ عَلَى جَبَلِ آعْتِمَادِهِ وَمَرَوَةٍ مُرْوَةٍ تَهْ إِخْوَانَ الصِّفَا ، وَيُقِيمُهُمْ فِي رُكْنِ مَقَامِ الْمُنَاجَاةِ إِذَا زَمَزَمَ مُطْرِبُ حَيْبِهِمْ تَلْقَاءَ أَهْلِ الْوَفَا ؛ وَلِيَقْدِمَ السَّابِقِينَ بِمَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ وَنَجْدَتِهِمْ بِالْوَرَعِ الَّذِي يَغْلِبُونَ بِهِ الشَّيْطَانَ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِبُونَ ، وَيُؤَدِّدُوا قُلُوبَهُمُ الْمَرْضَى بِشَرَابِ الْمَحَبَّةِ وَتَرْكِيبِ أَدْوِيَةِ الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الدُّنْيَا لِيَعْتَدُوا وَقْتَ السَّحْرِ [بِحَدِيثِ] (هَلْ مِنْ تَائِبٍ) وَلَا يَسْتَقِيمُ كَاسَاتٍ تَضَعُفُ عَنْهَا قُوَّتُهُمْ حَتَّى يُنْقَوُوا مِنْ بَرْدَةِ الْهَوَى الْمُضِرَّةِ وَيَغْتَسِلُوا بِحَارِّ مَجَارِي دُمُوعِ الْخُشُوعِ وَيَلْبَسُوا جَدِيدَ مَلَائِسِ التَّقَى وَيَغْدُوا مِنَ الْحَبَائِبِ . وَمِنْهُ تُعْرَفُ الْوَصَايَا ، وَعَنْهُ تُنْقَلُ الْمَزَايَا ، وَكَرُمُ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجَايَا ؛ وَلِيَأْمُرَ السَّالِكِينَ بِمَدَاوِمَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي قَامَتْ بِحُسْنِ الْعَقَائِدِ وَأَسْتَقَلَّتْ ، وَلِيَحُضِّضَ الْمُرِيدِينَ أَوْائِلَ التَّسْلِيكِ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّتْ ؛ وَلِيَعْرِفَهُمُ الْمَحَبَّةَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِمْ يَقُومُوا عَلَى قَدَمِ الْهَيَامِ ، وَلِيَبَيِّنَ لَهُمُ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ يَعْرِفُوا الْمَعْنَى لِيَقْطَعُوا الْهَوَاجِرَ فِي طَلَبِ الصِّيَامِ ؛ وَلِيَفَرِّقَ بَيْنَ الْوَارِدَاتِ بِمَلَازِمَةِ الْأَوْرَادِ لِتَلَا يَقَعُوا مِنَ الْإِسْتِبَاهِ فِي حَيْرِهِ ، وَلِيَأْمُرَهُمْ بِإِدْخَالِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لِتَكُونَ التَّقْوَى لِقُلُوبِهِمْ قُوْتًا وَالزُّهْدُ مِيرَةً ؛ وَلِيَقْمَعَ أَهْلَ الْبِدْعِ ، وَلِيَرْفَعَ مَنْ أَنْضَعَ ؛ وَلِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ أَوْقَافِهِمْ بِجَمِيعِ الْخَوَاقِ وَالرُّبُطِ وَالزُّوَايَا بِالْجَمِيلِ مِنَ النَّظَرِ ، وَلِيَزِدَّ فِي الْأَجُورِ بِمَا يُوَثِّرُ فِيهَا نَظَرُهُ الَّذِي مَازَالَ لَهُمْ مِنْهُ أَوْفَرُ نَصِيبٍ فَبِذَا الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ ؛ وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَهِيَ مُفِيدَةٌ وَعِنْدَهُ مَنبَعُهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ شَيْخُهَا وَمُرِيدُهَا فِي بَيْتِهِ الْمُبَارَكِ حَلَاوَةٌ ذَوْقُهَا وَجَمْعُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَكُونُهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِآيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ ، وَيَرْفَعُهُ بِهَا وَيُرْقِيهِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ .

المرتبة الثانية

(من تواقع مشايخ الأمكنة بحاضرة دمشق - ما يفتح به «أما بعد

حمد الله» وفيها وظائف)

نسخة توقيع بمشيخة إقراء القرآن ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
كتب به للشيخ شهاب الدين «أحمد بن النقيب» بـ«المجلس العالى» وهى :

أما بعد حمد الله رافع شهب الهدى أعلما، وجاعل رب أفضلها أعلى ما ، ومحل
أحدها من مدارس الآيات منازل بدر إذا مح الحاق من هذا أسما أثبت من سمو هذا قمرًا
تمما، ومسكنه من مواطن الذك جئات قوم بارتقائهم وبقاء ذكهم خالدين فيها
حسنت مستقرًا ومقاما، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أرفع من أخذ القرآن إماما،
وأفجع من عقد استحقاق النبوة على حمده خنصرًا وجل الحق بهداه إنبهما، وعلى آله
وصحبه أمتع من لبس بسر الآيات درعا وأقسم من بركتها سهامًا - فإن وظيفة
يكون القرآن الكريم، ربيع فصلها وفصلها، ورتبة يكون الذكر الحكيم، مداوى قلوب
جفائها، ومشيخة يكون مرید الآيات البينات وإرد زوايا أهلها - لأحق أن تختير لها
الأكفاء من ذوى الفضل الأثير، والأدلاء على أشرف نتاج الهداية من ذوى الحليم
الساكن والعزم المثير .

ولما كانت مشيخة إقراء القرآن بالثربة المعروفة بأصالح بدمشق المحروسة :
هى كما يقال : أم العلم وأبوه، وأخوه وحموه، وصاحبته وأهل الكتاب والسنة بنوه؛
وخلت الآن من شيخ [كان] يحى حماها، وتقسم الخلوات والآيات من بركته وتلاوته
بـ«الشمس وضحاها والقمر إذا تلاها»، وكان فلان هو الذخيرة الخبوة لهذا الأمر،
وذو السيرة المحبوة بهذا الشرف الغمر، وصاحب القراءة والبيان الذى لا يعوز زمان

طَلَبْتَهُ [أبو] عُمَرُ وَلَا أَبُو عَمْرٍو؛ وَالْجَامِعُ لِعُلُومِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى جَمَعَ سَلَامَةً فِي فَنِّهِ، وَصِحَّةٍ فِي شَرَفِ ذِهْنِهِ، وَجَوَازِ أَمْرِ يَشْهَدُ أَنَّ الْبَحْرَ يَخْرُجُ [لَدَى] الْمَشْكَالَاتِ مِنْ صَدْرِهِ وَيَدْخُلُ عِنْدَ عَقْدِ الْحُبِّ فِي رُذْنِهِ؛ وَالْقَارِيُّ الَّذِي إِذَا قَالَ مُبِينًا قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، وَالتَّالِي الَّذِي إِذَا قَصَرَ أَوْ مَدَّ، مَدَّ إِلَى سَمَوَاتِ الْعُلَى بِأَسْبَابِ، وَالْمُشِيرُ إِلَى عَالِمِهِ الْمَرْسُومِ بِمُصْحَفِهِ فَلَا عَدَمَ إِشَارَتِهِ وَمَرْسُومَهُ أَوْلُو الْأَلْبَابِ؛ وَالْمُجَلِّي وَإِنْ سَمَّاهُ الْعُرْفُ تَالِيًا، وَالْمُنْتَقِبَ عَنِ غَوَامِضِ التَّفْسِيرِ: وَ«أَبْنُ النَّقِيبِ» أَوْلَى بِسِنْدِ التَّفْسِيرِ عَالِيًا، وَالْإِمَامَ السُّنِّيَّ وَإِنْ سَمَّاهُ الشَّرْعُ الْإِمَامَ الْحَاكِمَ دَهْرًا وَأَقَامَ لَهُ فِي أَفْقِ كُلِّ فَضْلٍ دَاعِيًا، وَالسَّامِي الَّذِي يَسْلُكُ بِفَخْرِهِ عَلَى «الْعِرَاقِيِّ» أَوْضَحَ مَحَجَّهُ، وَالْعَرَبِيُّ الَّذِي مَا «لِلْفَارِسِيِّ» دَخُولٌ فِي بَابِ تَيْقُنِهِ وَإِنْ جَاءَ بِحُجَّةٍ، وَذُو الرِّوَايَاتِ الْمُرُوبَةِ سَحَابِيَّةٍ، وَخَلْفُ الْعُلَمَاءِ الْأَبْيَضُ فَمَا «خَلْفُ الْأَحْمَرِ» مِمَّا يُقَارِبُهُ، وَلَا «تَعَلَّبَ» مِمَّا تَضِحُّ لَدَيْهِ تَعَالِيَهُ، وَلَا «أَبْنُ خَرُوفٍ» مِمَّا يُدَانِيهِ وَهُوَ «الَلَيْثُ» وَمِنَ الْأَقْلَامِ مَحَالِيَهُ، وَبَقِيَّةُ السَّادَةِ الْقُرَاءِ الْمُنَشَّدُ قَوْلَ الْحَمَاسِيِّ .

وَأَيُّ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ * إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ!
بَدُورُ سَمَاءٍ، كَلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ، * بَدَا كَوْكَبٌ، تَأَوَّى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ!

تَعَيَّنَ أَنْ يُخْطَبَ لِهَذِهِ الْمَشِيخَةِ خُطْبَةُ الْفَقِيِّ لِاقْتِبَالِ مَجْدِهِ وَالشَّيْخِ لِتَوْقِيرِهِ، وَيُطْلَبُ لِهَذِهِ الرَّتَبَةِ طَلَبًا يَقْضِي الْأَمْلَ فِيهِ بَعْنَوَانُ تَيْسِيرِهِ .

فَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَسْتَقَرَّ... : وَضَعًا لِلْأَشْيَاءِ فِي مَحَلِّهَا، وَرَفْعًا لِأَقْدَارِ الْأَفْضَالِ إِلَى أَعْلَى رُتَبِ الْفَضْلِ وَأَجْلِّهَا؛ وَعِلْمًا بِمَقْدَارِ هَذَا الْعَالَمِ السَّابِقِ فِي أَفْقِ الْهُدَى شَهَابًا، الْمُدْفِقِ عَلَى رِيَاضِ الْعِلْمِ سَحَابًا، النَّاقِلِ إِلَى مَجَالِسِ الْأَسْتِغْلَالِ خُطًّا يَقُولُ لَهَا الْمُؤْمِنُ بِالْإِكْرَامِ وَالْكَافِرُ بِالْإِرْغَامِ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ .

فليأشُرْهـ هذه الوظيفة مباشرة مثله من ذوى الأناة والإفادَة ، وكفاة المناصب الذين على سَعْمِهِمُ الحُسْنَى وعلى الدولة تصلُّ الزيادة ؛ وليسلك في الأشغال عادة نُطْقِهِ الأَحْسَنَ ، وليعامل طلبته في المباحث بغير ما أُلْفُوا من الخلق الأَحْسَنَ ، وليعلم أنه قد جمع بين برِّه وتُرْبَةِ الأُمِّ كى تقرَّعِنها ولا تحزن ؛ فليسرها بنبله ، وليبرها بفضله ؛ وليوفِّر السَّعى إليها كلِّ وقتٍ في المسير ، وليفسِّر أحلام أمهالها فيه فَمِنْ مُفردات علومه التفسير ؛ وليحسِّن لتلاميذته الجمع ، وليحِمِّ حمى رواياتهم من الخطأ ولا عجب أن يُحمى حمى السَّبْعِ ؛ تالياً كلام ربِّه كما أنزل وحسبه ، داعياً بذنب قراءته إلى ابن كعب فبخدا نَسَبُه المبارك وكعبه ؛ ناصباً بمنظَرٍ تَخَصَّه أشخاص أمثاله الأول بعد ما ضمهم صَفِيح الخُدِّ وتُرْبُه ، حتَّى يَمِيسَ «الكِسَائِيُّ» فى بُرد مسرته الفاسح ، ويفتح عيون «حمزة» على زهرات رَوْضِ عَيْقِ المباحر ، ويترنم ورشاً «ورش» فى الأوراق على بَحْرِهِ الرَّاحِر ؛ ويظهر بفضله ذِكْرُ «الشَّاطِئِي» فيكون «القاضى الفاضل» رحمه الله قد أظهره فى الزمن الأوَّلِ و«القاضى الفاضل» أجله الله قد أظهره فى الزمن الآخر ، وتقوى الله تعالى كما علم ختام الوصايا البيض فليتناول مسكها الذى هو بشدا المسك سائح ؛ والله تعالى ينفع بعلم صدره الذى ما ضاق عن السؤال فله ، ويمتدُّ بعلو قدره الذى إن لم يكن هو لفضل الشاء فمن له .

المرتبة الثالثة

(من تواقع مشايخ الأماكن بحاضرة دمشق - ما يفتتح بـ «رسم بالأمر»)

تَوَقَّعُ بِمَشِيخَةِ الحَوَالِيقية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ؛ وهو :

رُسم بالأمر - لا زال حُسن اعتقاده يَسْتَنْزِلُ النَّصْرَ فينصر ، وَيَسْتَبْصُرُ مطالع الفوز فيبصر ، وَيَسْتَجْلِبُ الأُدعية الصالحة من كلِّ زاهدٍ إذا حام فى أفق العبادة

حَاقَ وما قَصَرَ - أن يستقرَّ ... : حملاً على الوصية التامة الحكم والأساس ، وعلماً بأنه ممن حلَّ في مشيخته لباسٌ بَلَّاسٌ ، ونزع في الزهد عما عدَّ زينةً في النَّاسِ ؛^(١) وسرح شعره حقيقة التَّسريح فأطلقه ، ومحا رِقَّ سَوَادِهِ وبياضه فأعتقه ؛ ولازم طريقَ مشايخه فما ، وشكر الحال بفعل في منبت كلِّ شعرةٍ لساناً للشُّكْرِ وفاً ؛ وسرَّ طائفةً وردوا على آثاره مناهل الوفا ، وصفت قلوبهم وجوههم فدارت عليهم كُؤُوسُ إخوان الصفا ؛ حتى مشوا إلى مطالب الخير مشى الرَّخاخ ، وفأخروا أقواماً دنسوا عِزَّةَ رُتبتهم فلولا أدبهم لأتسُدُّوهم : «عقول مُردِّ ولحى أشياخ» .

فليقم في مشيخته قياماً يُحْيِي القومَ بأنفاسه ، ويهبهم بكرامة الكشف من قلبه وتكريم الكشف من رأسه ؛ سالكا بهم في طرائق الخير مُستبشرين ، آمراً بتقصير الملابس ورعاً حتى يدخل بهم إلى النَّسكِ مُحَلِّقِينَ ومُقَصِّرِينَ ؛ والله تعالى ينفعُ به ، ويُفِيَّ حاله بمذهبٍ مذهبِهِ .

الضرب الثاني

(من تواقع مَشِيخة الأماكن - ماهو بأعمال دِمَشق ، وفيه مرتبة

واحدة ، وهي الأفتاح بـ«رسم»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة تواقع بمشيخة الحرم الخليلي ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب به للشيخ «شمس الدين بن البرهان» الجعبري بـ«المجلس» وهي :

رسم بالأمر الشريف - أعلاه الله تعالى ، وبسط عدله الذي لا يبلغه الواصف ولو تعالى ، وسرى لأولياء بني الأولياء بیره الذي تسنن بسنة الغيث ثم توالى - أن

(١) البلاس كصاحب المسح فارسي مغرب .

يستقر... .. - أدام الله تعالى بركته الانتفاع، وباقتداء سلفه الارتفاع، وأعاد من بركات بيته الذي قام البرهان بفضلته وقال بوضوح شمس الإجماع - في مشيخة حرم سيدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه، على عادته القديمة المقدمه، ومستقر قاعدته المعلومة المعلمه ؛ بعد إبطال ما كُتِبَ به لغيره فإن هذا الوليَّ أُولَى، ولأنَّ الحقَّ معه وباع الحقَّ أطول على المعنيين إطالةً وطولاً ؛ وضماً للشئ في محله الفانحر، وحملًا على ما بيده من تواقيع شريفة توارث بركتها ملوك البسيطة في الأول والآخر؛ وعلمًا أنه بقية العلم المشيد، والزهد العتيد؛ وخليفة السلف الصالح وما منهم إلا من هو «أمين». العزم «رشيد»، وأنه الشيخ وكل من عرفه في بقائه ولقائه مُريد؛ والقائم بالمقام الخليلي - صلوات الله تعالى على ساكنه - مقامًا مجتبي، والمنتسب إلى خدمة الحرم الإبراهيمي مخدوما صلى الله عليه ونسبا؛ والقديم المهجرة فلا تتركه الأوطان ولا تهجره، والمقيم بالبلد الخليلي على إقامة الخير: فما ضره أن العدو يشكوه إذا كان «الخليل» يشكره؛ وقد سبقت له مباشرات في هذا الحرم الشريف فكان عزها تماما، وشكرها لازما، وكانت على الصادرين والواردين كذلك النار النبوية بردًا وسلامًا. فليعد إلى مباشرة وظائفه المذكورة في التواقيع الشريفة التي بيده، وليكن يومه في الفضل زائدًا على أمسه مقصرًا عن غده؛ بثناء يتلق الأضياف أبي الأضياف، باليف أحوال الداخلين إليه شتاءً وصيفًا وإن لم تكن رحلة إيلاف، جاريًا في بركة التدبير والشمير على عادته وعادة سلفه فنعم الخلف ونعم الأسلاف؛ مواظبًا على عادة تقواه ورفع الأدعية لهذه الدولة الشريفه، جاعلاً ذلك منه أول وانحر كل وظيفه؛ والله تعالى ينفع بركات سلفه وبه، ويكافئ عن الأضياف بسط راحته بالخيرات وفضل تعبته .



تَوَقَّعُ بِمَشِيخَةِ الزَّاوِيَةِ الْأَمِينِيَّةِ بِالْقُدْسِ وَنَظَرِهَا، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بِرَهَانَ الدِّينِ»
أَبْنِ الْمَوْصِلِيِّ بِ«الْجَنَابِ الْعَالِيِّ» وَهُوَ :

رُسْمٌ ... - لِأَزَالِ يُجْرَى الْأَوْلِيَاءُ فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى أَجْمَلِ عَادَةٍ، وَيَخْتَارُ مِنْهُمْ لِمَوَاطِنِ
الْخَيْرِ مَنْ يَرَعَاهَا بِنَظَرٍ يَمُرُّهَا السَّعَادَةُ - أَنْ يُحْمَلَ فَلَانٌ فِي وَظِيفَتِي النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ
بِالزَّاوِيَةِ الْأَمِينِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، عَلَى حَكْمِ النُّزُولِ وَالتَّقْرِيرِ الشَّرْعِيِّينَ الْمُسْتَمَرِّ
حُكْمُهُمَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ، وَأَسْتَمْرَارِهِ فِي الْوِظِيفَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ بِمَقْتَضَاهُمَا، وَمَنْعِ
الْمَنَازَعِ بِغَيْرِ حَكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فَلْيَبْشُرْ ذَلِكَ بِمَا يُقْتَدَى بِهِ مِنْ تَسْلِيكِهِ وَتَأْدِيهِهِ، وَتَسْرِعِ رَغْبَتِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ
وَمِنْ عَنَايَةِ تَهْنِئَتِهِ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَا تُقَالُ لِمِثْلِهِ إِذْ هُوَ مُعَلِّمٌ، وَتَقْوَى اللَّهِ
سَبْحَانَهُ أَهْمٌ وَأَعْظَمٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَرشِدَنَا إِلَيْهَا، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي كُلِّ
الْأُمُورِ أَعْتَادَنَا عَلَيْهَا، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

الصَّنْفُ الْخَامِسُ

(مَّا يُكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوِظَائِفِ بِالشَّامِ - تَوَاقِعِ الْعُرَبَانِ)

وَالَّذِي وَقَفَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَرَسُومٌ مَكْتَتَبٌ بِرُبْعِ تَقْدِمَةِ بَنِي مَهْدَى بِ«الْمَجْلِسِ
السَّامِيِّ» بِغَيْرِ يَأْ، كُتِبَ بِهِ لـ«مُوسَى بْنِ حَنَاسٍ» مَفْتَحًا بِ«أَمَّا بَعْدُ» وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي جَمَعَ عَلَى الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّ قَبِيلَةٍ، وَبَسَطَ عَلَى ذَوِي
الإِخْلَاصِ ... (١) ... الظَّلِيلَةِ، وَالشَّهَادَةِ بِأَنَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

(١) بِيَاضٍ فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّ «ظِلَالٌ نَعْمَةُ الظَّلِيلَةِ» .

شهادة أتخذها للتوحيد دليلاً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي
 أتخذه الله تعالى حبيبه وخليته ، وآتاه الدرجة الرفيعة والوسيلة ، وعلى آله وصحبه
 صلاة مباركة أصيله - فإن الأولى لتزكية القوم تُرعى ، وذات الإخلاص ينحج له
 كل مسعى ، والجدير بالنعم من يُجيب بالطاعة حين يُدعى ؛ من سلك في الخدمة
 الشريفة مسلك الأسلاف ، وتجنب ما يُفرض إلى الشقاق والخلاف ؛ فعند ذلك
 رفعت مراتبه ، وضاعت مواهبه ، وأزنا بالإقبال الشريف كواكبه ، وأجملنا مكاسبه ؛
 وبسطنا في رُبع تقدمه بنى مهدي كلامه ، ونقدنا أمره على طائفتيه : قوله وإبرامه ؛ من
 أضحى مشكوراً من كل جانب ، مجتهداً في المصالح وبلوغ المآرب ؛ من عُرف بالأمانة
 فسلكتها ، وأشتهر بالصيانة فملكها ؛ وحاز أوصافاً حسنة ، وسيرةً نطقت بها
 الألسنة ؛ وكان فلان هو الذي أضحى على عُربانه مقدماً ، ومن أكابريهم معظماً .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازلتم مراسم الشريفة عالية نافذة ، وأوامره
 بصلة الأرزاق عائدة - أن يستقر ... على عادته وقاعدته : حملاً على ما بيده من
 التوقيع الكريم .

فليباشر هذه الإمرة مع شركائه مباشرة حسنة ، وليسير فيها سيراً تشكره عليه
 الألسنة ؛ وليظهر السداد ، وليبذل الطاعة والاجتهاد ؛ وليسلك المسالك الحسنة ،
 والله تعالى يجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؛ والوصايا كثيرة
 وملاكمها تقوى الله تعالى ، والله تعالى يجعل إحساننا إليه يتوالى .

قلت : وقد تقدم أنه يكتب بإمرة بنى مهدي من الأبواب السلطانية أيضاً .
 على أن هذا التوقيع من التواقيع الملتفة ، ليس فيه مطابقة للتواقيع ، وليس برائق
 اللفظ ، ولا مؤثق المعنى .

(١) هذا الكلام كانه عليه المؤلف بعد غير منسجم بل غير مستقيم .

الصفحة السادسة

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - توقيع زعماء

أهل الذمة : من اليهود والنصارى)

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى مفتتحاً بـ «أما بعد» كتب به للبطرك

« ميخائيل » وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعلنا نشمَلُ كلَّ طائفةٍ بمزيد الإحسان، ونُقْبِضُ من دولتنا الشريفة على كلِّ بليةٍ أطمئناناً لكلِّ ملةٍ وأماناً، ونُقَرُّ عليهم من آخثاره ونُزاعيمهم بمزايا الفضل والامتنان؛ والشهادة بأنه الله الذي لا إله إلا هو الواحد الذي ليس في وحدانيته قولان، والفرد المنزه عن الجوهر والأقنوم والوالد والولد والحلول والحدثان، [شهادة] أظهر إقرارها اللسان، وعمَلت بها الجوارح والأركان؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الملائم والإنس والجان، الذي بشر به عيسى وآمن به موسى وأنزل عموم رسالته في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فصَحَّ النقل بنبوته وآدم في الماء والطين وأوضح ذلك البرهان، وعلى آله وصحبه الذين سادوا بإخلاص الوحدانية، وشادوا أركان الملة المحمديَّة، وأعزوا الإيمان وأذلوا الطغيان، صلاةً ينفح طيبها، ويفصح خطيبها، ويفرح بها الرحمن - فإنَّ أولى من أقمناه بطريكا على طائفة النصارى الملكية، على ما يقتضيه دين النصرانية والملة العيسويَّة؛ حاكماً لهم في أمورهم، مُفصِّحاً عما كُن في صدورهم - من هو أهل هذه البطريكية، وعارف بالملة المسيحية؛ أخذها لها أهل طائفته، لما يعلمون من خبرته ومعرفته، وكفايته ودربته، ونُدب إلى ولاية يستحقها على أبناء جنسه، ورغب في سلوكه لها مع إطابة نفسه، مع ماله من معرفة سرت

أخبارها ، وظهرت بين النصارى آثارها ؛ وكان فلانٌ - أدام الله تعالى بهجته - هو من النصارى المملِكية بالمعرفة مدكور ، وسيره بينهم مشكور ، القائم فيهم بالسيرة الحسنه ، والسالك في مذاهبهم سيرا تشكره عليها الألسنه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم لكل طائفة شاملا ، ويره الجسيم لسائر الملك بالفضل متواصلا - أن يستقر بطركا على النصارى المملِكية بالشام وأعماله ، على عادة من تقدمه في ذلك ، وتقوية يده على أهل ملته ، من تقادم السنين بحكم رضاهم ، ومنع من يعارضه في ذلك : حملا على ما بيده من التوقيع الكريم المستمر حكه إلى آخر وقت .

فلباش هذه البطرِكية مباشرة محمودة العواقب ، مشكورة لما تحلّت به من جميل المناقب ؛ وليحكم بينهم بمقتضى مذهبه ، وليسرفهم سيرا جميلا ليحصل لهم غاية قصده ومأربه ؛ ولينظر في أحوالهم بالرحمة ، ويعمل في تعلقاتهم بصدق القصد والهمة ؛ وليسلك الطرق الواضحة الجلية ، وليتخلى بالأخلاق المرضية ، وليفصل بينهم بحكم مذهبه في مواريتهم وأنكحتهم ، وليعتمد الزهد في أموالهم وأمتعتهم ؛ حتى يكون كل كبير منهم وصغير ممتثلا لأمره ، واقفا عندما يقدم به إليه في سره وجهره ؛ متصيين لإقامة حرمة ، وتنفيذ أمره وكلمته ؛ وليحسن النظر فيمن عنده من الرهبان ، وليرفق بذوى الحاجات والضعفاء : من النساء والصبيان ، والأساقفة والمطارنة والقسيسين زيادة للإحسان ؛ إحسانا جاريا في المساء والصباح ، والغدو والرواح .

فليمتثلوا أمره بالطاعة والإذعان ، وليجيبوا نهييه من غير خلاف ولا توان ؛ ولا يمكن النصارى في الكنائس من دق ناقوس ، ورفع أصواتهم بالصحيح ولا سيما عند أوقات الأذان لإقامة الناموس ؛ وليتقدم إلى جميع النصارى بأن كلا منهم يلزم

زِيَّةً، وما جاءت به الشروط العُمريَّةُ - عمر بن الخطاب رضى الله عنه - لتكونَ أحوالهم في جميع البلاد مرعيَّةً؛ وليخشَ عالم الخفِيَّاتِ، وليستعمل الأناةَ والصَّبْرَ في جميع الحالات؛ والوصايا كثيرةٌ وهو بها عارف، والله تعالى يُلهمه الرُّشدَ والمعارفَ .

قلتُ : وهذا التوقيع فيه ألفاظٌ ومعانٍ غيرُ مستحسنَةٍ، وألفاظٌ ومعانٍ مُنكرةٌ، أغشها قوله : مُفصَّحاً عما كَنَ في صُدُورِهِمْ . فإنه لا يعلم ما تُخفي الصدورُ وتُكنُّه إلا الله تعالى .

واعلم أنه ربما أفتتح توقيعُ البطريرك عندهم بـ «رسم بالأمر» .



توقيع لبَطْرِكِ النصارى بالشام أيضاً، كُتِبَ به للبطريرك «داود الخُورى» بـ «البَطْرِكِ المحتشم» وهو :

رُسم بالأمر - لازل يَعْزُزُّ بالألتجاء إلى حَرَمِهِ من يَأوِي إليه، ويَقْصِدُ عَدْلَهُ من أهل المِلَلِ ويعتمدُ عليه - أن يستقرَّ فلانٌ - وفقه الله تعالى - بطريرك المَلِكِيَّةِ، بالملكة الشريفة الشامية المحروسة، حَسَبَ ما آختره أهل مَلَّتِهِ المقيمون بالشام المحروس ورَغِبُوا فيه، وكتبوا خطوطهم به، وسألوا تقريره في ذلك دون غيره؛ إذ هو كبير أهل مَلَّتِهِ، والحاكِمُ عليهم ما أمتد في مدته؛ وإليه مَرَجِعُهُمْ في التَّحْرِيمِ والتَّحْلِيلِ، وفي الحكم بينهم بما أنزل الله تعالى في التَّوراةِ ولم يُنسخ في الإنجيل؛ وشِرعته مبنية على المسامحة والأحتمال، والصَّبْرَ على الأذى وعدم الأكتراث [به] والاحتفال .

نُفِذُ نَفْسِكَ في الأوَّلِ بهذه الآداب، وأعلم بأنَّ لك في المدخل إلى شريعتك طريقاً إلى الباب؛ فتخلِّق من الأخلاق بكلِّ جميل، ولا تستكثر من متاع الدنيا

فإنه قليل ؛ وقدّم المصالحة بين المتحاكمين إليك قبل الفصل البتّ فإنّ الصلح كما قيل : سيّد الأحكام ، وهو قاعدة دينك المسيحيّ ولم تخالف فيه المحمديّة الغراء دين الإسلام ، ونظف صدور إخوانك من الغلّ ولا تقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام ؛ وإليك الأمر في البيع ، وأنت رأس جماعتك والكلّ لك تبع ؛ وإياك أن تتخذها لك تجارةً مربّحة ، أو تقطّع بها مال نصرانيّ تقربه فإنه ما يكون قد قرب به إلى المدبج وإنما ذبحه ؛ وكذلك الديار - والقلاى ، [يتعين عليه أن يتفقد فيها كل أمر في] الأيام والليالي ؛ وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات ، ولعلم أنّهم إنّما أعتروا فيها للتعبّد فلا يدعها تتخذ متزّهات ؛ فهم إنّما أحدثوا هذه الرهبانية للتقليل في هذه الدنيا والتعطف عن الفروج ، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إنّ أكثرهم إذا دخل إليها ما يعود يبقى له خروج ؛ فليحذرهم من عملها مصيدةً للسال ، أو خلوة له ولكن بالنساء حراماً ويكون إنّما تنزه عن الحلال ؛ وإياه ثم إياه أن يؤوى إليه من الغرباء القادمين عليه من يريب ، أو يكتم عن الإنهاء إلينا مشكّل أمرٍ ورد عليه من بعيد أو قريب ؛ ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد [إليه] من أحد من الملوك ، ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشى على مثل هذا السلوك ؛ وليتجنب البحر وإياه من أقتحامه فإنه يغرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين ينقع ؛ والتقوى مأمور بها أهل كلّ ملّة ، وكلّ موافقٍ ومخالفٍ في القبلة ؛ فليكن عمله بها وفي الكفاية ما يُغنى عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .



توقيع برأسه اليهود بالشام ، مفتتحاً بـ «رسم» من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زال جُوده في كلِّ مله ، وعمامُ كرمه على الخلق كأنه ظنَّه ،
 وذمَامُ نِعْمه يُبلغُ المسلمَ والذميَّ من الاستحقاق محله ، أن يستقرَّ الحكيم ... (١) ...

ومنه : - وأن يعاملهم على ما ألقوه من الأحكام ، ويُنيّف صاحبَ حقِّهم
 من مُتطلِّبهم : حتّى لا يعدّوا أحدٌ في سبِّ ولا في سائر الأيام ؛ ويهدّب وحشيَّ
 جاهلهم بآيناسه ، ويعالج سقمَ كاهلهم حتّى تطلع الصفرَاءُ من رأسه .

فليقُم مقامًا في هذه الطائفة القديمه ، وليعبّر من أسفارِ عبرانيّة عن عوائد قضاياهم
 النظيمه ؛ مفرحًا بمعرفته كلِّ حرّان ، جامعًا كلَّ شعثٍ على عدلٍ عنده وإحسان ؛
 شاكرًا لظلال النعمه ، عارفًا بالعوارف التي ترعى يمينها كلَّ ذمه .

النيابة الثانية

(من النيابات التي يكتب عن نوابها بالولايات - نيابة حلب)

وهي على نحو من نمط دِمَشق فيما يكتب عن نائبيها . فيكتب عن نائبيها أيضا
 بالتواقيع لأرباب الوظائف بحاضرة حلب وأعمالها : من أرباب السيوف ، وأرباب
 الأقلام الدينية ، وأرباب الأقلام الدوانية ، ومشايخ الأمّاكن وغيرهم ، مُرتبةً على
 المراتب الثلاث : من الأفتتاح بـ«الحمد لله» ، والأفتتاح بـ«أما بعد حمد الله» ،
 والأفتتاح بـ«رُسم بالأمر» .

وهذه نسخُ تواقيع مما كتب به لأرباب السيوف بحاضرة حلب وأعمالها ،
 يُستضاء بها في ذلك :

تَوْقِيحٌ بِتَقَابَةِ الْأَشْرَافِ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ عِزِّ الدِّينِ «أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحُسَيْنِيُّ»
بِ«المَقَرِّ الْعَالِي» وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَلَدَ السِّيَادَةَ فِي بِيوتِ الشَّرِيفِ أَحْمَدَ تَخْلِيدًا ، وَقَلَّدَ تَقَالِيدَ
السَّعَادَةِ ، لِأَهْلِ الْإِفَادَةِ ، أَسْعَدَ تَقْلِيدًا ، وَجَدَّدَ الْوِفَادَةَ ، لَحَرَمِ الْعِبَادَةِ ، بِعِزِّ الْعِصَابَةِ
الْمُحَمَّدِيَةِ أَكَّدَ تَجْدِيدًا ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ الَّذِي عَقَدَ الْعَهْدَيْنِ لِأُمَّتِهِ ،
بِالثَّقَلَيْنِ : مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعِثْرَتِهِ ، وَسَرِّ النُّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ هُدَاهُ بِكُلِّ أَبِيٍّ مِنْ أُسْرَتِهِ ، وَأَقْرَبِ
الْعِيُونَ الْمِرَاقِبَةَ بِكُلِّ سَرِيٍّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ تَبَرُّقَ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ مِنْ أُسْرَتِهِ ، وَعَلَى آلِهِ حَبْلُ
النَّجَاةِ لِلتَّمَسُّكِ ، وَسُبُلِ الْهُدَاةِ لِلتَّنَسُّكِ ؛ وَصَحْبِهِ نَجُومِ الْهُدَى ، وَرُجُومِ الْعِدَا ، وَأُمَّةٍ
الْخَيْرِ لِمَنْ بِهِمْ آفَتُدَى ؛ صَلَاةً وَسَلَامًا ، يَتَعَاقَبَانِ دَوَامًا ، وَيَتَلَاوَمَانِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ مَدَى
الْمَدَى لِزَامَا ؛ مَا حَلَا بَعِينَ وَطَفًا ، وَمَا عَلَا عَلَوِيٌّ ذُرًّا شَرَفًا - فَإِنَّ أَهْمَّ مَا أَعْتَنِي
بِهِ وُلاةُ أُمُورِ الْإِسْلَامِ ، وَأَعَمُّ مَا أَقْنَنِي مِنْهُ رُعاةُ أَجْوَازِ الْحُكْمِ - رِعايَةُ مُصَالِحِ أَهْلِ
الْبَيْتِ ، وَأَتَهَاؤُ الْفُرْصَةِ فِي مُوالاتِهِمْ حَتَّى لَا يَقَالَ لِقَوَاتِمَا : لَيْتَ ؛ وَتَعْظِيمُ مَا عَظَّمَ اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ حُقُوقِهِمْ ، وَتَكْرِيمُ مَا كَرَّمَ رَسُولُهُ مِنْ بَرِّهِمْ وَاجْتِنَابُ عُقُوبِهِمْ ، وَتَقْدِيمُ
أَحَقِّهِمْ بِالتَّقْدِيمِ لِأَحَقِّ سَبَاقِهِمْ إِلَى غَايَاتِ الْعُلُواتِ وَسَبُوقِهِمْ ؛ وَالتَّعَبُّدُ بِالتَّعَبِّ
وَالْاجْتِهَادُ فِي نَفْعِهِمْ ، وَنَضْبُ النُّفُوسِ لِلنَّضْبِ لِتَجَرُّذِ بُولِ الْفَخْرِ بِوُالاتِهِمْ ،
وَإِعْلَانُهُمْ عَلَى الرُّؤُوسِ وَرَفْعِهِمْ ؛ أَخْتِيارًا لِرَأْيِي مِنْ زَادِ فِي الْعِنَايَةِ بِالْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ
وَأَرْبِي ، وَأَتَمَّارًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾
خُصُوصًا بِتَقَابَةِ الْأَشْرَافِ ، وَالنَّظَرَ فِيمَا لَهُمْ مِنَ الْأَوْقَافِ ؛ فَهِيَ شَامِلَةٌ جَمْعِهِمْ ، وَجَامِعَةٌ
شَمْلِهِمْ ، وَوَاصِلَةٌ نَفْعِهِمْ ، وَنَافِعَةٌ كَلِّهِمْ ؛ وَبِفَضْلِ مَبَاشَرِهَا تُسَبِّغُ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ ،
وَتُسْتَدْرُ بِبِرْكَاتِهِمْ إِجْمَاعُهُمْ عَلَيْهِ سُحْبُ الرَّحْمَةِ ؛ وَبِكِفَالَتِهِ تُجْمَعُ الْمِنَّةُ لِمَرَاتِبِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ ،
وَبِإِيالَتِهِ تُدْفَعُ الظَّنَّةُ عَنْ مَنَاقِبِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ عَنْ وُلاةِ الْأُمُورِ مِنْ خَدَمِهِمْ

بفروض الكفايه، والدائمُ الدأبُ لمرآة أدبهم لتَحسُن لهم الرعايه ، فوجب الاحتفال باختيار من يُحلى هذا المنصب الشريف، وتعين الأبهالُ في أمتياز من يُسبغ عليه هذا الظلُّ الوريثي؛ ممن قَدُم في هذه السيادة بيته، وأرتفع بحفض العيش لقربته بعَافِه وديانته صيته؛ وتنزه عن كل ما يشينُ وتبرأ، واكتسى حُللَ الفخار العلية ومن أعراض الدنيا الدنيَّة تعزى .

وكان فلانُ بن فلانٍ - أسبغ الله تعالى ظلالهم ، وضاعف بمعالى الشرف جلالهم - ممن حاز في هذه الخلال المنازع ، وجاز نهاية هذه الخصال بلا منازع ، وورد من حياض المناقب الجميلة أعذب المشارع؛ ودرى المراقى إلى التجد ودرِب، وبلغت نفوس مُحبيِّه من مخايل سُعوده الأرب ، وقوت عيونُ أقاربه بما حصل له من القرب؛ ونشأ في حجر السعاده، وأرتضع لبان الإفاده، ولحق بالسابقين الأولين من أهل بيته في الزهاده، وتبدل بالإخلاص فظهرت على وجهه أنوار العباده؛ وأنقطع على العمل، وبلغ من العلوم الأمل: قووم تشبث بالجره وهو شامة في شامه المنسوب :

ورث السيادة كابرًا عن كابرٍ! * كالرُخ أنبوبٌ على أنبوب.

أصلُ فخارِ سما، وفرعُ نجارِ سما، وغيثُ فضلِ همى؛ أثبت في أعلى المعالى قدما، وناسب قدره سعيه كرمًا؛ وجلت صفاتُ محاسنه اللائقه، وحلت الأفواه مدائحُ سجاياه الرائقه، وتملت الألسنُ وما ملت ما تملى عنه بالخير كل ناطقه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازالت أوامره ببرآل مولاته ماضيه، ونواهيه بقهر أهل معاداته قاضيه - أن يستقر... .. استقرًا يُقر عين العلاء، ويسر نفوس أهل الولا؛ ويضع الأشياء في محلها، ويُسند الأمور إلى أهلها؛ ويستجلب الأدعيه،

ويجمل بالولاء الجميل أُلويّه ، ويشرح خواطر الأشراف ويطيب نفوسهم ، ويرفع
بعد سُجود الشكر بالدعاء رؤسهم .

فليأشر هذه الوظيفة مباشرة يقفوها آثار بيته الطاهر ، بعزم كريم : لكل مُصلح
بالخير غامر ، ولكل مُفسد بالضير قاهر ، وحزم حليم : لكل حق ناصر ، ولكل
كسر جابر ، وليصل بالبر رحمة ، ولين للضعيف كلمة ، وليقم بأعباء هذه الوظيفة
قيام عمه الشريف وأبيه ، وليصم عن أموال الأوقاف صياماً يقربه الله تعالى به
ويحتويه ، ليحمد ، هذا المنصب الجليل ، في بيته الأصيل ، عوده على أحمد ،
ولينفع قرابته بتمير أموالهم ، وليشفع النهضة بالمعرفة في تثير غلالهم : لتدبر بركته
أخلاف أرزاقهم ، وتقر خواطرهم بمضاعفة أرزاقهم وإطلاقهم ، ويحصب
في جنابه مرعاهم ، ويقرب في باب مساعدهم ، وتنطق بشكره ألسنتهم الشريفه ، وتنطق
على حجبته ظلال بيوتهم الوريقه ، وليعتبر ويختبر أشغالهم ويمنع شبانهم من الاحتراف
بحرف الأدياء ، وليأمر الآباء بتعهد تربية الأبناء ، وليأمرهم من العمل بما يناسب
معاليهم ، وليحبرهم بتدبيره السديد جبراً يميزهم بحسن السم من أوليائهم : وكلنا
من موالئهم .

والوصايا كثيره ، وعين علومه بتعدادها بصيره ، وتقوى الله تعالى لا يهمل النص
عليها ، والإشارة بحسن البيان وحسن البنان إليها ، فلتكن ركن استناده ، ورأس
مال اعتماده ، والله تعالى يديه في صعود درج السعود مدة حياته ، ويجمع له خيري
الدنيا والآخرة برفع درجاته .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الجيوش بحاب ، كتبت به لـ «ناصر الدين بن ايتبك»

بـ «السامي» بغير ياء ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال أمره الشريف يُعَضد الجيوش بأعضدِ ناصر،
 ويُرشدُ أولياءِ الخِدمة إلى ارتقاء رُتبِ المعالي فكلُّ إنسانٍ عن إدراك محلِّها قاصر -
 أن يستقرَّ فلانٌ - أدام الله توفيقه، وجعل اليُمن والسُّعدَ قرينَه ورَفيقَه - ... استقرَّ أَرَا
 يُظهر ما لم يَحْفَ من نهْضتِه وكفائتِه، ويُشهرُ مُعلنَ سرِّ يَقْظتِه ودرايتِه؛ لأنَّه الفارِسُ
 الذي أعزَّ كلَّ راجِلٍ بِشجاعته، وأُمارِسُ الذي خَبَرَ الوقائعَ بِحُسنِ دُرْبتِه ودرايةِ
 صِناعَتِه؛ والعارِفُ الذي أتَّصفَ بالخِبرةِ وحُسنِ الصِّفهِ، وعُرفَ في أموره بالعدلِ
 والمُعرفه؛ والهَامُ الذي علَّتْ هِمَّتُه فوقَ كلِّ هِمَّةٍ، وكشَفَ بِجَزِيلِ مُروءتِه من
 الكُرباتِ كلَّ عُمَّةٍ؛ وسارَ في الجيوشِ سيرةَ والدِه، فشَهِدَ كلُّ بما حواه من طَارِفِ
 الفضلِ وتَالِدِه .

فليباشِرْ ذلك : سائرًا في الجنودِ أحسنَ سيره، مُراقِبًا الله تعالى فيما يُبديهِ من القَوْلِ
 والفِعْلِ والعَلانِيَةِ والسَّرِيهِ؛ مُلَازِمًا ما يلزمُه من حُقوقِ هذه الوظيفة، قائمًا بما يجب
 من أداءِ الخِدمة الشَّرِيفِة؛ ولينفِذْ ما يُؤمَرُ به من الأوامرِ، عالِمًا بما يتعيَّن من
 حقوقِ المأمورِ والأمرِ، [وليجتهد] في جَمعِ العساكرِ وإعلامِهم بالمِهْمَاتِ، وليتفَقَّدْ
 أحوالَ الجُنُودِ في سائرِ الأوقاتِ؛ وليُسنِفِرِ النَّقَابَ عن الوجوهِ بالحليَّةِ يومَ العَرَضِ،
 وليُسبِلِ حِجابَ السِّتْرِ على من أدركه العَجْزُ عن أداءِ الفَرَضِ؛ والوصايا كثيرةٌ لا تحتاج
 إلى التَّعدادِ، وتقوى الله تعالى هي العُمدةُ في كلِّ الأمورِ وعليها الأَعْتادُ .



تَوَقِّعٌ بِالْمِهْمَنْدَارِيَّةِ بِجَلَبٍ، كُتِبَ بِهِ لـ«فَرَسِ الدِّينِ الطَّنَاحِي» بـ«الجنابِ
 العالِي» وهو :

رُسمُ الأمرِ الشريفِ - لا زالت عزائمُه تَسُدُّ لِلْمِهْمَاتِ من غُرِسَتْ بِرِياضِ
 وليِّه أَدْوَاهُ الهِمَمِ فزكا غَرَسًا، وتقرَّرَ لها من شاب فودُه في إفادةِ الوُفُودِ فأجاب

قَصْدًا وَأَطَابَ نَفْسًا، وَلَا بَرِحَتْ عَنَائِتُهُ تَشْمَلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ خِدْمَتِهَا كُلِّ شَيْءٍ إِذَا سَلَّ
عَضْبًا أَزَالَ نَفْسًا وَأَسَالَ نَفْسًا، وَتَعَيَّنَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ كُلِّ جَمِيلٍ يَوْذُ الْمُنَافِسِ
لَوْ شَاهَدَهُ وَلَا يَجْحُسُ يَدُ الرَّقِيِّ مِنْهُ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ لِأَنَّهُ ذُو الْهَمِّ الَّتِي
لَا تُلْحَقُ جِيَادُهَا، وَلَا تُسْبِقُ جُودَةَ جِيَادُهَا^(١)؛ لَا مُنْتَهَى لِصِغَارِ هِمِّهِ فَإِنِّي تُدْرِكُ
بِكَارُهَا، وَلَا تُدْرِكُ سَوَابِقَهُ فَإِنِّي تَقْتَنِي أَنَارُهَا؛ لَهُ قَدَمٌ إِقْدَامٍ فِي الثَّرَى لَا يَزَالُ رَاسِخًا^(٢)،
وَهَامَةٌ هِمَّةٌ لَمْ يَزَلْ شَرَفُهَا عَلَى الثَّرِيَّا بَادِحًا؛ وَلِأَنَّهُ الْفَارِسُ الَّذِي تُفَرِّسَتْ فِي مَخَايِلِهِ
الشَّجَاعَةُ، وَتَبْضَعُ الشَّهَامَةَ فِي الْحُرُوبِ فَكَانَتْ أَرْبَحَ بِضَاعَهُ؛ كَمْ أَزْرَتْ سُمْرَ مَرَايحِهِ
بِهَيْفِ الْقُدُودِ، وَأُنْجَلَتْ بِيَضِّ صِفَاحِهِ كُلِّ خَوْذِ أَمْلُودٍ؛ وَكَمْ جَرَدَتْ مِنْ مُطْرِبَاتِ
قِسِيَةِ الْأُوتَارِ فَنَرَاقَصَتْ الرُّؤُوسَ، وَشَرِبَتْ الرَّمَاحَ نَحْرَ الدِّمَاءِ فَعَرَبَدَتْ عَلَى النَّفُوسِ:

لَهُ هِمٌّ تَعْلُو السَّحَابِ رِفْعَةً، * وَكَمْ جَادَ مِنْهَا بِالنَّفَاسِ وَالنَّفْسِ!

وَيُجْنَى ثَمَارُ الْفَضْلِ مِنْ دَوْحِ غَرَسِهِ! * وَلَا غَرَوَ أَنْ تُجْنَى الثَّمَارُ مِنَ الْغَرَسِ!

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُوفَ مَبَاشِرَةً تَحْمَدُهُ فِيهَا الْوَرَادُ، وَتَشْكُرُهُ بِالْقَصْدِ أَلْسِنَةُ الْقُصَادِ،
وَتَذْكُرُهُ الْبَرِيدِيَّةُ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ وَادٍ؛ وَلِيَهَيِّئْ لَهُمْ [مِنَ الْقُرَى مَا يَهَيِّئُهُ^(٣)] الْمَضِيفُ،
وَلِيَحْصَلْ لَهُمُ النَّالِدُ مِنْهُ وَالطَّرِيفُ، وَلِيَتَلَقَّهَمْ بِوَجْهِ الْإِقْبَالِ، وَلِيَبْدَأَهُمْ بِالْخَيْرِ لِيَحْسُنَ
لَهُ الْمَالُ، وَلِيَجْعَلَ التَّقْوَى إِمَامَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، وَلِيَتَّصِفَ بِالْإِنصَافِ فَهُوَ
أَحْمَدُ الْأَوْصَافِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .



تَوْقِعْ بَتَقْدِمَةِ الْبَرِيدِيَّةِ بِحَلَبَ، كُتِبَ بِهِ لِعِمَادِ الدِّينِ «إِسْمَاعِيلُ» بِدِ «الْمَجْلِسِ

الْعَالِي» وَهُوَ:

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ مُشِيرًا إِلَيْهِ بِعَلَامَةِ التَّوْقُفِ وَلَا تَوْقُفَ لِأَنَّ الْأَوَّلَ جَمْعٌ جَيِّدٌ قَيْضُ الرَّدِيِّ. وَالثَّانِيَةُ

جَمْعُ جَوَادٍ لِلْفَرَسِ الرَّائِعِ السَّابِقِ .

(٣) زِيَادَةٌ تَطْلُبُهَا صِحَّةُ الْمَعْنَى .

(٢) ذِكْرُ الْقَدَمِ وَهِيَ أَيْضًا مَجَارَاةٌ لِلْعَامَةِ .

رسم بالأمر الشريف - لا زالت عنايته الكريمة تقدم إلى الرتب العلية من بنى
 أس إقدامه من المروءة على أشرف عماد ، وتعين للهجات الشريفة من امتطى من
 جواد العزم أسبق جواد ، وتندب لها من أولياء خدمه كل ندب لم يزل ساعد سعه
 مبنياً على السداد ، وتضعد إلى أفقها من ذوى الشهامة من فاقت بيمينه الصعاد -
 أن يستقر ... : لأنه ذو الهمم التي سامى بها القراقد ، والكفاء الذى نشط
 إلى القيام بالعزائم إذا قعد عنها من ذوى الهمم ألف راقد ، والمقدم الذى قدمه
 الإقدام على قضاء الأمور المضلات ، وحلى أجياد ذوى المارب إذ حل لهم منها
 بمن عزمه المشكلات ؛ ماعلا جواد بريد إلا وسابق الطرف بل الطرف إلى المراد ،
 ولا ندب إلى مهم للحكم فيه نيلاً لأمل إلا قدح من رأيه فى فضائه أورى زناد ؛
 والفارس الذى تمايلت بكفه العوامل محبباً فأحجبت الأغصان ، وحلت إذ حلت
 بقلوب الأعداء وإن كانت من المران ؛ والشهم الذى سبق السهم إلى الغرض ،
 والشجاع الذى ما عرض عن محاربة الأقران : فصفى جوهر شجاعته من العرض ؛
 واليقظ الذى لم يكن يناظره إنسان ، ولا أنطق على أسيافه المسهدة بيمينه أجفان .
 فليأشر هذه التقدمة مباشرة يشهد الحاسد له فيها بالتقديم ، ويقر الحاحد أنه أهدي
 لما أسدى إليه إلى صراط عزم مستقيم ؛ وليطر إلى قضاء المهتمات الشريفة بأجنحة
 السداد ، وليمتط من جواد الجواد أسبق جواد ؛ وليسوين البريدية فى الأشغال ، وليقبل
 عليهم فيما يرومونه من حسن السفارة بوجه الإقبال ؛ وليسلك سنن الصدق والتقوى
 وليجعلهما له أحسن سنه ، وليلبس سوايغ الإنصاف فإنها من سهام الخلل جنة .



نسخة توقيع بناية عينتاب ، كتب به لناصر الدين «محمد بن شعبان» بـ«المجلس
 العالى» عوضاً عن كان بها ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم، يرفع لناصر الدين قدرا، وامتنانه
الجسيم، ينفذ له في حفظ الممالك المنصورة أمرا، ويؤلى أمر الرعية من حسنت
سيرته سرا وجهرا - أن يستقر... .. : لأنه شههم شههم عرفانه مصيب، وفارس
ربع خبره وخبره خصيب، له مناقب جليله، وسيرة محمودة جميلة، تنقل في المراتب
تنقل البدر في صعوده، وأرتقى ذروة السيادة آرتقاء الكوكب في منازل صعوده؛
مباشرة مباشرة إلا ونشرت له بها أعلام شكره، ولا علا منزلة إلا تليت بها سور حمده
وذكره؛ لم يزل متبعا للحق في أحكامه، سالكا سبل الصواب في تقضيه وإبرامه؛
فتح له إقبالنا الكريم بابيه، فلذلك قدم على غيره في هذه النيايه .

فلباشرها مفتحيا آثار العفاف، مرتديا أودية العدل والإنصاف؛ مقيما منار
الشرع الشريف، منصفًا من القوى الضعيف؛ والله تعالى يوفقه للصواب فيما
تولاه، والخط الكريم شاهد أعلاه .

قلت : وعلى نيايه عيتاب هذه يقاس ما في معناها من نيايات العشرات، فيجري
الحكم في تواقعها كذلك . أما الطلبخانات فقد تقدم أن الأصل أنه لا يؤلى فيها
إلا من الأبواب السلطانية .



وهذه نسخة مرسوم بإمارة الركب الحلبي المتوجه إلى الحجاز الشريف، كتب به
لشهاب الدين « أحمد بن الطنبغا » بـ «الجناب الكريم» . والبياض فيه وصل
واحد، وهي :

رُسم بالأمر العالی - لا زال يمنح وقد الله تعالى بمن لم يزل شهاب هممه في أفق
الصيانة منيرا، ويسند أمرهم إلى كل نذب لا يزال على الحق ظاهرا وعلى دوى الباطل

ظَهْرًا - أَنْ يَسْتَقْرَ فُلَانٌ مِنْ أَعْيَانِ الْمَوَالِي الْأَمْرَاءِ الطَّبْلَخَانَاتِ بِحَلْبِ الْحُرُوسَةِ -
 أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نُصْرَتَهُ - أَمِيرًا عَلَى رُكْبِ الْحَاجِّ الْحَلْبِيِّ فِي هَذَا الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، عَلَى أَجْمَلِ
 الْعَوَائِدِ ، وَأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ ، حَسَبَ مَا رَسَمَ بِهِ . اسْتِقْرَارًا يُحْمَدُ بِهِ الْوَفْدُ عِنْدَ صَبَاحِ هَمَمِهِ
 السُّرَى ، وَيَبْلُغُ بِهِمْ قَرَى الْغُفْرَانِ بِأَمِّ الْقُرَى ؛ وَيُنَالُ بِهِ طَيْبَ الْعَيْشِ بِطَيْبَةِ وَطَاءِهِ ،
 وَيُدْرِكُ بِجِيَادِ فَضْلِهِ آرَاءَهُ ؛ وَيَمْنَحُ بِهِ زِيَارَةَ سَيِّدِ الْبَشَرِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ،
 وَيُقَوِّقُ بِهِ سَهْمَ إِصَابَتِهِ مِنَ الْبَشَرِ إِلَى مَرَامِي الْمَرَامِ ؛ وَيَشْهَدُ بِهِ بَيْنَ قَبْرِهِ وَمِنْهَرِهِ رَوْضَةً
 مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَيَلْبَسُ بِهِ سَوَائِغَ الْقَبُولِ لِتَكُونَ لَهُ مِنْ سِهَامِ الذُّنُوبِ أَوْقِيَّ جَنَّةٍ ؛
 وَيَتَرَدَّى [بِهِ] بُرُودَ التَّقَى حِينَ يَتَزَعُّ مُحَرَّمَاتِ الْإِحْرَامِ ، وَيُقْبَلُ بِهِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى
 فِي الْوَهَادِ وَالْبِقَاعِ وَالْآكَامِ ، وَيَسْتَقْبَلُ بِهِ حَرَمَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَيَسْبُ لَهُ
 الْهِنَاحِينَ دَخُولَهُ الْمَسْجِدَ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ ، وَيَتَعَاطَى بِهِ أَسْبَابَ التَّوْبَةِ ، لِيُنَالَ
 مِنَ الْعَفْوِ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ سَيِّبَهُ ؛ وَلَا يَقْتَصِرُ بِهِ عَنِ التَّطَاوُلِ إِلَى الدَّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
 لَتَعْمَهُ الرَّحْمَةُ بِفَضْلِهِ وَطَوْلِهِ ، وَيَدْخُلُ بِهِ حَرَمًا آمِنًا يُحْتَظَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ ،
 وَيَفْتَحُ بِهِ إِلَى الْمَقَامِ بَابًا مِنَ الْأَمْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مُقِيمٌ ، وَيَذْكُرُ بِوُقُوفِهِ بِعَرَفَاتٍ
 وَوُقُوفِهِ ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

فَلْيَبْشُرْ هَذِهِ الْإِمْرَةَ الْمُبَارَكَةَ بِمَبَاشَرَةٍ يَنْقُضُ مِنْهَا لَهْجِرِ الْمَنَامِ ، وَلِيَصْرِفْ وَجْهَ
 سَهَامِهِ إِلَيْهَا فِي الْمَسِيرِ وَالْمَقَامِ ؛ وَلِيُنْفِقْ عَلَى الْحَاجِّ مِنْ كُنُوزِ مَعْدِنَتِهِ ، وَلِيَجْعَلَ الْقِيَامَ
 بِمَصَالِحِهِمْ مِنْ أَكْبَرِ هِمَّتِهِ ؛ وَلِيَسَّعَ بِالصَّفَا فِي حِرَاسَتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ ، وَلِيَعْتَمِدَ
 صَوْنَهُمْ مِنْ ذَوِي الْعِنَادِ ؛ وَلِيَعَامِلَهُمْ بِالْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ ، وَلِيَقْطَعَ مِنْ بَيْنِهِمْ شُقَّةَ
 الشَّقَاقِ ؛ وَلِيَجْعَلَ تَقْوَى اللَّهِ إِمَامَهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .



وهذه نسخ توابع لأرباب الوظائف الدينية بحلب :

توقيع بقضاء القضاة، كتب به لقاضي القضاة جمال الدين «إبراهيم بن أبي جرادة»
قاضي قضاة حلب المحروسة الشهير بـ «أبن العديم» من إنشاء ... الخنفي بـ «المقرّر
الكريم» وهو .

الحمد لله الذي رفع مراتب المناصب العلية وكساها من ملابس أهلها حلل الجمال،
وجمع شملها فأقترنت بإلفها أقران النيرين: شمس الضحى وبيت الكمال، ورفع عنها
يد المتناول والمتناول فأصبح رقم طرازها الموثى منسجاً على أحسن منوال، وقطع
الأطعاع عن إدراك شأوها فلا يصل إليها إلا كل خفي من الرجال .

نحمده على نعمه التي أعترف من أعترف من بحرها الوافر بالخير الكامل والفضل
المديد، وأقترف من أقترف ثمار جودها جميل النوال المفيد، وجزيل الإحسان
العديد، حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده، ويعم بالإنعام الشامل نائله ومزيده،
وتشكره على مننه التي يقصر لسان الإطنا ب عن حصرها وتعدادها، وتعجز بنات
الفكر عن إدراك وصفها وتردادها، شكراً ينال به العبد رضا المعبود، ويبلغ به من
مقاصد الكرم والجود غاية المقصود، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
ولا ضد، ولا والد له ولا ولد ولا ند، شهادة تبيض وجه قائلها عند العرض،
وينطق بها لسان التوحيد يوم تبدل الأرض غير الأرض، ونشهد أن سيدنا محمداً
عبده ورسوله الذي أظهر الله به الحق وأعلنه، وبهر بحقائق معجزاته العقول فاعترف

كُلُّ بِيضَةٍ مَا عَرَفَهُ وَبَيَّنَّهُ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ نَصَرَ اللهُ بِهِمُ
 الْإِسْلَامَ وَأَبَدَ أَحْكَامَهُ ، وَأَحْكَمَ بِهِمْ مَبَانِيَ الْإِيمَانِ الْمُثِيرَةَ وَأَيْدِ إِحْكَامِهِ ؛ صَلَاةً تَتَعَطَّرُ
 بِنَفَحَاتِ عَرْفِهَا أَرْجَاءَ الْمَدَارِسِ ، وَيُنَادِي لِسَانُ فَضْلُهَا لِزَائِدٍ فَرَائِدِ الْمَعَالِي عَلَى طُولِ
 الْمَدَائِرِ . (١) وَسَلَّمَ وَمَجَّدَ وَكَرَّمَ ، وَشَرَّفَ وَبَجَّلَ وَعَظَّمَ .

وبعد : فإن أولى من لحظته عين العناية والقبول ، وأجدر من بلغ من مقاصد
 المناصب العلية غاية القصد والسؤل ؛ وأعز من رقى ذرا المعالي وأرتقى ، وأجل من
 وُصف بالأوصاف الجميلة ونُعت بالديانة والثقة - من سارت سيرة فضله في الآفاق ،
 ودل على صفاء السريرة منه حسن الأخلاق ؛ وأشتهر بالعلوم الجزيلة ، والمناقب
 الجليلة ، وعرف في الإنصاف بالأوصاف الحمودة والخصال الجميلة ؛ وأظهر من
 العلوم الشريفة ، ماحير العقول ، وحقق من المسائل اللطيفة ، ما جمع فيه بين المتقول
 والمعقول ؛ ودقق المباحث حتى أترف بفضله الخاص والعام ، وقرق بين الحقيقة
 والمجاز فلا يحتاج إلى استعارة إذا تشبه الأخصام ؛ وحكم بما أراه الله فأحكامه
 مرضية ، وقضاياه في الجملة قد أثبتت فهي مقدمة في كل قضية ؛ وثابر على إلقاء
 الدروس في وقتها وأوانها ، وقرر كل مسألة في محلها ومكانها ؛ وأفاد طلاب العلم
 الشريف من فوائده الجمه ، وكشف لهم عن غوامض المباحث بخلا عن القلوب
 كل غممه ؛ وجال في ميادين الدروس خيرا الأبطال ، وحاز قصب السبق في حلبة
 اللقاء فرد متأسفا كل بطال ؛ ونظر في أمور الأوقاف بما أراه الله فأتقن بحسن
 النظر وجه ضبطها ، وأجرى أمور الواقفين على القواعد المرضية فوافق المشروط
 في شرطها ؛ وجمع ما تفرق من شملها فأجمل وفصل ، وحفظ أموالها فحصل

(١) مراده ارس من رسايسو .

وأصل ؛ فهو الحاكم المشهور بالعدل والمعرفة ، والناظر الذي حميت الأمور تصرفه ؛ والإمام الذي أتم الأنام بأقواله وأفعاله ، والعالم الذي يجمد الطالب إليه شد رحاله ؛ والمدرس الذي أفاد بفقهِه المفيد النافع ، وترفع في البداية والنهاية فهو المختار في المنافع ؛ وسلك منهاج الهداية ، فنال من العلوم الغاية ؛ فبدائع ألفاظه لعقائد الدين منظومه ، وكثر عز فانه عزير المطالب ومحاسنه المشتملة على الكمال معلومه .

ولما كان فلان - أعز الله تعالى أحكامه ، وقرن بالتوفيق والسداد نقضه وإبرامه ؛ هو المشار إليه بالأوصاف والنعوت ، والمعول عليه إذا نطق بالفضائل والحاضرون سكوت ؛ والمشكور أثر بيته المشهور ، والمنشور علم علمه من السنة والشهور ؛ ياله من بيت لم يزل معموراً بالتقوى والصلاح ، تحمياً بأسلحة أهله : فمن أحكامهم السيوف ومن أقلامهم الرماح ؛ فهو العديم المثل وبيته العديم ، وحرم فضيل يمحج إليه الراحل والمقيم ؛ فاستحق أن تقابل مقاصده بالإقبال ، ويقابل بما يؤمله مقابلة مثله ولا كسائر الأمثال .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت مراسم المطاعة تقر الحق في يد مستحقه ، وترد الأمر إلى وليه ومالك رقه ؛ وتسوق هدى الإحسان إلى محله ، وتضع الاستحقاق في يد مستحقه والحق وضع الشيء في محله - أن يستقر بحكم ظهور الحق بيده المباركه ، وخفاء الباطل الذي ليس له في الحق مشاركة ؛ استقراراً مباركاً ميموناً ، بالخير والسعد مقروناً ؛ لأنه الأحق بأمر وظائفه ، والطائف حول حرمة المنوع طائفه ؛ وأولى من عقلت عليه عقيلته ، وردت إليه فريده ؛ وبأشر بنفسه الكريمة ما عهد إليه سلفه ، وأنفرد به فلا يناله - إن شاء الله - إلا خلفه ؛

طالما أَلْقَتْ مِنْهُ الأَوْقَافُ مِنَ الشَّفَقَةِ وَالخَيْرِ ، وَحَفِظَ جِهَاتِهَا المَحْمِيَّةَ عَنْ تَطَاوُلِ
يَدِ الغَيْرِ ؛ وَنَعِمَ بِحُسْنِ نَظَرِهِ مِنَ المَدَارِسِ كُلِّ دَارِسٍ ، وَفازَتْ مِنْهُ الدُّرُوسُ بِالعَالِمِ
العَارِفِ وَالبَطْلِ المُمَارِسِ .

فليباشر ذلك على ما تقدم له من حُسنِ المباشرة ، وليجتهد - على عوائده -
في تحصيل رَيْعِهِ مُثَابِرًا عَلَى الأَجُورِ أَشَدَّ مُثَابَرَةً ؛ وَلِيصْرِفْ أَمْوَالَ الأَوْقَافِ فِي مَصَارِفِهَا ،
بَعْدَ العِمَارَةِ وَالتَّشْمِيرِ المَبْدَأَيْنِ فِي شَرَطٍ وَاقِفِهَا ؛ وَلِيَسُوِّ - عَلَى مُقْتَضَى مَعْدِلَتِهِ - بَيْنَ
القَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَالشَّابِّ الصَّغِيرِ وَالشَّيخِ النَّحِيفِ ، عَلَى قَدَرِ تَفَاوُثِهِمْ فِي العِلْمِ
الشَّرِيفِ ؛ وَلِيُطَلِّقْ لِسَانَهُ فِي إِلقاءِ الدُّرُوسِ عَلَى عَادَتِهِ ، وَلِيُتَمَهَّدَ لِلشَّغْلَيْنِ طَرِيقَ
الفَهْمِ لِيَنَالُوا القَصْدَ مِنْ إِفَادَتِهِ ؛ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْلَى مِنْ أَدَى الأُمُورِ عَلَى الوَجْهِ
المُسْتَقِيمِ ، وَوَفَى المَنَاصِبِ حَقَّهَا فَإِنَّ الوَفَاءَ جَدِيدٌ بِ«إِبْرَاهِيمِ»^(١) .

وَالوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِلَيْهِ مَرْجُوعُهَا ، وَمَنْ يَحَارِ عِلْمَهُ وَدِينَهُ المَتِينِ يَبْذُوعُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يُؤَيِّدُ بِهِ المَنَاصِبَ ، وَيَرْفَعُ بِعُلُومِ رُتَبَتِهِ المَرَاتِبَ .



نسخةٌ تَوْقِيعٌ بِمُحَاطَبَةِ جَامِعٍ ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي القَضَاةِ «سَکَالِ الدِّينِ عَمْرٌ» ابْنُ
قَاضِي القَضَاةِ جَمَالِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بنِ أَبِي جَرَادَةَ الحَنَفِيِّ ، الشَّهِيرِ بَابِنِ العَدِيمِ بِ«المَقَرِّ
الشَّرِيفِ» وَهِيَ :

رُسمُ بِالأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ عِنَايَتُهُ تُرَقِّى فِي مَنَازِلِ المَجْدِ مِنْ تَتَائِلِ بفضله
بِهَجَّةٍ وَكِيَالًا ، وَتَدَلُّ جِيَادَهَا الفُرْسَانَ الفَضَائِلَ فَتُجِيدُهُمْ فِي مَيْدَانِ البَلَاغَةِ جَمَالًا ،

(١) يَشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى) .

وَسَلَّمَ رَأَيْتَهَا [إلى من صدق بارق سعده ، ووهب من العلم] ملكا لا ينبغي لأحدٍ من بعده - أن يستقر... .. لأنه الإمام الذى [لو] تقدّم عصره لكان أحد أئمة الاجتهاد، والعارف الذى بلغ بولايته مُريد الفضل غاية المراد، والعالم الذى وجدت أخبار علومه نسبة يطابقها فى الخارج صالح العمل ، وأتبع سنن الكتاب والسنة فلم يتخلل طريقته المثلى خلل ؛ والمحقق الذى وجد إلى كنه الحقيقة أكل مجاز ، والمفوه الذى بلغ من البلاغة فى كلام البشر حد الإعجاز ؛ إن خطب شنف بدرر مواظته الأسماع ، وشرف بغير فرائده الأستباج ؛ وأهترت أعواد المنابر طرباً لكلمه الطيب ، وروى أوام القلوب سح فضله الصيب ؛ وإن قرأ فى محرابه أقر بفضله الجمع الجامع ، وأستقل « ابن كثير » حين وجد « الكسائى » عارياً مما لديه وفضله الجرم أكل « نافع » :

خَطِيبٌ إِذَا الصَّادِي تَصَدَّى لِفَضْلِهِ : * لِيَرَوَى ، فَأَنْوَأُ الْعُلُومَ تُعِيْهُ !

وَإِنْ يَرَوْهُ بِلَجْلَاسٍ أَخْبَارَ أَحْمَدٍ ، * نَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يَمَلُّ حَدِيثَهُ !

وهو الكامل الذى أدرك درجات الكمال فى البداية فأمِن فى النهاية وهو قاض من النقص ، وسارت عيس الطلاب إلى حضرته الكريمة وأخذة ولكن بالنص ؛ والصاحب الذى أستصحب يسار العفاة باليمين ، وأزال ظن قاصده فى ربه الشامل باليقين ؛ كم أطلق بأقلامه المفيدة مكرمة بصلة الأرزاق ، ونسخ بمحقق فضله رِقَاع الأول بالعتاء على الإطلاق ؛ ولو نظر الملكان : هَارُوتُ وَمَارُوتُ ماملِكه من

(١) الزيادة يقتضيا المقام .

(٢) الأوام بالضم العطف .

كاتبته السَّاحِرَةَ لِأَفْزَا أَنَّهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ ، وَلَوْ قَابَلَهُ «أَبْنُ هَلَالٍ» لِأَخْسَفَ بَدْرَ فَضْلِهِ
عند الكمال :

فَفِي كَفِّهِ الْأَفْلَامُ تَهَزُّ بِالْقَنَّا ، * وَتَحْشَى سَطَاهَا الْأَسَدُ فِي غَابِ غَابِهَا!
يُرْوَعُ سَيْوَفُ الْهِنْدِيِّ يُرَاعِهِ ، * وَقَدْ طَارَ مِنْ خَوْفِ حَدِيدِ ذُبَابِهَا!

فليباشر هذه الخطابة مباشرة ترشّف منها كئوس كلمه الأشماع ، وليكشف لها
عن وجوه فضائله القناع ؛ ولينشتر عليهم من درر بلاغته ما تلتقطه أفواه المسامع ،
ولينشتر من طي لسانيه علم علمه الذي لا يقاس عليه غيره أبى الله والفارق الجامع ؛
وليطرب بمواصل أنبجائه القاطعة بفضائله المكمّله ، وليظهر ما جمعه من محاسنه التي
هى الجمع الذى لا نظيره ؛ ولينفق على الجمع يوم الجمعة مما آناه الله تعالى من كنوز
الفضائل ، وليبلغهم من بلاغته التى أنحلت ذكر «قس» و «سجبان وأئل» ؛ وأنت
- أسبغ الله تعالى ظلالك - معدن الفضائل فأنى تهدى إليك الوصايا؟ ، والمتصف
بصفات الكمال فكيف تعرض عليك المزايا؟ ؛ ولكن الوصية بتقوى الله تعالى من
شعائر الإسلام ، والله تعالى يديمك غرة فى جبهة الأيام .



وهذه نسخة توقيع بتدريس بالجامع المذكور ، كتبت به للقاضى علاء الدين
«على الصرخدى» الشافعى ، نائب الحكم العزيز بجلب ب«المقر العالى» وهى :

رسم بالأمر - لا زالت صدقاته تمنح دروس العلم الشريف بعلى العلوم ، وتتدب
لها من ذوى الاجتهاد من سائر بهمه البرق وسائر النجوم ، وتقرر للطلبة من

(١) فى الأصل «دوى» بتشديد الياء وهو تحريف .

أولى العناية من حَقِّقِ الفضائل وأطلع على سرِّها المكتوم، وتُدِيرُ عليهم من مشرب فوائده ما يُخَالُ أنه الرِّحِيقُ المَخْتُوم - أن يستقر فلان... .. أستقراراً تقرُّ به عينُ الطالب، وتلمح من صوب فضله عين الصواب؛ ويشيد به دَارِسُ الدروس، ويطلع به في سماء الفضائل أنورُ شمس؛ وتُنشر به أعلامُ العلوم من طى الألسنة، ويذهب من كلِّ الطلِّبة في تحصيل العلم الشريف وسنه؛ لأنه الحبر الذي شهدت بفضله الأسفار، ورحلت إلى فوائده الجمَّة السُّفَّار؛ والبحر الذي جرت سُنُّ الأذهان به فلم تُدرِك غاية قراره، وعجزت الأمثال عن خوض تياره؛ والعالم الذي أقرَّب بعلمه الأعلام، وشهدت بإحكام أحكامه الأحكام؛ ما برز في موطن بحث إلا وبرز على الأقران، ولا جاره مجتهد إلا وكانا كَفَرَسَى رِهَان، ولا نطق بمنطقي إلا وأنتجت مُقدِّماتُ هممه العليَّة وأجتاده على فضله أكل برهان، ولا أجرى جياذ علومه إلى غاية إلا مُطلقة العنان، ولا رآه من أخبر عن فضله إلا تمثل له: ليس الحبر كالعيان؛ إن تصدَّر للفوائد ألتقطت الأسماعُ دُرِّ علمه النفيس، وإن دَرَسَ تحالَّ الطلِّبةُ أنه «أبن إدريس»؛ فهو طودُ فضلٍ لا يُسمى علواً ورفعاً، ولا يتوى مُناواته مُناوىً ولو كان «أبن رفعة»:

إمامٌ عدا للسالكين مُسلِّكاً، * عليمٌ، وممَّ أولى الفضائل من ولي!

علا فأسال البحر من فيضِ علمه! * وذلك سيلٌ جاء بالفضل من على!

فليأشُرْ هذا التدريس المبارك مباشرةً يُثبتُ بها فوائده، وينثرُ بها فرائده؛ ويُطربُ الطالبَ بطريفِ العلم وتالده، ويجمعُ لهم من صلةِ الفضل وعائده؛ وليلازمِ المباشرةَ ملازمةً لا ينفكُ عنها أيامَ الدروس، ولْيُرِ القلوبَ بمصابيحِ الكتاب والسنة ويسرَّ النفوس.

وأنت - أمتع الله بفوائدهك - من نورك الوصايا تُقتبس ، ولم آس الطالب نار
فضلاً فأتى منها بأنور قبس ، والله تعالى يُبقيك للعلوم كثرًا لا تنفنى مواهبه ، ويديمك
للطلاب بحرًا لا تنقضي عجائبه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس بالجامع المذكور الحنفى ، كُتِبَ به للشيخ شمس الدين
«محمد القرى» الحنفى ، بـ«الجناب العالى» ، وهى :

رُسم بالأمر - لازلت عنايته الكريمة تُطبع شمس الدين للهداية فى أفق المدارس ،
وُسِّدَ بالعلماء الأعلام من ربوعها كلِّ دارس ، وتمنح الفقهاء ، بن إذا تصدَّى
للإفادة جادت نفسه بالدرر النفائس ، وتندب لها من أولى البلاغة من إذا ألفت
فصلاً وحدث غصون أعلامه فى روضات الطروس أحسن موائس - أن يستقر
فلان : استقراراً يُجمل به الدروس بالفوائد ، وتمنح الطلبة منها بالصلة والعائد ، ويمد
لهم من مواد العلوم أشرف موائد ، ويورد لهم من مناهلها أعذب موارد ؛ لأنه شمس
العلوم ومضباحها ، وقريل المشكلات وصباحها ، وساعد الفتاوى الطائرة بفضائله
فى الآفاق وجناحها ، وروح كئوس العلوم وراحها ، وطليعة الحقائق وعنوانها ،
وعين الدقائق وإنسانها ، والإمام الذى أتم به الطلاب فاستحق الإمامه ، والعالم
الذى اجتهد على فضل العلوم فاستوجب أن يُنعت بالعلامة ؛ والفاضل الذى
ضبطت أقواله : للأطلاع على سيرها المكتوم ، فأختص فعل علمه المتعدى بالزوم
لإتصافه بالعموم ؛ كم أنقطت من دروسه الجواهر ، وتمثل لأبكار فوائده : كم ترك
الأول للآخر ؛ قابلته الأسفار عن وجوه فوائدها بالإسفار ، وأظهرت لذكاء ذكائه
ما صمته أحشاؤها من الإضمار ؛ فهو المختار لهذا التدريس : إذ درر فوائده منظومه ،
والحجبتى للإفادة بسلوكة طرق الهداية إلى دقائقها المكتومه ؛ وكم استنارت الطلبة

من سَمِرِ فَضْلِهِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ، وَجَمَعَ فِي صَدْرِهِ بِحَرَمِي الْمَقُولِ
وَالْمَعْقُولِ حَتَّى قِيلَ : هَذَا «مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ» :

هُوَ الْبَحْرُ، إِلَّا أَنْ فِيهِ مَجَابِبًا، * وَوَاوٍ فَضْلٍ لَيْسَ يُوجَدُ فِي الْبَحْرِ!
بَلَغَتْهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ، وَإِنَّمَا * بَدِيعُ مَعَانِيهَا يَجِلُّ عَنِ السَّحْرِ!

فَلْيَبْشُرْ هَذَا التَّدْرِيسَ نَائِرًا دُرَّرَ فَرَائِدُهُ، نَائِرًا غُرَّرَ فَوَائِدُهُ؛ جَائِدًا بِجِيَادِ فُضَائِلِهِ
السَّابِقَةِ إِلَى الْغَايَاتِ، عَائِدًا بِصَلَاتِ حَقَائِقِهِ لِتَكْمَلِ لِلطَّلَبَةِ بِهِ الْمَسْرَاتِ؛ وَبِلِزَامِ أَيَّامِ
الدَّرُوسِ مَا أُسْدِيَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ، وَلِيَرْتَقِ مِنْ دَرَجِ التَّقْوَى لُغْرَفِ الْمَعَارِفِ
الشَّرِيفَةِ .



وهذه نسخةٌ تُوَقِّعُ بِإِمَامَةٍ وَتَصْدِيرٍ بِجَامِعِ مَنْكَلِي بَغَا الشَّمْسِيِّ بِجَلَبٍ، كُتِبَ بِهِ
لِلشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ «مُحَمَّدِ الْإِمَامِ»، بِ«الْجَنَابِ الْعَالِيِ»، وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الْعَمِيمَةُ تُطْلِعُ شَمْسَ الدِّينِ فِي أَفْقِ الْمَعَالِيِ، وَتَرْفَعُ
مِنْ أَوْلِيَائِهِ خِدْمَةَ مَنْ جِيَدُهُ بِالْفَضْلِ حَالِيٌ؛ وَتَمْنَحُ بِرَّهَا مَنْ أَعْرَبَتْ عَنْ لَحْنِهِ الطَّيِّبِ
وَتَسْتَنْفِتُ مِنْ فِيهِ بِاللَّالِيِ، وَتَسْفَحُ غَيْثَ جُودِهَا عَلَى مَنْ أَجْمَعَ عَلَى طَيْبِ مُسَامَرَتِهِ
وَرَفَعَ أَدْعِيَتِهِ الْأَسْمَاعُ وَاللِّيَالِي - أَنْ يَسْتَقِرَّ فَلَانٌ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى ضِيَاءَ شَمْسِهِ، وَبَنَى لَهُ
رَبْعَ السَّعْدِ مِنْ جُودِهِ عَلَى أُسِّهِ - لِأَنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي شَهِدْتُ بِجُسْنِ قِرَاءَتِهِ
الْمَحَارِيبِ، وَالْآتِيِ مِنْ فَضْلِ فَضَائِلِهِ بِالْأَغَارِيبِ؛ وَالْفَاضِلُ الَّذِي سَلَكَ طُرُقَ الْفَضَائِلِ
أَحْسَنَ سُلُوكٍ، وَشَهِدَ بِسَبْقِ جِيَادِ جُودِهِ فِي حَلْبَةِ الْأَخْتِبَارِ كُلِّ حَتَّى الْمُلُوكِ؛ وَالْكَامِلُ
الَّذِي كَلَّمَ أَوْصَافَهُ الْمَحْمُودَةَ فَا مِنْ النِّقَائِصِ، وَأَخْتَصَّ بِجَمِيلِ الشِّيمِ وَحُسْنِ الْخِصَائِصِ؛
مَا أُمَّ إِلَّا وَشَهِدَ بِفَضْلِهِ كُلِّ مَأْمُومٍ، وَأَقْرَبُوا أَنْ أَسْمَاعَهُمْ أَرْتَشَفَتْ رَحِيقَ فَضَائِلِهِ مِنْ

كَأْسِهَا الْمُخْتَوِّمَ ؛ وَمَا سَامَرَ الْخَوَاصَّ إِلَّا وَشَهِدَ الْعَوَامُ بِحُسْنِ صِفَاتِهِ ، وَلَا حَدَّثَ إِلَّا
وَكَانَتْ الْمَلُوكُ مِنْ رُؤَاتِهِ .

فَلْيَبْشِرْ هَذِهِ الْوُظَانَفَ الْمُبَارَكَةَ مَبَاشِرَةً تَقْرُبُهَا النَّوَظِرُ ، وَتَجْتَمِعُ الْأَلْسِنَةُ عَلَى أَنَّهُ
أَكْرَمُ إِنْسَانٍ وَخَيْرُ نَظِيرٍ ؛ وَلْيَتَصَدَّرْ لِإِلْقَاءِ الْفَوَائِدِ ، وَلْيُكْسِبِ الْأَسْمَاعَ مِنْ عِلْمِهِ
بِالطَّرِيفِ وَالتَّلَادِ ؛ وَلْيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ أَوْانَ الْوُجُودِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ ، هِنَاءً مُبَسَّرًا مِنْ غَيْرِ
تَقْيِيدٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِيمَا أَسَدَى إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَلْيَسْلُكْ مِنْ سَنَنِ التَّقْوَى
- بِقَدَمِ الصِّدْقِ - أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الأقلام الديوانية بحلب وما معها :

توقيع بكاتبه الدست بحلب ، كتب به لـ «بهاء الدين بن الفرفور» ونظر بيت
المال بحلب ، بـ «الحجاب العالى» ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زال ينظم عقود الإحسان في أجياد أوليائه ، ويحجز لهم بوافر
نظيره وأفي عطائه ، ويحجى بهاء الدين على أحسن نظام فينجزله عدة وفائه - أن
يستقر استقراراً يباغ به وجوه الآمال ، ويكسو الدواوين ملابس البهائم
والكمال ، ويزيدها رفعة بما يفعله من ذلك الجمال ؛ لأنه الفاضل الذي إذا
قصد المعاني أصاب ، وإذا سئل عن كل معنى لطيف أجاد وأجاب ؛ والفصيح
الذي إذا تكلم أجزل وأوجز ، وأسكت كل ذي لسان بفصاحته وأعجز ؛ والبلغ الذي
أبدع في مكاتباته بمشوره ومنظومه ، واللييب الذي أطلع من أزهار كلبه المسموعة
في رياض الطروس ما يحجزل الروض إذا أفتخرت بمشومه ؛ والكاتب الذي قطعت
بمعرفة الأقلام ، والحاسب الذي عقدت على خبرته خناصر الأنام ؛ والأديب الذي

جمع بين قلم الإنشاء الشريف (؟)، وحاز ما في ذلك من تآلٍدٍ وطريفٍ ؛ فله دره من كاتب زَيْن الطُروسِ بحسنِ كتابته ، وجمالِ الألفاظِ والمعانيِ بجَميلِ درايتهِ وفصاحتهِ .

فليسَ ما عُدقَ به من ذلكِ مُباشرةً مقرونةً بالسداد ، مشكورةً المساعيِ والاعتمادِ ؛ مُظهرًا براعةَ يراعِهِ ، باسطًا يدَ إيداعِهِ الجميلِ وإبداعِهِ ؛ مُوفقًا حواشيَ القِصصِ بتوقعاته ، مُوشيًا برودِ الطُروسِ بترصيعاته وتوشيعاته ؛ ناظرًا على اعتمادِ مصالحِ بيتِ المالِ المعمورِ ، وتخصيلِ حواصِلِهِ على الوجهِ المشهورِ والطَّرِيقِ المشكُورِ ؛ عاملاً بتقوى الله عزَّ وجلَّ في ضبطِ مصالحِ ديوانِ الجيوشِ المنصُوره ، سالِكًا من حُسنِ الاعتمادِ طُرقًا على السدادِ والتوفيقِ مقصُوره ؛ والوصاياَ كَثيرةً وتقوى الله تعالى عمادها ، فليجعلها عُمدته فيما يتمُّ به للنفسِ المطمئنة مُرادها ؛ وليتناولِ معلومه المستقرَّ لذلكِ أوانَ وجوبِهِ ، والله تعالى يُبلِّغه غايةَ قَصدهِ ومَطْلُوبِهِ .



توقيعٌ بصحابةِ ديوانِ الأموالِ بحلبَ ، من إنشاءِ ابنِ الشَّهابِ محمود ، كُتِبَ به للقاضي شمس الدين « محمد بن محمد » ، أحدِ كُتَّابِ الدَّستِ بحلبَ ، بدعوى المجلسِ العالیِ ، وهو :

رُسمَ بالأمرِ - لازالتْ صدقائه العَميمةُ تُسرُّ نفوسا ، وتُطَلِّعُ في هالاتِ الوظائفِ السَّنيةِ عِوضَ الشَّمسِ شُموسا ؛ وتَسقِي غَرَسَ نَعْمائها الهِبَاتِ الهَنِيَّةَ فترهي أغصانًا يانعةً وغُروسا - أن يستقرَّ ... : لأنه الأُوحدُ الكامِلُ ، والرئيسُ الفاضلُ ؛ ولأنه حاز قَصبَ السَّبْقِ في المُباشراتِ ، والمناصبِ الجَليلةِ والمراتبِ السَّنيةِ ؛ طالما بذلَ جُهدَهُ في خِدمةِ الدُّولِ ، وسلكَ بِجَميلِ مُباشرتِهِ طَريقَ السَّلَفِ وَسَبيلَ الأُولِ ؛ فأدركَ بحُسنِ سيرتِهِ ويَمُنُ طَريقَتِهِ نِهايَةَ السُّؤْلِ وغايةَ الأملِ ، وأتى الأمورَ على

قَدْرٌ وَلَا يُقَالُ : عَلَى عَجَلٍ ؛ وَلِأَنَّهُ الْأَمِينُ فِي صَنْعَةِ الْإِنْشَاءِ ، وَالتَّابِعُ فِي فَتْنَةِ فُنُونِ
 الْأَدْبَاءِ ؛ إِنْ رَقِمَ الطُّرُوسَ طَرَزٌ ، وَإِنْ بَارَزَ الْأَقْرَانَ فِي مَوَاطِنِ الْإِفْتِخَارِ بَرَزَ ؛ وَإِنْ
 بَسَطَ الْجَرَائِدَ ، تَغَارَمَ مِنْ حُسْنَيْنِ الْخَرَائِدِ ؛ طَالَمَا نَطَقَ بِالْحِكْمِ ، وَأَشْتَهَرَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ
 مِثْلَ أَشْهُارِ النَّارِ عَلَى عِلْمٍ ؛ نَظَّمَ الْحَاسِنَ فِي تَثَرَةِ الْبَدِيعِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فِيمَا يُبِيدُهُ
 مِنَ الْإِنْشَاءِ وَيُحْيِيهِ مِنَ التَّصْرِيعِ ؛ قَدِّمَتْ هِجْرَتُهُ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَقْتَنَطَفَ مِنْ
 زَهْرِ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ أَحْسَنَ مَنْصِبٍ وَأَجْمَلَ وظيفه ؛ وَتَحَلَّى جِدَّهُ بِالْقَلَائِدِ ،
 وَحَصَلَ بِسَعْيِهِ مَجْمُوعَ الْفَرَائِدِ ، فَعَادَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِأَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ؛ قَدْ
 اسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ ، وَأَسْتَوْجَبَ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةِ نِهَايَةَ التَّكْرِيمِ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ مَبَاشِرَةً حَسَنَةً الْآثَارِ ، جَمِيلَةً الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ نَاطِقًا بِقَلَمِهِ
 الْحِسَابِ عَلَى أَنْوَاعِهِ ، مُحْكِمًا لَهُ عَلَى سِدَادِ أَوْضَاعِهِ ؛ وَيُطَلِّعُ شَمْسَهُ فِي سَمَاءِ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ ،
 وَيَلْجُنُ مِنْ رَوْضِهَا الْأَرِيضِ كُلِّ يَانِعَةٍ لَطِيفَةٍ ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ بَوَادِرُ خَيْرٍ سَرَتْ إِلَيْهِ ،
 وَسَوَائِعُ نِعَمٍ خُلِعَتْ عَلَيْهِ ؛ وَأَنَّ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةَ لَا بُدَّ أَنْ تُؤَلِّيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بَرًّا ،
 وَتَرَادَفَ عَلَيْهِ تَتْرَى ؛ وَتَعْلَى لَهُ بَيْنَ رِفَاقِهِ الْمَرْفُوقِينَ قَدْرًا ؛ وَمِثْلُهُ لَا يُنْبَهُ عَلَى وَصِيٍّ ،
 لَا دَانِيَةٍ وَلَا قَصِيٍّ ؛ لَكِنِ التَّقْوَى لَا بُدَّ مِنْهَا ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُغْفَلَ عَنْهَا ؛ فَلْيَجْعَلْهَا
 أَعْتَادَهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَلْيَتَنَاوَلْ مَعْلُومَهُ الْمَقْرَّرَ لَهُ عَلَى الْوِظِيفَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي غُرَرِ
 الشُّهُورِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَضَاعِفُ لَهُ بِمِضَاعِفَةِ الصَّدَقَاتِ عَلَيْهِ أَوْقَاتَ السُّرُورِ ، وَيَقِيهِ
 بِلُطْفِهِ كُلَّ مَحْذُورٍ .



توقيع بنظر بهسنى، من عمل حلب، كتب به لفتح الدين «صدقة بن زين الدين»
 عبد الرحيم المصرى»، بـ «المجلس السامى»، وهو :

رُسم بالأمر - لازالت صدقائه العميمة تفتح لأولياء خدمته أبواب الخيرات ،
ولا برحت تُهدى إليهم أنواع المسرات - أن يستقر... .. في وظيفة النظر بمدينة
بهسنى المحروسة عوضاً عن بها ، بالمعلوم الذى يشهد به الديوان المعمور إلى آخر
وقت ، على العادة في ذلك والقاعدة ، آستقراراً يسر خاطره ، ويُقر ناظره ، لأنه
الماهر فى صناعته ، والرأيح فى متاجر بضاعته .

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنه ، لتصبح الألسنة بشكرها معلنه ، وليصرف
قلبه فيما يعود نفعه عليه ، وليجتهد فيما يستجلب الأثنية إليه ، وليقبض معلومه أو أن
وجوبه هنياً ، ولتناوله بيد استحقاقه مرئياً ، والوصايا كثيرة وهو - بحمد الله تعالى -
غير محتاج إليها ، لأنه الفاعل لها والدال عليها ، وتقوى الله تعالى عمادها ، وبه
قوامها وسنادها ، فليتمسك بسببها فى الحركات والسكات ، والله تعالى يهتد به
أسباب المسرات .



توقيع بكتابة الإنشاء ونظر الجيش بدبرىكى ، كتب به للقاضى شهاب الدين « أحمد
أبن أبى الطيب العمري العثماني » ، بـ « بالجناب الكريم » ، وهو :

رُسم بالأمر - لازال يجمل الثغور بن تزهو برحيق كلمه الطيب [المناصب] ، ويكمل
محاسنها بن لم تزل الصحف تقود من جياذ فضله أجمل جنائب ، وحبابها بشهاب
يهتدى إلى المقاصد بنجم رايه التأقب ، وسرها بكل تدب لم تزل كُتبه تُرد من الدعار
الكئاب - أن يستقر... .. فى وظيفتى كتابة الإنشاء الشريف والجيش المنصور
بدوركى المحروسة ، عوضاً عن فلان ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر

(١) لغة فى دبرىكى كاسلف قرييا وتقدم فى ج ٤ ص ١٣٢ من هذا الطبع .

وقيت . لأنه من بيت رُفِعَ علمُ قدره على السحاب ، وأنتصبت رايةً آرائهم بالتمييز في مواكب العزة عن المواكب ، وأضيف إلى مجدهم شرف الكمال فانجرت بالإضافة ذيل مجدهم على الكواكب ، وجزم أولو الفضل بنسبتهم إلى المعالي فجازوا قصبتها استحقاقاً وما زاحموا عليها بالنناكب ، وأسس أصله على عماد شرف «الفاروق» و«ذي النورين» ففترع على أكل تناسل بتناسب .

النيابة الثالثة

(مما يكتب من التواقيع بالولايات عن نواب السلطنة بها - نيابة طرابلس)

وهي على ما تقدم في دمشق : من تقسيمها إلى تواقيع أرباب السيوف ، وتواقيع وظائف أرباب الأقاليم الدينية ، وتواقيع أرباب الوظائف الديوانية ، وأرباب الوظائف بمشيخة الأماكن وغيرهم ، وتقسيم ذلك إلى ما يفتح بـ«الحمد لله» ، وما يفتح بـ«أما بعد حمد الله» ، وما يفتح بـ«رسم بالأمر» .

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بشد الدواوين بطرابلس ، كتب به لصالح الدين «صالح الحافظي» ، بـ«الجناب الكريم» ، وهي :

الحمد لله الذي أيد هذه الدولة وسددها بأنواع الصلاح ، وعمّر العالم بعديل سلطانها وجعل أيامه مقرونةً بالنجاح ، وأقام لتدبير المملكة [كل] كفاء كافٍ مشهور باليمن والصلاح .

نحمده على نعمة الغامرة في المساء والصباح ، ونشكره على آلائه في كل غدو ورواح ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة ضوئية كالمصباح ،

وَأَنَّ سَيِّدَنَا مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مِنْ أَصْطَفَاهُ وَأَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْخَيْفِيِّ فَبَشَّرَ
وَأَنْذَرَ وَحَلَّلَ وَحَرَّمَ ... (١) ... وَأَبَاحَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً دَائِمَةً
مُسْتَمِرَّةً مَا حَيَّعَلَ الدَّاعِيَ إِلَى الْفَلَاحِ .

وبعد، فإن أولى الأولياء بمضاعفة الإحسان، وأن يعلى له في المكان والإمكان -
من عرف بأجل المباشرات في الفتوحات، وأشهر فيها بالكفاية والصيانة وجميل
التدبير وحسن الصفات .

ولما كان فلان هو المنفرد بهذه الصفات الحسنه، وأتفقت على نعوته الجميلة
الألسنه، والوحيد بهذه السجايا، الفريد بشرف المزايا، عقدت الخناصر عليه،
وأقتضت الآراء أن يسند تدبير المملكة إليه: فإنها لم تجد لها كفاً غيره، ولا من
يجمع شمل شتات أقوالها ولم يفرط بمثقال ذره .

فلذلك رسم بالأمر - لازال يندب لتدبير الممالك كل كنف كاف، ويورد أولياءه
من موارد إحسانه مورداً عذباً صاف - أن يفوض إلى الجنب الكريم - أدام الله
علوقه، وأيده بالمعونة في أمره - شدّ الدواوين المعمورة بالمملكة الطرابلسية،
بالمعلوم المستقر، الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت، على عادة من تقدمه .



وهذه نسخة توقيع بالاستمرار في شدّ الدواوين :

الحمد لله الذي قرن الشدة بالفرج وجبر بعد الانكسار، وأمتحن عباده بأنواع
من المحن ليعلم الصادقين في الاضطبار، وأطلع في أفق العلا سعد السعود ساطعاً

(١) بياض بالأصل ولعله : وحظر وأباح، الخ .

بالتور بعد ما غار، وجمع لمن أنقطع به حبل الرجاء من الخلق فتوكل عليه بين نيل
المطلوب وتمحيص الأوزار .

نحمده وفي محامده تطيب الآثار، ونشكره على ما أسبل من النعم الغزار؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله كشف الغم بعد ما غم القلوب وغطى على
الأبصار، وفرج الهمم، وقد كان أدلهم، وأظلمت منه النواحي والأقطار؛ ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار، سيد ولد آدم في الدنيا وسيدهم في دار
القرار، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وصحابة الأخيار، ما أظلم ليل وأضاء نهار .

وبعد، فإن الله تعالى لطف بهذه الدولة المعظمة في المقام والسير، فما مضى
لأحد معها يوم سرور إلا والذي من بعده خير؛ ونصب خيام عدلها على الخلق
وشرع أطناها، ورغب العباد في فضلها العميم وفتح لهم بابها؛ وجعلها كاشفة
للكرób الموجبة للحرز والضيق، راشفة من خزائن ملكه ومعادن نصره كأس
رحيق؛ تصل بقوة وتقطع، وتفرق بارادته وتجمع؛ ثم جعل المال نظام ملكها
القويم، وقوام سلكها النظيم؛ به ترضى أوامره ونواهيها، وتجري على السداد بما
يحبه ويرضيه؛ فتعين إعداده من يقيم بعزمه عمده، ويقعد من أخذ منه غير استحقاق
من أفتد الدين زنده؛ وقدّر الله تعالى في هذا الوقت ما قضاه، ونفذ حكمه فيمن
خرج عن طاعته وأمضاه؛ فلم تبق مملكة إلا ومسها وأهلها الإضرار، ولا بقعة
إلا ولحق أهلها بأس أولئك الفجار؛ فأدرك الأطف الإلهي ممالك الإسلام، وحل
الركاب الشريف بأرض الشام، فكان بردا وسلام، ونجا المخلص وهلك الناكث
الناكل بقدم سلطان الإسلام؛ خلد الله ملكه [ليقذف] بالحق على الباطل، وأيد
الله دولته الشريفة بعونه المتواصل .

وكان فلانٌ له مباشراتٌ عديده ، وتأثيراتٌ حميده ، وآخر ما كان في وظيفة شدِّ الدواوين بطرابلس : فباشرها مباشرةً جميلةً الأثر، مشكورةً السير عند من ورد وصدر ، ودبر مهماتٍ يعجز عن حصرها أولو العقول والفكر ؛ وحصل للديوان المعمور أموالاً كالطوفان ولكن بلا غرق ، وأستعجب منها كيف حصرتها الأقلام أو وسعها الورق ! ؟ ؛ والذي كان بوظيفة الشدِّ الآن زاهدٌ عنها ، ليس له رغبةٌ فيها ولا في شيءٍ منها .

فتعين إعادة الجنب الفلاني إليها . ورسم بالأمر - لازلت أيام دولته الشريفة تُصلح الشأن ، وتعيد الخير إلى ما كان - أن يستقر

فليعد إليها عود الحسام إلى غمده ، والماء إلى منهلٍ ورده ؛ وليباشرها بمباشرتيه المعروفة ، وعزائمه المألوفه ، وهممه الموصوفه ، مُسترفِعاً المتحصل ومصرفه ؛ وليتحقق أن الله تعالى سيصل رزقه فلا يُوجس في نفسه خيفه ، وليجعل تقوى الله تعالى دأبه في كلِّ قضيةٍ ثقيلةٍ كانت أو خفيفه ، والله تعالى يمدُّ بالطفاه المطيفه ؛ بئنه وكرمه .



وهذه نسخةٌ توقيع بنقابة العساكر بطرابلس :

الحمد لله الأول بلا آخر ، الغنى في ملكه عن الناصر ، المنزه في سلطانه عن المؤازر ، المتوحد بعدم الأشباه والنظائر ، المبيد لكلِّ مظاهر العناد مجاهر ، العليم بما تكنه الأفكار وتجنه الضمائر ، الرقيب على كلِّ ما تردد من الأحوال بين سوادى القلب والناظر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً خالصةً يرغم بها كلِّ جاحد وكافر ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث والشرك مدلهم الدياجر ، والرشد

قد خيم عليه الضلال فما له من قوة ولا ناصر، فأقام به الدين الحنيفي النير الزاهر، ورفع ذكره في سائر الأقطار والأمصار على رؤوس المنابر، صلى الله عليه وعلى آله أهل المكارم والمآثر، ما حمد السرى عند الصباح سائر، ونحمد شر الشر بكل مناضل ومناظر، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن أولى من سقت إليه وفود النعم، ومنح من الخيرات أجزل القسم، وعُدت الأمور بعزائمها، وأعتد على همته التي هي في المضاء كأسنته وصورمه؛ ورعيت جهود ولائه التي لا تُشكر، ووصفت مساعيه التي استحق أن يُحمد بها ويُشكر - من إذا عول عليه في المهمات كفاها، وإذا استطببت المعضلات به شفاها؛ وسارت أبناء مهابته غوراً ونجداً، وأتصف بحسن التدبير الذي عليه من الإقبال أكل إجداً.

ولما كان فلان هو الذي تناقلت تباشير أخباره الرُجبان، وأثنى على شهامته السيف والسنان؛ وشرفت بحجاسنه الأعلام، وأرتفع ذكره بالشجاعة على رؤوس الأعلام.

فلذلك رسم - لا زال للدين الحنيفي ناصرًا، وللأعداء قاصمًا قاهرًا، وللحق مؤيدًا باطنًا وظاهرًا - أن يستقر الجناح العالى المشار إليه أمير نقيب العساكر المنصورة الطرابلية، عوضًا عن من كان بها، على عادته وقاعدته: لأنه الخبر الذي عقدت على خبرته الخناصر، وورث الشهامة كبرًا عن كبر؛ وأضحى بتدبيره واضح الغرر، شاهدًا له به العين والبصر؛ إن جال بين صفوف العساكر كان أسداً، وإن رتب جيوشها أحصاها حلية وعدداً.

فليباشر هذه الوظيفة محرراً أحوال العساكر المنصورة، مقررًا لهم في منازلهم على أكل عادة وأجمل صورته؛ بمناجحة صمخ بمسكها، ومخالصة قام مقام واسطة جوهر

سَلِكُهَا ، وَمُلازِمَةِ خِدْمَةِ تَأَزَّرَتْ بِهَا أَعْطَاهُ ، وَصَفَاءِ طَوِيَّةٍ شَرَفَتْ بِهَا أَوْصَافَهُ ؛
وَمَحَبَّةِ عَدَلٍ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِخْلَاصِ يَحْسُنُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُتَحِفًا
بِظَلِّهِ : لَكِنَّ يَتِمُّ اللهُ النِّعَمَ عَلَيْهِ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَلِيقْصِدُ رِضَا اللهِ تَعَالَى
فِي هَذَا الْأَمْرِ ، لَا رِضًا زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِيهَا تَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ
فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الأشراف بطرابلس بـ «المجلس السامى» بالياء ، وكتب
فيه «القضائى» على خلاف الأصل ، وهى :

رُسم بالأمر - لا زال يرفعُ لذوى الأصلة الشريفة قدرًا ، وينقلهم إلى الرتب
السنية ويعلى لهم ذكرا ، ويشملهم من إحسانه بما يسرُّ لهم قلبًا ويشرح صدرًا ؛
ويبلغهم من المآرب أوفاهًا ، ومن ملابس القبول أجملها وأسناها - أن يستقرَّ فلانُ
- أدام الله نعمته - فى نقابة السادة الأشراف بالمملكة الطرابلسية ، على ما تقدم من
عادته فى ذلك : استقرارًا جاريًا فيه على أجمل العادات ، وأعتادًا على ما عهد من
سلفه الشريف الذات ؛ ورعاية له فى تجديد المسار ، وترجيحًا لما آشتل عليه من
حسن الكفاية فى كل إيراد وإصدار ؛ ورفعة ليد الباسطة على أبناء جنسه ، وتقوية
يحد أثرها فى معناه وحسه ؛ رَسْمًا يستوجب به النعم الجزيله ، وولاية تولىه
من الكرم سوله ، وعناية تُصيح بها ربوع أنسه ماهوله ؛ لأنه أولى أن يقر فى هذه
الوظيفة ويؤاد ، وأحق أن يرعى لما سبق له من السداد ، وأجدر أن لا يُضاع
حقه حيث له إلى ركن الشرف المنيف استناد .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة مبسوطًا أمله فى المزيد ، منوطًا رجأؤه فى نعمنا
باستئناف وتجديد ، محوطًا ما بيده من كرمنا العديد ؛ وهو غنى أن نثنى له الوصايا

ونعيد، ملى بحسن السجايا التي جُيِّبَتْ على التحقيق والتوفيق والتسديد؛ والله تعالى
يُطَوِّقُ بِمَنِّ جُودِنَا مِنْهُ الْحَيْدَ ، وَيُعِدُّ لَهُ سَحَابَ رِفْدِنَا الَّتِي تُجْرِيهِ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ
فَضْلِهَا الْعَدِيدِ ؛ وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ - أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى - أَعْلَاهُ ، مُجْتَمَعَةٌ بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَشَدِّ الشَّوَانِي بِطَرَابِلِسَ ، كُتِبَ بِهِ لِعَلَاءِ الدِّينِ «أَيْدِ غَمَشٍ» وَهِيَ :
رِسْمٌ ... - لِأَزَالَتْ أَيَامُهُ ، قَائِمَةٌ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَعْلَامُهُ ، حَائِمَةٌ
عَلَى الْإِتْقَانِ مُهَجِّجِ الْعِدَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا يُقَرِّبُ لَهُمُ الْأَجَلَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فَلَآنُ فِي شَدِّ
الشَّوَانِي الْمَعْمُورَةِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ ، بِهَيْمَتِهِ الْعَالِيَةِ ، وَعَزَمَتِهِ الَّتِي هِيَ بِلُغِ
الْمَقَاصِدِ مِلَّةً ؛ وَشَهَامَتِهِ الَّتِي تُرْهِبُ الْعِدَا ، وَشَجَاعَتِهِ الَّتِي تُلِيْسُهُمْ أَرْضِيَّةَ الرَّدَى ؛
وَبَسَائِلِهِ الَّتِي تُبْسِلُهُمْ فِي الْبَحْرِ فَتَصِيرُهُمْ كَالْأَسْمَاكِ لَا يُسَامُ لَهُمْ صَدْيُ .

فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ جِدَّ الْأَجْتِهَادِ ، وَلْيَعْمِدْ فِيهِ السَّدَادَ وَالسَّدَادَ ؛ وَلْيُوقِظْ أَجْفَانَ
سَيُوفِهِ مِنَ الْعَمَاضِ ، وَلْيُرْهِبْ الْعِدَا بِشِدَّةِ وَطْأَتِهِ الَّتِي لَهَا الثَّبَاتُ فِي الْأَرْضِ ؛
وَلْيَلْزِمْ مُوَاطَبَةَ الشَّوَانِي لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَلْيَكُنْ هُوَ وَمَنْ حَوْلَهُ لِنَ بَهَا أَنْصَارًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يُجْزِلُ لَهُ مَبَارَا ، وَيَرْفَعُ لَهُ مَقْدَارَا ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَشَدِّ دَارِ الضَّرْبِ ، كُتِبَ بِهِ لِعَلَاءِ الدِّينِ الدَّوَامَرِ ، وَهِيَ :
رِسْمٌ ... - لِأَزَالَ إِحْسَانَهُ يَجُودُ عَمَامَا ، وَقَضَلُهُ الشَّامِلُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ إِمَامَا ،
وَسَحَابُ بَرِّ كَرَمِهِ هَامِيَةٌ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، هَامِلَةٌ عَلَى أَصْفِيَائِهِ ، فَتَرَاهُمْ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُبْحَدَا
وَيَنْتَصِبُونَ قِيَامَا - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ دَارِ الضَّرْبِ : إِعَانَةٌ لَهُ عَلَى الْخِدْمَةِ
الشَّرِيفَةِ ، وَإِرْفَادًا لَهُ بِمَعْلُومِهَا إِذْ هِيَ لَيْسَتْ لَهُ بِوُضُوفِهِ ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا ،

وَأَحَقُّ بِكُلِّ مَنْزَلَةٍ عَلَيْهِ وَأُخْرَى ؛ وَلَكِنْ هَذِهِ الْجِهَةُ هِيَ قَانُونُ الْمُعَامَلَةِ ، وَسَكَّتْهَا
بِشِعَارِ الْمَلِكِ مُتَّصِلَةً وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَاصِلَةً ؛ وَمِنْهَا التَّقْوَى الَّتِي هِيَ رُسْتَاقُ
الْأَرْزَاقِ ، وَصَدْرُ كُلِّ إِطْلَاقٍ وَقَدَاقِ ؛ حَكِيمٌ مَا أُرْسِلَ فِي حَاجَةٍ إِلَّا وَأُذِنَ لَهَا
بِالنَّجَاحِ ، وَلَا آسْتَوْنُ عَلَيْهِ أَمْرًا بِأَذْنِ الْإِمَامِ إِلَّا وَحَقٌّ لَهُ [الِاتِّصَافُ] بِالصَّلَاحِ
وَالْفَلَاحِ ؛ هَذَا وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَذْمُومٌ ، وَطَالِبُهُ مَحْرُومٌ : لِأَنَّهُ مَقْسُومٌ ، وَالْأَجَلُ
مَحْتَمٌ ؛ وَلَكِنْ تَطْهِيرُهُ مِنَ الدَّنَسِ وَاجِبٌ ، وَالْحَسْبَةُ فِي عِيَارِهِ حَتَّى يَغْدُو وَبِوَدْقِ
صِفَائِهِ مِنَ الْغَيْثِ نَاضِبٌ .

فَلْيَعْتَمِدِ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شِدَّةِ هَذِهِ الْجِهَةِ حُسْنَ التَّقْوَى وَيُلَاحِظْ بَعْزَمَهُ أُمُورَهَا لِتَكُونَ
عَلَى السَّدَادِ ، وَيَعْتَمِدْ عَلَى السَّيِّدِ النَّاطِرِ فَإِنَّهُ نِعْمَ الْعِيَادُ ، وَيُفَوِّضْ إِلَيْهِ كَشْفَ الرُّبَايِصِ
وَحَكَّ الْعِيَارِ فَهُوَ بِهِ أَذْرَى وَأُخْرَى وَأَدْرَبُ بِأَدْحَاضِ غَيْثِ الْفَسَادِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ
الْمُقَرَّرَ لَهُ عِنْدَ الْوَجُوبِ وَالْأَسْتِحْقَاقِ ، هَنِيئًا مَيْسِرًا خَالِصًا مِنَ التَّنَازُعِ وَالشَّقَاقِ ،
وَمِثْلُهُ فَلَا يُدَلُّ عَلَى [صَوَابِ] : إِذْ تَقْوَى اللَّهُ تَعَالَى كَلِمَةُ الْفَصْلِ وَفَصْلُ الْخِطَابِ ،
وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهَا لَنَا وَلَهُ زَادًا وَحِرْزًا ، وَذُخْرًا يَوْمَ الْمَعَادِ وَرِكْرًا ^(١) .



وهذه نسخة توقيع بشد البحر بمينا طرأ بلس ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال سيفه قاطعاً من الأعداء نحرًا ، وأمره نافذًا برًا ونحرًا ، وفعله
صالحًا دنيا وأخرى - أن يستقر الجنب المشار إليه في شد ميننا البحر بطرأ بلس .

فليباشر هذه الوظيفة شارحًا لها صدرًا ، فاتحًا لها بحسن مباشرته الجميلة بصراً
وفكرًا ؛ باعنا لها في الآفاق بمباشرته ذكراً جميلاً ، باحثاً عما يتعلق بمتحصل المينا

(١) يريد ركوة واحدة الركاز المال المدفون . وذكراً مراعاة للسجع .

المعمورة بكرةً وأصيلاً؛ مُسَوِّياً بين الناس فيما رَزَقَ اللهُ وَفَتَحَ ، وَبَعَثَ مِنْ فَضْلِهِ وَمَنَحَ ؛ بِحَيْثُ لَا يَقْدَمُ عَزِيزًا وَلَا يُؤْتِرُ دَلِيلًا ، وَلَا يُرَاعِي فِي ذَلِكَ صَدِيقًا وَلَا خَلِيلًا .

وَلْيَقْدَمْ خَوْفَ اللهِ تَعَالَى عَلَى خَوْفِ خَلْقِهِ ، وَلْيُسَوِّبِ الضَّعِيفَ وَالْقَوِيَّ فِيمَا بَسَّطَ اللهُ مِنْ رِزْقِهِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا نُوصِيهِ بِهِ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى فِيمَا هُوَ بِصَدَدِهِ ، فَلْيَجْعَلْهَا فِي أُمُورِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ مِنْ عُدَدِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْدَمُهُ فِي مَبَاشَرَتِهِ لِأَقْتِنَاءِ مُحَاسِنِ الْمَعْرُوفِ وَزُبْدِهِ ، وَيَرْزُقُهُ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى مَا يَعْمَلُهُ مِنَ الْخَيْرِ مَعَ تِجَارَةِ هَذَا الْبَحْرِ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ زُبْدِهِ .



توقيع كريم بناية اللادقية ، من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارباري ، كتب به لـ «شمس الدين» ابن القاضي ، بـ «الجناب العالی» ، وهو :

الحمد لله الذي زاد «شمس» الأولياء إشراقاً ، ومنحه في هذه الدولة الشريفة إرفاقاً وإرفاقاً ، وصان الثغور المحروسة بعزادته التي سرت قلوباً وأقرت أحداقاً ، وجددت لأوليائها من مواهبها عطاءً وفاقاً .

نحمده على حكمه وفعليه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمنح قائلها مزيد فضله ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أيده الله بملائكته المقربين ، وشدد أزره من أصحابه بالآباء والبنين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الدين ، صلاة تمنح قائلها عُرف الحنان (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيَّينَ) وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن من شيم هذه الدولة إذا بدأت تعود ، وإذا نظرت تجود ، وإذا قَدِّمَتْ وَلِيًّا لِحَظَّتْهُ بِأَعْيُنِ السُّعُودِ .

وكان الجنبُ العالى - أدام اللهُ نعمته - عَيْنَ القِلَادَةِ ، وَبَيْتَ السِّيَادَةِ ، وَمَعِدَنَ السَّعَادَةِ ؛ وَأَهْلًا أَنْ يُدَبَّرَ الْأُمُورُ ، وَيَسَدَّ الثُّغُورُ ؛ وَنِيَابَةُ الْأَلَذِيْقَةِ مَجَاوِرَةُ الْبُحُورُ ، وَجَزِيرَةُ الْعَدُوِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا نَهَارٌ فَهِيَ فِي أَمْرِهَا لَهُ قَاعِدَةٌ فِي النُّحُورِ ؛ وَقَدْ رَأَيْنَاهُ أَهْلًا أَنْ يَصُونَ نَحْرَهَا ، وَيَتَقَلَّدَ أَمْرَهَا ؛ وَيَحْفَظَ بَرَّهَا ، وَيُدْفَعُ شَرَّهَا .

فَلذَلِكَ رُسْمٌ بِالْأَمْرِ - أَعْلَى اللَّهِ تَعَالَى شَرَفَهُ - أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةَ الْأَلَذِيْقَةِ الْحَرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهُ .

فَلْيَسِرْ إِلَيْهَا سَيْرَ الشَّمْسِ فِي أَبْرَاجِ شَرَفِهَا ، وَلْيُقْبَلْ عَلَيْهَا إِقْبَالَ الدَّرَّةِ عَلَى التَّرَائِبِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ صَدَفِهَا ؛ وَأَوَّلُ مَا نَأْمُرُهُ [بِهِ] : إِرْهَابُ الْعَدُوِّ بِالْعَدَّةِ وَالْعَدِيدِ ، وَإِظْهَارُ الْمَهَابَةِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَتَفَقُّدُ الْأَيْرَاقِ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اتِّكَالٍ عَلَى سِوَاهِ كَمَا يَفْعَلُ الْبَطْلُ الصَّنِيدِ ، وَلِيُخْلَعَ عَنْهُ مَلَابِيسُ الْوَشْيِ وَيَلْبَسَ الْحَدِيدَ ، وَلِيَمْجُرَّ الْمُضَاجِعَ وَيَتَّخِذَ ظَهْرَ جَوَادِهِ مُسْتَقَرَّهُ الْعَتِيدَ ، حَتَّى يَنْتَشِرَ لَهُ صِمْتُ بَيْنَ أَهْلِ التَّثْلِيثِ كَمَا أَنْتَشَرَ صِمْتُهُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ .

وَأَبْسُطُ بَسَاطَةِ الْعَدْلِ لِيَطَّاهُ الْمَوَالِي وَالْعَبِيدَ ، وَأَحْكَمُ بِالْحَقِّ فَالْحَقُّ مُفِيدٌ وَالْبَاطِلُ مُبِيدٌ ، وَمَتَى تَسَامَعَ التُّجَّارُ بِعَدْلِكَ جَاءُوا بِالْأَصْنَافِ وَالْمَتَجَرِّجِ الْحَدِيدِ ، وَأَرَكْنَ إِلَى حُكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فَإِنَّهُ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَأَتَقَى اللَّهَ تَجِدُهُ أَمَامَكَ فِيمَا تَرُومُ وَتُرِيدُ ، وَتَمَسَّكَ بِالسَّيْرِ الْحَسَنَةِ يَزِدُّكَ اللَّهُ رِفْعَةً وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالْمَزِيدِ ، وَعَقِبَهَا نَسْتَنْجِزُ لَكَ تَشْرِيفًا شَرِيفًا مَقْرُونًا بِتَقْلِيدِ أَعْظَمٍ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ ؛ وَالخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ حِجَّةٌ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



تَوْقِيعٌ بِنِيَابَةِ قَلْعَةِ حَضْنِ الْأَكْرَادِ ، كُتِبَ بِهِ لَشَهَابِ الدِّينِ «أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ» ،

وهو :

الحمد لله الذي أطلع في سماء الدين شهابا، وفتح لمن خافه وأتقاه إلى الخيرات أبوابا، وحباه من إفضاله وألبسه من حلال إنعامه ونعمائه أثوابا .

نحمده على نعمه التي أجزل لنا بمزيد حمدها أنعمًا وثوابا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتخذها من النار حجابا، ونعتد بها في الآخرة مفازا حدائق وأعنابا، وكواعب أترابا، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شرفه على الأنبياء منصباً ونصبا، وسبى بطبعته وطبيعته قلوبا وأحزابا، وقربه إلى أن كان قاب قوسين وأسمعه من لذيذ كلامه خطابا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه : أكرم به وبهم ألا وأصحابا ! ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أتدب، لحفظ المعامل الإسلامية وأتخبط، وأخرى من لخطته عين عنايتنا فكان إليها من العين أقرب، وأحق من اعتمد على بسالته وإيالته بما سبر من الأنام والأيام وجرب - من عرف بشجاعة ابن منها عمرو بن معدى، وأمانه كفت حين كفت كف التعدى؛ وعفة جعلها في أحواله كلها نصب العين، وسياسة ما زال يصلح بها بين ذوى المشاققة ذات البين؛ وكان فلا ن هو الموصول المقدم، الموصوف بهذه الصفات التي سر الساحل بها فبسم .

فذلك رسم بالأمر - لا زال يطالع في آفاق الحصون المصونة شهابا، ويرفع الأولياء بإحسانه الذى يؤكدهم في جوده أسبابا - أن يستقر ^(١) نائبا بقلعة حصن الأكراد المحروس وأعمالها، على عادة من تقدمه ومستقر قاعدته .

فليأشروا ما وليناه وأوليناه : مباشرة تسفير عن حسن فطنته وذكائه، ونضىء الآفاق بنور شهابها وسنائه، وتظهر معروفها المعروف بعدم غيبته وخفائه؛ معتمدا

(١) بياض بأصله ومراده الجناب العالى . أو المجلس العالى .

على الله تعالى في إبدائه وإنهائه ، شارحاً لكل قلب أَلانَه إحسانه بعد غلظته
وجفائه ، مانحاً من بحر جوده وعدله بالدر لا يحفائه ، مكرماً لمن بهذا المعقل : من
أمرائه وأجناده وأغنيائه وفقرائه ، مقيماً لمنار الشرع الشريف الذى لا تستقيم
الأموار إلا باتباعه وإبدائه ، وليظهر من شجاعته وبسالته ما لا فائدة في خفائه ،
وليظهر سيفه ، في وجه من أظهر حيفه ، وعدم خوفه ، من سطوة ربه وكرمائه .

وأعظم ما نوصيه به التقوى ، فإنه بملازمتها يقوى ، على دفع الشرّ وفعل الخير
وإسدائه ، والوصايا كثيرة وهو المحجرب بالعمل بها لمن يرغب في استيلائه ، والله
تعالى يحرق بشهاب عدله كل مُتمرد



وأعلم أنه ربما كتب توقيع نائب حصن الأكراد مفتتحاً بـ «أما بعد حمد الله» .
وهذه نسخة توقيع بنياية حصن الأكراد ، كتب به باسم «شهاب الدين الجاكي»
بـ «الجناب العالى» ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى جعل شهاب الدين يتنقل في مطالع سعده ، وجدّد
أثواب النعماء لمن قدّمت هجرته وظهر خيره فأنجزله الإقبال صادق وعده ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ قائلها إنالة قصده ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله الذى أيدّه الله بنصر من عنده ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا
من أنصاره وجنّده ، صلاة دائماً يبلغ المؤمن بها غاية رُشدّه ؛ وسلم تسليماً كثيراً - فإن
أولى من شمله إحسان هذه الدولة الشريفة وتولّه مراده ، وأجزل عليه النعم فكان
أحقّ بها لحسن طويته فأجره الله على أحسن عاده ، وبلغه غاية القصد ومعين
السعادة - من سلك مسالك الأمانة الثقات ، وأشتهرت عنه العفة وحسن الصفات ،
فتعين تقديمه وتقريبه إلى أجل ولايات الفتوحات .

ولما كان فلاناً - أدام الله عزه، وأنجح قصده - هو المنعوت بصفات السداد، المشهور بالهضة والشجاعة في هذه البلاد، الذي حوى المكارم والإفضال، ووافق خبره خبره في سائر الأحوال .

فلذلك رسم بالأمر - لا زال شهاب فضله ساطعاً، ونور إحسانه لامعاً - أن يستقر المجلس العالی الشهابي المشار إليه في ولاية الأعمال الحزنية والمناصف عوضاً عن بها، على عادته وقاعدته : لأننا وجدناه شمس أعيان الأمائل، وألفيناه قليل الظير والمضاهي والمائل؛ وعليه عقدت الخناصر، وأتفقت الآراء الناقبة في الباطن والظاهر؛ ولما جمع من كرم الشيم وجميل الخلال، وحاز من النباهة الرفعة الذرا المديدة الطلال .

فليتوجه إلى محل ولايته، وليظهر ما أكنه من العدل والإنصاف في ضمائه بحسن سياسته؛ ولينصف المظلوم ممن جار عليه وأعدى، ويتبع في ذلك ما يوضح له من طريق منار الهدى؛ وليبسط المعدلة ويمد باعه، وليبد الظلم ويقصم ذراعه؛ وليصرف همته في عمارة البلاد، وتأمين العباد، وسؤلك سبل الرشاد؛ وليجتهد في سد الخلال، وإصلاح ما فسد بغيره من الأحوال؛ وليجعل تقوى الله محجته، وأتباع العدل محجته، وسؤلك الحق عدته؛ فقد جاءت التقوى في التنزيل مؤكده، ووردت في كثير من السور مرده؛ والله تعالى يعينه على ما ولاه، ويحرسه ويتولاه، بعد الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة المرقب والولاية بها، كتب به لصالح الدين

«خليل»، بـ «الجناب العالی»، وهي :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشريفة مقرونة بالتأييد والنجاح ، ووفق أوليائها إلى سلوك سبل السعادة وشيئها بالصلاح ، وخولهم في أيامها المراتب العلية ليتهلوا بأدعيتهم وبدوامها في المساء والصباح .

نحمده على نعمه التى لا يبرح مخلصها فى ازدياد وأرتياح ، ونشكره على آلائه شكراً نستحق به المزيد كما أوضح فى القرآن أكل إيضاح ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة معلنة بالفلاح ، وأن محمداً عبده ورسوله الذى أنزل عليه فى محكم كتابه العزيز : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ كَمَشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الكرام الأشباح ، ماترتم طائر على غضن وحيل الداعي إلى الفلاح ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من عقدت به نيابة أجل المعاقيل والثغور وفوضت إليه ، وعول فى حفظها ومباشرتها الحسنة الجميلة عليه - من عقدت على حزمه الخناصر ، وورث الشجاعة والشهامة كبراً عن كبر ؛ وهو الذى نما فرعاً وزكا [أصلاً] ، وفاق فى المكارم على نظرائه قولاً وفعلًا ؛ فأضحى وإفرائئنا واضح الغرر ، شاهدًا له به العين والبصر .

ولما كان فلان هو المنعوت بهذه الصفات ، والموصوف فى مواقف الحروب بما لديه من الثبات والثبات ؛ المشكورة خدمته ، شاماً ومضراً ، المشهورة بين الهمم همته ، براً وبحراً .

فلذلك رسم ... - لازالت مراسيمه الشريفة مبثوثة بالعدل والإحسان ، ومعدته تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن تفوض إليه نيابة قلعة المرقب المحروس ، والولاية بالأعمال الشريفة ، وما هو منسوب إليها ، على العادة فى ذلك ومستقر القاعدة : إذ هو أحق بها وأهلها ، وأكمل [من] يجمع شتات شملها .

فليباشر ما نُدب إليه من هذه الجهات مباشرةً تقصُر الأفكار عن تَوْهَمِها ،
والأبصار عن تَوْهَمِها ؛ والخواطر عن تَحْيَلِ مَبْنِها ، و [الأذهان] عن تَمَثُّلِ صُورِها
ومعناها ؛ وليكن لمصالحها مُتَمَسِّحًا ، ولأحوالِ رجالها مُتَصَفِّحًا ، ولأقدارِ جهاتها مُرَبِّحًا ،
وللخواطرِ بَأداءِ أحوالها على السدادِ مُرَبِّحًا ؛ ولوظائفِها مُقِيًا ، وللنظرِ في الكبيرِ والصغيرِ
من مصالحها مُدِيمًا ؛ ولحُرْمَتِها مُضَاعِفًا ، وعلى كَلِّ ما يتعيَّنُ الاحتفالُ به من مُهمَّاتِها
واقفاً ؛ ويُعدُّ للعدوِّ المخذولِ عند تَحْرُكِهِ العزمَ الشديدَ ، ويهجرُ لِبَسِّ الوشيِّ ويتألَّفُ
لِبَسِّ الحديدِ ، وَيَتَّخِذُ ظَهْرَ جَوادِهِ مُسْتَقَرَّهُ العَديدَ ؛ وَيَسْمُرُ لِلجِهادِ ذِيلاً ، ومعاذَ اللهِ
أَنْ يَمِيلَ عَنْهُ مَيْلاً ؛ وَيَسْطِرُّ العَدْلَ للرعيَّةِ ، ويُعاملُهم المعاملةَ المرصِيَّةَ ، وَيُحْسِنُ
إلى الأُمراءِ البَحْرِيَّةِ ، وَيُلَاحِظُ مصالحَهم في كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَيَتَفَقَّدُ الرِّجالَ ، وأرَبابَ
الأدراكِ والشَّوانِي وَيُحَدِّثُهم من الإهمالِ ، وَيَأْمُرُهم باليقظةِ والاحترازِ في اللَّيلِ
والنهارِ وسائرِ الأحوالِ ؛ وليعملَ ما يحتاج إليه من آلاتِ الجِهادِ وليَكُنْ على حَدَرٍ
مما يتجددُ كُلُّ يومٍ ، وليُوقِعِ الرِّهْبَةَ في قلوبِ الأعداءِ بِجَيْلِهِ في اليقظةِ وخياله في النَّومِ ؛
ويَتَفَقَّدُ الموانِي في سائرِ الأوقاتِ في اللَّيلِ والنهارِ ، وليُحَدِّثُ أُمراءَ الأيْرَاقِ من الغفلةِ
فإنَّ الغافلَ لا يزالُ على شَقَا جُرْفِ هَارٍ .

وليتق الله في أقواله وأفعاله . والوصايا كثيرةٌ وهو أدربُ بها وأدري ، وأبوابُ
الخيراتِ واسعةٌ وهو إليها أسرعُ وأجرى ؛ وليشكر الله تعالى على ما ولَّاه ، والاعتمادُ
على الخطِ الكريمِ أعلاه .



وهذه نسخةٌ تُوَفِّعُ بِنِياةِ حِصْنِ عَكَارِ ، كُتِبَ به لـ «ناصر الدين الكردي» ،

بـ «الجناب العالي» ، وهي :

الحمد لله الذى نصر هذا الدين الحنيفى بسيد البشر، وخص هذه الدولة الشريفة
بالتأييد والظفر، ووفى الأولياء بجودها الذى لم يزل من ذمة الوفاء ينتظر .

نحمده على منته الذى طالما بدا فى جبهات الأولياء بشره وظهره، ونشكره على
جوده الذى أغنى عن التحجيل والغرر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تُحجى قائلها يوم الفرع الأكبر، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقام الله
بسيفه الإيمان فآشتره، وكف به يد الطغيان وزجر، صلى الله عليه وعلى آله
ما اتصلت عين بنظر وأذن بخبر، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رعى له خدم عديده، وعرفت له فى أجل الثغور
مباشرات سعيده، وآشترت شهامته وكفايته فى الآفاق، وظهرت أمانته ظهور
الشمس فى الإشراق، وتقدم بذلك على نظرائه وفاق .

ولما كان الجنب العالى هو المنعوت بهذه الصفات الجميلة، والمحتوى على هذه
المزايا الخلية، الذى شاعت شجاعته مع طهارة يد، ولا عجب فإن هذا الشبل من
ذاك الأسد!؛ وسارت الرجان فى الممالك بنهضتهما فى المباشرات، وسد الخلل
فى المهمات المضلات .

فلذلك رسم ... - لازلت أيامه مبنوثة بالعوارف والإحسان، ومعدته تستدعى
بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن تفوض إليه نيابة قلعة حصن عكار
المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، بالمرتب الشاهد به الديوان المعمور .

فليقدم خيرة الله تعالى ويتوجه إليها، ويصرف وجه الإقبال عليها، وينظر فى عمارتها
ومصالحها، ويستدرك ما استهدم من بيوت حواصلها، ليصبح وجه هذا الثغر

(١) لعل الصواب «فان أولى الأولياء بالمنصب من رعى» الخ ليستقيم الكلام .

بِحُلُولِهِ بِهِ بِاسْمَا، وَيُنْشَرُّهُ مِنْ حُسْنِ تَدْيِيرِهِ وَجَمِيلِ تَأْيِيرِهِ عَامَا، وَيُحَسِّنُ إِلَى الْأَمْرَاءِ
 الْبَحْرِيَّةِ، وَيُتْرِكُهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى الْعَادَاتِ الْمَرْضِيَّةِ، وَيُعَدِّلُ فِي الرَّعِيَّةِ، وَيُنْصِفُ
 الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ، وَيُزِمُّ أَرْبَابَ الْوِظَائِفِ مِنَ الْمُقَدِّمِينَ وَالرَّجَالَةَ
 بِالْخِدْمَةِ بِالنُّوبَةِ عَلَى الْعَادَةِ، وَيُوصِلُ إِلَيْهِمْ مَعْلُومَهُمْ مِنْ جِهَاتِهِمُ الْمُعْتَادَةِ، وَيَتَّبِعُ
 الْحَقَّ الْمُخْتَصَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ، لَا يَقْتَدِي بِرَأْيِ زَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُطَالِبٌ بِالْعَدْلِ
 فِي وظيفته، فَإِنَّ كُلَّ رَاجِعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجَالَةَ كَثِيرَةً وَمُعْظَمَهَا تَقْوَى اللَّهَ
 فِي سَائِرِ الْأُمُورِ: فَلَيْتَمَسَّكَ بِهَا يَقْوَى، فَإِنَّهَا السَّبَبُ الْأَقْوَى، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِي السِّرِّ
 وَالنَّجْوَى، بَعْدَ الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ.



وهذه نسخةٌ تَوْقِيعِ بِنْيَابَةِ بَلَاطُنُسٍ بـ «بِالْحَنَابِ الْعَالِي» ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ نِعَمَهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَأَجْرَلَ كَرَمَهُ عَلَى أَصْفِيَائِهِ ، وَنَشَهُدُ أَنْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُنْحِي قَائِلَهَا مِنْ وَبِيلِ الْعَذَابِ ، وَتُجَدِّدُ لَهُ
 أَسْبَابَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْحِسَابِ ، وَنَشَهُدُ أَنَّ مَهْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبْعُوثُ
 بِالنُّورِ الْمُبِينِ ، الْمَخْصُوصُ بِالِدِّينِ الْمُتَيْنِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَهْلِهِ
 وَأَصْفِيَائِهِ وَأَتْرَابِهِ .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ الْقِلَاعَ الْمَنْصُورَةَ مِمَّا يَتَعَيَّنُ الْأَحْتِفَالُ بِأَمْرِهَا ، وَالْأَهْتِمَامُ بِحِفْظِ
 رِجَالِهَا فِي سِرِّهَا وَجَهْرِهَا، وَمَنْ أَجَلَّ قِلَاعِ السَّاحِلِ الْمَحْرُوسِ ، وَأَجْمَلَ مَسَاكِنِ الْبَحْرِ
 الْمَأْنُوسِ ، قَلْعَةَ بَلَاطُنُسٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ ... - لِأَزَالَتْ صَدَقَاتُهُ تَشْمَلُ كُلَّ أَوْحَدٍ، وَتَجْبُرُ كُلَّ وَلِيٍّ أَمْجِدٍ - أَنْ
 يَسْتَقَرَّ إِذْ هُوَ الْخَيْرُ، الَّذِي لَيْسَ لِمَعْرِفَتِهِ نَظِيرٌ، وَالضَّابِطُ الَّذِي يُحَاقِقُ عَلَى

الجليل والحقير، والتّقيير والقَطْمِير، والشُّجَاعُ الذي هو في يوم النّضالِ على أخذ العَدُوِّ
لِقَدِير، والضَّرْغَامُ الذي أعطاه الله القُوَّةَ والمَعْرِفَةَ التَّامَّةَ فهو بهما جَدِير .
فَلَيْسَ إِلَى الثَّغْرِ المحروس، وَيَعْتَمِدُ في أموره ما هو فيه من الخِبرَةِ مَغْرُوس .



وهذه نسخة تُوَقيعُ بِتَقْدِيمَةِ العَسْكَرِ بِبَجَلَةَ ، كُتِبَ بِهِ لـ «صِلاَحِ الدِّينِ الحَافِظِي» ،
بـ «الجَنَابِ العَالِي» ، وَهِيَ :

الحمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ هَذِهِ الدَّوْلَةَ الشَّرِيفَةَ تَنْقُلُ كُلَّ وَليٍّ إِلَى دَرَجَاتِ سَعْدِهِ ،
وَتُؤَكِّدُ أسبابَ الأَرْتِقَاءِ لِمَنْ جُحِدَتْ مَأْتِرُهُ وَحَسُنَتْ سِيرَتُهُ في اليَوْمِ وَالَّذِي مِنْ بَعْدِهِ ،
وَتُجَدِّدُ أَثْوَابَ النِّعْمَاءِ لِمَنْ ظَهَرَ خَيْرُهُ وَخَبِرَتْهُ فَانْجَزَ لَهُ الإِقْبَالَ صَادِقَ وَعْدِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي أَجْزَأَتْ لِمُسْتَحِقِّهَا مَوَاهِبَ رِفْدِهِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَنَنِهِ الَّتِي
خَصَّتْ كُلَّ كَافٍ بِتَأْثِيلِ مَجْدِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
يَبْلُغُ بِهَا قَائِلُهَا غَايَةَ قَصْدِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مَجْدًا وَعَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَيْدَى اللهُ تَعَالَى
بِنَصْرِ مَنْ عِنْدَهُ ، وَأَمَّنَهُ عَلَى وَحْيِ الرِّسَالَةِ فَنُصِّحَ الأُمَّةَ غَايَةَ جُهْدِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَنْصَارِهِ وَجُنْدِهِ ، صَلَاةً دَائِمَةً بَاقِيَةً يَبْلُغُ بِهَا الْمُؤْمِنُ
غَايَةَ رُشْدِهِ ؛ وَسَلِّمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الجَنَابَ العَالِيَّ لَمَّا تَقَدَّمَتْ لَهُ مَبَاشِرَاتُ فِي أَجَلِ الوَلَايَاتِ وَأُحْسِنَ
النِّيَابَاتِ ؛ وَهُوَ يَسِيرُ فِي كُلِّ مِنْهَا أَجْمَلَ سَيْرٍ ، وَيُحْسِنُ إِلَى رِعِيَّتِهَا فَلَا غَرَوَ أَنَّ يَذْكُرُهُ
بِكُلِّ خَيْرٍ ؛ كَمْ قَامَ بِمُهَمَّاتٍ مِنْ غَيْرِ عَسْفِ أَهْلِ البِلَادِ ، وَكَمْ أَعَانَ الدِّيوانَ المَعْمُورَ
مِنْ غَيْرِ ضَرَرٍ لِلعِبَادِ ؛ وَكَمْ مِيزَانُ الوَالِا فَكَانَتْ أَيَّامُ مَبَاشِرَاتِهِ أَعْيَادَ ، وَكَمْ لَهُ مِنْ خِدَمِ
سَارِ بِهَا الرِّكَابُ وَبَلَغَ بِهَا المُرَادُ ، وَكَمْ أَثْنَى عَلَيْهِ لِسَانُ القَلَمِ حَتَّى نَفَدَ المِدادُ ،

وَكَمْ وَصَفَتْ هِمَمَهُ وَحُسْنَ تَأْتِيهِ فِي كُلِّ تَوْقِيعٍ وَتَقْلِيدٍ عَلَى أَنَّ الْكَاتِبَ مَا زَاغَ عَنِ الْحَقِّ وَلَا مَالَ عَنِ الصَّدَقِ فِيهَا وَلَا حَادَ .

فَاتَّقَضَىٰ مَجْمُودٌ رَأْيَنَا الَّذِي مَا بَرِحَ بَعُونَ اللَّهُ يُصِيبُ، وَجَمِيلٌ فِكْرِنَا الَّذِي مَا دَعَوْنَاهُ لِأَمْرٍ إِلَّا وَبِالإِصَابَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ يُجِيبُ، أَنْ نُعَيِّنَ لَهُ وَظِيفَةً نُرِيحُهُ فِيهَا مِنَ التَّعَبِ، وَنُوفِرُهُ مِنْ تَبَعَاتِ الطَّلَبِ؛ وَكَانَ مَنْ فِي تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةٍ يَعْتَرِيهِ أَلَمْ يَعُوقُهُ عَنِ الرُّكُوبِ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ وَالنُّزُولِ، سِيَّيَا فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ يَتَحَرَّكُ الْعَدُوُّ الْمَخْدُولُ .

فَلذَلِكَ رَسَمٌ ... - لَا زَالَتْ أَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تُبَسِّرُ أَسْبَابَ النَّجَاحِ، وَعَوَارِفُهُ تُطَوِّئُ لَهَا أَرْضَ الْبُعْدِ غِنَى أَوْلِيَائِهَا كَمَا تُطَوِّئُ لِذِي الصَّلَاحِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ فِي تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِجَبَلَةٍ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقْدِيمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .

فَلْيَبَاشِرْهَا مَبَاشِرَةً تَلِيْقُ بِشَجَاعَتِهِ، وَتُعْهَدُ مِنْ حُسْنِ سِيَاسَتِهِ؛ وَلْيُكْرِمِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ، وَلْيُرَدِّعْ مِنْ يَجِيدُ عَنِ الْحَقِّ أَوْ يَجِيفُ؛ وَلْيَجْمَعْ الْأُمْرَاءَ الْمَقْدَمِينَ وَالْحَلِيقَةَ الْمَنْصُورَةَ عَلَى الرُّكُوبِ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ، وَلْيَشْكُرْ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُطِيفَةَ؛ وَلْيَتَّقِظْ رُدَّعِ الْعَدُوِّ الْمَخْدُولِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهَا أَسْتَرَعَيْنَاهُ أَمْرَ ذَلِكَ وَكُلَّ رَاجِعٍ مَسْئُولٍ؛ وَلْيَتَحَقَّقْ أَنَّ الْعَدُوَّ الْمَخْدُولَ طَالِبٌ لِلْهَالِكِينَ مِنْهُمْ بِالثَّارِ، وَهُمْ قَاصِدُونَ جَبَلَةَ فَلْتَكُنْ عِنْدَهُ يَقِظَةً وَأَسْتَبْصَارًا؛ وَلْيُرْتَبِ الْأَيْزَاكُ وَلْيُعْمَرِ الْمَوَانِي بِالرِّجَالِ، وَيَتَفَقَّدَهُمْ فِي اللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنَ النَّهَارِ؛ وَلْيَهْجُرِ النَّوْمَ فِي طَلَبِ الظَّفَرِ وَالْمُنَىٰ فَمِنْ سَهَرٍ لِذَلِكَ مَا حَابَ، وَلَا يَأْمُنُ مَكِيدَتَهُمْ وَيَعْتَرِّبُهُمْ فَيَقُولُ: قَدْ ضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَيُنْهَىٰ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ؛ وَبَاقِي الْوَصَايَا فَهِيَ بِهَا أَعْلَمُ، وَلَمْ يَبْرَحْ مُتَلَقِّعًا بِشَوْبِهَا الْمُعْلَمِ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَىٰ فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا يَأْتَمُّ، وَمَنْ تَرَكَهَا يَنْدَمُ، وَمَنْ لَزِمَهَا فَهُوَ فِي الدَّارَيْنِ مُقَدَّمٌ؛ وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يَتَوْلَاهُ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ .

وأعلم أنه ربما أفتح توقيع مقدم العسكر بجبله بـ «أما بعد حمد الله» .
توقيع بتقدمة العسكر بجبله ، مما كتب به لحسام الدين العلائي بـ «الجناب
العالي» وهو :

أما بعد حمد الله على نعمه التي تُجزل لكل ولي من مواد فضلها إنعاماً ، وتمنح
من عوارفها أفساماً ، وتبلغ من النجح لذوى الاستحقاق آمالاً وتجعل في محور
الباغين حساماً ، والشهادة له بالوحدانية التي لم تزل للأولياء المتقين لزاماً ، وترفع لهم
في الجنات مقاما ، والصلوة على سيدنا محمد الذي محّا الله بنبوته عن الأمة المحمدية
آثاماً ، وشرّفه على سائر خلقه وجعله للأنباء ختاماً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين ظافروه وبايعوه دهوراً وأعواماً ، صلاة دائماً تزيد مردّها عزاً وإكراماً -
فإن الأهتمام بكل جهة هو على قدرها ، والعناية بقطرها .

ولما كانت مدينة جبله المحروسة مخصوصة بمقام بر ^(١) السند، الزاهد الذي
ترك الدنيا والأهل والولد، والولي المبرز في عبادة الخالق ، والمتوكل الذي لم يدنح
قوت ساعة لساعة أعتاداً على الرأزق - تعين النظر في أمرها وحفظها من العدو
المخدول ، وإن كان بهذا السيد السند قد تبين حفظها ، وكان فلان ممن باشرها
فأحسن فيها المباشرة ، وكلاً حفظها بيقظته وعينه الساهرة - أقتضى رأياً أن نعيده
إليها ، ونُسبغ ظله عليها .

فلذلك رسم بالأمر - لزال حسامه قاطعاً من الأعداء نحراً ، وفعله صالحاً دنياً
وأخرى - أن يُعاد المشار إليه إلى تقدمة العسكر المنصور بجبله المحروسة ، عوضاً
عمن بها ، وعلى عادته وقاعدته .

(١) بياض بالأصول ولعله بركات السيد السند .

فليعد إليها عود الحسام إلى غمده، والماء إلى منهل وزده ؛ وليقدم خيرة الله في المسير إليها، وليبسط العدل ليأمن أهلها بقدومه عليها ؛ وليكرم من بها من العسكر المنصور، ويحسن إلى الرعية بها ليصبح خير مشكور؛ ولينصف المظلوم ممن ظلمه، وينشر للشرع الشريف علمه ؛ وليخلص الحق من القوى والضعيف ، والدني والشريف ؛ وليزوم من بهذا الثغر يعمل اليك المعتاد، واليتقظ لأمر العدو المخدول ومضاعفة الاجتهاد، واليلازم تقوى الله تعالى في الأقوال والأفعال ، والله تعالى يمنحه من فضله ما يرجو من الآمال .



وهذه نسخ توقع لأرباب الوظائف الدينية بطرابلس .

توقع بنظر الحسبة بطرابلس ، كتب به للقاضي «ناصر الدين بن شيصة» وهو : الحمد لله مبشر الصابرين ، وموصل الأرزاق على يد أصفياه من العالمين ، ومعيد كل ولي إلى منصبه ولو بعد حين .

نحمده على فضله المبين ، ونشكره على أن جعلنا من عباده المؤمنين ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندرها ليوم الدين ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين ، الذي أرسله بواضح الحجج ومحكم البراهين ، وأنزل عليه كتابا عربيا مبين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر المحجلين ، صلاة مستمرة على ممر الأيام والشهور والسنين ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من غررنا مواد رفده ، وأجزلنا له حظوظ سعده ، وبلغناه من إقبالنا غاية قصده ، وحمدنا تصرفه من قبل عند مآرسم لما جدد [من] بعده ؛ وأعدناه إلى رتبة ألفت منه حسن السياسة والتدبير، وعرف فيها بالكفاية والصيانة

وَيُؤْمِنُ التَّائِيرَ - مَنْ لَهُ وَسْلَفُهُ فِي الْمَبَاشِرَاتِ الْجَلِيلَةِ يَدٌ طَوِيلَى ، فَكَانَ بوظيفته
أَحَقُّ وَأَوْلَى .

ولما كان المجلس العالى هو الْمُتَصِفَ بِصفات الكمال ، الْمَشْكُورَ فِي سائر الأحوال ؛
فلذلك رُسِمَ بِالْأَمْرِ - أَنْفَذَهُ اللهُ فِي الْآفَاقِ ، وَأَجْرَاهُ بِصِلَةِ الْأَرْزَاقِ - أَنْ يُعَادَ فُلَانٌ
- أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ - إِلَى نَظَرِ الْحِسْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرْبُوسِيَّةِ عَلَى عَادَتِهِ وَقَاعَدَتِهِ ،
مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ : لِأَنَّهُ الْفَاضِلُ الَّذِي لَا يُجَارَى ، وَالْعَالِمُ
بِأَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ فَلَا يُنَاطَرُ فِي ذَلِكَ وَلَا يُمَارَى ؛ وَالْفَيْلَسُوفُ الَّذِي يُظْهِرُ زَيْفَ كُلِّ
مُرِيْبٍ ، وَالتَّحْرِيرُ الَّذِي بَخْبِرَتِهِ يَسِيرُ كُلَّ حَبِيبٍ وَلَيْبٍ .

فَلْيَنْظُرْ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ ، وَالكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ ؛ وَمَا يُحْصَرُ بِالْمَقَادِيرِ وَمَا لَا يُحْصَرُ ،
وَمَا يُؤْمَرُ فِيهِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يُنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ ؛ وَمَا يُشْتَرَى وَيُبَاعُ ، وَمَا يُقَرَّبُ بِتَحْرِيرِهِ إِلَى
الْحِنَّةِ وَيُبْعَدُ عَنِ النَّارِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا قَدْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ ؛ وَكُلُّ
مَا يَعْمَلُ مِنَ الْمَعَايِشِ فِي نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ ، وَمَا لَا يُعْرَفُ قَدْرُهُ إِلَّا إِذَا نَطَقَ لِسَانُ الْمِيزَانِ
أَوْ تَكَلَّمَ فَمُ الْكَيْلِ ؛ وَلِيَعْمَلَ لَدَيْهِ مَعَدَّلًا لِكُلِّ عَمَلٍ ، وَعِيَارًا إِذَا عَرِضَتْ عَلَيْهِ الْمَعَايِرُ
يَعْرِفُ مِنْ جَارٍ وَمِنْ عَدَلٍ ، وَلِيَتَفَقَّدَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، وَيُحَدِّثُ مِنَ الْغِشِّ : فَإِنَّ الدَّاءَ
أَكْثَرَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ؛ وَلِيَتَعَرَّفَ الْأَسْعَارَ ، وَيَسْتَلِمَ الْأَخْبَارَ مِنْ كُلِّ سُوقٍ
مِنْ غَيْرِ إِعْلَامٍ لِأَهْلِهِ وَلَا إِشْعَارٍ ؛ وَلِيُقِيمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْنَاءِ مَنْ يَزُوبُ عَنْهُ فِي النَّظَرِ ،
وَيَطْمَئِنُّ بِهِ إِنْ غَابَ أَوْ حَضَرَ ؛ وَدَارَ التَّقْوَدِ وَالضَّرْبِ الَّتِي مِنْهَا تَنْبَثُ ، وَقَدْ يَكُونُ
فِيهَا مِنَ الزَّيْفِ مَا لَا يَظْهَرُ إِلَّا بَعْدَ طَوْلِ اللَّبْثِ ؛ فَلْيَتَصَدَّقْ لِمَهْمَّهَا بِصَدْرِهِ الَّذِي لَا يَخْرُجُ ،
وَلْيَعْرِضْ مِنْهَا عَلَى الْحَكِّ [مِنْ رَأْيِهِ] مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ بَهْرَجٌ ، وَمَا يَبْلَقُ مِنَ الذَّهَبِ
الْمَكْسُورِ وَيُرِوِّبُ مِنَ الْفِضَّةِ وَيَخْرُجُ ؛ وَلِيُقِيمَ الضَّمَانَ عَلَى الْعَطَّارِينَ وَالطَّرِيقَةَ

في بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يُستتراب فيه وهو معروف ، وبخطّ طيّب ماهين
لمريض معين في دواء موصوف ؛ والطَّرِيقِيَّةُ وأهل النِّجَامَةِ وسائر الطوائف المنسوبة
إلى ساسان ، ومن يأخذ أموال الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكلّ إنسان سوء
من هذا القبيل هو في الحقيقة شيطان لا إنسان ؛ فامنعهم كلّ المنع ، وأصدعهم مثل
الزجاج حتى لا يجبر لهم صدع ، وصب عليهم النكال وإلا فأتجدي في تأديبهم
ذات التأديب والصفع ؛ ومن وجدته قد غشّ مسابا ، أو أكل باطل درهما ؛
أو أخبر مُشْتَرِيًا بزائد ، أو خرج عن معهود العوائد ؛ اشهره بالبلد ، وأركب تلك
الآلة قفاه حتى يضعف منه الجلد ؛ وغير هؤلاء [من فقهاء المكاتب ، وعالمات
النساء وغيرهما من الأنواع] ^(١) ممن يخاف من ذنبه العاث في سرب الظباء والجماذر ،
ومن يقدم على ذلك أو مثله وما يحاذر ؛ أرشقهم بسهامك ، وزلزل أقدامهم
بأقدامك ؛ ولا تدع منهم إلا من اخترت أمانته ، واختبرت صيانتته ؛ والتواب
لا ترض منهم إلا من يحسن نفاذا ، ويحسب لك أجر استنابته إذا قيل لك : من
استنبت ؟ قلت : هذا ؛ وتقوى الله هي نعم المسالك ، وما لك في كلّ ما ذكرناه
بل أكثره إلا إذا عملت فيه بمذهب مالك ، والله تعالى يسدّدك ويرشدك ويوفّقك
إلى أحسن المسالك .



توقيع بالخطابة والإمامة بالجامع المنصوري بطرابلس ، كُتِبَ به للخطيب
« جمال الدين إبراهيم » ، بـ « المجلس السامي » بغيرياء ، وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لزال عود منابر الإسلام بماء إحصانه رطيبا ، وبرد
شعائر الدين الحنيفي في أيامه الزاهرة قشيبا ، ومواهبه ومناقبه تقيم لمادحه في كلّ

(١) الزيادة من « التعريف صفحة ١٢٦ » وهي لازمة لاستقامة الكلام .

وَإِدِّ شَاعِرًا وَمَحَامِدِهِ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيْبًا - أَنْ يُرْتَّبَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ، الْإِمَامُ، الْعَامِلُ :
 - رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى السَّلْفَ، وَزَادَ مَجْدَ الْخَلْفِ - خَطِيْبًا وَإِمَامًا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ
 الْمَنْصُورِيِّ بِطَرَابَلِسِ الْمَحْرُوسَةِ، عَوْضًا عَنْ فُلَانٍ، وَعَلَى عَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ، وَمَعْلُومِهِ
 الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانِ الْمَعْمُورِ الْمُسْتَقَرَّ بِاسْمِهِ، إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : رِعَايَةَ لِأَهْلِيَّتِهِ الْوَاصِحَةِ
 الدَّلَائِلِ، وَفَضِيلَتِهِ النَّاطِقَةِ الشُّوَاهِدِ الصَّادِقَةِ الْحَايِلِ، وَأَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي بِهَا تُعْرَفُ
 مِنْ أَبِيهِ الشَّمَائِلِ ؛ وَلِأَنَّهُ الصَّدْرُ ابْنُ الصَّدْرِ النَّجِيبِ، وَالْخَطِيبُ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ
 الْخَطِيبِ ؛ وَالْوَلَدُ النَّجِيبُ الَّذِي حَدَا حَدُوَ وَالِدِهِ فِي الصَّلَاحِ مَا خَابَ وَلَا يَنْجِبُ،
 وَالتَّجَلُّ النَّبِيُّ الْمُهَذَّبُ الَّذِي أَشْبَهَهُ أَبَاهُ فِي الدِّينِ وَالْوَرَعِ : وَمَنْ أَشْبَهَهُ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ
 فِي النَّبَاهَةِ وَالتَّهْذِيبِ .

فَلْيَبْشُرْ هَذِهِ الْخَطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ الَّتِي هُوَ ابْنُ جَلَالِهَا، وَطَلَّاعُ ثَنَائِهَا؛ زَائِنًا حِلَالِهَا،
 زَائِدًا عَلَاهَا ؛ وَلِيَرَقَ ذِرْوَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ، وَلِيَتَلَقَّ
 نِعَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالشُّكْرِ الَّذِي يُوجِبُ الْمَزِيدَ وَيُكْسِبُ الْمَزِيَّةَ ؛ وَلِيُقِمَّ مَقَامَ وَالِدِهِ
 فِي هَذِهِ الرُّتْبَةِ السَّنِيَّةِ، بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَصِدْقِ النِّيَّةِ ؛ مُجَلِّيًا فِي مِضْمَارِ الْبَيَانِ الَّذِي
 سَلَّمَتْ إِلَيْهِ أَعْتَتُهُ، وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ أَرْزَمَتُهُ ؛ مُحَلِّيًا بِقَلَائِدِ الْمَوَاعِظِ وَقِرَائِدِ الْأَمْثَالِ أَعْوَادَ
 الْمُنْبَرِ الَّذِي لَوْ أَمَكَّنَهُ لَسَعَى إِلَيْهِ، مُسْتَنَفًّا الْأَسْمَاعَ بِجَوَاهِرِ الْأَوَامِرِ وَزَوَاهِرِ الزُّوَاهِرِ
 الَّتِي يَصَدِّعُ بِهَا عَلَيْهِ .

وَلَيْسَ كَسِيرَةَ وَالِدِهِ فِي الطَّرِيقَةِ الْمُثَلِّيًا وَسُلُوكِ الْمَنْهَجِ الْأَسَدِ، وَلِيَجْتَهِدَ فِي إِحْيَاءِ
 رُسُومِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَقْفِيَاءِ آثَارِهِ فِي الْعِلْمِ وَالزَّهَادَةِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشَّبْلُ
 مِنْ ذَلِكَ الْأَسَدِ؛ جَازِيًا عَلَى أَفْضَلِ الْعَوَائِدِ فِي دِيَانَتِهِ، سَارِيًا بِأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ مِنْ
 صِيَانَتِهِ؛ وَثِيُوصِلُ إِلَيْهِ مَعْلُومَهُ الشَّاهِدُ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ الْمُسْتَقَرُّ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ، عَلَى
 عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ : لِاسْتِقْبَالِ مُبَاشَرَتِهِ أحيانَ الْوُجُوبِ وَأزْمَانَ الْاسْتِحْقَاقِ،

رِزْقًا دَارًا ، سَارًا ، هَيَّيًّا ، مَرْضِيًّا ، من غير تَنَغِيصٍ ، ولا تَنَقِيصٍ ، والاعتماد على
العلامة الكريمة أعلاه ، وثبوتها إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بَحْطَابَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّيْخِ «صَدْرِ الدِّينِ الخَابُورِيِّ» ، بِ«المَجْلِسِ
السَّامِيِّ» بِالْبَاءِ ، وَهِيَ :

رُسم - لا زَالَتْ أَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا ، وَتَفُوضُ الْمَنَاصِبَ
الْمُنِيفَةَ إِلَى أَهْلِهَا ، وَتُشْرِفُ صُدُورَ المَحَافِلِ بِصُدُورِ العُلَمَاءِ فِي حَزْنِهَا وَسَهْلِهَا - أَنْ تَفُوضَ
إِلَى فُلَانِ الخَطَابَةِ بِالجامعِ الناصِرِيِّ المَعْرُوفِ "بِجامعِ التَّوْبَةِ" بِطَرَابُلسِ المَحْرُوسَةِ
وَجُوبًا وَتَعِينًا ، أَقْتَضَى فِي تَقَدُّمِ الفاضِلِ عَلَى المَفْضُولِ تَيْقِنًا وَتَيِّبًا ؛ لِأَنَّهُ الخَبْرُ الَّذِي
لا يُجَارَى فِي فِضَائِلِهِ ، وَالبَحْرُ الَّذِي يَجُودُ فِيجِدُ بِفَوَاضِلِهِ ، وَالصَّدْرُ الَّذِي مِلَّتْ
بِقَوَائِدِهِ وَقَرَائِدِهِ بزمانِهِ مَحَافِلَ صُدُورِهِ وَصُدُورَ مَحَافِلِهِ ؛ كَمَ نَطَقَتْ ألسُنُ الأَقلامِ
بِأَفْوَاهِ المَحَابِرِ بِفَضْلِهِ فِي الأَقالِمِ وَالأَفَاقِ ، وَكَمَ مِنْ عِبارةٍ بِفِصاحَةٍ وَبِلاغَةٍ حَقَّقَتْ أَنَّهُ
بِهَا فَاتِ الفُصحاءِ وَالبُلغَاءِ وَفاقٍ ؛ لَقَدْ أَصْبَحَ شَمْلُ هَذَا الجامِعِ بِهَذَا الفاضِلِ الَّذِي
طالَ أَرْتقَابُهُ لَهُ جَامِعًا ، وَأَمْسَى وَقَدْ ظَفِرَتْ يَمِينُهُ مِنَ اليَمِينِ بِهِ وَالبَرَكَةِ بِمَا لَمْ يَكُنْ
بشَيْءٍ مِنْهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ طامِعًا ، فَلِذَلِكَ بادرَ مِنْبَرَهُ المُنِيفِ وَحَلَّ لَهُ حَقُّوهُ
مُسارِعًا ؛ وَوِطَاءً - لَأَمْتِطائِهِ إِياهُ - صَهْوَتِهِ ، وَغَفَرَ لِلدَّهْرِ بِهَذِهِ الحَسَنَةِ الجَمِيلَةِ فِيمَا
سَلَفَ مِنْهُ هَفْوَتُهُ ؛ وَعَلِمَ أَنَّهُ الخَطِيبُ الَّذِي اسْتَقَرَّ بِطالِعِ المَنابِرِ مِنْ خُطْبَتِهِ بِمَا يُفَجِّرُ
مِنَ العُيونِ مَنابِعَ المَدامِيعِ ، وَيُشَوِّقُ إِلَى الآخِرَةِ : مِنْ أَلْفاظِ يُشَنِّفُ بِهَا المَسامِيعَ ؛
وَأَنَّ قَسًّا لا يُقاسُ بِهِ فِي خُطْبَتِهِ وَعِظَاتِهِ ، وَأَنَّ سَحْبَانَ يَوَدُّ مِنْ نَجْمِهِ أَنْ يَسْحَبَ ذَيْلَهُ
عَلَى ما ثَرَهُ المائِثُورَةُ عَنْهُ لِيُعْفَى آثارَ فَلَنتِ كَلِماتِهِ وَلَقَناتِ لَفْظَاتِهِ .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة بالله تعالى مذكراً ، وليأمر عباده ونهأهم عنه على
أسماعهم مكرراً ، ويعلم أنه في الحراب مناخ لربه ، واقف بين يدي من يحول بين
المراء وقلبه ، فليعتصم بالله عز وجل في قوله وفعله ، ويتيقن أن الكلمة إذا خرجت
من قلب لا تقع إلا في مثله .

وفي إحاطة علمه المشهور ، وفضله المشهود المشكور ، ما يغني عن وصية بها
يتذكر ، وتذكرة في صحيفة فكره ترقم وتسطر ، وتوصل إليه معلومه على هذه
الوظيفة الشاهد به الديوان المعمور . وليوفر خاطره من التبذل في تحصيل معلومه
الجارى له وطلبه ، وليعامل بما يليق من الإجلال والإعظام بوظيفته الشريفة
والمحل العالي الرفيع من منصبه ، والعلامة الكريمة أعلاه ، حجة بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الوظائف الديوانية بطرابلس :

نسخة توقيع بشهادة الجيوش بطرابلس ، كتبت به للقاضي بدر الدين « محمد
أبن الفرфор » ، ووالده يومئذ ناظر الجيوش بها ، بـ « المجلس العالى » ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى زين سماء المعالى ببدرها ، وأثبت فى رياض السعادة يانع
زهراها ، ورفق المناصب السنية إلى شرف محلها ومحل شرفها ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة خالصة فى قولها وفعلها ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله
بالملة الحنيفة قائماً بفرضها ونفائها ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر مبلغاً لرسالات
ربه كلها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا ينحصر عددها ، ولا ينقضى أمدها ،
وسلم تسليماً كثيراً - فإن أولى من خطبته المناصب من هو أحق بها وأهلها ^(١) فيها

(١) بياض بالأصل ولعله : وله فيها ، الخ .

نِسْبَةً لَا يُنْكِرُ فَضْلُهَا ، وَمُبَاشَرَاتٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَشْهُورَاتٌ بِالْكَفَايَةِ وَالْعَفَّةِ فِي بَرِّهَا وَبِحَرِّهَا .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ - حَرَسَ اللَّهَ جَنَابَهُ وَأَسْبَغَ ظِلَّ وَالِدِهِ - هُوَ الْمَعْنَى بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ ، وَتَمَسَّ هَذِهِ الْهَالَةَ وَبَدَّرَ هَذِهِ الدَّارَةَ .

فَلذَلِكَ رَسْمٌ - زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَظَمَةً وَشَرَفًا ، وَمَنَحَهُ فِي الْحِنَانِ قُصُورًا وَعُغْرَفًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : اِقْرَارًا لِعَيْنِ وَالِدِهِ ، وَجَمْعًا لَهُ بَيْنَ طَرِيفِ السَّعْدِ وَتَالِدِهِ ؛ لِأَنَّهُ التَّبَعَةُ الَّتِي نَشَأَتْ فِي رِيَاشِ السِّيَادَةِ ، وَالزَّهْرَةُ الَّتِي بَرَزَتْ فِي كِيَامِ السَّعَادَةِ ؛ فَلَا يَزَالُ فَرَعُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِسَعَادَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ يَتِمَّى إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ ، وَزَهْرَتُهُ تُزْهِى إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْإِنْمَارَ وَتَتَوَصَّلَ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً تَظْهَرُ فِيهَا كِفَايَتُهُ عِنْدَ الْاِسْتِقْدَادِ ، وَتَمَحَّدُ فِيهَا عُقْبَى الْاِخْتِيَارِ وَالْاِخْتِبَارِ وَالرَّشَادِ ؛ وَلْيَسْلُكْ فِي أَمَانَتِهِ سُنَنَ أَبِيهِ - أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَّهُ - الَّتِي أَحْكَمَهَا فِي كُلِّ مَا أَبْدَى وَأَعَادَ ، وَيَتَّبِعْ طُرُقَهُ الْهَادِيَةَ إِلَى سَبِيلِ السَّعَادَةِ وَالْإِرْشَادِ ؛ وَيُنْدِ مَا آكْتَسَبَهُ مِنَ وَالِدِهِ عَنِ سَلْفِهِ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَهُوَ أَحَقُّ بِهَذَا السَّنَدِ ، وَلَا يَخْرُجُ عَنِ رَأْيِ أَبِيهِ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشُّبْلُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ ؛ وَلْيَسْتَمِرَّ فِي تَحْصِيلِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تُبْلَغُ بِهَا الْأَمَالُ ، وَتَصْلُحُ الْأَحْوَالُ ؛ وَلْيَتَلَقَّ هَذِهِ الْمُبَاشَرَةَ بِعَزْمِهِ الشَّدِيدِ ، بِنَفْسِهِ لَا بِالتَّقْلِيدِ ؛ فَإِنَّهُ شَاهِدٌ وَمَسْئُولٌ ، يَقُولُهُ يَوْفَقُ فِي الْاِسْتِحْقَاقِ وَفِي التَّقْوِدِ وَالْكَيْوَلِ ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ هِيَ السَّبَبُ الْأَقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكَ بِحَبْلِهَا يَقْوَى ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ وَوَالِدُهُ بِهَا أَعْلَمُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَلِّكُهُ سَبِيلَ الْهَدْيِ فَإِنَّهُ أَنْجَحَ الطَّرُقَ وَأَسْلَمَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى عَوْنَهُ ، وَيُدِيمُ صَوْنَهُ ؛ وَالْاِعْتِمَادَ



تَوْقِيعٌ بِكُتَابَةِ الدَّرَجِ بِطَرَابُلُسَ ، كُتِبَ بِهِ بِـ «المجلس السامى» بالياء ، وهو :

رُسمُ بالأمرِ الشَّرِيفِ - لا زالت مَراسِمُهُ العَالِيَةُ تُطَلِّعُ في أَفلاكِ المعالى بَدْرًا مُنِيرًا
 هَادِيًا إلى الفضائلِ مَأْمُونًا من السَّرارِ ، ومَكَارِمِهِ الوَافِيَةُ تُرْفَعُ من أعلامِ المعانى صَدْرًا
 كَبِيرًا رَشِيدًا في البَيانِ أَمِينًا على الأسرارِ ، ومَرَامِحِهِ الكَافِيَةُ تُقَرِّعُ عِيونَ الأَعْيَانِ
 والأَخْيَارِ - أن يُرْتَبَ فلانٌ - ضاعف اللهُ تعالى أنوارَ فضائله التى يَأْتَمُّ بها المُسْتَضِيءُ
 والمُهْتَدَى ، وَيَعُشُّو إلى قِراها المُسْتَعِينُ والمُقْتَدَى - في كُتَابَةِ الدَّرَجِ السعيدِ بطرابُلُسَ
 المحروسَةِ بما قَرَّرَ له من المعلومِ الواردِ فى الأستِمارِ الشَّرِيفِ على مايتعينُ بقلمِ الأستيفاءِ
 جِهَتُهُ ، وَيُبينُ تَفْصِيلَهُ وَجَمَلَتَهُ ، نَظْرًا إلى آسْتِحقاقِهِ الظَّاهِرِ ، وَفَضْلِهِ البَاهِرِ ؛
 وَبِلاغَتِهِ التى أَفْصَحَتْ عن بَيانِ البَلِيغِ القادرِ ، وَفِصاحَتِهِ التى بَلَغَتْ الكَمالَ بعَوْنِ
 الملكِ القادرِ ؛ وإطرابِهِ ، فى إِطْرابِهِ ؛ وإعْجازهِ ، فى إِعْجازهِ ؛ فَلهِ فى الدلائلِ قُدْرَةُ
 «الْمَنْصُورِ» وَفى الفضائلِ قُوَّةُ «النَّاصِرِ» ؛ طالما أَزْهَرَ بقلمِهِ «المُهْتَدَى» لِلصَّوابِ ،
 «السَّفَاحِ» كَالسَّحابِ ، رَوَّضَ العُلومِ والآدابِ ؛ وَأَظْهَرَ بَيانَهُ «الْمُنْتَصِرِ»
 فى الخُطابِ ، «المُقْتَدِرِ» على الإقْتِضابِ ؛ طُرُقَ الفُنونِ ، وَأَصْحَمَةَ العِيونِ ، مُحْكَمَةَ
 الأَسبابِ ، وَسَبيلَ الحِكمِ مُفْتَحَةَ الأبوابِ ؛ فَهو بالسنا والسناء بَدْرُ «المُسْتَرشِدِ» ،
 وَبالْحِدا وَالجِدااءِ «مُعِزُّ» «المُسْتَنجِدِ» ؛ وَبِقِرْطِ الحِيا وَالحِيايَا سَحَابُ المُسْتَمْطَرِ
 وَ«المُسْتَمْطَرِ» ، وَبِقَرْبِ الذِّكا وَالذِّكاءِ بَرَقَ «المُسْتَبْصِرِ» وَ«المُسْتَبْصِرِ» .

فليأشِرْ هذه الوظيفة المباركة «مُعْتَصِمًا» بِجَبَلِ التَّقْوَى ، «مُسْتَعْصَمًا» من المراقبةِ
 بالسَّببِ الأَقْوَمِ الأَقْوَى ، مُجَدِّدًا رُسومَ هذه الصناعاتِ التى رَبَعُها قَد دَرَسَ وَحَمَلُها
 قَد أَقْوَى ؛ فَإِنْ «الْمُتَّقَى اللهُ» «الرَّاضَى» بِهِ هُوَ «الرَّاشِدُ» «الفَائِزُ» بالسَّعادهِ ،

و«المُتَوَكَّل» عليه «المُطِيع» له هو «الوَائِقُ» ببلوغ القصد الحائز للإرادة ؛ وليطرز حُلَّ البيان بوشى بنانه الذى أصبح ديباج الطرس به «مُعْتَرًا» ، وليقوم معانى البديع بعامل قلبه الخَطِيّ الذى أمسى الفضلُ به كالمهريّ قائمًا مهترًا ؛ «مُسْتَكْفِيًا» بما يصرّعه ويصرّعه نظرًا ونثرًا من البدائع ، «مُسْتَعْلِيًا» لما يرفّعه ويفرّعه من عُرَرِ الفِقر، ودُرَرِ الفِكر ، بخاطره الوَقَادِ القَادِ المتقاد الطائع ؛ «مُقْتَفِيًا» فيما يُنشئه آثار ما يصدُر عن «الحاكم» و«الأمير» ، «مكتفيا» فيما يُبديه بمقدار ما تبرز به المراسيم والأوامر ، «حافظًا» للسرّ «العزیز» كاتبًا كاتبًا فلا يعضده فيه «عاضد» ولا يظفر به «ظافر» ؛ «معتمدا» على الكتان فى جميع ما يورده ويصدره ، مقتصدًا بالتوفيق فى سائر ما يُخفيه ويظهره .

والوصايا فن آدابه تُستفاد ، والنصائح فلها منه المبدأ وإليه المعاد ؛ فليتنسّم ذرّوة أعلاها ، وليتنسّم نفعها رايها



توقيع بشهادة دار الضرب بطرابلس ، وهو :

رسم بالأمر - لزال رأيه الشريف يقرب من الأمور صوابا ، ولا برح أفق سماء
مملكته الشريفة يطالع بفلكه بدرًا منيرًا وشهابا - أن يربب فلان ... : لأنه العدل
الذى أشتهرت عدالته ، والأمين الذى بهرت فظهرت أمانته ؛ والرئيس الذى ما برح
صدر المحافل ، والفاضل الذى فاق بفضله على الأقران والأماثل ، وشهدت بترأته
المشهوره الأوانح والأوائل .

فليأشر هذه الوظيفة مباشرة مطابقة لعدالته المشهوره ، مُعْرِبَةً عن أصلته المخبوره ،
موصحة عن ديانته التى غدت فى العالمين معروفة غير منكوره ؛ ليصبح هذا المنصب

مُشْرِقًا بُنُورَهُ ، سَنَى الْأَرْجَاءِ بِسَاطِعِ ضِيَاءِ شِهَابِهِ وَنُورِ بُدُورِهِ ؛ وَهُوَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ -
غَنِيٌّ عَنِ وَصِيَّةٍ مِنْهُ تُسْتَفَادُ ، أَوْ تَنْبِيهِ عَلَى أَمْرٍ مِنْهُ يُبْدَأُ وَإِلَيْهِ يُعَادُ ؛ وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ
الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ هِنِيًّا مُبَسِّرًا ، وَلَا يَقِفُ أَمَلُهُ عِنْدَهُ : فَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ
ذَلِكَ مَظْهَرًا .



تَوْقِيْعٌ بِنَظَرِ اللَّادِئِيَّةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بُرْهَانَ الدِّينِ» الْأُدْرَعِيَّ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - أَنْفَذَهُ اللَّهُ فِي الْآفَاقِ ، وَطَوَّقَ بِمَنِّهِ وَقَوَاضِلِ بَرِّهِ الْأَعْنَاقِ - أَنْ
يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ - حَرَسَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَهْلَكَ حَسَدَتَهُ - فِي نَظَرِ اللَّادِئِيَّةِ
الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى
آخِرِ وَقْتٍ : عَلِيمًا بِأَمَانَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَكِتَابَتِهِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ مَشْكُورَةٍ ،
وَخَبْرَتِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْمُبَاشَرَاتِ مَعْرُوفَةٌ غَيْرَ مَنْكُورَةٍ ، وَكِفَايَتِهِ الْمَالُوفَةَ الْمَوْفُورَةَ ؛ فَإِنَّهُ
بَاشَرَ الْحِسْبَةَ الشَّرِيفَةَ وَنَهَى وَأَمَرَ ، وَأَتَّبَعَ فِي أَحْكَامِهِ مَا أَمَرَ بِهِ «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ» ؛
وَصَبَّطَ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحُسْنِ نَظَرِهِ وَمَيَّزَ وَثَمَّرَ .

فَلْيَبِشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشِرَةً عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَيَسْتَرْفِعْ مَا لَهَا مِنْ
الْحُسْبَانَاتِ ، وَيُوصِّلْ إِلَى أَرْبَابِ الْأَسْتِحْقَاقِ مَا لَهُمْ مِنَ الْحُقُوقَاتِ ، عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ
الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ مِنْ أَجْلِ الْمُبَاشَرَاتِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ
مَعْلُومَهُ الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ هِنِيًّا مُبَسِّرًا عَلَى جَارِيِ الْعَادَةِ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي الْفُرُوعِ
وَسَائِرِ الْجِهَاتِ ، وَلِيَعْتَمِدَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سَائِرِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَّاتِ ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



توقيع أيضا في المعنى .

لا زالت صدقاته الشريفة تُقيمُ لاتباع الحقِّ برهانا، وتُسدي إلى كلِّ أحدٍ خيرا وإحسانا - أن يرتب فلانٌ ناظرا بالأذقية المحروسة وما هو مضاف إليها، على عادة من تقدمه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور : لأنه طالما بأشر نظر بيت المال فوق الأموال ، وأصلح ما فسد من الأحوال ، وسدد بحسن تدبيره الأقوال والأفعال ؛ وأظهر من الأمانة ما تميز به في مباشراته ، وفاق به على قرنايه وأهل زمانه وأوقاته ؛ ثم بأشر الحسبة فسلك فيها مسلك السرِّ والجهر وصدق الخبر ، وسلك مسلك أمير المؤمنين عمر .

فليأشر هذا النظر بقلبٍ مشرح ، وأملٍ منفسح ؛ وليظهر فيه ما جرب به من الأمانة ، وتجنب الخيانة ؛ وليجتهد في تحصيل أموال الديوان المعمور ، ويسط قلمه في إصلاح الأمور؛ وليوصل إلى أرباب المرتبات ما هو لهم مستحق ، فانهم به أولى وأحق ؛ وليوصل إليه معلومه أو أن وجوبه وأستحقاقه



توقيع بمشارفة حصن الأكراد ، كتب به للقاضي « بدر الدين » بـ « بالمجلس

العالي » ، وهو :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت مراسمه العالية تولى الأنام براء ، وتجدد بإسباغ الإنعام بشرا ، وتضوع في كلِّ نادٍ من أندية الثناء والدعاء تشرا ؛ وتطلع في كلِّ أفق من آفاق السيادة من صدور الأعيان وأعيان الصدور بدرا - أن يرتب فلانٌ في مشارفة حصن الأكراد المحروس : لما هو عليه من العفة والصلف ، والنزاهة

التي عُرف بها وأنصف ؛ والرآسة التي أنتقلت إلى الخلف عن السلف ، والعدالة التي لا يتكلف لسلك نهجها : ومن العجب خلو البدر عن الكلف ؛ كم حفظت بمباشرة الأموال ، وصلحت بملاحظته الأحوال ؛ وعقدت انحصار على سيرته وحسن سيره ، وأشتهر بحيل تدبير أوجب تقديمه على غيره .

فليأشر هذه الوظيفة التي هي من أجل الوظائف ، وليشكر ما أولي من المعروف وأسدى إليه من العوارف ؛ وليبدل جهده في صلاح الأحوال ، وبثمير الأموال ، وتقرير القواعد على السداد ، وإجراء العوائد على وفق المراد ؛ فانه ممن دلت خبرته على جميل آثاره ، ولاحت الغبطة في اختياره الذي أغنى عن تقديم اختياره ؛ كيف لا ؟ وهو ممن نشأ في خدور فنون الكتابة ، وأشهر في مواطن النضال مع وفور الانتقال بحسن الإصابه ؛ فهو إن شاء الإنشاء بلغ منه المرام ، وإن بسط الجرائد للتصرف قيل : هذا الكاتب النظام ؛ كم له من يد بيضاء في التبييض والتسويد ، وهمة علياء بلغ بها من السيادة ما كان يريد .

فليقدم خيرة الله تعالى في هذا الأمر ويجمعها إمامه ، وليتمسك بها مقتدياً بمن قدمها أمامه ، وليكن عند حسن الظن به ليلبغ من سعادة الدارين مرامه .

والوصايا التي يعم نفعها ، ويتعين على تناسب الأعمال جمعها ؛ به تسلك سبلها ، وعنه تؤخذ تفاصيلها وجمالها ؛ فليسلك منها الأقوم الأرشد ، وليتمسك بالأفود الأحمد ؛ بحزم وافر ، وعزم غير قاصر ؛ وليتناول معلومه الشاهد به الديوان المعمور أحيان الوجوب والاستحقاق رزقاً داراً ، هنيئاً ميسراً ساراً ؛ من غير تقثير ولا تكدير ، ولا تنغيص ولا تأخير .

تَوْقِيعٌ بِمَشِيخَةِ الْمَقَامِ الْأَذْهَمِيِّ ، كُتِبَ بِهِ بِاسْمِ الشَّيْخِ «عَبْدِ اللَّهِ السُّطُوْحِيِّ»
بِ«الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ» ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي سَقَى مَحَلَّنَا بِلِيَّابِهِ ، وَأَنْبَتَ عُشْبَنَا بِسَحَابِهِ ؛ وَأَقْرَأَنَا كِتَابَ
وَجْهِهِ وَأَغْنَانَا عَنْ وَجْهِ كِتَابِهِ ؛ وَجَعَلَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا مِنْ صِدْقِ أَوْلِيَائِهِ ، وَمَنْحَهُمْ
بِمَا آخْتَارَ لَهُمْ مِنْ سِرَائِرِ مَوَاهِبِهِ وَعَطَائِهِ ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِدَعَاءِ
بِوَأَسْطَةِ مَنْ أَحْبَبَهُ وَأَخْصَاءِ نُجَبَائِهِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَجْمِ السُّرَى ،
وَلَيْثِ السُّرَى ، وَسَيِّدِ مَنْ وَطِئَ التُّرَى ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ لِأَبْرَ
قَسَمَهُ رَبُّ السَّمَاءِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا - فَلَمَّا كَانِ الْأَعْيُنُ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ مِنْ
الْوَاجِبَاتِ ، وَالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا [مِمَّا] تُبَادِرُ إِلَيْهِ مِنَ النُّفُوسِ الرَّغْبَاتِ ؛ وَبُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى
فَهِيَ قِوَامُ الدِّينِ الْمَتِينِ ، وَلَا يَنْهَضُ بِعَارْتِهَا إِلَّا الَّذِينَ اتَّقَوْا وَأَمَنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،
فَطُوبَى لَهُمْ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .

وَمِنْ الْبُيُوتِ الْعَامِرَةِ ، وَالسَّرَاتِ الطَّاهِرَةِ ، وَالْمَقَامَاتِ الَّتِي إِذَا حَلَّ بِسَاحَتِهَا
أَكْمَهُ الْعَيْنُ بِصَرْتِهِ نُجُومًا زَاهِرَةً - مَقَامٌ مِنْ ذِكْرِ كَرَامَتِهِ أَشَامٌ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ
وَأَيْمَنُ وَأُنْجِدُ وَأَتَمُّهُمْ ، السَّيِّدِ الْجَلِيلِ وَلِيِّ اللَّهِ «إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَذْهَمٍ» ؛ سَيِّدِ الْأَوْلِيَاءِ ،
وَسُلْطَانِ الْأَتْقِيَاءِ ؛ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا سَارَ عَلَى الطَّرِيقِ سَائِرًا ، وَمَا أَمْتَطَى ظَهَرَ قُلُوبِ
مُسَافِرٍ ؛ مَقَامٌ بِالزُّهْدِ مَوْصُوفٍ ، وَبِالْبَرَكَاتِ مَعْرُوفٍ ؛ وَلَهُ الْإِطْلَاقَاتُ الْمَشْهُورَةُ ،
وَالْمَنَاهِلُ الْمَائُورَةُ ، فِي وَرْدِهَا الْمَبْرُورَةُ ؛ قَدْ آسَتْوَلَتْ عَلَيْهِ يَدُ التَّبْذِيرِ ، وَعَادَ بَعْدُ طَوْلُ
سِمَاطِهِ فِي تَقْصِيرِ ، وَأَخْتَلَفَ فِيهِ النَّيَاتُ فَكَانَ فِي كَيْسِ الْفَقِيرِ ؛ فَكَشَفَ اللَّهُ
هَذِهِ النَّقْمَةَ ، وَأَدَامَ سَوَائِغَ النِّعْمَةِ ؛ وَأَسْبَلَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ظِلَالَ الْحُرْمَةِ ؛

(١) لعل الصواب «فكان في كيس الفتي بعد أن كان في كيس» الخ .

وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ بَاعْتَابًا مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَيُّقِظَهُمْ لَعَلَّهُمْ بَانَ كَلَّا وَاقِفٌ عِنْدَ أَمْرِهِ وَحَدِّهِ ؛ وَأَنْتَ لِسَانَ مَنْ لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ ، فَكَشَفَ عُمَّةَ هَذَا الْمَقَامِ وَعَزَلَ مِنْ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ تَدْبِيرِهِ وَشَرِّهِ .

فَلذَلِكَ رُسْمٌ - أَنْ تَفَوِّضَ مَشِيخَةَ الْمَقَامِ الْجَلِيلِ الْأَذْهَمِيَّ بِشَفْرِ جَبَلَةِ الْحَرُوسِ - عَلَى سَاكِنَةِ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ - إِلَى فُلَانٍ - نَفَعَ اللَّهُ بِبِرَكَاتِهِ ، وَأَعَادَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ صَالِحِ دَعْوَاتِهِ - عِوَضًا عَمَّنْ كَانَ بِهَا بِحُكْمِ أَنْفِصَالِهِ حَسَبَ مَا وَرَدَتْ الْمُرَاسِمُ الشَّرِيفَةُ - شَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَظَمَهَا - عِنْدَ اتِّصَالِ الْعُلُومِ الشَّرِيفَةِ - زَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَمْرِ الْمَقَامِ الْمَشَارِ إِلَىهِ وَعَاقِبَاتِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِيهِ : إِذْ وَضِعَتْ الْآيَاتُ الْأَشْيَاءُ فِي مَحَلِّهَا ، وَأُسْنَدَتْ الْأُمُورُ إِلَى أَهْلِهَا ، وَقُلِدَتْ هَذِهِ الْمُتَوَبُّةُ إِلَى مَنْ يُظْهِرُ سَرَائِرَ فَضْلِهَا ؛ وَلِحِظَتْ الْآرَاءُ حَجْرَ هَذَا الْمَقَامِ وَالْأَثَرِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ السَّعَادَةَ تَلْحَظُ الْحَجْرَ ؛ كَمَا لَهُ مِنْ آيَاتٍ مَشْهُورَةٍ ، وَكَرَامَاتٍ بِلِسَانِ الْحَمْدِ مَذْكُورَةٍ ، وَمَسَاجِدَ فِي الْخَيْرَاتِ مَبْرُورَةٍ ؛ وَقَدْ عَمَّ الزَّوَايَا بِأَجْنَاسِ الْمَكَارِمِ ، وَبَسَطَ تَعْيِيرَاتِهِ مِنْ إِكْرَامِهِ سِمَاطًا يَقُولُ الزَّائِرُ : هَذَا وَلَا حَاتِمٌ :

زُورُ دِيَارًا زَارَهَا جُودُ كَفِّهِ ، * وَمِنْ دُونِهَا لِلزَّائِرِينَ مَرَاحِلُ ،

وَتَرْجِعُ عَنْهَا وَالْحُقُوفُ قَرِيرَةٌ : * كَمَا رَاجَعَتْ مَاوَى الْحُقُوفِ الْمَسَاحِلُ !

فَلْيَتَلَقَّ - أَعَادَ اللَّهُ مِنْ بَرَكَاتِهِ - هَذِهِ الْوَيْلِيَّةُ : وَيُجْعَلُ لِلْمَشَارِ إِلَيْهِ مِنْ خَاطِرِهِ

الْكَرِيمِ أَوْفَرَ عِنَايَةٍ ؛ وَيَسْتَخْلِفُ عَنْهُ إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى

فَإِنَّهَا مُسْتَمِرَّةٌ بِيَدِهِ وَوَلَايَتِهَا بَاقِيَةٌ عَلَيْهِ ؛ وَأَمْرُهَا فِي إِبْدَانِهِ وَإِعَادَتِهِ عَلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى

يَتَوْلَاهُ ، فِيمَا وَلاَهُ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ

قلتُ : وقد أتيتُ على جملةٍ من توابع أرباب الوظائف : بدمشق وحلب
وطرابلس وأعمال كلِّ منها، يستغني بها الماهرُ عما سواها، ويقيسُ عليها ما عداها،
إذ لا سبيلَ إلى استيفاء جميعها، والإتيانِ على جملتها .

وفيما ذكر من هذه الممالك الثلاث تنبيهٌ على ما يكتب بحجة وصَفَد اللّتين هما
في رتبة طرابلس، وتلويحٌ إلى ما عداها، مما هو دونها كغزة إذا كانت نيابة،
والكرّك التي هي دون ذلك .

والله تعالى هو الهادي إلى التوفيق، والمرشدُ للسداد، بمنه وكرمه .

تم الجزء الثاني عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث عشر

أما المقالة السادسة

(فيما يكتب في المسامحات، والاطلاقات السلطانية، والطرخانيات

وتحويل السنين والتذاكر، وفيها أربعة أبواب)

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وأله وصحبه وآله وسلم، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرس

الجزء الثاني عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- القسم الثاني — مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
 ما يكتب لأرباب الوظائف بالملك الشامية ،
 ٥ وهي على ضربين
- الضرب الأول — من لا تصدر عنه منهم تولية في عمل نيابته ... ٥
 » الثاني — من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته ،
 ٦ وهي سبع نيابات
- النيابة الأولى — نيابة دمشق ، ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام ،
 ٧ ووظائفها على نوعين
- النوع الأول — ما هو بحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به عن
 الأبواب السلطانية على أربعة أصناف ٨
- الصنف الأول — أرباب السيوف ، وهم على طبقات ٨
 الطبقة الأولى — من يكتب له تقليد في قطع الثلثين ٨
 » الثانية — من يكتب له تقليد في قطع النصف ... ٢٤
 » الثالثة — من يكتب له مرسوم ، وهي على مرتبتين ... ٢٦
 المرتبة الأولى — من يكتب له في قطع النصف ٢٦
 » الثانية — من المراسيم التي تكتب بحاضرة دمشق لأرباب
 السيوف ما يكتب في قطع الثلث ٣٣
- الصنف الثاني — من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع
 ما يكتب فيها تواقع ، وهي على مرتبتين ٣٨
- المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف الخ ٣٨
 » الثانية — ما يكتب في قطع الثلث الخ ٥٩
- الصنف الثالث — تواقع أرباب الوظائف الديوانية ، وفيها مرتبتان
 المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف الخ ٥٦
 » الثانية — من يكتب له في قطع الثلث الخ ٤٩

صفحة

- ١٠١ - حنف الرابع - وظائف المتصوفة ومشايخ الخواص، وفيها مرتبتان
- ١٠١ قطع الثلث الخ المرتبة الأولى - ما يكتب في
- ١٠٣ من يكتب له في قطع العادة الخ الثانية -
- ١٠٤ - النوع الثاني - من وظائف دمشق ما هو خارج عن حاضرتها
- ١٠٦ ما يكتب به مرسوم في قطع النصف الطبقة الأولى -
- ١١٨ - ممن هم خارج دمشق أمراء العرب، وهم على طبقتين
- ١١٨ من يكتب له منهم تقليد في قطع النصف الطبقة الأولى -
- ١٢٤ من يكتب له مرسوم شريف، وهم على مرتبتين الثانية -
- ١٢٤ من يكتب له في قطع النصف المرتبة الأولى -
- ١٣٥ من يكتب في قطع الثلث الثانية -
- النيابة الثانية - من نيابات البلاد الشامية نيابة حلب، ووظائفها
- التي يكتب بها من الأبواب السلطانية على نوعين التي يكتب بها
- ١٤٠ من بحاضرة حلب، وهم على أصناف النوع الأول -
- ١٤٠ منهم أرباب السيوف، وهم على طبقتين الصنف الأول -
- ١٤٠ من يكتب له تقليد في قطع الثلثين الطبقة الأولى -
- ١٥١ من يكتب له في قطع الثلث الثانية -
- ١٥٥ - أرباب الوظائف الدينية بحلب، وهم على طبقتين
- ١٥٥ من يكتب له في قطع الثلث الخ الطبقة الأولى -
- ١٦٠ من يكتب له في قطع العادة الثانية -
- الصنف الثالث - من أرباب الوظائف بحلب أرباب الوظائف
- الديوانية، وهم على طبقتين الديوانية
- ١٦٠ من يكتب له في قطع الثلث الطبقة الأولى -
- ١٦٧ من يكتب له في قطع العادة الثانية -

- النوع الثاني - من أرباب الوظائف بالمملكة الحليسه من
 خارج عن حاضرتها، وهم على أصناف ١٦٨
- الصفء الأول - أرباب السيوف ١٦٨
- » الثاني - الوظائف الدينية ١٧٤
- » الثالث - الوظائف الديوانية ١٧٥
- النيابة الثالثة - نيابة طرابلس ، ووظائفها التي جرت العادة بالكتابة فيها
 من الأبواب السلطانية على نوعين ١٧٦
- النوع الأول - ما هو بمحاضرة طرابلس ، وهو على ثلاثة أصناف ... ١٧٦
- الصفء الأول - أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ١٧٦
- الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد ١٧٦
- » الثانية - من يكتب له مرسوم في قطع الثالث ١٧٩
- الصفء الثاني - الوظائف الدينية ، وهي على مرتبتين ١٨٢
- المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع الثالث ١٨٢
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة ١٨٧
- الصفء الثالث - الوظائف الديوانية ، وهي على مرتبتين ١٨٨
- المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع الثالث ١٨٨
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة ١٩٤
- النوع الثاني - ما هو خارج عن حاضرة طرابلس ، وهم على ثلاثة أصناف ١٩٥
- الصفء الأول - أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ١٩٥
- الطبقة الأولى - الطبلخاناه ١٩٥
- » الثانية - العشرات ١٩٧
- الصفء الثاني - الوظائف الدينية ١٩٨
- » الثالث - أرباب الوظائف الديوانية ٢٠٠

- النيابة الرابعة - نيابة حماة، وهي على ثلاثة أصناف
- الصف الأول - أرباب السيوف
- » الثاني - أرباب الوظائف الدينية
- النيابة الخامسة - نيابة صفد، ووظائفها على ثلاثة أصناف
- الصف الأول - أرباب السيوف، وفيه وظيفتان
- الوظيفة الأولى - نيابة السلطنة
- » الثانية - نيابة قلعة صفد
- الصف الثاني - أرباب الوظائف الديوانية
- » الثالث - أرباب الوظائف الدينية
- النيابة السادسة - نيابة غزة، ووظائفها على صنفين
- الصف الأول - أرباب السيوف
- » الثاني - الوظائف الديوانية بغزة
- النيابة السابعة - نيابة الكرك، وأرباب الولايات فيها على أصناف
- الصف الأول - أرباب السيوف
- » الثاني - أرباب الوظائف الدينية
- » الثالث - أرباب الوظائف الديوانية

القسم الثالث - مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية

- بالديار المصرية ما يكتب لأرباب الوظائف
- بالمملكة الحجازية، وتشمل على ثلاث قواعد
- القاعدة الأولى - مكة المشرفة، وبها وظيفتان
- الوظيفة الأولى - الإمارة
- » الثانية - قضاء مكة
- القاعدة الثانية - المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف

- ٢٤٢ الإمارة — الأولى
- ٢٥٨ القضاء — الثانية »
- ٢٦٠ مشيخة الحرم الشريف — الثالثة »
- ٢٦٢ النيابة ، وبها وظيفة واحدة وهى النيابة — سابعة الثالثة
- ٢٦٥ مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية — الرابع
- بaldiary المصرية ما يقع على سبيل الدور
- ٢٦٥ من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
- ٢٨٠ الولايات عن تواب السلطنة ، وفيه طرفان
- ٢٨٠ فى مقدمات هذه الولايات ، ويتعلق بها مقاصد
- ٢٨٠ فى بيان من تصدر عنه الولايات من تواب السلطنة — المقصد الأول
- » الثانى — فى بيان الولايات التى تصدر عن تواب السلطنة
- ٢٨١ بالممالك الشامية
- ٢٨٢ فى افتتاحات التواقيع والمراسيم بتلك الولايات — الثالث »
- ٢٨٣ فى بيان الألقاب ، وفيه أصناف — الرابع »
- ٢٨٥ وألقابهم مراتب — الصنف الأول
- ٢٨٧ وأرباب الوظائف الديوانية ، وفيهم مراتب — الثانى »
- » الثالث — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
- ٢٩٠ الوظائف الدينية ، وفيه مراتب
- ٢٩٢ من أرباب الولايات بالممالك الشامية مشايخ الصوفية — الرابع »
- ٢٩٣ من أرباب الولايات بالممالك الشامية أمراء العربان — الخامس »
- » السادس — من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
- ٢٩٣ الوظائف العادية
- » السابع — من أرباب الولايات بالممالك الشامية زعماء
- ٢٩٤ أهل الذمة

صفحة

- المقصد الخامس - في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما
 يكتب عن نواب الممالك الشامية... .. ٢٩٤
- » السادس - في بيان ما يكتب في طرزة التواقيع... .. ٢٩٥
- » السابع - في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع... .. ٢٩٩
- الطرف الثاني - في نسخ التواقيع المكتتبة عن نواب السلطنة
 بالممالك الشامية، وفيه ثلاث نيبات... .. ٢٩٩
- النيابة الأولى - الشام، والتواقيع التي تكتب بها على خمسة أصناف... .. ٣٠٠
- الصنف الأول - ما يكتب بوظائف أرباب السيوف،
 وهو على ضربين... .. ٣٠٠
- الضرب الأول - ما هو بحاضرة دمشق، وهو على مراتب... .. ٣٠٠
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله... .. ٣٠٠
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله... .. ٣٠٤
- » الثالثة - ما يفتتح برسم بالأمر العالي... .. ٣٠٦
- الضرب الثاني - ممن يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من
 أرباب السيوف من هو بأعمال دمشق،
 ومواضعهم على ثلاث مراتب... .. ٣١١
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله... .. ٣١١
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله... .. ٣١٧
- » الثالثة - ما يفتتح برسم... .. ٣٢٥
- الصنف الثاني - تواقيع أرباب الوظائف الدينية، وهي على ضربين
 الضرب الأول - ما يكتب لمن هو بحاضرة دمشق،
 وهو على ثلاث مراتب... .. ٣٣٧
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله... .. ٣٣٧
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله... .. ٣٥٩
- » الثالثة - ما يفتتح برسم بالأمر... .. ٣٧٢

صفحة	
٣٧٧	الضرب الثانى — ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق، وهو على مرتبتين
٣٧٧	المرتبة الأولى — ما يفتح بأما بعد حمد الله
٣٧٩	» الثانية — ما يفتح برسم بالأمر
	الصفن الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ،
٣٨٣	وهى على ضربين... ..
	الضرب الأول — ما يكتب لمن بحاضرة دمشق منهم ،
٣٨٣	وهو على ثلاث مراتب
٣٨٣	المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله
٣٩٠	» الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله
٣٩٣	» الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر الشريف
	الضرب الثانى — ما هو خارج عن حاضرة دمشق ، وغالب ما يكتب
٤٠٤	فيها من التواقيع مفتح برسم
٤١٠	الصفن الرابع — تواقيع مشايخ الخواتق ، وهى على ضربين
٤١٠	الضرب الأول — ما هو بحاضرة دمشق ، وهى على ثلاث مراتب
٤١٠	المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله
٤١٧	» الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله
٤١٩	» الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر
	الضرب الثانى — ما هو بأعمال دمشق ، وفيه مرتبة واحدة
٤٢٠	وهى الافتتاح برسم
٤٢٢	الصفن الخامس — تواقيع العربان
٤٢٤	» السادس — تواقيع زعماء أهل الذمة من اليهود والنصارى
٤٢٨	النيابة الثانية — نيابة حلب
٤٥٠	» الثالثة — نيابة طرابلس

(تم فهرس الجزء الثانى عشر من كتاب صبح الأعشى)